



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



ارحم الراحمين  
عليهم يا صابغ

www.ghaemiyeh.com  
www.ghaemiyeh.org  
www.ghaemiyeh.net  
www.ghaemiyeh.ir

مَجْمُوعَةُ كِتَابَاتِ الْحَبِيبِ الرَّسُولِيِّ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَآلِهِ  
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

سَائِرُ لَدِيدِ وَالِي الْغَزِيِّ

إِسْدَارُ  
مَجْمُوعَةِ كِتَابَاتِ الْحَبِيبِ الرَّسُولِيِّ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَآلِهِ  
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# شخصية المختار الثقفي عند المورخين القدامي

كاتب:

سالم لذيذ والي الغزى

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

5	الفهرس
9	شخصية المختار الثقفى عند المؤرخين القدامى
9	اشارة
9	هوية الكتاب
13	الإهداء
14	مقدمة اللجنة العلمية
14	المختار الثقفى... رجل الأسطورة فى نصره الحق
16	المقدمة
25	الفصل الأول
25	اشارة
27	المبحث الأول: ولادته ونشأته
27	أولاً: نسبه وقبيلته
37	ثانياً: نشأته
64	المبحث الثانى: عقيدته وولائه
64	اشارة
68	أولاً: المختار والولاء العثمانى
79	ثانياً: المختار ومذهب الخوارج
90	ثالثاً: المختار وولائه للزبيريين
93	رابعاً: المختار والكيسانية
113	خامساً: المختار بين الزيدية والرافضة
119	الفصل الثانى
119	اشارة
121	المبحث الأول: الموقف من نهضة الإمام الحسين (عليه السلام)

121	أولاً: موقف المختار في عهد الإمام علي (عليه السلام)
127	ثانياً: موقف المختار في عهد الإمام الحسن (عليه السلام) .....
143	ثالثاً: موقف المختار من الشهادة ضد حجر بن عدى .....
158	رابعاً: موقف المختار أثناء نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) .....
164	خامساً: موقف أهل الكوفة من الإمام الحسين (عليه السلام) .....
181	المبحث الثاني: موقف المختار من حركة التوابين .....
181	إشارة .....
188	المرحلة الأولى: موقف المختار من حركة التوابين أثناء شخوصهم إلى بلاد الشام .....
201	المرحلة الثانية: موقف المختار من التوابين بعد عودتهم من المعركة .....
212	المبحث الثالث: موقف المختار من حركة عبد الله بن الزبير .....
212	أولاً: بداية حركة ابن الزبير .....
217	ثانياً: قتال المختار مع عبد الله بن الزبير .....
222	ثالثاً: سيطرة المختار على الكوفة .....
233	رابعاً: أوجه الخلاف العلني بين المختار وابن الزبير بعد سيطرته على الكوفة .....
233	1 - قيام المختار بطرد والي ابن الزبير على الكوفة .....
238	2 - إرسال المشي بن مخزومة العبدى إلى البصرة .....
242	3 - القتال بين جيش المختار وجيش ابن الزبير في المدينة .....
246	4 - موقف المختار من ابن الزبير عند حبسه محمد ابن الحنفية .....
256	خامساً: رؤية المؤرخين لدولة المختار ونهايته على يد آل الزبير .....
256	إشارة .....
256	1 - موقف إبراهيم بن الأشتر من المختار .....
262	2 - هزيمة جيش المختار بسبب سوء إدارة ابن شميظ في معركة المذار .....
264	3 - دور قتلة الأمام الحسين (عليه السلام) وأعاونهم من أهل الكوفة .....
267	4 - المرض الذي كان يعاني منه المختار أثناء قتال آل الزبير .....
275	الفصل الثالث .....

275	.....	اشارة
277	.....	المبحث الأول: نشوء الدولة ونظامها الإدارى
277	.....	أولاً: نشوء الدولة
277	.....	اشارة
284	.....	بيعة المختار
291	.....	ثانياً: النظام الإدارى للدولة
291	.....	اشارة
291	.....	1 - أرمينية وهمدان
293	.....	2 - ولاية الموصل
300	.....	3 - ولاية أذربيجان
301	.....	4 - مدينة حلوان
305	.....	5 - ولاية المدائن وأرض جوحى
309	.....	6 - ولاية أصبهان وقم وإعمالها
310	.....	7 - مدينة الرى ودستى
316	.....	المبحث الثانى: القصاص من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) وإحراق الحق
316	.....	اشارة
324	.....	تنفيذ القصاص بقتلة الإمام الحسين (عليه السلام)
328	.....	قتل قادة الجيش الذى قاتل الإمام الحسين (عليه السلام)
353	.....	هدم دور بعض القتلة ورؤية المؤرخين فى القصاص
361	.....	المبحث الثالث: موقف الأشراف والموالى والقبائل من دولة المختار
405	.....	الفصل الرابع
405	.....	اشارة
407	.....	المبحث الأول: تهمة ادعاء النبوة
407	.....	اشارة
407	.....	أولاً: كتاب المختار إلى الأحنف بن قيس

422	ثانياً: تهمة نزول الوحي جبريل عليه .....
437	ثالثاً: تهمة قتال الملائكة مع المختار .....
437	1. هجاء سراقه بن مرداس البار قى للمختار .....
446	2. قتال الملائكة مع المختار على هيئة الحمام .....
450	المبحث الثاني: تهم الكذب التى وجهت للمختار .....
450	أولاً: تهمة الكذب التى وجهت إليه من أعدائه مباشرة .....
456	ثانياً: الحوار الذى جرى بين أسماء بنت أبى بكر والحجاج بن يوسف .....
473	ثالثاً: تهمة الكذب التى وجهت للمختار بطرق مختلفة .....
473	1) حديث نسب إلى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) .....
474	2) تهمة الكذب للمختار التى نسبت إلى قول الأئمة المعصومين (عليهم السلام) .....
480	المبحث الثالث: الكرسي المقدس .....
491	الخاتمة .....
494	المحتويات .....
500	تعريف مركز .....



## شخصية المختار الثقفي عند المؤرخين القدامى

### إشارة

سرشناسه: الغزى، سالم لذيذ والى

عنوان و نام پديدآور: شخصية المختار الثقفي عند المؤرخين القدامى / [تأليف] سالم لذيذ والى الغزى

مشخصات نشر: كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية

محل نشر: كربلاى معلى - عراق

سال نشر: 1436 هـ ق

مشخصات ظاهرى: 489 ص

يادداشت:عربى

يادداشت:کتابنامه

موضوع: المختار بن أبى عبيد، 167 هـ ق- نقد وتفسير.

موضوع: اسلام الحركات الثورية.

موضوع: المختار ابن ابى عبيد، 167 هـ ق- شبهات وردود.

موضوع: حركة التوايين، 65 هـ ق - الاسلام والحكم

ص: 1

هوية الكتاب

الغزى، سالم لذيذ والى

شخصية المختار الثقفى عند المؤرخين القدامى / [تأليف] سالم لذيذ والى الغزى؛ تقديم محمد على الحلو الطبعة الأولى. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية 1436 ق. = 2015 م.

ص 496. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ 158).

المصادر فى الحاشية.

1. المختار بن أبى عبيد، 167 هـ - نقد وتفسير. 2. اسلام الحركات الثورية. 3. المختار ابن ابى عبيد، 167 هـ - شبهات وردود. 4. حركة التوايين، 65 هـ -- 5. الاسلام والحكم. ألف. الحلو، محمد على، 1957 م، مقدم. ب. السلسلة. ج - العنوان.

تمت الفهرسة قبل النشر فى مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

ص:2



بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 4

إلى...

- سادتي أئمة الهدى ومصايح الدجى... ولاية الدين والشريعة.. محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين.... حباً وولاءاً..

- مَنْ قَرَنَ اللَّهَ طَاعَتَهُ بطاعتهم... ربياني صغيراً... وأحباني كثيراً..

غيبتهما عن عيني الأقدار... والديّ الحبيبين....

ترحمماً واستغفاراً...

- القلوبِ والعيونِ المعلقةِ بي طوال رحلتي... أفراد أسرتي.

ص:5

## المختار الثقفى... رجل الأسطورة فى نصره الحق

لم تعد شخصية المختار بن أبى عبدة الثقفى شخصية درامية يتخذها البعض فى تصوير مشهد تاريخى ما، بل فرضت هذه الشخصية نفسها على الحدث الإسلامى لتكون مفردة تاريخية مستقلة، وهذا يعنى أن المختار ذو القابليات المتعددة صار مسرحاً للنقد والدراسة والتحليل، ومنه يُعلم مال هذه الجهود من تجاذبات فكرية تتفقُ أحياناً وتتقاطع أخرى، لتزيد المشهد التاريخى تعقيداً فوق كل تعقيداته المختلفة فهذا المختار الذى تعددت قراءات فكره وتوجهاته بين كيسانى النزعة، إلى زيدى الهوى حتى إمامى الانتهاء، وفى نطاق السياسة فهو بين زبيرى حتى مروانى إلى علوى الاصطفاف، وهكذا هى دوامة تاريخية لا تنتهى إلا بقناعات غير قطعية محالة على الظن أو التهمة أو الكراهية وحتى عبثية التحليل، وينتمى كل دارسٍ إلى ثقافته القبلية التى تفرض عليه ترسيم حدود الشخصية التاريخية التى لم تجد مجالاً للنقد أو التروى حتى تتحكم فى تعريفها هذه الدواعى غير العلمية، وتتجه نتائج البحث أخيراً لتؤشر على الحالة الانتمائية التى يتلى بها الكاتب أو المحلل التاريخى الذى

تستهويه هذه المطاردات لتسقط أخيراً من مضمار الهوس والتسابق الذوقى حتى تحط رحالها إلى حيث انتهت معه التؤدة فى التحقيق، والتروى فى معالجة البحث، وتخرج الجهود التحقيقية بنتائجها القيمة من تحديد شخصية المختار ذلك المؤمن الشجاع المنتمى إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام بكل تفاصيل حياته وجزئياتها فطفولته شاهدة على انتماء علوى عريق، ونشأته باعثة للاطمئنان على توجهاته وطموحاته فى عاربية الظلم والتجبر، وكهولته حاكية عن نهاية مشرفة فى أخذ الثأر من قتلة الإمام الشهيد الحسين بن على عليهما السلام، وما سطرته أقلام المؤرخين قرينة مهمة على مظلومية هذا الرجل العظيم، ولعل فى الدراسة التى قدمها الأستاذ سالم لذيذ والى الغزى الموسومة شخصية المختار بن أبى عبيد الثقفى عند المؤرخين القدامى حاكية عن جهدٍ استثنائى دقيق، وتحقيق تاريخى عميق، يعيد للأذهان ما اتجهت إليه أقلام العلماء الافذاذ فى تنزيه شخصية المختار رضوان الله عليه، ويؤكد ما لهذا الجهد من أهمية فى الاجابة على كل التساؤلات الواردة على شخصيته وسيرته وانتمائيه يعزز النظرة السائدة بأن المختار رجل الأسطورة فى متاهات الغفلة عن نصره الحق، وأسلوب التحدى فى مواجهة الصخب الإعلامى الذى سعى لتضليل الكثير فى إلقاء هذه الشخصية العظيمة، وتبقى جهود الكاتب فى مصافى الدقة التاريخية، والعطاء الزاخر بالحق.

عن اللجنة العلمية

السيد محمد على الحلو

ص:7

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين إمام المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، اللهم إنك تقتي في كل كرب ورجائي في كل شدة، وبعد:

مما لاشك فيه أن موضوع الرسالة: (شخصية المختار بن أبي عبيد الثقفي عند المؤرخين القدامى) ذو أهمية كبيرة لما لتلك الشخصية من دورٍ محوريٍّ ومهم في الحقبة التي تلت استشهاد أبي الأحرار الإمام الحسين (عليه السلام) وارتباطها بقضية آل البيت والأخذ بثأرهم من قتلهم وأعدائهم وما آل إليه ذلك من إدخال السرور على آل بيت النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وشيعتهم ومحبيهم.

ومن البديهي أن يضم التاريخ الإسلامي في طياته الكثير من الروايات الصحيحة إلا أنه لم يخلُ من التناقضات التي لا تخفى على مطلعٍ فضلاً عن الاجتهادات والآراء الشخصية التي تحكمت بها أهواء من كتبه وميولهم منذ بدايته وحتى يومنا هذا؛ مما نتج عنه تشويه للحقائق ظلَّ بسببها العديد من



رجالہ العظماء لاسیما الموالون لآل البيت، فإذا كان بنو أمیة قد سبوا الإمام علیاً (علیه السلام) لأكثر من ثمانین عاماً علی منابر المسلمین فی کل البلاد التي حکموها دون رادع أو خوف من أحد فمن الهین والیسیر الصاق التهم وطمس فضائل وتغیب ملامح کل من سار فی ركبہ (علیه السلام) أو نهج خطاه.

وشخصیة المختار من أكثر الشخصیات التي انقسم الرواة والمؤرخون إزاءها، ففئة تبنت رأی السلطة الحاكمة آنذاك حتی أصبحت جزءاً لا يتجزء منه، فضلاً عن میولها المذهبية، وقد سار فی ركبها آخرون فأضافوا علی ما کُتب لإیمانهم به، فی حين كتبت فئة بنوع من الموضوعیة والحيادیة، وفئة ثالثة أخذت عن تلك الفئتين فرددت ما کُتب سلباً أم إيجاباً فکرتت وكررت ما كان مغرضاً ومختلقاً حتی أصبح لكثرة ما دُكر كانه من المسلمات التي لا- يجوز التمحیص والتدقیق فیہ، فكان الوقوف عند ذلك والكشف عن الحقائق المغیبة من دواعی اختیار البحث، فضلاً عن إن أولئك المؤرخین تعرضوا لشخصیة ارتبط اسمها - شأؤوا أم أبوا - بقضية الإمام الحسین (علیه السلام)، والتاریخ لا یسعه أن ینصف مثل هذه الشخصیة، فیکشف کل حقیقته للناس، لأن أعداء آل البيت لا یروق لهم أن یسلم مثله من النقد والتهم بما یصح وما لا یصح(1)، فكان من الواجب علی محبی آل محمد وشیعته أن ینبروا للدفاع عنه وفق الحقائق والمعطیات التاریخیة وتبیان مدى صحة تلك الروایات من عدمها

ص:9

---

1- (1) - الدجیلی، أحمد، المختار الثقفی، مطبعة النجف، النجف 1955 م، ص 5.

ودوافعها وأهدافها المعلنة والخبفية، وعلى الرغم من أن هناك الكثير من الدراسات التي تناولت حركة المختار وتصديه للأخذ بثأر الإمام الحسين (عليه السلام)، لكنها ركزت على دوره العسكري وأثره السياسي والفكري، ولم نجد من تصدى بشكل أوسع وأشمل في كشف زيف العديد من المؤرخين وتحاملهم على تلك الشخصية لا لشيء سوى أنه جاهد وتبني حتى الرمق الأخير من حياته الدفاع عن آل البيت وإدراك ثأرهم، وإذا كنا نتمنى أن نكون قد وفقنا بعض الشيء في ذلك فإننا لا نزعم أن المختار - ذلك القائد العسكري والسياسي المحنك الذي ربما يؤمن بأن الحرب خدعة وأن السياسة فن الممكن - بأنه معصوم من الخطأ والزلل، لكننا نجزم بأن الله سبحانه وتعالى وفقه ورزقه حسن العاقبة بأن جعل ثأر سيد الشهداء وآل بيت النبوة وأصحاب الحسين (عليهم السلام) على يديه وهو شرف تتضاءل أمامه الكثير من الأعمال، فنال بذلك ما نال ومنها دعاء الأئمة المعصومين له بالخير(1)، وأنى لغيره ذلك؟

وقد قُسم البحث على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، تضمن الفصل الأول الذي خُصص لدراسة السيرة الشخصية للمختار مبحثين، تحدثنا في المبحث الأول عن ولادة المختار وقبيلته وأسرته ودورها في نشوء الولاء العلويّ عند المختار من خلال مواقف عمه سعد بن مسعود مع الإمام عليّ

ص:10

---

1- (1) - الكشي، محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت: 340 هـ - 951 م)، رجال الكشي، قدم له وعلق عليه: أحمد الحسيني، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 2009 م، ص 98.

(عليه السلام) في حين خُصِّصَ المبحث الثاني لولاء المختار وعقيدته التي أسهب بعض المؤرخين القدامى في التركيز عليها هادفين من وراء ذلك النيل منه والطعن فيه لما للولاء والعقيدة من أهمية كبيرة لدى المسلمين.

أما الفصل الثاني فقد خُصِّصَ لدراسة شخصية المختار عند المؤرخين القدامى من خلال مواقفه السياسية في تلك الحقبة التاريخية المهمة من الدولة الإسلامية فجاء على ثلاثة مباحث، تناولنا في المبحث الأول موقفه من نهضة الإمام الحسين (عليه السلام)، وقد عرّجنا في هذا المبحث على مواقفه التي سبقت النهضة الحسينية كونها امتداداً طبيعياً لها، في حين خُصِّصَ المبحث الثاني لدراسة موقفه من التوايين قبل وأثناء خروجهم من الكوفة وحتى عودة من بقى منهم إليها بعد معركة عين الورد.

بينما خُصِّصَ المبحث الثالث لدراسة موقفه من عبد الله بن الزبير، وفي هذا المبحث اضطررنا للخروج عن التسلسل التاريخي للأحداث وعرّجنا على التسلسل الموضوعي كون مقتل المختار وقع ضمن موقف المختار من عبد الله ابن الزبير.

أما الفصل الثالث فقد تناولنا فيه دولة المختار وتضمن ثلاثة مباحث، جاء المبحث الأول ليتضمن نشوء دولته وإرسال ولاته على الولايات والمدن التابعة لدولته، وكذلك تعيين قضاته، ثم جاء المبحث الثاني لبيان قيام المختار بتنفيذ وعوده في الأخذ بثأر الإمام الحسين (عليه السلام)، وعدم تهاونه في ذلك مهما اشتدت عليه المحن، في حين خصصنا المبحث الثالث لمعرفة موقف

المجتمع الكوفي من ثورة المختار ودولته، وتم التركيز في هذا المبحث على دور أشراف الكوفة والموالي لما لعبه هؤلاء من دورٍ كبيرٍ ومهم في تلك الأحداث.

وجاء الفصل الرابع ليتناول التُّهم التي وُجِّهت للمختار، ومن الجدير بالذكر إن تلك التُّهم التي تناولناها في هذا الفصل لم تكن التهم الوحيدة وإنما تم التطرق إلى تهمٍ غيرها في الفصول السابقة لم تقلَّ خطورة عن هذه التهم، وللمحافظة على وحدة الموضوع تطرقنا إليها في موضعها، وقد قُسم هذا الفصل على ثلاثة مباحث خُصِّصَ المبحث الأول لتهمة إدعاء النبوة كونها أهم التهم التي وُجِّهت لضرب شخصية المختار في صميم عقيدته الإسلامية، في حين تناول المبحث الثاني تهمة الكذب التي دأب بعض المؤرخين على ذكرها بعد اسمه وكأنها كنية أو لقب له، بينما جاء المبحث الثالث لتناول تهمة الكرسي المقدس، أما خاتمة البحث ذكرنا فيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال هذه الدراسة.

ولعل من أهم الصعوبات التي واجهت الباحث هي عدم وضوح آراء بعض المؤرخين في شخصية المختار وإنما تداخلت تلك الآراء مع سرد الروايات في حين اكتفى بعضهم بنقل تلك الروايات فقط دون التعليق عليها، وقليل من هؤلاء من ذكر رأيه صراحة مما حدا بالباحث إلى اللجوء إلى الاستنتاج بناءً على ما أورده من روايات وما أغفلوه منها، ولما كان عنوان الرسالة (شخصية المختار بن أبي عبيد الثقفي عند المؤرخين القدامى)، فكان من العسير علينا الإمام والإحاطة بكل المؤرخين القدامى فحاولنا أن نغطّي

ذلك بذكر نماذج من أولئك المؤرخين لأغلب الفترات التاريخية راجين من الله العليّ القدير أن نكون قد وُفقنا في ذلك.

واعتمدت الدراسة على مصادر متنوعة ومصنفات متباينة من كتب تاريخية وطبقات وتراجم وأدب وجغرافية وغيرها، فضلاً عن المراجع الثانوية التي رفدت الدراسة بالعديد من الآراء والاستنتاجات، فمن كتب الطبقات كان لكتاب (الطبقات الكبرى) لابن سعد (ت: 230 هـ - / 844 م)، أهمية كبيرة لما يحتويه من نصوص مهمة وتراجم للعديد من الشخصيات التي وردت في الدراسة، ومن كتب التراجم التي رفدت البحث كتاب (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) لابن عبد البر (ت: 463 هـ - / 1070 م)، الذي اضطررنا أن نستخدم طبعين منه لمحققين مختلفين وذلك لوجود بعض الآراء التي تهم البحث غير موجودة في النسخة الأخرى، مما حدا بنا إلى ذكر اسم المحقق في كل هامش ذكرناه لكتاب الاستيعاب، وأفاد البحث من كتاب ابن الأثير (ت: 630 هـ - / 1232 م)، (أسد الغابة في معرفة الصحابة)، وذلك لأهمية المعلومات التي رفدت الدراسة، وكذلك كان كتاب (سيرة أعلام النبلاء) للذهبي (ت: 748 هـ - / 1347 م)، أما كُتب الأنساب فقد كان كتاب (جمل من أنساب الأشراف) للبلاذري، (ت: 279 هـ - / 892 م) من المصادر الأولية التي أغنت الدراسة بمعلومات قيمة ومهمة ومفصلة.

وكان لكتب التاريخ العام دورٌ كبيرٌ في هذه الدراسة كونها دراسة تتعلق بالمؤرخين كما أنّ كتب التاريخ العام في الأعمّ الأغلب فصلت تلك الحوادث

التاريخية بشكل واضح، فكان لكتاب (مقتل الحسين) المنسوب لأبي مخنف (ت: 157 هـ - / 773 م)، أهمية كبيرة وذلك كون أبي مخنف من أقدم الرواة والمؤرخين في هذا المجال وقربه من أحداث الكوفة فضلاً عن وثاقته واعتماد الكثير من المؤرخين على رواياته مثل الطبري وغيره، وكان لكتاب (الأخبار الطوال) للدينوري (ت: 282 هـ - / 895 م)، دورٌ واضحٌ في رَفْدِ الدراسة بالكثير من المعلومات لما خصصه الدينوري في كتابه لتلك الأحداث التاريخية، وشكّل (تاريخ يعقوبي) لليعقوبي (ت: 292 هـ - / 904 م) بمعلوماته المميزة عنصراً مهماً أمدّ البحث بالكثير من المعلومات على الرغم من الاختصار الذي يغلب على طبيعة أخباره فقد خصّص حيزاً واضحاً لتلك الحقبة التاريخية. لكن كتاب (تاريخ الأمم والملوك) للطبري (ت: 310 هـ - / 922 م) ضمّ بين دفتيه أخباراً متنوعة ومعلومات غاية في الأهمية أفادت الدراسة في أغلب مراحلها، وكذلك تمت الاستعانة بـ (كتاب الفتوح) لابن أعمش الكوفي (ت: 314 هـ - / 926 م)، وكتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) للمسعودي (ت: 346 هـ - / 957 م)، وكتاب (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) لابن الجوزي (ت: 597 هـ - / 1200 م) وكتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير (ت: 630 هـ - / 1232 م)، وغير ذلك الكثير من كتب التاريخ العام التي تم الاعتماد عليها والتي تُبَيِّنُ في قائمة المصادر.

وتمت الاستعانة بمجموعة من كتب الفرق والمقالات التي أفادت البحث بمعلومات وافية خاصة في المبحث الثاني من الفصل الأول، ومن بين تلك

الكتب (الفرق بين الفرق) للبغدادي (ت: 429 هـ - 1037 م)، وكذلك كتاب (المِلل والنحل) للشهرستاني (ت: 549 هـ - 1154 م).

واعتمدت الدراسة كذلك على مجموعة من كتب الأدب واللغة منها كتاب (الكامل في اللغة والأدب) للمُبَرِّد (ت: 286 هـ - 899 م)، وكتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي (ت: 328 هـ - 939 م)، واستعنا في معرفة المفردات اللغوية على بعض المعاجم اللغوية منها كتاب (لسان العرب) لابن منظور (ت: 711 هـ - 1719 م).

ولغرض التعريف بالمدن وتحديد مواقعها في الأمصار والأقاليم استعنا ببعض كتب الجغرافيين وكان في مقدمتها كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي (ت: 626 هـ - 1233 م) الذي أمدّ الدراسة بمعلومات وافية عن ذلك.

كذلك اعتمدت الدراسة على العديد من المراجع الحديثة والرسائل الجامعية ومن تلك الكتب كتب إبراهيم بيضون (التوابون) و (الحجاز والدولة الإسلامية) و (من دولة عمر إلى دولة عبد الملك)، وكتاب (دولة المختار الثقفي) لصفاء الخطيب، وكتاب (التاريخ السياسي للدولة العربية الإسلامية) لعبد المنعم ماجد، وكتاب (تنزيه المختار) للسيد عبد الرزاق المُقَرَّم الموسوي، وكتاب (أحزاب المعارضة السياسية في صدر الإسلام) للمستشرق الألماني يوليوس فلهوزن وغيرها من الكتب والرسائل التي تُبَيِّنُ في قائمة المراجع الثانوية والرسائل الجامعية.

وفي الختام فإن هذا البحث المتواضع ليس إلا محاولة بسيطة لتسليط

الضوء على شخصية إسلامية قُدر لها أن تناط بها مهمة القصاص من قَتَلَة الإمام الحسين (عليه السلام) الذي عجز غيره عن تحقيقه، وهو شرف ما بعده شرف تتضاءل أمامه الكثير من المهام ومنقبة نَسَّ رَأب إليها أعناق عظماء المسلمين، وإذ أجد نفسى مقصراً فى رفع بعض الحيف والظلم عنه؛ فإننى أتمنى أن أكون حققتُ جزءاً من ذلك، وهو مبلغ علمنا وطاقتنا، نسأل الله السداد والتوفيق.

ص:16







ينتسب المختار إلى قبيلة ثقيف العربية إحدى بطون قيس عيلان بن مضر(1) ، التي كانت تسكن مدينة الطائف(2) ، وهو المختار بن أبي عبيد بن مسعود

ص:19

1- (1) - ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: 276 هـ - 889 م)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الطبعة الرابعة، دار المعارف، د. ت، ص 91؛ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت: 456 هـ - 1065 م)، جمهرة أنساب العرب، مراجعة: عبد المنعم خليل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007 م، ص 269؛ السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت: 562 هـ - 1166 م)، الأنساب، قدم له: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، 1988 م، ج 1، ص 508-509؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت: 630 هـ - 1232 م)، اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد، د. ت، ج 1، ص 240؛ القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت: 821 هـ - 1418 م)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الطبعة الثالثة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1991 م، ص 198.

2- (2) - الطائف: وهو وادي وج وهي بلاد ثقيف وسميت طائفاً بحائظها المبني حولها والمحدق بها، وكانت تسمى قبل ذلك وجا بوج بن عبد الحي من العماليق، وهو من الأمم الخالية، والطائف ذات مزارع ونخل وأعشاب وموز وسائر الفواكه وبها مياه جارئة وأودية، وأغلب أهل الطائف ثقيف وحمير وقوم من قريش، وهي بليدة صغيرة على طرف وادي، وهي محللتان احدهما تعرف بطائف ثقيف والأخرى يقال لها الوهد، وتشتهر كذلك بإنتاج الكروم وفيها من العنب ما لا

1- (1) - البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت: 279 هـ - 892 م)، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1996 م، ج 6، ص 375؛ ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: على أحمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ج 5، ص 117؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن أحمد بن عثمان (ت: 748 هـ - 1347 م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982 م، ج 3، ص 538؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت: 774 هـ - 1372 م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، أرض اللواء، 1998 م، ج 12، ص 64؛ المقرئ، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت: 845 هـ - 1441 م)، أمتاع الأسماع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت 1999 م، ج 12، ص 250؛ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت: 852 هـ - 1448 م)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ -، ج 6، ص 275.

2- (2) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 375؛ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: 310 هـ - 922 م)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت 2008 م، ج 2، ص 249؛ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت: 463 هـ - 1070 م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: على محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1412 هـ -، ج 4، ص 1465؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج 5، ص 117؛ ابن نما الحلبي، جعفر بن محمد بن جعفر بن هبة الله (ت: 645 هـ - 1247 م)، ذوب النضار في شرح

وكان يكنى بأبى إسحاق(1) ، ويقال أنه لقب بكيسان(2) ، أما قبيلة ثقيف فقد كانت من القبائل العربية القوية التي أثرت فى الأحداث قبل وبعد البعثة وهى تنقسم إلى قسمين هما:

أولاً: بنو مالك، ثانياً: الأحلاف(3) والأخيرة ينتسب إليها المخترار بن أبى عبيد الثقفى(4).

ص:21

1- (1) - ابن عبد البر، الاستيعاب، (تحقيق: على البجاوى)، ج 4، ص 1465؛ ابن الجوزى، أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد (ت: 597 هـ - 1200 م)، المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وآخر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992 م، ج 6، ص 67؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج 5، ص 117؛ المجلسى، محمد باقر (ت: 1111 هـ - 1699 م)، بحار الأنوار، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربى، بيروت، 1983 م، ج 45، ص 350.

2- (2) - النوبختى، الحسن بن موسى (ت: حوالى 300 هـ - 912 م)، فرق الشيعة، مطبعة الدولة لجمعية المستشرقين الألمانية، إسطنبول، 1931 م، ص 20؛ ابن عبد ربه الاندلسى، أحمد بن محمد (ت: 328 هـ - 939 م)، العقد الفريد، تحقيق: بركات يوسف هبود، بيروت، 1999 م، ج 2، ص 384؛ الكشى، رجال الكشى، ص 99؛ البغدادى، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت 429 هـ - 1037 م)، الفرق بين الفرق، تحقيق: إبراهيم رمضان، الطبعة الرابعة، دار المعرفة، بيروت، 2008 م، ص 46؛ سبط ابن الجوزى، يوسف بن فرغلى بن عبد الله (ت: 654 هـ - 1256 م)، تذكرة الخواص، قدم له: محمد صادق بحر العلوم، مكتبة نينوى، طهران، د. ت، ص 293؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت: 681 هـ - 1282 م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د. ت، ج 3، ص 172-173.

3- (3) ابن قتيبة، المعارف، ص 91.

4- (4) ابن قتيبة، المعارف، ص 91؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 268.

وأنجبت هذه القبيلة مجموعة من الأشخاص الذين لعبوا دوراً بارزاً وتركوا أثراً بالغاً في الجاهلية والإسلام، إذ تميز العديد من رجالها بالحنكة والفظنة والدهاء(1). فمنهم أمية بن أبي الصلت بن ربيعة بن عوف، الشاعر الجاهلي، الذي كان يُعد من علماء العرب، وكان داهية من دواهي ثقيف، لبس المسوح تعبدًا، وحرّم على نفسه الخمر(2)، ومنهم الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج، طبيب العرب، سافر إلى فارس وتمرن فيها، له كتاب المحاورة في الطب بينه وبين كسرى أنوشروان ملك الفرس(3)، ومنهم أبو محجن بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف الثقفي، أسلم سنة تسع للهجرة، وكان فارساً شاعراً، أشترك في فتوح المسلمين في العراق، وقاتل في القادسية، توفي في أرمينية عام ثلاثين للهجرة(4).

ص:22

- 
- 1- (1) - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت: 255 هـ - 868 م)، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي، مصر، 1965 م، ج 2، ص 320؛ الابشيهي شهاب الدين محمد بن أحمد (ت 850 هـ - 1846 م)، المستطرف من كل مستطرف، دار الندي، بيروت، 2004 م، مج 1، ص 462.
  - 2- (2) الجاحظ، الحيوان، ج 2، ص 320؛ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 3، ص 332؛ ابن عساكر، على بن الحسن بن هبة الله (ت 571 هـ - 1175 م)، تاريخ دمشق، تحقيق: محب الدين عمر بن غراشة، دار الفكر، بيروت، 1995 م، ج 9، ص 255-260.
  - 3- (3) - ابن سعد، محمد بن منيع الزهري (ت: 230 هـ - 844 م)، الطبقات الكبرى، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001 م، ج 8، ص 67-68؛ ابن الاثير، أسد الغابة، ج 1، ص 633-634؛ ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة (ت 668 هـ - 1269 م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: عامر النجار، دار المعارف، 1996 م، ج 1، ص 386-395.
  - 4- (4) - ابن سعد، الطبقات، ج 8، ص 76؛ ابن عبد رب i، العقد الفريد، ج 6، ص 332؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 268-269.

ومن رجال ثقيف المغيرة بن شعبة الذي كان معروفاً بولائه للأمويين، الذي أسلم في عهد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وأستعمله عمر ابن الخطاب (13 هـ - 23 هـ) على البصرة ثم عزله، ثم جعله معاوية بن أبي سفيان والياً على الكوفة، وهو من أشار على معاوية (41 هـ - 60 هـ) بجعل يزيد ولياً للعهد وأخذ البيعة له من المسلمين وتوفي سنة (50 هـ - 1).<sup>(1)</sup>

ومن الثقيين من لعب دوراً محورياً ورئيساً في توطيد حكم بني أمية، وتفاني في إخلاصه لهم، مثل الحجاج بن يوسف الثقفي الذي استطاع القضاء على أغلب الثورات التي ناهضتهم، ومنها القضاء على حركة عبد الله بن الزبير (عام 73 هـ) إذ أسرف الحجاج في ولائه للأمويين فقام بقتله وصلبه على أستار الكعبة في عام (73 هـ - 2).<sup>(2)</sup>

وعلى الرغم من أن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) قصد الطائف - موطن قبيلة ثقيف - في بداية الدعوة الإسلامية، إلا أنهم لم يوقفوا لنصرته والدخول في الإسلام، فرجع إلى مكة<sup>(3)</sup> ويعد فتح مكة

ص: 23

- 
- 1- (1) - ابن سعد، الطبقات، ج 5، ص 173-180؛ ابن قتيبة، المعارف، ص 249-295؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج 5، ص 238-240.
  - 2- (2) ابن قتيبة، المعارف، ص 39-398؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 3، ص 14-54؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج 12، ص 113-202؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 507-555.
  - 3- (3) - اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب (ت: 292 هـ - 904 م)، تاريخ اليعقوبي، وضع حواشيه: خليل المنصور، الطبعة الثانية، دار الاعتصام، قم، 1425 هـ -، ج 2، ص 24؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 2، ص 217-218؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت 1422 هـ - 2002 م، ج 2، ص 79-81.

عام ثمانية للهجرة (1) هزعت هوازن (2) وثقيف لحرب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فخرج إليهم من مكة بجيش بلغت عدته أكثر من أثنى عشر الف مقاتل (3) ، فدارت بينهما وقعة حنين، وعلى الرغم من تفوق المسلمين بالعدة والعدد إلا أنه كان «يوماً عظيماً الخطب وانهزم المسلمون عن رسول الله حتى بقى فى عشرة من بنى هاشم، وقيل تسعة، وهم: على بن أبى طالب، والعباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث، ونوفل بن الحارث، وربيعة ابن الحارث، وعتبة ومعتب ابنا أبى لهب، والفضل بن العباس، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، وقيل أيمن بن أم أيمن». (4) وأشدت القتال فقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يومها وهو يقاتل: الآن حمى الوطيس وهو أول من قالها (5) وثبت الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بمن معه، وفتح

ص: 24

- 
- 1- (1) - اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ج 2، ص 38-40؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 26-39.
- 2- (2) - أشار بعض النسابين إلى هوازن فجعلوها إحدى بطون قيس عيلان، فحين ذكروا نسب ثقيف قالوا: واسمه قسى بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر. ينظر: ابن قتيبة، المعارف، ص 91؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 268-269؛ ابن أبى الحديد، عز الدين أبو حامد بن هبة الله (ت: 656 هـ - 1258 م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربى، بغداد، 2009 م، مج 4، ج 8، ص 422.
- 3- (3) اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ج 2، ص 41؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 44؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 2، ص 237
- 4- (4) - اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ج 2، ص 41؛ للتفاصيل ينظر: الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 44؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 2، ص 237-238.
- 5- (5) - ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 2، ص 239.



الله على نبيه، وأيده بجنود من الملائكة، ومضى الإمام على (عليه السلام) إلى صاحب راية هوازن فقتله، فحلت بهم الهزيمة (1)، بعدها حاصر الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) الطائف أكثر من عشرين يوماً (2)، ثم أذن بالرحيل عنها وأقام أهل الطائف على الشرك حتى عام (9 هـ - 3).

وقد لعب عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف الثقفي (4) أحد صلحاء ثقيف (5) دوراً إيجابياً في دعوة قبيلته لاعتناق الإسلام، إذ كان من زعماء ثقيف، وكان يكنى بأبي يعفور (6)، وكان يتحمل ديات القتلى في الجاهلية (7)، أرسلته قريش للتفاوض مع الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) يوم الحديبية، فلما رجع إليهم قال: «وفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ما رأيت ملكاً قط

ص: 25

- 
- 1- (1) - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 41؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 46.
  - 2- (2) - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 42.
  - 3- (3) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 57.
  - 4- (4) ابن سعد، الطبقات، ج 8، ص 64؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (تحقيق: علي البجاوي)، ج 3، ص 1066؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج 4، ص 30؛ الصفدي، صلاح الدين بن خليل بن أيبك (ت: 764 هـ - 1362 م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، دار أحياء التراث العربي، بيروت 2000 م، ج 19، ص 360.
  - 5- (5) - الثقفي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعد الكوفي (ت: 283 هـ - 896 م)، الاستنصار والغارات، تحقيق: جلال الدين الحسيني، د. م. د. ت، ج 2، ص 517؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج 2، ج 4، ص 286.
  - 6- (6) - ابن سعد، الطبقات، ج 8، ص 64؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج 4، ص 30.
  - 7- (7) - المجلسي، بحار الأنوار، ج 9، ص 235.

يعظمه أصحابه بما يعظم أصحاب محمد محمداً، وأنه عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها»(1).

ويرى بعض المؤرخين أنّ عروة بن مسعود هو أحد العظيمين(2) الذين أشار إليهما القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْشِيِّينَ عَظِيمٍ)3، لكن ابن قتيبة(3) يرى أنّ مسعوداً جد المختار «هو عظيم القرينين»، بينما ذكر ابن أبي الحديد(4) أنه «مختلف فيه، أهو عروة ابن مسعود، أم جد المختار بن أبي عبيد»، ويبدو مما تقدم أنّ الرجلين لهما منزلة كبيرة عند العرب حسب معطياتهم ومفاهيمهم في ذلك الوقت معتقدين أنّ الأمر يتعلق بالجاه والمال والسيادة.

ولم يكن عروة حاضراً في حصار الطائف فلما انصرف عنهم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أتبع أثره حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة، فأسلم، وسأل رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أن يرجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فلما دعاهم رماه أحدهم بسهم، فقال لقومه: «هي

ص:26

1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 2، ص 374؛ ابن شهر آشوب، محمد بن علي (ت: 588 هـ - 1192 م)، مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف، المطبعة الحيدرية، النجف - 1956 م، ج 1، ص 174-175؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج 4، ص 30.

2- (2) - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تقديم خليل الميس، دار الفكر، بيروت، 1995 م، ج 25، ص 84؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، (تحقيق: علي البجاوي)، ج 3، ص 1067؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج 4، ص 31؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج 9، ج 18، ص 366؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 19، ص 361؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج 9، ص 235.

3- (4) - المعارف، ص 400.

4- (5) - شرح نهج البلاغة، مج 9، ج 18، ص 366.

كرامة أكرمنا الله بها، وقد أخبرني رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) إنكم تقتلونني»، وأوصى أن يدفن مع شهداء المسلمين الذين استشهدوا أثناء حصار الطائف (1).

وعروة بن مسعود الثقفي هو جد علي الأكبر ابن الإمام الحسين (عليه السلام) لأمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود (2)، وهو ما عناه معاوية ابن أبي سفيان حين قال: إن أحق الناس بالخلافة علي الأكبر ابن الإمام الحسين (عليه السلام) فجدده رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) «وفيه شجاعة بني هاشم، وسخاء بني أمية، وزهو ثقيف». (3) وعلى الرغم من أن معاوية له في حديثه هذا مآرب أخرى، إلا أنه يشير بذلك إلى إحدى الصفات التي تميز بها بنو ثقيف.

ص: 27

- 
- 1- (1) - ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت: 213 هـ - 828 م)، السيرة النبوية، مؤسسة المعارف، بيروت، 2007 م، ص 672؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 58؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 2، ص 257.
- 2- (2) خليفة بن خياط (ت: 240 هـ - 854 م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، دار طيبة، الرياض، 1985 م، ص 234؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 310؛ أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد (ت: 356 هـ - 966 م)، مقاتل الطالبين، تحقيق: أحمد صقر، الطبعة الرابعة، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 2006 م، ص 86؛ النعمان المغربي، أبو حنيفة النعمان بن محمد (ت 363 هـ - 973 م)، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق: محمد الحسيني الجلالى، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، د. ت، ج 3، ص 154؛ ابن عبد البر، التمهيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387 هـ -، ج 9، ص 156.
- 3- (3) - أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص 86

يتضح من خلال نسب المختار وعروة بن مسعود أن الرجلين من بنى عوف أحد بطون قبيلة ثقيف، وأن ما ذهب إليه أحد الباحثين(1) بأن عروة ابن مسعود هو عم المختار بن أبي عبيد ليس دقيقاً، بل هو أحد أبناء عمومته ومن زعماء قبيلة ثقيف.

ولم تلبث ثقيف إلا قليلاً بعد استشهاد عروة بن مسعود حتى أعلنت إسلامها؛ عندما علمت أن لا طاقة لها بقتال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وقد أسلمت العرب حينذاك، وقال بعضهم لبعض: «ألا ترون أنه لا يأمن لكم سرب ولا يخرج منكم أحد إلا اقتُطع به»(2)، فأجمعوا رأيهم أن يرسلوا وفداً من ستة أشخاص، ثلاثة من الأحناف وثلاثة من بنى مالك، وكان عبد ياليل عمرو بن عمير وهو في سن عروة بن مسعود، ناب القوم وصاحب أمرهم(3)، وهو من أشترط أن يكون الوفد بهذا الشكل خشية أن يحدث له ما حدث لعروة بن مسعود(4).

وعند وصول الوفد إلى المدينة تفاوض مع الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وعرضوا عليه إسلامهم بشرط أن يسمح لهم بترك الصلاة، ويبقى صنمهم اللات ثلاث سنين، فرفض النبي (صلى الله عليه واله وسلم)

ص:28

---

1- (1) - القرشي، باقر شريف، المختار الثقفي ثورة وجهاد، تحقيق: محمد باقر القرشي، الطبعة الثالثة، دار الذخائر، النجف، 2011 م، ص 20.

2- (2) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 59.

3- (3) - ابن سعد، الطبقات، ج 8، ص 68؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 58-59.

4- (4) ابن هشام، السيرة النبوية، ص 673؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 59.

شروطهم وأصر على دخولهم الإسلام دون قيد أو شرط، فأجابوه إلى ذلك(1) ودخلت تقيف الإسلام وهُدم صنمهم، وأمر عليهم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عثمان بن أبى العاص الثقفى، أحد أعضاء الوفد وكان أصغرهم سنًا، وذلك لما علم الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) عن حرصه على الإسلام والتفقه فى الدين وتعلم القرآن أثناء وجود الوفد فى المدينة.(2)

## ثانياً: نشأته

بعد أن تطرقنا إلى قبيلة تقيف وكيفية دخولها الإسلام، لابد لنا من الإشارة إلى أسرة المختار بن أبى عبيد التى نشأت فى ذلك الوسط، وهى الأسرة التى لعب أفرادها دوراً واضحاً ورئيساً منذ السنوات الأولى للإسلام.

فوالد المختار هو أبو عبيد بن مسعود الثقفى، الذى أشتهر بكنيته أبى عبيد ولم تشر المصادر التاريخية إلى اسمه، وأن ما ذكره ابن الجوزى(3) بأن اسم أبى عبيد هو مسعود بن عمرو بن عمير، لا يمكن الأخذ به لأن أغلب المصادر التاريخية ذكرت أن مسعود هو والد أبى عبيد الثقفى(4) الذى أسلم فى عهد

ص:29

---

1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 58-60؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 2، ص 257-258.

2- (2) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 60؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 2، ص 258.

3- (3) - المنتظم، ج 6، ص 67.

4- (4) ابن قتيبة، المعارف، ص 400؛ البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 357؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج 5، ص 117؛ الذهبى، سير أعلام النبلاء، ص 538؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 64؛ المقرئى، أمتاع الأسماع، ج 12، ص 250؛ ابن حجر العسقلانى، الإصابة فى تمييز الصحابة، ج 6، ص 275.

رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وكان من أجل الصحابة(1) فلما تولى عمر بن الخطاب (13 هـ - 23 هـ) الخلافة انتدب الناس أربعة أيام إلى قتال الفرس وفتح العراق، فكان أول من انتدب لقتالهم أبو عبيد، وكان وجه فارس من أثقل الوجوه على المسلمين وأكرهها إليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وقهرهم الأمم(2)، فدعا الخليفة عمر أبا عبيد بن مسعود وعقد له على خمسة آلاف رجل وأمره بالمسير إلى العراق وكتب إلى المثنى بن حارثة الشيباني(3) أن ينضم إليه(4). وقيل للخليفة الثاني أؤمر رجلاً من ثقيف على المهاجرين والأنصار؟ فقال: لا أؤمر إلا أول من انتدب لقتالهم ولا يصلح

ص:30

- 
- 1- (1) - ابن عبد البر، الاستيعاب، (تحقيق: على الجاوي)، ج 4، ص 1465؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج 5، ص 117.
- 2- (2) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 275؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 2، ص 400-401.
- 3- (3) - هو المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم بن سعد بن مرة بن ذهل بن شيبان، وفد على النبي (صلى الله عليه واله وسلم) (سنة 9 هـ) مع وفد قومه، وكان كثير الإغارة على الفرس فقال أبو بكر: من هذا الذي تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه؟ فقال قيس بن عاصم: أما أنه غير حامل الذكر، ولا مجهول النسب، ولا قليل العدد، ولا ذليل الغارة، ذلك المثنى بن حارثة الشيباني. فسيره أبو بكر في صدر خلافته إلى العراق، وهو الذي أطمع أبا بكر والمسلمين في الفرس وهون أمرهم، كان شهماً شجاعاً ميمون النقيبة حسن الرأي أبلى في القتال مع الفرس بلاء لم يبلغه أحد، ولما تولى عمر بن الخطاب الخلافة سير أبا عبيد فاستقبله المثنى واجتمعوا على قتال الفرس وأصيب يوم قس الناطف مات من جراحاتها قبل القادسية، وتزوجت امرأته سلمى بنت جعفر سعد بن أبي وقاص وهي التي قالت له يوم القادسية وامثياه، ولا مثنى للمسلمين اليوم. ينظر ابن الأثير، أسد الغابة، ج 5، ص 55.
- 4- (4) - الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت: 282 هـ - 895 م)، الأخبار الطوال، تحقيق: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن الأرقم، بيروت، د. ت، ص 108-109.

للحرب إلا الرجل المكيث(1)، وقد أعلمته إنني بعثت معه من هم أسبق إسلاماً منه فلا يقطع أمراً دونهم(2)، وسار أبو عبيد إلى العراق، ووقعت عدة معارك بين المسلمين والفرس بقيادته، أستطاع أن يهزمهم أكثر من مرة، وأسر في إحدى معاركه قائدهم جابان(3)، وأوقع هزيمة منكرة بقائدهم الجالينوس(4)، وفتح باروسما(5)، والزوابي(6)(7).

ص:31

- 1- (1) - المكيث: الرزين الذي لا يعجل في أمره، ورجل مكيث أي رزين. ينظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت: 711 هـ - 1311 م)، لسان العرب، تحقيق: يوسف البقاعي، وآخرين، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 2005 م، ج 4، ص 3757.
- 2- (2) - الدينوري، الأخبار الطوال، ص 108-109؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 276؛ المسعودي، على بن الحسين بن علي (ت 346 هـ - 957 م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتاب العربي، بغداد، 2004 م، ج 2، ص 325؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج 2، ص 401.
- 3- (3) - جابان: هو أحد قادة رستم الذي أرسله لقتال المسلمين فهزموه، وأسره أحد المسلمين فأعطاه الأمان وأطلق سراحه؛ فأخذه المسلمون وجاؤا به إلى أبي عبيد وقالوا له إنه الملك، وأشاروا عليه بقتله، فقال إنني أخاف الله أن اقتله، وقد أمنه رجل مسلم والمسلمون في التواد والتناصر جسداً واحداً، فقالوا له إنه الملك فقال وإن كان لا أغدر، وتركه. ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 278؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج 2، ص 401-402.
- 4- (4) - الجالينوس: هو أحد القادة الفرس الذي بُعث لقتال المسلمين ومدداً إلى جابان، فلما دنى بادره أبو عبيد وهو على تعبته، فهزمهم المسلمون وهرب الجالينوس وأقام أبو عبيد وقد غلب على البلاد. ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 280-281؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج 2، ص 404.
- 5- (5) - باروسما: ناحيتان من سواد بغداد يقال لهما باروسما العليا وباروسما السفلى من كورة الإستان الأوسط. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 320.
- 6- (6) - الزوابي: وهي جمع على غير قياس للزاب، وهي أربعة أنهر: نهران فوق بغداد ونهران تحتها، يقال لكل واحد منهما زاب، وهي عبارة عن ثلاث طساسيج من الضياع والعمائر تسمى الزوابي. ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ج 2، ص 240؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص 155.
- 7- (7) - ينظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 97-98؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 279-281؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج 2، ص 403-405.

وعندما هُزم الجالينوس ورجع إلى رستم، قال رستم: أي العجم أشد على العرب فيما ترون قالوا بهمن جاذويه(1) فوجهه إلى قتال المسلمين ومعه الجالينوس وجهاز الجيش بالعدة والعدد ومعهم الفيلة المدربة على القتال، والخيول عليها التجافيف(2) وحملوا معهم راية كسرى العظيمة(3)، فنزلوا بقس الناطف(4)، وأقبل أبو عبيد فنزل بالمروحة(5)، وسأله بهمن جاذويه أما أن تعبروا إلينا وندعكم والعبور وأما أن تدعونا نعبر إليكم، فأصر أبو عبيد على العبور قائلاً: لا يكونوا أجراً على الموت منا، ولما بدأ القتال لم تستطع خيول المسلمين الصمود أمام الفيلة، وعندما رأى أبو عبيد أن قوة الخصم

ص:32

1- (1) - بهمن جاذويه: وهو المعروف بذى الحاجب، وقيل له ذا الحاجب لأنه كان يعصب حاجبيه بعصابة ليرفعهما كبراً، وهو أحد قادة الفرس ومن أشدهم عداوة على العرب. ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 282؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 2، ص 404-405.

2- (2) - التجافيف: وهي من آلات الحرب، يوضع على الفرس يتقى بها كالدرع للإنسان. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 2، ص 405.

3- (3) - راية كسرى: اسمها درفش كايان، من جلود النمر، عرضها ثمانى اذرع، وطولها اثنتى عشر ذراعاً على خشب طوال موصل، وكانت فارس تتيمن بها تظهرها فى الأمور الشديدة، فنزل بها بهمن جاذويه فى قس الناطف. ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 282؛ المسعودى، مروج الذهب، ج 2، ص 326-327؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 2، ص 405.

4- (4) - قس الناطف: وهو موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقى، وقعت فيه المعركة بين المسلمين والفرس سنة ثلاث عشرة للهجرة، استشهد فيها أمير المسلمين أبو عبيد بن مسعود الثقفى. ينظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج 4، ص 349.

5- (5) - المروحة: موضع بشاطئ الفرات الغربى. ينظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج 4، ص 349.



تكمّن في الفيله قرر أن يتصدى لها بنفسه، واستطاع أن يصيب أحدها ويقطع بطانته ويوقع من كان عليه من مقاتليهم، إلا أنه دفع حياته ثمّن ذلك، فحمل اللواء بعد استشهاده رجالاً من ثقيف غالبيتهم من أهل بيته بوصية منه فاستشهدوا جميعاً<sup>(1)</sup>، ثم حمل الراية المشى بن حارثة وأنسحب بالناس، فأستشهد من المسلمين أكثر من أربعة آلاف وقتل من الفرس يومها ستة آلاف<sup>(2)</sup>.

ولم يكن استشهاد أبي عبيد حدثاً عابراً عند المسلمين فقد شق ذلك عليهم، وكان دافعاً للمسلمين للتأهب لفتح العراق، بعد أن نعى إليهم أبو عبيد وثلاثة من بنيّه، ووجوه من الأنصار والمهاجرين، وقد ذكر ابن أعثم الكوفى<sup>(3)</sup> ذلك بقوله: «فضح الناس بالبكاء والنحيب»، وعلى أثر ذلك بدأ التهيؤ والاستعداد لفتح العراق.

وهكذا أصبح أبو عبيد مثلاً يحتذى به في الجهاد والذود عن الإسلام، وقائداً فاتكاً من قادة المسلمين<sup>(4)</sup> ملهماً متسلحاً بالإيمان والشهامة والنبيل<sup>(5)</sup>.

يظهر من خلال هذه النظرة اليسيرة على سيرة هذا القائد الذى وصف

ص:33

---

1- (1) - ابن أعثم الكوفى، أبو محمد أحمد (ت: 314 هـ - 926 م)، كتاب الفتوح، تحقيق: على شيرى، دار الأضواء، بيروت - 1991 م، ج 1، ص 134-135.

2- (2) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 282-284؛ المسعودى، مروج الذهب، ج 2، ص 326-327؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 2، ص 404-406.

3- (3) - كتاب الفتوح، مج 1، ج 1، ص 136.

4- (4) - المقرم، عبد الرزاق الموسوى، تنزيه المختار، المكتبة الحيدرية، قم، 1437 هـ -، ص 8.

5- (5) - القرشى، المختار الثقفى، ص 22.

بالرجل المكيب؛ مدى المروءة والشجاعة اللتين يتحلى بهما فضلاً عن النبيل الذى يتمتع به، واتضح ذلك من خلال رفضه القاطع لرأى الذين اقترحوا عليه قتل القائد الفارسى الذى أسر فى إحدى المعارك، حين قالوا له إنه الملك قال وإن كان الملك لا أغدر حيث قال: «إئى أخاف الله أن أقتله وقد آمنه رجل مسلم»..(1) وهو بذلك يضع القيم والمبادئ التى جاء بها الدين الإسلامى موضع التطبيق العملى على أرض الواقع لكى تكون منهجاً وسنة لمن يأتى بعدهم للعمل بها كما أمر الله ورسوله الكريم (صلى الله عليه واله وسلم).

أما والدة المختار فهى دومة بنت عمرو بن وهب(2) وهى من ثقيف من ربات الفصاحة والبلاغة والرأى والعقل(3)، ويقال إنَّ أبا عبيد كان يتنوق(4) النساء فيرفض الزواج عندما تعرض النساء عليه، فرأى فى المنام قائلاً يقول له: تزوج من دومة الحسنة الحومه، لا يسمع فيها للائم لومة، فتزوجها، وقد شاركت زوجها فى فتوح العراق وعندما نزل أبو عبيد بالمروحة قبل معركة قس الناطف كانت معه وشهدت مصرع زوجها وأولادها فى تلك المعركة،

ص:34

---

1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 2، ص 403.

2- (2) البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 375؛ ابن الجوزى، المنتظم، ج 6، ص 67؛ ابن نما الحللى، ذوب النضار، ص 60؛ المقرئى، أمتاع الأنساب، ج 12، ص 249.

3- (3) كحالة، عمر رضا، أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت، ج 1، ص 421؛ الخطيب، صفاء، دولة المختار الثقفى، الطبعة الرابعة، دار العلوم، بيروت، 2011 م، ص 19.

4- (4) - يتنوق: تنوق فى الأمر أى تأنق فيه، وقيل تنوق فلان فى منطقته وملبسه وأمره إذا تجود وبالغ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ص 4056.

وقد قصّت عليهم كيف أنها رأت في المنام رجلاً نزل من السماء ناولها إناءً فيه شراب فشرب أبو عبيد ومعه نفر من أهل بيته، فقال لها أبو عبيد: إنها الشهادة إن شاء الله(1)، وكانت عندما حملت بالمختار، قالت إنها سمعت منادياً في النوم يناديها:

ابشرى بالولد أشبه شىء بالأسد

إذا الرجال في كبد تقاتلوا على بلد

كان له الحظ الأشد

فلما وضعته أتاها ذلك الأتى، فقال لها: انه قبل أن يترعرع، وقبل أن يتشعشع، قليل الهلع، كثير التبع»..(2).

ويبدو أن الروايات السالفة الذكر في باب الأساطير التي توضع غالباً عندما يصبح شخصٌ ما عالي الشأن فيما بعد، فتحاك حول ولادته وطفولته الكثير من الروايات التي تنسب إلى الأحلام والغيبيات.

وولد أبو عبيد العديد من الأبناء، أربعة منهم أشاركوا في المعركة التي جرت بين المسلمين والفرس في قس الناطف وحملوا راية الجهاد وقيادة الجيش بوصية من أبي عبيد، ذكر ابن أعثم الكوفي(3) قول أبي عبيد عندما حمل على الفيل ليقتله: «يامعشر المسلمين! أنظروا إن أنا قتلت فأميركم من بعدى وهب

ص:35

---

1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 283؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 2، ص 405.

2- (2) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 375؛ ابن نما، ذوب النصار، ص 59-60.

3- (3) - كتاب الفتوح، ج 1، ص 134.

ابنى، فإن أصيب فابنى مالك، فان أصيب فابنى جبر،...»، فاستشهدوا بعد والدهم فى المعركة نفسها وهم وهب ومالك (1) وجبر (2).

ومن أخوة المختار أبو جبر بن أبى عبيد (3)، وأسيد (4)، وأبو الحكم، وأبو أمية (5)، وصفية زوجة عبد الله بن عمر بن الخطاب التى أنجبت منه العديد من الأبناء والبنات، وكان لها دورٌ كبيرٌ فى الوساطات التى قام بها عبد الله بن عمر وتدخله لإخراج المختار من سجون الأمويين والزبيريين لأكثر من مرة (6).

ومن أبرز الشخصيات فى أسرة المختار التى لعبت دوراً مهماً ورئيساً فى الأحداث السياسية التى عاصرتها، وكان له تأثير مباشرٌ عليه، هو عمه سعد بن مسعود الثقفى، من صحابة رسول الله (7)، وكان من الموالين المخلصين للإمام على والإمام الحسن (عليهما السلام) طيلة فترة حياته، وقد سطع نجمه مع

ص:36

1- (1) - ابن أعثم الكوفى، كتاب الفتوح، ج 1، ص 134-136.

2- (2) - خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص 124؛ ابن قتيبة، المعارف، ص 401؛ البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ص 352؛ ابن أعثم الكوفى، كتاب الفتوح، ج 1، ص 134-136.

3- (3) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص 124؛ ابن نما الحلى، ذوب النصار، ص 60.

4- (4) - ابن قتيبة، المعارف، ص 401.

5- (5) - ابن نما الحلى، ذوب النصار، ص 60.

6- (6) - ابن قتيبة، المعارف، ص 401؛ البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 377؛ ابن أعثم الكوفى، كتاب الفتوح، ج 5، ص 145؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 268.

7- (7) - ابن عبد البر، الاستيعاب، (تحقيق: على البجاوى)، ج 2، ص 602؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 262؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج 2، ص 459.

الإمام عليّ (عليه السلام) منذ الأيام الأولى لخلافته، التي كانت حافلة بالأحداث السياسية وتباينت فيها المواقف، ولم يوفق لنصرته إلا من كان ذا حظ عظيم، فكان سعد بن مسعود في مصاف تلك النخبة، أمثال مالك الأشتر، وحجر بن عدي، وعدي بن حاتم الطائي، وغيرهم، ومن الطبيعي أن يكون أبناء أسرته ومنهم المختار من أشد المؤيدين لهذا التوجه والولاء الذي انعكس عليهم طيلة مدة حياتهم.

فبعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان (23 هـ - 35 هـ) بويع الإمام عليّ (عليه السلام) (35 هـ - 40 هـ) بالخلافة، فكان أول من بايعه طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، ثم المهاجرون والأنصار (1) وذلك في عام (35 هـ) (2)، ولم يلبث طلحة والزبير إلا قليلاً حتى خرجا من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة، فلقيا عائشة زوج الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) فسألاها الخروج إلى البصرة لتأليب الناس على الإمام عليّ (عليه السلام) بدعوى الاقتصاص من قتلة عثمان بن عفان، فامتنعت في بادئ الأمر ثم أجابتهم إلى ذلك (3).

وكان الإمام عليّ (عليه السلام) قد تهيأ للخروج لقتال معاوية وأهل

ص: 37

---

1- (1) - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 123؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص 290؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 163-165.

2- (2) - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 123؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص 289؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 163.

3- (3) - ابن قتيبة، الإمامة والسياسة (المنسوب إليه)، تعليق: إبراهيم شمس الدين، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 2006 م، ص 59؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 125؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص 309؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 178-179.

الشام بعد أن رفض معاوية أوامر عزله من قبل الإمام عليّ (عليه السلام) وإرساله خيلاً اعترضت والى الشام الذي أرسله الإمام عليّ (عليه السلام) الصحابي الجليل سهل بن حنيف، فحالت بينه وبين دخول الشام. (1)

ولما وصل نبأ خروج طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، استخلف الإمام عليّ (عليه السلام) على المدينة أحد أصحابه (2) وسار منها في تعبته التي تعبأ بها إلى أهل الشام وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين، راجياً أن يدركهم في الطريق ويحول بينهم وبين وصولهم إلى البصرة، فلما وصل إلى الربرة (3) علم أنه لن يدركهم، فأقام فيها أياماً (4)، ثم أكمل مسيرته إلى البصرة وفي الطريق أستنفر عدى بن حاتم الطائي قبيلته لنصرة الإمام عليّ (عليه السلام)، فالتحقت به جميع طيء، وأقبل شيخ من طيء كبير السن فقال: بعد أن نظر إلى الإمام علي (عليه السلام) «أنت ابن أبي طالب؟ قال: نعم، قال: مرحباً بك وأهلاً، قد جعلناك بيننا وبين الله، وعدياً بيننا وبينك، ونحن بينه

ص: 38

- 
- 1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص 301؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج 5، ص 75؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 172؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 10، ص 429.
  - 2- (2) أختلف المؤرخون في تحديد الوالى الذى جعله الإمام عليّ عليه السلام على المدينة عند خروجه: أهو: قثم ابن العباس، أم أبو الحسن عبد عمرو أحد بنى النجار، أم تمام بن العباس، أم سهل بن حنيف؟ ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص 60؛ اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ج 2، ص 126؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص 309، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 190.
  - 3- (3) - الربرة: قرية من قرى المدينة، بها قبر الصحابي أبي ذر الغفارى. ينظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج 3، ص 24-25.
  - 4- (4) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص 310؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 191.

وبين الناس، لو أتيتنا غير مبايعين لك لنصرتنا، لقرابتك من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وأيامك الصالحة... والله لا يتخلف عنك من طيء إلا عبد أو دعي إلا بإذنك...» (1)، واستمر الإمام عليّ عليه السلام في المسير نحو البصرة حتى وصل إلى ذي قار فحسب فيها وأرسل إلى أهل الكوفة يدعوهم لنصرتهم وللحقوق به، فالتحق به أكثر من ستة آلاف رجل منهم، فوافوه في ذي قار (2).

وكانت الكوفة في عهد عثمان بن عفان والإمام عليّ (عليه السلام) يدعون إلى الحرب أسباعاً، فنفرت إليه جميع أسباع الكوفة مع الإمام الحسن عليه السلام رسوله إليهم، فكان على سُبُع قيس سعد بن مسعود الثقفي (3).

ص: 39

1- (1) - ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص 64.

2- (2) - ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص 182؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 3، ص 32-33؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 126؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص 332؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 198.

3- (3) - كانت الكوفة في عهد عثمان بن عفان والإمام عليّ (عليه السلام) يدعون أسباعاً، حتى ولاية زياد بن أبيه في خلافة معاوية بن أبي سفيان، فصيرهم أرباعاً، أما أسباع الكوفة فهي: همدان وحمير سباعاً عليهم سعيد بن قيس الهمداني، ومذحج والاشعريون سباعاً وعليهم زياد بن النضر الحارثي، إلا أن عدى بن حاتم على طيء مفرداً دون سبيع مذحج والاشعريين، وقيس عيلان وعبد القيس سباعاً وعليهم سعد بن مسعود، وكندة وحضرموت وقضاة ومهرة سباعاً وعليهم حجر بن عدى الكندي، والأزد وبجيلة وختعم والأنصار سباعاً وعليهم مخنف بن سليم الأزدي، وبكر بن وائل وتغلب وسائر ربيعة غير عبد القيس سباعاً وعليهم وعله بن محدوج الدهلي، وقريش وكنانة وأسد، وتميم وضبة والرباب ومزينة سباعاً وعليهم معقل بن قيس الرياحي. ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 3، ص 32-33؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 198.

وشهد هؤلاء الأسباع معه حروب الجمل وصفين والنهروان(1) وعند وصولهم استقبلهم الإمام عليّ (عليه السلام) ورحب بهم، وخاطبهم قائلاً: «... دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة فإن يرجعوا فذاك الذي نريد وإن يلجوا داويناهم بالرفق حتى يبدأونا بظلم ولم ندع أمراً فيه صلاح الا- آثرناه على ما فيه من الفساد إن شاء الله...».(2)، ولما اقترب الإمام عليّ (عليه السلام) من البصرة كتب الكتاب وعقد الألوية فجعلها سبع رايات؛ حيث عقد لقيس وعبس وذبيان راية وولى عليها سعد بن مسعود الثقفي(3).

وبعد الانتصار الذي حققه الإمام عليّ (عليه السلام) في حرب الجمل، رحل من البصرة، فأقام في الكوفة واتخذها عاصمة لدولة الإسلام المترامية الأطراف، فعين الولاة واستعمل العمال على المدن والأمصا، فاستعمل سعد بن مسعود على إستان الزوابي(4) في بداية الامر(5) ثم جعله والياً على

ص:40

- 
- 1- (1) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 3، ص 33.
  - 2- (2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 198.
  - 3- (3) عقد لحمير وهمدان راية وولى عليهم سعيد بن قيس الهمداني، وعقد لمذحج والاشعريين راية وولى عليهم زياد بن النضر الحارثي، ثم عقد لطي راية وولى عليهم عدى بن حاتم، وعقد لكندة وحضرموت وقضاة ومهرة راية وولى عليهم حجر بن عدى، وعقد للأزد وبجيلة وخثعم وخزاعة راية وولى عليهم مخنف بن سليم الأزدي، وعقد لبكر وتغلب وافناء ربيعة راية وولى عليهم محدوج الذهلي، وعقد لسائر قريش والأنصار وغيرهم راية وولى عليهم عبد الله بن عباس. ينظر الدينوري، الأخبار الطوال، ص 138.
  - 4- (4) - إستان الزوابي: الإستان: تعنى الكورة، والكورة هى الناحية الزراعية. ينظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج 3، ص 155.
  - 5- (5) - المنقرى، نصر بن مزاحم (ت: 212 هـ - 827 م)، وقعة صفين، تصحيح: حسين على قصفة،



ولم يكن اختيار سعد بن مسعود الثقفي والياً على المدائن من قبل الإمام عليّ (عليه السلام) بالأمر الاعتيادي وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: هو أن الأمام علياً (عليه السلام) يضع الكثير من المعايير والشروط التي يعتمدها عند اختيار ولايته وعماله منها: الدين والورع والفقه والحياء، وأن يكون من أسرة صالحة وشريفة، ويمتلك الخبرة الإدارية والسياسية.(2)

الأمر الثاني: هو أن ولاية المدائن ونتيجة لأهميتها الاقتصادية والسياسية جعلها الأمام عليّ (عليه السلام) ولاية مستقلة عن الكوفة، لكثرة الأراضي الزراعية فيها، وكذلك لجعلها خطأ متقدماً أمام هجمات المتمردين من أصحاب معاوية الذين كانوا يهاجمون العراق، لوقوعها شمال الكوفة عاصمة الدولة الإسلامية، وهذا سبب حرص الإمام عليّ (عليه السلام) إذ كان حريصاً على تولية من يثق بولائهم وقوتهم على هذه الولاية(3).

وعند توجه الإمام عليّ (عليه السلام) إلى صفين لقتال معاوية بن أبي

ص:41

---

1- (1) - الثقفي، الغارات، ج 1، ص 36؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص 383؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 238.

2- (2) - ينظر: الشرهاني، حسين على، التغيير في السياسة المالية للدولة الإسلامية في خلافة الإمام علي بن أبي طالب، دار تموز، دمشق، 2013 م، ص 253-272.

3- (3) - الشرهاني، التغيير في السياسة المالية، ص 295-296.

سفيان كان سعد بن مسعود على طلائعه المتوجهة لصفين(1).

ولما توجه أبو موسى الأشعري(2) للتحكيم حاول الخوارج التعرض للمدائن فقال بعضهم لبعض: إن فيها سعد بن مسعود يمنعكم من الدخول إليها(3) فلما اقتربوا منها وعلم سعد بن مسعود بهم أغلق أبواب المدائن دونهم، وخرج في الخيل، واستخلف على المدينة ابن أخيه المختار(4)، وسار في طلبهم، فبلغ الخوارج ذلك فعدلوا عن طريقهم وساروا إلى بغداد، لكن ذلك لم يثن سعد بن مسعود فاستمر في ملاحقتهم في خمسمائة فارس، حتى أدرك مؤخرتهم في الكرخ فاقتتلوا حتى حجبهم الليل، ثم امتنع القوم، فقال أصحاب سعد لأميرهم سعد ما تريد من هؤلاء ولم يأتك فيهم أمر؟ فدعهم، واكتب إلى أمير المؤمنين فإن أمرک بملاحقتهم اتبعتمهم، وان كفاك غيرک كان في ذلك عافية لك، فأبى ذلك، فلما جن الليل عبروا النهر إلى ارض جوخي(5)

ص:42

- 
- 1- (1) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 3، ص 80.
  - 2- (2) - هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن عامر بن عتر بن بكر... ابن الأشعر، أسلم بمكة، استعمله عمر بن الخطاب على البصرة، وأقره عثمان عليها ثم استعمله على الكوفة، عزله الإمام عليّ (عليه السلام) عنها بعد تثبيطه أهل الكوفة على نصرته في حرب الجمل، قيل إنّه توفي سنة (52 هـ -). ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج 4، ص 98-109؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج 3، ص 364-366.
  - 3- (3) - ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص 134؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 3، ص 134؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 288.
  - 4- (4) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 50؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 289.
  - 5- (5) - جوخي: وهو نهر تقع عليه كوره واسعة في سواد بغداد، بين خانقين وخوزستان، كان خراجها ثمانين ألف درهم، قالوا ولم يكن ببغداد مثل كوره جوخي، حتى صرفت دجلة عنها فخربت. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 179.

وساروا إلى النهروان(1) فعسكروا بها.(2)

ويتضح من هذا الموقف أنّ سعد بن مسعود كان على بصيرة من أمره في مطاردة الخوارج، ولم يشك إطلاقاً بموافقة الإمام عليّ (عليه السلام) على جميع التدابير التي اتخذها ضد الخوارج ومطاردته إياهم وهو ما يدل كذلك على مكانته لدى الإمام عليّ (عليه السلام) وثقته به. ويستنتج منها أنّ المختار كان ملازماً لعمة سعد، وأنه محل ثقته، فضلاً عن ذلك فإنّه كان يمتلك المؤهلات القيادية ولولا ذلك لما استخلفه عليها في مثل تلك الظروف الحرجة عند خروجه منها.

ولما خرجت الخوارج بعد التحكيم، وهرب أبو موسى الأشعري إلى مكة بعد انتهائه بتلك النتيجة المعروفة استنفر الإمام عليّ (عليه السلام) أهل البصرة فلم يوافه منهم سوى ثلاثة آلاف ومائتي رجل ولم يكن راضياً بهذا العدد، فجمع زعماء أهل الكوفة وأخبرهم بعزمه على المسير لقتال أهل الشام ومعاوية بن أبي سفيان، فاجتمع إليه خمسة وستون ألفاً سوى أهل البصرة، فكتب إلى سعد بن مسعود الثقفي: «فإني قد بعثت إليك زياد بن خصفة(3)

ص:43

1- (1) - النهروان: وهي ثلاثة نهروانات: الأعلى والأوسط والأسفل، وهي كوره واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي حدها الأعلى متصل ببغداد، وكانت بها وقعة لأمير المؤمنين (عليه السلام) مع الخوارج مشهورة، وروى أنّ فارس هي التي حفرت النهروان وكان اسمه نهروانا أي إن قل ماؤه عطش أهله وإن كثر غرقوا. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 324-327.

2- (2) - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 288-289.

3- (3) - هو من قادة الإمام عليّ (عليه السلام) وكان على ربيعة يوم صفين، فقتل عبيد الله بن عمر ابن الخطاب، الذي كان يقاتل إلى جنب معاوية بن أبي سفيان، في سنة ثمان وثلاثين. ينظر: ابن

فأشخص معه من قبلك من مقاتلة أهل الكوفة، وعجل ذلك إن شاء الله ولا قوة إلا بالله»(1) لكن الإمام علياً (عليه السلام) غير رأيه وتوجه إلى النهروان لقتال الخوارج وذلك لأنهم قاموا بقتل عبد الله بن الخطاب(2)، ثم قُتِلَ رسوله إليهم الحارث بن مرة العبدي(3)، فجعل على مقدمته قيس بن سعد(4) وقدم

ص:44

- 1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 53؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 292.
- 2- (2) - هو عبد الله بن الخطاب بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمي، أدرك النبي له رؤية وصحبة، روى أنه أول مولود ولد في الإسلام، سماه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عبد الله، وعبد الله بن الخطاب قتله الخوارج، وكان من سادات المسلمين. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج 3، ص 223-224.
- 3- (3) - الحارث بن مرة العبدي: وكان يوم صفين على رجالة الميسرة، أرسله الإمام عليّ (عليه السلام) إلى أهل النهروان عندما قتلوا عبد الله بن الخطاب، فقتلوه سنة ثمان وثلاثين للهجرة، ويقال إنّه تقدم متطوعاً للذهاب إلى فتوح الهند فذهب بأمر الإمام عليّ (عليه السلام) فأوغل في الفتوح. ينظر: ابن خياط، تاريخ خليفة، ص 191، 194، 200؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 294؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج 2، ج 4، ص 250؛ الزر كلّي، خير الدين، الأعلام، الطبعة الخامسة عشرة، دار العلم للملايين، بيروت 2002 م، ج 2، ص 157.
- 4- (4) - هو قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري، من شجعان العرب وكرمائمهم، حمل لواء الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في بعض غزواته، وأستعمله الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) على الصدقات، وولاه الإمام عليّ (عليه السلام) مصر، وكان من ذوى رأى، شهد معه صفين والنهروان، وجعله على شرطة الخميس وهم مقدمة أهل العراق الذين بايعوا الإمام علياً (عليه السلام) على الموت، ولما أستشهد الإمام عليّ (عليه السلام) كان على مقدمة الإمام الحسن (عليه السلام) حين عزم على قتال معاوية، صالح معاوية بعد عقد معاهدة الصلح بين الإمام الحسن (عليه السلام) ومعاوية، توفى في المدينة في آخر خلافة معاوية بن أبي

خلفه مباشرة، فلما وصل إلى النهر وافاه قيس مع سعد بن مسعود الثقفي(1) فحدثت معركة النهروان (38 هـ -) التي انتصر فيها الإمام عليّ (عليه السلام) على الخوارج انتصاراً مؤزراً.

وبعد معركة النهروان في سنة (38 هـ -) ظهر الخوارج مرة أخرى ليعبثوا بأمن الولايات والمدن التابعة لولاية الإمام عليّ (عليه السلام) فوجه الإمام عليّ (عليه السلام) قاداته وولاته وعماله للقضاء عليهم، فخرج سعيد بن قفل التميمي من تيم بن ثعلبة، بالبندنجين(2) ومعه مائتا رجل فأتى درزنجان(3)، وهي قريبة من المدائن، فخرج إليهم سعد بن مسعود فقتلهم في رجب سنة (38 هـ -)(4). واستمر سعد بن مسعود في ولائه للإمام عليّ (عليه السلام) مخلصاً للإسلام والمسلمين طيلة خلافة الإمام عليّ (عليه السلام).

ص:45

1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 54.

2- (2) - البندنجين: موضع بناحية العراق يسمى وندنيكان وعُرب إلى البندنجين، وهي بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد، والبندنجين اسم يطلق على عدة محال متفرقة غير متصلة البنيان لكن نخيلها متصل، واكبر محلة فيها يسمى باقطنايا، ثم بوقيا، ثم سوق جميل، ثم فلشت. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 499.

3- (3) - درزنجان: وهي قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة بالجانب الغربي، وهي من المدن السبع التي كانت للاكاسرة، وبها سميت المدائن، واصلها درزبندان فعربت الى درزيجان. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 450.

4- (4) - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 322. سفيان. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج 5، ص 369-375؛ ج 8، ص 175؛ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ مدينة بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001 م، ج 1، ص 529-530.

وعلى الرغم مما عرف عن الإمام عليّ (عليه السلام) محاسبته ولايته وعماله مهما كان نفوذهم ومنزلتهم منه، إلا أن سعد بن مسعود واليه على المدائن كتب له كتاب ثناء وشكر «أما بعد فقد وفرت على المسلمين فيهم، وأطعت ربك ونصحت إمامك فعل المتنزه العفيف، فقد حمدت أمرك ورضيت هديك وابت رشدك، غفر الله لك والسلام» (1).

وأورد اليعقوبي (2) كتاب الإمام عليّ (عليه السلام) بصيغة أخرى فذكر: «أما بعد، فأنت قد أدت خراجك، وأطعت ربك، وأرضيت إمامك، فعل المبر التقي النجيب، فغفر الله ذنبك، وتقبل سعيك وحسن ما بك».

وكتاب الإمام عليّ (عليه السلام) هذا يوضح بشكل جلي المنزلة والثقة التي يتمتع بها سعد بن مسعود عند الإمام عليّ (عليه السلام) فهو كتاب تقييم الأداء وشهادة صدق بحق هذا الوالي في وقت اشتدت فيه الفتن وكثرت فيه المساومات وبيعت الضمائر وهرب فيه أصحاب المطامع والمصالح إلى جبهة معاوية بن أبي سفيان، وعرف عن الإمام عليّ (عليه السلام) أنه لا تأخذه في الله لومة لائم في تطبيق مبادئ دولته وعدالته التي كان ولايته وعماله على الولايات والمدن مرآة تلك العدالة والسياسة فإذا علم الإمام (عليه السلام) عكس ذلك من ولايته وعماله أخذهم أخذ عزيز مقتدر.

ص: 46

---

1- (1) - البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي، بيروت 1974 م، ج 1، ص 158.  
2- (2) - وكتب إلى عدد من ولايته كتباً هددهم فيها بعزلهم من ولاياتهم ومنهم من وبخه ومنهم من سجنه. ينظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 139-142.

وعندما استشهد الإمام عليّ (عليه السلام) في سنة أربعين للهجرة على أيدي الخوارج، بايع المسلمون الإمام الحسن عليه السلام (1)، فقرر الإمام (عليه السلام) المسير لقتال معاوية بن أبي سفيان، فأرسل مقدمة جيشه، وعلى قيادتها عبيد الله بن العباس ومعه قيس بن سعد بن عبادة، لكن معاوية تمكن من إغراء عبيد الله بن العباس فقام بترك الجيش والتوجه إلى معاوية فاستلم قيادة الجيش قيس بن سعد، وبعد ذلك استطاع معاوية من خلال أنصاره وجواسيسه في مؤخرة جيش الإمام الحسن (عليه السلام) أن يشيع بأن قيس بن سعد قد قتل، فهجم الناس على فسطاط الإمام الحسن فانتهبوه وجرح الإمام (عليه السلام) جرحاً بليغاً فحمل إلى المدائن وكان إليها سعد بن مسعود فقام بمعالجة الإمام (عليه السلام) حتى تم شفاؤه (2) فكان سعد بن مسعود المحطة الأخيرة التي وصل إليها الإمام الحسن (عليه السلام) قبل إبرام الهدنة مع معاوية، وذلك لأن الإمام الحسن (عليه السلام) لم يكن مطمئناً في

ص: 47

- 
- 1- (1) - خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص 199؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 3، ص 279؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص 199؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 148؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 107؛ ابن أعمش الكوفي، كتاب الفتوح، ج 4، ص 283؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 350.
- 2- (2) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 3، ص 283؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص 200؛ الطبري، التاريخ، ج 5، ص 107؛ ابن أعمش الكوفي، كتاب الفتوح، ج 4، ص 228؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص 72؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج 5، ص 166؛ ابن الأثير، الكامل، ج 3، ص 352؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص 197؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج 8، ج 16، ص 228؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 132.

ذلك الوقت إلى الكثير من العناصر الموجودة في جيشه وبالقرب منه بحيث إنه طلب من المقربين له أن يستدعوا له ربيعة وهمدان فأطافوا به ودفعوا الناس عنه(1).

ومن خلال هذه النظرة اليسيرة لسيرة الصحابي سعد بن مسعود يتضح مدى صدق عقيدته وولائه للإسلام والمسلمين بوقوفه مع الإمام عليّ (عليه السلام) في جميع المواقف والحروب التي خاضها وأستمر هذا الولاء طيلة حياة الإمام عليّ (عليه السلام) والإمام الحسن (عليه السلام) وفي ظل هذا الولاء للإمام عليّ (عليه السلام) يظهر أنّ المختار كان مصاحباً لعمه في أغلب تلك المواقف والحروب، وأطلق أحد المؤرخين المحدثين(2) تسمية ثقيف المعارضة على بيت مسعود الثقفي المتعاطفة مع آل علي تمييزاً لها عن باقي ثقيف الموالية لبني أمية.

وأشارت المصادر التاريخية إلى أن للمختار زوجات عدة، وله منهن العديد من الأبناء، وقد تصدرت عمرة بنت النعمان(3) بن بشير الأنصاري

ص:48

- 
- 1- (1) - أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص 72؛ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت: 413 هـ - 1022 م)، الإرشاد، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - 2008 م، ص 180؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة مج 8، ج 16، ص 227.
  - 2- (2) - بيضون، إبراهيم، ثورة الحسين حدثاً وإشكاليات، الطبعة الثانية، شركة المطبوعات، بيروت، 2007 م، ص 107.
  - 3- (3) - هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة من الخزرج، ولد عام الهجرة وقيل ولد قبل وفاة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بثمان سنين، عمل والياً لمعاوية بن أبي سفيان على حمص والكوفة، وكذلك كان عاملاً ليزيد بن معاوية على الكوفة، دعا إلى بيعه عبد الله بن الزبير في



نساء المختار عند أغلب المؤرخين وذلك لارتباطها بتلك الحادثة المشينة التي ارتكبها آل الزبير وخاصة مصعب بن الزبير(1) ، الذي استدعى نساء المختار بعد مقتله وعرض عليهن البراءة منه(2) فقالت أم ثابت بنت سمرة بن جندب(3) «وما عسى أن نقول فيه إلا ما تقولون فيه أتم»(4) ، وفي رواية أخرى: أن أم ثابت في بداية الأمر كان قولها كقول عمرة: كيف تتبرأ من رجل يقول ربي الله؟ كان صائماً نهاره قائماً ليله، قد بذل دمه لله ولرسوله في طلب قتلة ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وأهله وشيعته، فلما كتب مصعب إلى أخيه عبد الله بن الزبير، فقال له عبد الله أعرضهما على السيف إما أن تتبرأ أو يقتلن فرجعت أم ثابت وقالت: لو دعوتني مع

ص:49

1- (1) - وهو مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد، أصبح والياً على العراق في زمن أخيه عبد الله بن الزبير، وجهز جيشاً جراراً لقتال المختار بن أبي عبيد وقتله في الكوفة، وأعطى الأمان للأسرى في القصر وغدر بهم وقتلهم، قتله عبد الملك بن مروان في سنة اثنتين وسبعين للهجرة. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج 7، ص 181-182.

2- (2) المسعودي، مروج الذهب، ج 3، ص 117

3- (3) - هو سمرة بن جندب بن هلال بن حريج بن مرة بن حزن، يكنى أبو سعيد، شهد أحد مع المسلمين، سكن البصرة، وكان زياد بن أبيه يستخلفه على البصرة ستة أشهر إذا توجه للكوفة حيث جمع له معاوية العراقيين الكوفة والبصرة، توفي سنة تسع وخمسين وقيل ثمان وخمسين للهجرة. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج 4، ص 363-365؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج 2، ص 554-555.

4- (4) - المسعودي، مروج الذهب، ج 3، ص 117. زمن مروان بن الحكم فقتل في حمص سنة أربع وستين للهجرة. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج 5، ص 363-366؛ ابن الأثير أسد الغابة، ج 5، ص 310-312.

السيف إلى الكفر لكفرت: أشهد أن المختار كافر. فأطلق سراحها(1).

بينما لم يكن موقف عمرة أقل شأنًا من موقف المخلصين للمختار إيماناً منها بعقيدة وأهداف زوجها التي قاتل من أجلها حتى الرمق الأخير، ولذا نجدها تسير على نفس النهج الذي سار عليه، رافضةً أن تنجوا بنفسها كسابقتها بل قالت لمصعب بن الزبير: «ما علمته رحمه الله إلا مسلماً من عباد الله الصالحين، فحبسها وكتب إلى أخيه عبد الله بن الزبير: إنها تزعم أنه نبي، فأمره بقتلها». (2) وهذه الرواية تشير بوضوح إلى كيفية تغيير الحقائق والتجني الواضح من قبل آل الزبير على الآخرين والاستهانة بدمائهم، فقد ألصق مصعب بن الزبير تهمة النبوة بالمختار من جهة، واستباح دم زوجته عندما نسب إليها القول الذي كتبه إلى أخيه من جهة أخرى.

وفي رواية أخرى ذكرها اليعقوبي(3) أنها قالت: «أقول إنه كان تقياً، نقياً، صواماً، قال - أي مصعب بن الزبير - يا عدوة الله أنت ممن يزكيه» وقريباً من هذا المعنى وردت رواية ابن أعثم الكوفي(4) فذكر قولها «ولكني أقول كان عبداً مؤمناً، محباً لله ولرسوله وأهل بيت رسوله محمد (صلى الله عليه

ص:50

---

1- (1) - المسعودي، مروج الذهب، ج 3، ص 117.

2- (2) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 433؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 109؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ج 69، ص 296؛ ابن الأثير، الكامل، ج 3، ص 689؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 63.

3- (3) - تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 184؛ وانفرد اليعقوبي في أن اسمها فقد ورد عنده: أسماء بنت بشير الأنصاري.

4- (4) - كتاب الفتوح، ج 6، ص 293.

واله وسلم) فإنكم إن قتلتموه لم تبقوا بعده إلا قليلاً».

بينما ذكر المسعودي (1) كلامها بنحو آخر فقالت: «شهادة أرزقها فأتركها؟ كلا!

إنها موتة ثم الجنة والقدوم على الرسول وأهل بيته، والله لا يكون، أتى مع ابن هند فاتبعه وأترك ابن أبي طالب؟ اللهم اشهد أنى متبعة لنبيك وابن بنته وأهل بيته وشيعته».

ورثاها الشعراء على موقفها هذا وفي الوقت نفسه كان استشهادها موضوعاً ثرياً لهجاء آل الزبير فقد قال الشاعر عمر بن أبي ربيعة (2):

ان من أعجب العجائب عندي قتل بيضاء حرة عطبول

قتلت هكذا على غير جرم إن لله درها من قتيل

كتب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات جر الذبول

ونسب البلاذري (3) هذه الأبيات إلى عبد الله بن الزبير الأسدي، ثم أعقب ذلك ويقال إلى عمر بن أبي ربيعة، في حين ذكر تلك الأبيات الدينوري (4) وابن

ص: 51

1- (1) - مروج الذهب، ج 3، ص 117.

2- (2) المبرد، محمد بن يزيد (ت: 285 هـ - 898 م)، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 2008 م، ج 3، ص 174؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 184؛ الطبري، التاريخ، ج 6، ص 109-110؛ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 4، ص 385؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج 69، ص 297، ابن الأثير، الكامل، ج 3، ص 689؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 1، ص 63-64.

3- (3) - جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 433.

4- (4) - الأخبار الطوال، ص 283.

أعشم الكوفى(1) والمسعودى(2) ولم ينسبها لأحد، بينما نسبها ابن عساكر(3) إلى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت وهو من نسب له الطبرى(4) وغيره قصيدة أخرى بشأن رثاء عمرة يصفها فيها بذى الدين والحسب ويصف آل الزبير بالإلحاد فقال فيها:

أتى راكب بالأمر ذى النبأ العجب بقتل ابنة النعمان ذى الدين والحسب

بقتل فتاة ذات دل ستيرة مهذبة الأخلاق والخيم والنسب

أتانى بأن الملحدين توافقوا على قتلها لاجنبوا القتل والسلب

فلا هنأت آل الزبير معيشة وذاقوا لباس الذل والخوف والحرب

ألم تعجب الاقوام من قتل حرة من المحصنات الدين محمودة الأدب

من العاقلات المؤمنات برئية من الذم والبهتان والشكك والكذب

وأدى استشهادها إلى استياء الناس إلى درجة أنكره حتى الخوارج الذين عرفوا بتطرفهم وانتهاكهم للحرمات، فقد ذكر المبرد(5): «ولما قتل مصعب بن الزبير بنت النعمان بن بشير الأنصارية، امرأة المختار، أنكره الخوارج غاية الإنكار، ورأوه قد أتى بقتل النساء أمراً عظيماً».

ومن أزواجه الأخريات أم زيد الصغرى بنت سعيد بن زيد(6) وأمها من

ص:52

1- (1) - كتاب الفتوح، ج 6، ص 293.

2- (2) - مروج الذهب، ج 3، ص 117-118.

3- (3) - تاريخ دمشق، ج 69، ص 295-296.

4- (4) تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 110؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 69، ص 297-298.

5- (5) - الكامل فى اللغة والأدب، ج 3، ص 174.

6- (6) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وأمه فاطمة بنت بعجة بن أمية بن خويلد، ويكنى أبو

طى(1)، وأم الوليد بنت عمير بن رباح بن عوف.(2)

وأوردت المصادر التاريخية بعض الإشارات التي توضح بأن للمختار العديد من الأبناء فقد قال ابن قتيبة(3) عن ذلك «عقبه بالكوفة كثير» فمن أولاده جبر، وأبو أمية، والأخير تزوج أم سلمة بنت عبيد الله بن عمر بن الخطاب(4)، أما إسحاق ومحمد فأمهما أم ثابت سمرة بنت جندب(5)، ومن أبنائه أبو الحكم وهو الذى أثنى الامام الباقر (عليه السلام) على المختار أمامه على أثر حديث دار بين الإمام الباقر (عليه السلام) وبين أبي الحكم ابن المختار فمن قول الإمام (عليه السلام): «أو لم بين دورنا، وقتل قاتلينا، وطلب بئارنا؟ فرحم الله أباك - وكررها ثلاثاً - ما ترك حقاً لنا عند أحد إلا طلبه»(6)، أما بناته أم سلمة بنت المختار، وأمها أم الوليد بنت عمير بن رباح

ص:53

- 
- 1- (1) - ابن سعد، الطبقات، ج 3، ص 354؛ ابن حبيب، محمد بن حبيب البغدادي (ت: 245 هـ - 895 م)، المحبر، مطبعة الدائرة، 1361 هـ -، ص 70.
  - 2- (2) ابن قتيبة، المعارف، ص 401.
  - 3- (3) - المعارف، ص 401.
  - 4- (4) - ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 268.
  - 5- (5) - ابن قتيبة، المعارف، ص 401.
  - 6- (6) - الكشي، رجال الكشي، ص 97؛ ابن نما الحلبي، ذوب النضار، ص 62.

ابن عوف، تزوجت عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأنجبت له عمر ابن عبد الله(1).

أما عن صفاته قد أشارت بعض المصادر التاريخية إلى العديد منها التي تميز بها فقال عنه ابن نما الحلبي(2) بأنه: «مقدماً شجاعاً لا يتقى شيئاً، وتعاطى معالي الأمور، وكان ذا عقل وافر، وجواب حاضر وخلال مأثورة، ونفس بالسخاء موفورة، وفطنة تدرك الأشياء بفراسستها، وهمة تعلوا على الفراقد بنفاستها، وحسد مصيب... وقد مارس التجارب فحنكته، ولائس الخطوب فهذبته»، في حين وصفه ابن الطقطقي(3): «رجلاً شريفاً في نفسه عالي الهممة كريماً» أما الذهبي(4) فقال كان المخترار: «من كبراء ثقيف، وذوى الرأي، والفصاحة، والشجاعة، والدهاء...».. وعلى غرار المؤرخين القدامى وصفه المؤرخون المحدثون إذ يرى الريس(5) بأن المخترار «شخصية عربية مليئة بالحيوية، تثير الإعجاب»، ووصفه آخر بأنه: «باسل جرى مشهور مجازف، صلب الرأي كثير الطموح»(6)، ووصفه مؤرخ محدث(7) آخر بالقول: «داهية عارف بقلوب الرجال وتسييرهم»، ومن خلال ما تقدم يمكن القول عنه بأنه

ص: 54

- 
- 1- (1) - ابن سعد، الطبقات، ج 10، ص 439.
  - 2- (2) - ذوب النضار، ص 61.
  - 3- (3) - محمد بن على بن طباطبا (ت: 709 هـ - 1309 م)، الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د. ت، ص 120.
  - 4- (4) - سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 539.
  - 5- (5) - ضياء الدين، عبد الملك بن مروان موحد الدولة العربية، المؤسسة المصرية، القاهرة 2002 م، ص 175.
  - 6- (6) أبو النصر، عمر، عبد الملك بن مروان، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت 1962 م، ص 88.
  - 7- (7) - العش، يوسف، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءً من فتنة عثمان، الطبعة الخامسة، دار الفكر، دمشق، 1998 م، ص 195.

شخصية لها طابع خاص ومميز كأن الأيام خبأته لكي يلعب دوراً كبيراً يختلف عن بعض رجالات ثقيف الذين عرفوا بانحرافهم عن آل البيت مثل المغيرة بن شعبة والحجاج بن يوسف الثقفي وغيرهما، فنجده قد نشأ منذ نعومة أظفاره في بيت رفيع كانت له السيادة في الطائف، وسادت فيه التقاليد العربية المعروفة من الكرم والذود عن الجار، فضلاً عن التعاليم الإسلامية من الإيمان بالله، وحب الخير، ونتيجة لملازمته لعمه الذي كان من أشد الموالين والمخلصين للإمام عليّ (عليه السلام) تأثر المختار بهذا الولاء والإخلاص، فنشأ منقطعاً إلى بنى هاشم محباً لهم، وقد شاهد معاناتهم وعاصرها بدءاً من خلافة الإمام عليّ (عليه السلام) وكيف أن الأمة قد غبنت حقه، ووقف بعضها إلى جنب معاوية، إلى أن انتهى الأمر باستشهاد الإمام عليّ (عليه السلام) في محرابه، وعاصر عهد الإمام الحسن (عليه السلام) وكيف خذله الناس، مما اضطره إلى عقد الصلح بينه وبين معاوية، الذي أدى إلى إصابة الكثير من محبي آل محمد بالجزع والإحباط، ورأى المختار بأم عينيه ما تعرض له الشيعة في ظل حكم الأمويين، وكيف يُسب الإمام عليّ (عليه السلام) على المنابر، وقتل أنصاره أمثال حجر بن عدى وعمرو بن الحمق الخزاعي وأصحابهم، وعاصر بيعة مسلم بن عقيل واستشهاده، ثم واقعة الطف واستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) وكيف قتل أهل بيته وأصحابه. وأخيراً خسارة التوابين المعركة واستشهاد كوكبة من الشيعة أمثال سليمان بن صرد الخزاعي وغيره، كل هذه الأحداث جعلت المختار يعد العدة بدقة متناهية لغاية سامية أقسم على تحقيقها ولو كلفه ذلك حياته وهي الثأر من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) وهو ما حصل بالفعل.

ترعرع المختار في مدينة الطائف حيث تسكن أسرته، وعندما أسلم والده أصطحبه معه إلى مدينة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، وتوسم فيه الإمام عليّ (عليه السلام) منذ صباه الفطنة والذكاء<sup>(1)</sup>، فأجلسه على فخذه، وقال وهو يمسح على رأسه: «ياكيس ياكيس»<sup>(2)(3)</sup>.

ص:56

1- (1) - الخطيب، دولة المختار، ص 26.

2- (2) - الكيس: وهي ضد الحمق، والرجل كيس مكيس، أي ظريف؛ والكيس العاقل. ينظر الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: بعد 666 هـ - 1268)، مختار الصحاح، دار الحديث، القاهرة، 2008 م، ص 317؛ ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ص 3514، وأشار الإمام الحسن (عليه السلام) إلى المعنى نفسه في خطبته بعد الصلح مع معاوية بن أبي سفيان: ((أيها الناس إن أكيس الكيس التقى، وأحمق الحمق الفجور...)) ينظر: ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج 4، ص 293؛ ابن حجر الهيتمي، أحمد (ت: 974 هـ - 1566 م)، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، اعتنى به: كمال مرعي، المكتبة العصرية، بيروت 2009 م، ص 171، وقال سعد بن أبي وقاص عندما عزل الخليفة الثالث عثمان بن عفان عن ولاية الكوفة للوالي الجديد الوليد بن عقبة بن أبي معيط: ((أكست بعدنا أم حمقنا بعدك...)) ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 67؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج 9، ج 17، ص 157.

3- (3) الكشي، رجال الكشي، ص 98.



وبعد أن أصبح أبو عبيد والد المختار قائداً للجيش الذي وجهه عمر بن الخطاب لفتح العراق كان المختار مع أبيه، وحضر حروبه، وشهد وقعة قس الناطف التي أستشهد فيها والده وكوكبة من أسرته، وكان يتفقت للقتال فيها، فيمنعه عمه سعد بن مسعود(1) وحينها لم يتجاوز عمره ثلاث عشرة سنة(2)، بعد تلك الوقعة رجع إلى المدينة المنورة وهناك انقطع فيها إلى بنى هاشم(3)، فنشأ في هذا الوسط المشبع بالإخلاص والحب للإمام عليّ (عليه السلام) وأبنائه، ومن الطبيعي أن يتحلى بأخلاق أهل البيت (عليهم السلام) ويتأثر بهم، ويكونون مثله الأعلى، فنشأ على حب آل أبي طالب(4) «واستفاد منهم أدباً جمياً وأخلاقاً فاضلة وناصر لهم في السر والعلانية»(5)، وكان المختار علوياً مطبوعاً على الولاء لهذا البيت(6)، فكان مع الإمام عليّ (عليه السلام) في العراق(7) إلى جنب عمه سعد بن مسعود الذي كان والياً للإمام عليّ

ص:57

1- (1) - ابن نما الحلبي، ذوب النضار، ص 60-61.

2- (2) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 376؛ ابن نما الحلبي، ذوب النضار، ص 60-61.

3- (3) - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 544؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج 6، ص 277.

4- (4) - ماجد، عبد المنعم، التاريخ السياسي للدولة العربية (عصر الخلفاء الأمويين)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1982 م، ج 2، ص 113.

5- (5) - المقدم، تنزيه المختار، ص 9.

6- (6) - الحسنی، هاشم معروف، الانتفاضات الشيعية عبر التاريخ، دار التعارف، بيروت، 1990 م، ص 334.

7- (7) - ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج 6، ص 277.

والإمام الحسن (عليهما السلام) على المدائن(1).

وما إن أبرم الصلح بين الإمام الحسن (عليه السلام) ومعاوية حتى عاد المختار أدراجه إلى مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لينهل هناك العلم والحديث على يد محمد ابن الحنفية وآل بيت النبوة(2).

وقد اختلف المؤرخون القدامى فيما بينهم في ولاء المختار ومذهبه، إذ وردت الكثير من الآراء في هذا الأمر، والظاهر أنّ أسباب ذلك ناتجة من اختلاف ميولهم المذهبية والفكرية، زيادة على ذلك الوضع السياسى الذى عاصره أولئك المؤرخون، بمعنى أنهم تجنبوا إثارة السلطات الحاكمة والشخصيات التى لها سطوة على الواقع الاجتماعى، فعلى سبيل المثال سخط الحنابلة على المؤرخ محمد بن جرير الطبرى (ت: 310 هـ -) عندما صنف كتاباً ذكر فيه اختلاف الفقهاء ولم يذكر أحمد بن حنبل، لأنه عده محدثاً وليس فقيهاً، فكان حبيس منزله فى أواخر حياته، بل وصل الأمر أن دفن ليلاً خشية منهم(3) واتهم بالرفض لأنه يجوز مسح الرجلين فى الوضوء بدلاً من غسلهما(4)

ص:58

- 
- 1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص 383؛ ابن الاثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 238.
  - 2- (2) - الكشى، رجال الكشى، ص 97؛ الطوسى، محمد بن الحسن (ت: 460 هـ - 1067 م)، اختيار معرفة الرجال، تحقيق: مهدي الرجائى، مؤسسة آل البيت، قم، 1404 هـ -، ج 1، ص 340؛ ابن نما الحلى، ذوب النضار، ص 67؛ المجلسى، بحار الأنوار، ج 45، ص 352؛ الخوئى، أبو القاسم الموسوى، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، الطبعة الخامسة، النجف 1992 م، ج 19، ص 103.
  - 3- (3) - ابن الاثير، الكامل فى التاريخ، ج 6، ص 301.
  - 4- (4) - ابن الجوزى، المنتظم، ج 13، ص 217؛ للتفاصيل ينظر: مطر، رحيم عباس، آل البيت النبوة

واضطرب ابن الجوزى (ت: 597 هـ -) أن يجيب إجابة مُبهِمة لِمَا سُدَّ لِيهِمَا أَفْضَلُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَجَابَهُمْ بِالْقَوْلِ: أَفْضَلُهُمَا مَنْ كَانَتْ ابْنَتُهُ تَحْتَهُ، وَهِيَ تَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ، فَفَسَّرَهَا السَّنَةُ عَلَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ هُوَ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فِي حِينِ فَسْرِهَا الشَّيْعَةُ عَلَى أَنَّهُ الْإِمَامُ عَلِيُّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (1)، وَيَتَضَحُّ مِمَّا تَقْدُمُ أَنَّ ابْنَ الْجَوْزِيِّ رَاعَى فِي ذَلِكَ سَطْوَةَ الْمَجْتَمَعِ وَقُوَّتَهُ، لَكِنِ الْإِخْتِلَافُ بَيْنَ الْمُؤَرِّخِينَ حَوْلَ شَخْصِيَّةِ الْمُخْتَارِ نَرَاهُ يَأْخُذُ مِنْحَى آخَرَ، وَأَنَّ مَا يَمِيزُهُ ذَلِكَ التَّحَامُلُ الْوَاضِحُ، وَعَدَمُ الْمَوْضُوعِيَّةِ لَدَى بَعْضِ الْمُؤَرِّخِينَ، وَإِنَّ هُنَاكَ انْتِقَائِيَّةً وَاضِحَةً عِنْدَ الْبَعْضِ مِنْهُمْ، وَكَأَنَّ الْهَدَفَ الرَّئِيسَ مِنْ تَنَاوُلِ بَعْضِ الْحَوَادِثِ التَّارِيخِيَّةِ لَيْسَ لَهُ هَدَفٌ سِوَى النَّيْلِ مِنَ الْمُخْتَارِ، وَهَذَا مَا نَرَاهُ مَجَافِيًا لِلْحَقِيقَةِ، وَهُنَاكَ مِنْ يَمِيلُ إِلَى أَنَّ الْمُخْتَارَ كَانَ لَهُ أَعْدَاءُ كَثِيرُونَ فِي حَيَاتِهِ، فَهَمَّ يَحْمِلُونَ عَلَيْهِ وَيَذْمُونَهُ، وَيَتَّبِعُ النَّاسُ فِي ذِكْرِ سِيرَتِهِ مَا قَالَ أَعْدَاؤُهُ فِيهِ (2)، وَيَرَى الْبَعْضُ (3) أَنَّ هُنَاكَ تَعْتِيمًا وَتَشْوِيهًا تَارِيخِيًّا لِثَوْرَاتِ الشَّيْعَةِ وَمَلَاحِقَةِ لِقَادَتِهَا صَاحِبِ التَّدْوِينِ الْفَعْلِيِّ لِكِتَابَةِ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ. وَيُمْكِنُ أَنْ نَوْجِزَ أَهَمَّ آرَاءِ الْمُؤَرِّخِينَ الْقَدَامِيِّ فِي وِلَاءِ الْمُخْتَارِ وَمَذْهَبِهِ بِالْآتِي:

ص:59

1- (1) - ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 3، ص 141.

2- (2) - الرئيس، عبد الملك بن مروان، ص 174؛ حسان، خليل نعيم خليل، خلافة بنى أمية عند خليفة بن خياط 41 هـ - 132 هـ -، الجامعة الإسلامية فى غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، ص 136.

3- (3) - فولتن، فان، السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدية فى ظل خلافة بنى أمية، ترجمة إبراهيم بيضون، دار النهضة العربية، بيروت، 1996 م، ص 8. (مقدمة المترجم).

وهذا الرأي ذهب إليه كل من البلاذري(1) الذي ذكر: «وكان المختار عند الشيعة عثمانياً»، وابن عبد البر(2) حيث ذكر أثناء ترجمته للمختار: «وكان يضمم بغض على بن أبي طالب»، وسار الكتبي(3) على ما ذكره ابن عبد البر، في حين قال ابن كثير(4): «وكان أول أمره ناصبياً يبغض علياً بغضاً شديداً»، وسار على ذلك بعض المؤرخين المحدثين فقال حسن إبراهيم حسن(5): «فقد كان - أي المختار - أمويًا ثم زبيرياً» وقال آخر: أنه كان عثمانياً(6).

وهذه الآراء لا يمكن الاطمئنان إليها والأخذ بها أو رفضها قبل مناقشتها والتعرف على المعطيات التاريخية بشأنها، ومن الضروري أن نبين قبل ذلك المراد من مصطلح العثمانية، فقد أطلق مصطلح العثمانية على: «أنصار عثمان بن عفان، والمحتجون لفضله،... وكانت العثمانية أشد الفرق السياسية خلافاً على بن أبي طالب»(7)، فيفضلون عثمان على الإمام عليّ

ص:60

- 
- 1- (1) - جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 384.
  - 2- (2) - ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت: 463 هـ -- 1070 م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، صححه وخرج أحاديثه: عادل مرشد، دار الإعلام، الأردن، 2002 م، ص 716؛ وينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 25، ص 209.
  - 3- (3) - فوات الوفيات، مج 4، ص 123.
  - 4- (4) - البداية والنهاية، ج 12، ص 65.
  - 5- (5) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الطبعة الرابعة عشرة، دار النهضة المصرية، القاهرة 1996 م، ج 1، ص 328.
  - 6- (6) داود، نبيلة عبد المنعم، نشأة الشيعة الإمامية، دار المؤرخ العربي، بيروت، 1994 م، ص 79.
  - 7- (7) - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت: 255 هـ - 868 م)، كتاب العثمانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت 1991 م، ص 5.

(عليه السلام)، حيث يقول شاعرهم:

وقستم بعثمان علياً سفاهة وعثمان أزكى من علي وأطيب(1)

وكان مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان (23 هـ - 35 هـ) على يد ثوار الأمصار في سنة خمس وثلاثين للهجرة(2) السبب الذي تذرعه به كل من أصحاب الجمل الذين نكثوا بيعتهم من الإمام عليّ (عليه السلام)، وكذلك أهل الشام بزعامة معاوية بن أبي سفيان.

ولم يكن مقتل عثمان بن عفان إلا ذريعة اتخذها كل من أصحاب الجمل ومعاوية ومن معه من أهل الشام، لغايات وأهداف خاصة، بعد أن أصبح واضحاً لهم أنّ السياسة الجديدة التي تبناها الإمام عليّ (عليه السلام)، سوف تنهى كل تلك الامتيازات التي حصلوا عليها خلال الحقبة التي سبقت تلك التغيرات.

فما أن تولى الإمام عليّ (عليه السلام) الخلافة (35 هـ - 40 هـ) حتى أوضح برنامجه السياسى والاقتصادى فى الخطبة التى ألقاها فى يوم توليته(3) التى جاء فيها: «ألا لا يقولن رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا، فاتخذوا العقار وفجروا الأنهار، وركبوا الخيول الفارهة، واتخذوا الوصائف الروقة، فصار

ص:61

- 
- 1- (1) - مشكور، محمد جواد، موسوعة الفرق الإسلامية، تقديم: على هاشم، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت 1995 م، ص 386.
  - 2- (2) - اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ج 2، ص 122؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص 247؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 153.
  - 3- (3) - ينظر: الشرهانى، التغير فى السياسة المالية، ص 66-73.

ذلك عليهم عاراً وشناراً، إن لم يغفر لهم الغفار، إذا منعوا ما كانوا فيه، وصيروا إلى حقوقهم التي يعلمون، يقولون حرماً ابن أبي طالب، وظلمنا حقوقنا، ونستعين بالله ونستغفره، وأما من كان له فضل وسابقة منكم، فإنما أجره فيه على الله، فمن استجاب لله ولرسوله ودخل في ديننا، واستقبل قبلتنا، واكل ذبيحتنا، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فانتم أيها الناس، عباد الله المسلمون، والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية، وليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى، وللمتقين عند الله خير الجزاء وأفضل الثواب، لم يجعل الله الدنيا للمتقين جزاءً، وما عند الله خير للأبرار»(1).

يتضح من خلال تلك الخطبة المعالم الرئيسة لسياسة الإمام عليّ (عليه السلام) التي عقد العزم على تنفيذها بحذافيرها، دون أن تأخذه في الله لومة لائم، فكان أول من نكث بيعته طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، اللذان سارا ومعهما السيدة عائشة زوج الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) إلى البصرة(2)، فحدثت معركة الجمل التي انتصر فيها جيش الإمام (عليه السلام) نصراً مؤزراً، ثم وقعت بعدها مباشرة وقعة صفين، وكادت الهزيمة تطبق على معاوية وجنده لولا أن أجبر الإمام (عليه السلام) على القبول بمهزلة التحكيم، ونهايته المأساوية.

ص:62

- 
- 1- (1) - الطوسي، محمد بن الحسن (ت: 460 هـ - 1067 م)، الأمالي، مكتبة ذوى القربى، قم، 1431 هـ -، ص 564؛ وينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج 7، ص 28؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج 32، ص 17؛ الشرهاني، التغيير في السياسة المالية، ص 66-67.
- 2- (2) - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج 2، ج 4، ص 295.

وقد خصص ابن أبي الحديد فصلاً خاصاً بالمنحرفين من الصحابة والتابعين والمحدثين الذين يقولون بالسوء في الإمام عليّ (عليه السلام) (1) وهم لا ريب أنهم عثمانيو الهوى، ومنهم من كان في الكوفة مثل عفاق بن شرحبيل بن أبي رهم التيمي الذي قال: «اللهم إني منهم بريء - أي من الإمام علي (عليه السلام) وأصحابه -، ولا بن عفان ولي» (2) ومنهم أبو بردة بن عوف (3)، على الرغم من أنه شهد صفين مع الإمام عليّ (عليه السلام) إلا أنه كان يكاتب معاوية سراً، فلما ظهر معاوية أقطعه قطيعة...، وكان عليه كريماً (4) ومنهم حسان بن ثابت، كان عثمانياً يحرض الناس على الإمام عليّ (عليه السلام) ويدعو إلى نصرة معاوية بن أبي سفيان وذلك مشهور عنه في نثره ونظمه ومنها قوله: (5)

يا ليت شعري وليت الطير تخبرني ما كان بين علي وابن عفانا

ص: 63

- 
- 1- (1) - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج 2، ج 4، ص 282-307.
  - 2- (2) - ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج 2، ج 4، ص 282-307.
  - 3- (3) - هو أبو بردة بن عوف الأزدي تابعي من أهل الكوفة وفد على يزيد بن أبي سفيان بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام). ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 66، ص 16.
  - 4- (4) - ينظر: المنقري، وقعة صفين، ص 42؛ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (413 هـ - 1022 م)، الامالي، تحقيق: حسين الأستاذ ولي، الطبعة الثانية، دار المفيد، بيروت 1993 م، ص 129؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج 32، ص 353؛ القمي، عباس، الكنى والألقاب، مكتبة الصدر، طهران، د. ت، ج 1، ص 18.
  - 5- (5) - الشريف المرتضى (ت: 436 هـ - 1044 م)، الفصول المختارة، تحقيق: نور الدين جعفران، الطبعة الثانية، دار المفيد، بيروت 1993 م، ص 258؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج 38، ص 266؛ القمي، الكنى والألقاب، ج 2، ص 242.

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسيبها وقرأنا

ليسمعن وشيكاً في ديارهم الله أكبر يا ثارات عثماننا

وأشار ابن الأثير (1) في الكامل إلى العثمانية عندما ذكر أن الإمام علياً (عليه السلام) عند دخوله إلى الكوفة أثناء رجوعه من صفين «مرّ بالناعطين (2)، وكان جلهم عثمانية، فسمع بعضهم يقول: والله ما صنع عليّ شيئاً، ذهب ثم انصرف في غير شيء، فلما رأوه أبلسوا، فقال علي: وجوه قوم مارأوا الشام. ثم قال لأصحابه: من فارقتهم أنفاً خير من هؤلاء...»..

وصنف الجاحظ (3) كتابه العثمانية تطرق فيه إلى فضائل العثمانية، وحاول في كتابه هذا النيل من الإمام عليّ (عليه السلام) وإظهار أنصار العثمانية بالمظهر المدافع عن الإسلام والمسلمين والنيل من كل من وقف ضدهم.

وقد أثار الكتاب حفيظة الكثير من المؤرخين والباحثين، ومن بينهم المسعودي (4) الذي قال عنه: «استقصى فيه الحجاج عند نفسه، وأيده بالبراهين وعضده بالأدلة فيما تصوره من عقله،.... يحل فيه عند نفسه

ص:64

1- (1) - الكامل في التاريخ، ج 3، ص 277-278.

2- (2) - ناعط: وهو حى من همدان، وناعط هو حصن في أرضهم. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ص 3960؛ الزبيدي، محمد مرتضى (ت: 1205 هـ - 1790 م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: على شيرى، دار الفكر، بيروت، 1994 م، ج 10، ص 433.

3- (3) - ابن النديم، محمد بن إسحاق (ت: 385 هـ - 995 م)، الفهرست، تحقيق: يوسف على طویل، دار الكتب العلمية، بيروت 2002 م، ج 1، ص 210.

4- (4) - المسعودي، مروج الذهب، ج 3، ص 272.



فضائل الإمام عليّ (عليه السلام) ومناقبه، ويحتج فيه لغيره، طلباً لإمارة الحق، ومضادة لأهله، والله متمم نوره...»، مما اقتضى الرد على كتاب الجاحظ من قبل متكلمي الشيعة والمعتزلة بما عرف نقض العثمانية (1)، ومن خلال ذلك يظهر مدى تطابق وتداخل أهداف كل من كان عثمانياً أو أموياً أو ناصبياً أو مبغضاً للإمام عليّ (عليه السلام) في عدائه له وولائه وحبه للأمويين، وإذا كان اللفظ مختلفاً فالهدف والمعنى واحد.

وقبل أن نوضح ما إذا كان المختار عثمانياً أم لا، لا بد لنا أن نعرج قليلاً على نشأة المختار وحياته ودوره الاجتماعي والسياسي، فالمختار كان مع عمه سعد بن مسعود الذي حضر مع الإمام عليّ (عليه السلام) كل مشاهدته، وكان والياً على المدائن، معتمداً على ابن أخيه في الكثير من المهام، فلما خرج سعد من المدائن لقتال الخوارج استخلف المختار والياً عليها (2).

وبعد أن استتب الأمر للأمويين كان المختار من الشخصيات المعروفة والبارزة، وإن كان هناك غموض في ذكره في حرب الجمل وصفين والنهروان فعلى الرغم من مشاركته فيها لم يظهر على المسرح العام إلا بعد أن تجاوز

ص: 65

- 
- 1- (1) - المسعودي، مروج الذهب، ج 3، ص 273؛ ولمزيد من التفاصيل في نقض العثمانية ينظر: الجاحظ، كتاب العثمانية، ص 281-343؛ النقوي، حامد، خلاصة عقبات الأنوار، مؤسسة البعثة، طهران 1405 هـ -، ص 20.
- 2- (2) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 50؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 289؛ ابن خلدون، عبد الرحمن (ت: 808 هـ - 1406 م)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت 2001 م، ج 2، ص 638.

الستين من عمره(1) ، وربما يعود هذا الأمر إلى أن الرواة والمؤرخين لم يعيروه اهتماماً أو لوجود عددٍ كبيرٍ من الصحابة فقد «كان مع عليّ - في حرب الجمل - خمسة وعشرون بديراً، وأكثر أصحاب أحد، وستمائة من الأنصار، وجماعة من المهاجرين الأولين»(2) ، ووصف جيش الإمام عليّ (عليه السلام) المتوجه إلى صفين بالقول: «فخرجت العساكر والمواكب يتلو بعضها بعضاً، حتى لم يبق في الكوفة من القبائل احد إلا بنو هاشم، فظهر علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى ظاهر الكوفة في بني هاشم، وتحت لوائه الحسن والحسين عليهما السلام ومحمد بن أبي بكر، وقد حمل اللواء محمد ابن الحنفية... وعن يمين أمير المؤمنين (عليه السلام) شيوخ بدر وحنين، وعلى يساره الأنصار والمهاجرون، وكان مع عليّ في ذلك اليوم ثمانون بديراً، ومائة وثمانون من أصحاب محمد (صلى الله عليه واله وسلم)»..(3) ، ومن الطبيعي أن يتصدر أصحاب بدر وحنين وكبار الصحابة الأدوار الرئيسة في جيش الإمام عليّ (عليه السلام)، ويبدو أن المختار في تلك الحقبة لم يكن بارزاً كما عرف فيما بعد، وقد يكون جندياً غير مؤثر في الأحداث مع وجود هذا العدد الكبير من كبار الصحابة، وهذا قد يفسر لنا الغموض الذي يسود الأدوار الأولى من حياة المختار في المصادر التاريخية.

ص:66

- 
- 1- (1) - فلهوزن، يوليوس، أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام الخوارج والشيعة، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1958 م، ص 197.
  - 2- (2) - البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 281.
  - 3- (3) - المنقري، وقعة صفين، ص 92.

والظاهر من خلال ما تقدم أنّ من كان عثمانياً، كان لابد أن يكون قاتل الإمام علياً (عليه السلام) ووقف ضده في حروبه التي خاضها كحرب الجمل، وصفين، والنهران، أو تربص في بعض حروب الإمام (عليه السلام) وأشترك في قسم منها، فلما ظهر معاوية بن أبي سفيان بعد استشهاد الإمام عليّ (عليه السلام) وعقد الصلح مع الإمام الحسن (عليه السلام)، أفصح من كان عثمانياً عن نفسه بشكل واضح من أجل الحصول على الامتيازات والمناصب التي لطالما منحها الأمويون إلى الكثير من أنصارهم وشيعتهم في معسكر خصومهم.

ولو سلمنا بالرأى القائل أن المختار كان عثمانياً وهواه مع بني أمية فلماذا لم يلجأ المختار إلى الأمويين الذين أصبح الحكم بأيديهم بعد عقد الصلح مع الإمام الحسن (عليه السلام)، لاسيما أنّ أكثر أنصار بني أمية استغلوا تلك الظروف للحصول على المكاسب، ويؤيد هذا ما كتبه معاوية إلى عماله: «انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه... والذين يرون فضله ويتحدثون بمناقبه، فأدناو مجالسهم وأكرمهم وقربوهم وشرفوهم... وبعث إليهم بالصلوات والكسي وأكثر لهم القطايع من العرب والموالي»<sup>(1)</sup>، فكان الأحرى بالمختار لو كان عثمانياً كما زعموا، أن يستغل تلك الامتيازات التي تهيأت لمن هو أدنى منه وأقل شأنًا، لكننا نجد العكس من ذلك فقد ازداد عداؤه للأمويين في فترة سيطرتهم على السلطة وبالأخص في ولايتي

ص:67

---

1- (1) - سليم بن قيس (ت: 76 هـ - 695 م)، كتاب سليم بن قيس، تحقيق: محمد باقر الأنصاري، دار المجتبي، النجف 2009 م، ص 237.

زياد بن أبيه وعبيد الله بن زياد، فكان ذلك سبباً في دخوله السجن مرات عدة، وفي السياق نفسه ذكر أحد الباحثين (1): «ولكننا إذا القينا نظرة فاحصة على ما ورد في سيرته وجدناه على العكس مفرطاً في إخلاصه لبنى هاشم، مع أنه كانت لديه الفرصة للتقرب من الأمويين، الذين كانوا يبحثون عن أنصار لهم من بين شيعة علي...»، وكذلك وصفه مؤرخ معاصر ثاب بعد أن تناول إساءة الناس لشخصية المختار فقال: «لكن دراسة المختار وأعماله على النحو الذي فعلنا تبين تماماً صدق عقيدته، وقوة شخصيته، وسلامة هدفه، فهو كان مخلصاً لمبدئه الذي عاش ومات من أجله، وهو نصره آل البيت والأخذ بثأرهم...» (2)، وعلى هذا النحو قال المستشرق الألماني فلهوزن (3): «فكان - المختار - شيعياً غيوراً».

وليس غريباً أن يرى البلاذري (4) بأن المختار عثماني، فسبق وأن ذكر رواية اتهم فيها الإمام الحسن (عليه السلام) بأنه عثماني، جاء فيها: «وقال عليّ لابنه الحسن، ورآه يوماً يتوضأ: أسبغ الوضوء، فقال - الحسن -: قد قتلتم أمس رجلاً كان يسبغ الوضوء، فقال عليّ: لقد أطال الله حزنك على عثمان»، وهي بدون شك رواية واهية موضوعة هدفها النيل من قدسية الإمامين علي والحسن (عليهما السلام)، لاسيما رواية البلاذري المتقدمة

ص: 68

- 
- 1- (1) - ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، ص 117.
  - 2- (2) - الرئيس، عبد الملك بن مروان، ص 174-175.
  - 3- (3) - أحزاب المعارضة السياسية، ص 198.
  - 4- (4) - جمل من أنساب الأشراف، ج 3، ص 269-270.

الذكر التي تتهم الإمام الحسن (عليه السلام) بأنه عثماني، ولم يسبغ الوضوء، لم تقف عند هذا الحد فجعلت من الإمام عليّ (عليه السلام) قاتلاً لعثمان وعليّ لسان الإمام الحسن (عليه السلام).

ولم يدخر طه حسين (1) في ذلك وسعاً فأطنب في الاستنتاج وكأنها من المسلمات التي لا تستحق تمحيصاً أو تدقيقاً فقال: «ولم يفارق الحسن حزنه على عثمان، فكان عثمانياً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، إلا أنه لم يسبغ سيفاً للثأر بعثمان، لأنه لم ير ذلك حقاً له، وربما غلا في عثمانيته حتى قال لأبيه ذات يوم ما لا يحب، فقد روى الرواة أن علياً مر بابنه الحسن وهو يتوضأ فقال له: أسبغ الوضوء. فأجابه الحسن بهذه الكلمة المُرّة: لقد قتلتكم بالأمس رجلاً كان يسبغ الوضوء. فلم يزد عليّ عليّ أن قال: لقد أطال الله حزنك على عثمان».

لكن طه حسين (2) لم يكتف بالقول بأن الإمام الحسن (عليه السلام) كان عثمانياً بالمعنى الدقيق للكلمة فحسب، بل إنّه يرى أن معاوية قد غير سياسته في عهد الإمام الحسن (عليه السلام) لعلمه بعثمانية الحسن فقال: «وقد غير معاوية سياسته فجأة تغييراً تاماً، فأعرض عن العنف ومال إلى الرفق وأمعن فيه. وكأنه كان يعرف عثمانية الحسن وبغضه للفتنة وتخرجه من سفك الدماء...».

ص: 69

---

1- (1) - الفتنة الكبرى، دار الجمال، بيروت، د. ت، ج 2، ص 176-177.

2- (2) - الفتنة الكبرى، ج 2، ص 181.

يتضح من خلال ما تقدم أنّ التهم توجه جزافاً إلى الآخرين فيتلففها المؤرخون ويعولون عليها آراءهم واستنتاجاتهم وكأنها حقائق ثابتة في صدقها ووثاقته، ومن يتهم الإمام علياً والإمام الحسن (عليهما السلام) بتلك التهم فمن اليسير عليه اتهام من هو أقل شأنًا ومنزلةً منهما مثل المختار دون أي عناء يذكر.

ويظهر أن كل من تناول قضية المختار بتأنٍ وموضوعية توصل إلى إنصافه من تلك الأقاويل، التي لا يستبعد أن تكون من وضع الأمويين والزيريين الذين جرت بينهم وبين المختار الكثير من الحروب.

وقد يعود سبب اعتقاد بعض المؤرخين القدامى ومن تأثر بهم من المحدثين بأن المختار كان عثمانياً أو أموياً أو مبغضاً للإمام عليّ (عليه السلام) على الرواية التي ذكرت أن المختار اقترح على عمه سعد بن مسعود وإلى المدائن بتسليم الإمام الحسن (عليه السلام) إلى معاوية والتي أوردها البلاذري (1) بالشكل الآتي: «وحمل الحسن إلى المدائن وعليها سعد بن مسعود عم المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان على ولاه إياها فأدخلوه منزله فأشار عليه المختار أن يوثقه ويسير به إلى معاوية على أن يطعمه خراج جوخي سنة، فأبى ذلك وقال للمختار: قبح الله رأيك، أنا عامل أبيه وقد ائتمنتني وشرفني، وهبني نسيت بلاء أبيه، أنسى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ولا أحفظه في ابن ابنته وحببيه. ثم إن سعد بن مسعود أتى الحسن بطبيب وقام

ص:70

عليه حتى برئ»، وهذه الرواية غير مقبولة لا تصمد أمام البحث العلمي وسنناقشها في موضعها.(1)

## ثانياً: المختار ومذهب الخوارج

ذهب بعض المؤرخين القدامى إلى القول بأن المختار كان خارجياً، وهو ما أشار إليه المبرد(2) فقال: «وكان المختار لا يوقف له على مذهب كان خارجياً، ثم صار زبيرياً، ثم صار رافضياً في ظاهره»، وعلى ذلك سار كل من ابن عبد البر(3)، والشهرستاني(4)، ابن شاکر الكتبي(5)، والمقریزی(6)، وابن حجر العسقلانی(7).

ومن الضروري أن نتطرق بإيجاز إلى الخوارج وكيفية ظهورهم على المسرح السياسي في تلك الحقبة التاريخية التي عاصرها المختار كي يتسنى لنا معرفة مدى صحة القول بأن المختار كان على مذهب الخوارج أو غير ذلك.

يبدو أن البذرة الأولى لظهور الخوارج ترجع إلى زمن الرسول (صلى

ص:71

- 
- 1- (1) - ينظر من خلال البحث، ص 66-75.
  - 2- (2) - الكامل في اللغة والأدب، ج 3، ص 186.
  - 3- (3) - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (تحقيق: عادل مرشد)، ص 716.
  - 4- (4) - أبو الفتح محمد عبد الكريم (ت: 549 هـ - 1451 م)، الممل والنحل، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلمی، بیروت، 2006 م، ص 140.
  - 5- (5) - محمد بن شاکر بن أحمد (ت: 764 هـ - 1362 م)، فوات الوفيات الذیل علیها، تحقیق: إحسان عباس، دار صادر، بیروت، د. ت، مج 4، ص 123.
  - 6- (6) - إمتاع الأسماع، ج 12، ص 249.
  - 7- (7) - الإصابة في تمييز الصحابة، ج 6، ص 276.

الله عليه واله وسلم) عندما أعترض أحد المسلمين، واسمه ذو الخويصرة التميمي(1) على قيام الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بتقسيم بعض الغنائم؛ حينها غضب الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وقال: «... سيكون له شيعة يتعمقون في الدين، حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية»..(2)، ولذلك نجد أن الشهرستاني(3) عند حديثه عن الخوارج قال: «وهم الذين أولهم ذو الخويصرة...»، وعلى غرار ذلك وصف ابن الجوزي(4) ذى الخويصرة بأنه: «هو أول خارجي في الإسلام».

وقد ذكر الإمام عليّ (عليه السلام) أنه سيقا تل الناكثين والقاسطين والمارقين، وعندما انتصر في النهروان على الخوارج، طلب من أنصاره أن يبحثوا عن رجل من بين القتلى مخدج اليد، فلما وجدوه كبر الإمام وسجد شكراً لله وقال: «والله ما كذبت ولا كُذبت...».(5)، مما يدل على أن الرسول صلى الله عليه واله وسلم قد أخبر الإمام علياً (عليه السلام) بأنه سوف يقاتل المارقين، وسوف يكون من أمرهم ما كان وهو ما أشار إليه الإمام عليّ

ص:72

- 
- 1- (1) - هو حرقوص بن زهير ذو الخويصرة التميمي أصل الخوارج، قتل يوم النهروان مع الخوارج. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج 2، ص 214-215.
  - 2- (2) - ابن هشام، السيرة النبوية، ص 651-652.
  - 3- (3) - الملل والنحل، ص 115.
  - 4- (4) - جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت: 597 هـ - 1200 م)، تلبس إبليس، دار ابن خلدون، الإسكندرية، د. ت، ص 88.
  - 5- (5) - ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 58؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 10، ص 585-631.



(عليه السلام) يوم النهروان بقتله المخدج، وعدم عبورهم النهر.

وذكر أحد الباحثين: أن المؤرخين القدامى اعتقدوا أن ظهور الخوارج كان نتيجة لقبول الإمام عليّ (عليه السلام) بمبدأ التحكيم في أعقاب وقعة صفين، وتابعهم في ذلك المؤرخون المحدثون، وعلى الرغم من ذلك، فإنه يرى أن نشأة الخوارج يكتنفها الغموض، وتحيطها الشبهات. (1)

ويظهر أن الخوارج قد أدوا دوراً واضحاً ومهماً بعد وقعة صفين عام سبعة وثلاثين للهجرة (2) التي دارت بين الإمام عليّ (عليه السلام) ومعه المسلمون من الأنصار والمهاجرين وأهل العراق من جهة، وبين أهل الشام يتزعمهم معاوية بن أبي سفيان من جهة أخرى، حيث كانت الحرب سجالاً، لكن في نهاية المطاف دارت الدائرة على معاوية وجنده، وكان النصر قاب قوسين أو أدنى من جيش الإمام عليّ (عليه السلام) لولا أن عمرو بن العاص - أهم قادة معاوية ومستشاريه - قد أشار على معاوية برفع المصاحف؛ ليوقع الخلاف في معسكر الإمام عليّ (عليه السلام)، ويظهر معاوية بمظهر الحريص على وحدة المسلمين وحقن دمائهم حين رفعوا المصاحف على أسنة الرماح وأخذوا ينادون من لثغور أهل الشام وثغور أهل العراق إذا فني أهل الشام وأهل العراق، هذا كتاب الله بيننا وبينكم (3)،

ص: 73

1- (1) - معروف، نايف، الخوارج في العصر الأموي، الطبعة السادسة، دار سبيل الرشاد، بيروت 2006 م، ص 11.

2- (2) - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 130.

3- (3) - الدينوري، الاخبار الطوال، ص 174؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 31.

وأخذت تلك المكيدة مأخذها في معسكر جيش الإمام عليّ (عليه السلام) إلا أنها لم تنطل على الإمام عليّ (عليه السلام) والمخلصين من جيشه، وقد خاطب الإمام عليّ عليه السلام أولئك الذين انطلت عليهم تلك المكيدة قائلاً: «ويحكم والله ما رفعوا لكم هذه المصاحف إلا خديعة ومكيدة، وهم لا يريدون الكتاب بل يريدون المكر والخداع»<sup>(1)</sup>.

واختلف معسكر الإمام عليّ (عليه السلام) فيما بينهم فجاءه من أصحابه نحو عشرين ألفاً مقنعين في الحديد، وسيوفهم على عواتقهم، فنادوه: «يا علي، أجب القوم إلى كتاب الله إذ دعيت، وإلا قتلناك كما قتلنا عثمان»<sup>(2)</sup>.

وقد إضطر الإمام عليّ (عليه السلام) أن يرسل رسوله إلى الأشر مرتين، وكان الأشر على ميمنة الجيش في مذبح، وسعيد بن قيس في همدان، وقد أشرفوا على الدخول في معسكر معاوية، فقال الأشر لرسول الإمام عليّ (عليه السلام): «ويحك أمهلني ساعة فإني قد قاربت الفتح، فقال له الرسول: أفتحب أن تظفر وأمير المؤمنين يقتل؟ فقال الأشر: والله ما أحب ذلك. قال: فارجع فان القراء قد قالوا ابعث إلى الأشر فليأتك وإلا قتلناك كما قتلنا عثمان»<sup>(3)</sup>.

وعندما رجع الأشر إلى الإمام علي (عليه السلام) توقف القتال بين

ص:74

---

1- (1) - المنقري، وقعة صفين، ص 235.

2- (2) - المنقري، وقعة صفين، ص 235-236.

3- (3) - المنقري، وقعة صفين، ص 238.

الطرفين، فاجتمع قراء أهل العراق وقراء أهل الشام بين العسكرين، واتفق هؤلاء على تحكيم حكيمين، أحدهما يمثل الإمام علياً (عليه السلام) والآخر يمثل معاوية بن أبي سفيان، فقال أهل الشام قد رضينا بعمرو بن العاص، وقال قراء أهل العراق ومعهم الأشعث بن قيس قد رضينا بأبي موسى الأشعري. (1)

أعترض الإمام عليّ (عليه السلام) على اختيارهم لأبي موسى الأشعري، لعدم ثقته برأيه وبخزمه، وجعل الأمر إلى عبد الله بن العباس قال له الأشعث: لا يحكم فينا مضرين (2)، فقال الإمام عليّ (عليه السلام): فأني أجعل ذلك إلى الأشتر، فقالوا له: وهل سعر الحرب إلا الأشتر، عند ذلك قال الإمام عليّ (عليه السلام) لهم: فان أبيت إلا أبا موسى فاصنعوا ما أحببتم (3).

وحضر عمرو بن العاص عند الإمام عليّ (عليه السلام) وكتبت وثيقة التحكيم بينهما، وشهد الشهود على وثيقة التحكيم، وأشترط على الحكيمين «أن يحكما بما في كتاب الله من فاتحته إلى خاتمته لا يتجاوزان ذلك، ولا يحددان عنه إلى هوى ولا إدهان، وأخذ عليهما أغلظ العهود والمواثيق، فإن

ص: 75

- 
- 1- (1) - الدينوري، الأخبار الطوال، ص 176؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 33؛ المسعودي، مروج الذهب، ج 2، ص 412؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 272.
  - 2- (2) - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 131.
  - 3- (3) الدينوري، الأخبار الطوال، ص 177؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 33؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 272.

هما جاوزا بالحكم كتاب الله من فاتحته إلى خاتمته فلا حكم لهما»<sup>(1)</sup>، ثم خرج الأشعث بن قيس ليقراً الكتاب على الناس ولما وصل إلى طائفة من بنى تميم، فيهم عروة بن أديّة فقرأه عليهم، فقال عروة: تحكمون في أمر الله الرجال؟ لا- حكم إلا- لله، وشد بسيفه على الأشعث فأخطأه وضرب دابته، فغضب الأشعث وغضب له أهل اليمن، فسار إليه سادات تميم فقبل منهم وصفح<sup>(2)</sup> وبعد ذلك رحل أهل الشام إلى شامهم وأهل العراق إلى عراقهم<sup>(3)</sup>.

ولما دخل الإمام عليّ (عليه السلام) الكوفة انحاز عنه أكثر من عشرة الاف من القراء وغيرهم إلى حروراء<sup>(4)</sup>، إحدى قرى الكوفة، وسموا الحرورية لاجتماعهم فيها<sup>(5)</sup>، وجرت عدة محاولات من الإمام عليّ (عليه السلام) لإرجاعهم إلى صفه، فقد بعث لهم بكتاب عندما أراد التوجه لقتال معاوية ختمه بقوله: «إذا بلغكم كتابي هذا فأقبلوا فإننا سائرون إلى عدونا وعدوكم، ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه والسلام»<sup>(6)</sup>.

ص:76

- 
- 1- (1) - اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ج 2، ص 131.
  - 2- (2) - الدينورى، الأخبار الطوال، ص 179-180؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 36؛ الشهرستانى، الملل والنحل، ص 116-117؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 274.
  - 3- (3) - المنقرى، وقعة صفين، ص 248.
  - 4- (4) حروراء: وهى قرية بظاهر الكوفة، ويقال هى موضع على ميلين منها، نزل به الخوارج الذين خالفوا الإمام علياً عليه السلام فانسبوا إليها. ينظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج 2، ص 245.
  - 5- (5) - البغدادى، الفرق بين الفرق، ص 80.
  - 6- (6) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 51.

ولم تفلح كل تلك المحاولات وغيرها، وعلى الرغم من ذلك فقد قرر الإمام عليّ (عليه السلام) تركهم والتوجه إلى قتال معاوية، إلا أن الخوارج تمادوا أكثر من ذلك عندما قتلوا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وبقروا بطن أم ولدته (1)، فقاتلهم الإمام (عليه السلام) في النهروان وهزمهم هزيمة منكرة (2)، وعلى الرغم من أن الخوارج اختلفوا فيما بينهم في الكثير من الأمور، إلا أنهم أجمعوا على تكفير الإمام عليّ (عليه السلام) (3).

وبعد هذا المدخل إلى الخوارج، لابد من مناقشة آراء بعض المؤرخين القدامى التي ذكرت: بأن المختار كان خارجياً، ويظهر من تلك الآراء أنها وردت دون وجود أى نص تاريخى يؤيد ما ذهبوا إليه بهذا الموضوع، فقد ذكروا تلك الروايات فى سياق حديثهم بشكل عام دون التوقف أمامه أو ذكر حادثة تاريخية تؤيد ذلك، وأقدم نص بهذا الشأن رأى المبرد الذى لم يسنده إلى أى راوٍ أو مصدر تاريخى أو حادثة تاريخية تؤيد رأيه المتقدم وحتى المقرئى المتأخر ذكر رأى المبرد دون أن يعزز هذا الرأى بأى أدلة.

ص: 77

---

1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 53.

2- (2) - ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص 140-141؛ الدينورى، الأخبار الطوال، ص 189-194؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 56-58.

3- (3) - الأشعري، أبو الحسن على بن إسماعيل (ت: 324 هـ -- 935 م)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد، النهضة المصرية، القاهرة، 1950 م، ج 1، ص 156؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 79؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ص 113-117.

وربما اعتمد بعض المؤرخين على القول بأن المختار كان خارجياً، على مفهومهم للخارجي وتعريفهم له، فالشهرستاني (1) الذي يرى أن المختار خارجي، يعرف الخوارج بأنهم: «كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان»، إن هذا التعريف المتقدم يكتنفه التشويه والتضليل وهو من صناعة الفكر الأموي الذي أثر في كتابات المؤرخين بشكل كبير جداً، ومن الأمثلة على ذلك ما قاله ابن العربي (2) في خصم دفاعه عن قيام يزيد بن معاوية (60 هـ - 64 هـ) بقتل سبط الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الإمام الحسين (عليه السلام): «وما خرج إليه إلا بتأويل، ولا قاتلوه إلا بما سمعوا من جده المهيمن على الرسل، المخبر بفساد الحال، المحذر من الدخول في الفتن»، والذي رد ابن خلدون (3) عليه بالقول: «وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في هذا فقال في كتابه الذي سماه بالعواصم والقواصم ما معناه: أن الحسين قتل بشرع جده وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الإمام العادل ومن أعدل من الحسين في زمانه في إمامته وعدالته في قتال أهل الآراء».

ص: 78

- 
- 1- (1) - الملل والنحل، ص 113.
  - 2- (2) - أبو بكر محمد بن عبد الله (ت: 543 هـ - 1148 م)، العواصم والقواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي، تحقيق: محب الدين الخطيب، المكتبة العصرية، بيروت، 2010 م، ص 233-234.
  - 3- (3) - تاريخ ابن خلدون، ج 1، ص 271.

ولم يكن ابن العربي غافلاً عن ذلك، وإنما تغافل واتبع هواه حتى وصل به الأمر إلى الطعن بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وسنته والنيل من الإمام الحسين (عليه السلام).

وعند إعلان ابن الزبير الثورة على يزيد، أرسل الأخير له وفداً، أحدهم عبد الله بن عضاء<sup>(1)</sup>، فقال له عبد الله بن الزبير: «إنما أنا حمامة من حمام هذا المسجد، أفكنتم قاتلي حمامة من حمام المسجد؟! فقال ابن عضاء: يا غلام أتتى بقوسى وأسهمى، فأتاه بذلك، فأخذ سهماً فوضعه فى كبد القوس ثم سدده لحمامة من حمام المسجد وقال: يا حمامة أيشرب يزيد الخمر؟ قولى نعم، فوالله لئن قلت لأقتلنك، يا حمامة أتخلعين أمير المؤمنين يزيد وتفارقين الجماعة وتقيمين بالحرم ليستحل بك، قولى نعم، فوالله لئن قلتى لأقتلنك. فقال ابن الزبير: ويحك يا بن عضاء أو يتكلم الطير؟ قال: لا. ولكنك أنت تتكلم، وأنا أقسم بالله لتبايعن طائعاً أو كارهاً أو لتقتلن، ولئن أمرنا بقتالك ثم دخلت الكعبة لنهد منها أو لنحرقها عليك...»<sup>(2)</sup>.

والذى يهمنا من هذه المناظرة بين ابن الزبير وابن عضاء، كيف أن الأخير أشار إلى أن الجماعة قد اتفقت على يزيد وأنه لا يحق لأحد أن يفرق الجماعة ويشق عصا المسلمين وأنه لا يجوز الخروج على الإمام الحق الذى

ص: 79

---

1- (1) - عبد الله بن عضاء الأشعري شهد مع معاوية صفين، وكان رسول يزيد بن معاوية لأخذ البيعة له من عبد الله بن الزبير. ينظر: ابن حجر العسقلانى، الإصابة فى تمييز الصحابة، ج 4، ص 154.

2- (2) - البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 5، ص 325.

يمثله في ذلك الوقت يزيد بن معاوية حسب وجهة نظرهم.

وهكذا نجد كلاً من الذهبي، والسيوطي - على سبيل المثال - يعدان مروان ابن الحكم خارجاً وباغياً على ابن الزبير ولا تصح خلافته، بينما يعدان عبد الملك بن مروان خليفة بعد قتله عبد الله بن الزبير (1)، ومن الغريب أنّ عبد الملك ابن مروان الذي في نظرهم باغٍ وخارج على الإمام الحق، أصبح إماماً بقتله وصلبه عبد الله بن الزبير على أستار الكعبة، فصحت خلافته بعد ذلك.

وليس غريباً أن الأمويين قاموا بالصاق العديد من التهم بأعدائهم والى كل من يقف بوجه سياستهم، لأجل قتلهم وتشريدهم والنيل منهم، وكذلك من أجل التمويه على الناس واستغفالهم، وقد أشارت المصادر التاريخية إلى الحوار الذي دار بين يزيد بن معاوية وبين رأس اليهود، عندما دخل على يزيد ووجد رأس الإمام الحسين (عليه السلام) بين يديه، فسأله لمن هذا الرأس، فقال: رأس خارجي خرج علينا في العراق، ولما قال له رأس اليهود من هذا الخارجي؟ قال له يزيد: هو الحسين بن علي (عليه السلام). (2).

ص: 80

---

1- (1) - محمد بن أحمد بن أحمد (ت: 748 هـ - 1347 م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب، بيروت، 1990 م، ج 6، ص 133؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911 هـ - 1505 م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد أحمد عيسى، دار الغد الجديد، القاهرة، 2007 م، ص 208، 210.

2- (2) - الراوندي، قطب الدين (ت: 573 هـ - 1177 م)، الخرائج والجرائح، تحقيق: محمد باقر الموحّد الأبطحي، مؤسسة الإمام المهدي، قم، 1409 هـ -، ج 2، ص 581؛ العاملی، ابن حاتم جمال الدين يوسف (ت: 664 هـ - 1265 م)، الدر النظيم في مناقب الأئمة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، د. ت، ص 563؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج 45، ص 187.



ويبدو أن الأمويين لم يوقفوا عند توجيه التهم لأعدائهم فحسب، بل وجهوها إلى كل من يعارض آراءهم بأنه من الخوارج، فقد ذكر ابن أبي الحديد كيف أن الوليد بن عبد الملك (86 هـ - 96 هـ) اتهم عمر بن عبد العزيز (99 هـ - 101 هـ) بأنه خارجي لمجرد أنه أبدى رأيه في رجل من الخوارج لعن الحجاج والأمويين، حيث قال عمر بن عبد العزيز: «هذا رجل يشتمكم، فأما أن تشتموه كما شتمكم، وإما أن تعفوا عنه، فغضب الوليد وقال لعمر: ما أظنك إلا خارجياً!...» (1).

وتكمن خطورة هذا الاتهام لعمر بن عبد العزيز (99 هـ - 101 هـ) أن صاحب شرطة الوليد بن عبد الملك قال لعمر: «لقد ضربت بيدي إلى قائم سيفي أنتظر متى يأمرني بضرب عنقك، قال: أو كنت فاعلاً لو أمرت؟ قال: نعم» (2).

ويتضح من خلال ما تقدم، أن اتهام الناس بأنهم خوارج هي أفكار قد روج لها الأمويون، واتهموا الناس بها، وتلقفتها أيدي الرواة والمؤرخين الذين تأثروا بمنهج بني أمية دون تدقيق أو تمحيص.

خلاصة هذا الأمر أن القول بأن المختار كان خارجياً أمر لا يؤيده أي نص تاريخي وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية ذكرت الكثير من رجال الخوارج لكن لم نجد أي مصدر ذكره ضمن هؤلاء.

ص: 81

---

1- (1) - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج 9، ج 17، ص 31.

2- (2) - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج 9، ج 17، ص 32.

ذكر بعض المؤرخين(1): أن المختار كان زبيرياً، وهذا الرأي يحتاج إلى مناقشة وافية وذلك لعدة أسباب:

الأول: وردت تلك الروايات في كتب المؤرخين بهذا الشأن دون ذكر أى سند لها، وذكروها أثناء حديثهم عن المختار دون التوقف أمامها أو إيضاها، وأورد بعض المؤرخين آراءهم وهم غير مطمئنين أو جازمين بصحتها، فنسبوا ذلك للمجهول بقولهم: يقال، والله أعلم، وأقدم رأى ذكر بهذا الشأن هو رأى المبرد، والذي يبدو من خلاله أنه أكثر تحاملاً من غيره على المختار، فقد ذكر مع رأيه المتقدم أنه كان رافضياً فى ظاهره، وكأنه أستكثر على المختار أن يكون رافضياً لأنه يعلم أن مصطلح الرفض يقصد به التشيع لأهل البيت (عليهم السلام)، فلم يلبث أن قال: فى ظاهره، ويظهر من كلامه أنه مطلع على السرائر، حتى علم بأن المختار لم يكن رافضياً حقيقياً، وبينه وبين وفاة المختار أكثر من مئتي عام.

الأمر الثانى: أن ابن الزبير لم يكن صاحب مذهب، حتى يكون المختار على مذهبه، وهو أقرب ما يكون إلى مذهب العثمانية - السالف الذكر - وهو ما أشار إليه ابن الزبير عندما ناظره الخوارج، بعد حصار مكة الأول على

ص:82

---

1- (1) - المبرد، الكامل فى اللغة والأدب، ج 3، ص 186؛ ابن عبد البر، الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، (تحقيق: عادل مرشد)، ص 716؛ الشهرستانى، الملل والنحل، ص 144؛ ابن شاعر الكتبى، فوات الوفيات، مج 4، ص 123؛ المقرئى، أمتاع الأسماع، ج 12، ص 249.

أثر وفاة يزيد عام أربع وستين للهجرة (1)، فقد أشهد من حضره أنه وليّ لابن عفان في الدنيا والآخرة، وولى لأولياؤه، وعدو لأعدائه. (2)

الأمر الثالث: على الرغم من أن المختار قاتل إلى جانب ابن الزبير أثناء حصار الأمويين لبيت الله الحرام في خلافة يزيد بن معاوية (60 هـ - 64 هـ -)، فهو ليس بالضرورة على رأيه، فقد ذكر الطبري (3): بسنده عن هشام بن محمد الكلبي: «وقدم عليه، يعنى ابن الزبير، كل أهل المدينة، وقد قدم عليه نجدة بن عامر الحنفي في أناس من الخوارج يمنعون البيت»، وقاتلوا معه وهم ليسوا على رأيه، وذكر الطبري أيضاً بسنده عن أبي مخنف قول الخوارج: «فإن يكن على رأينا - أي عبد الله بن الزبير - جاهدنا معه العدو، وإن يكن على غير رأينا دافعنا عن البيت ما استطعنا..» (4)، ولما عوتب ابن الزبير على قتال الخوارج معه قال: «لو شايعتني الترك والديلم على قتال أهل الشام لشايعتها». (5)

وحسب رواية البلاذري (6) أنه قال: «لو أعانتني الشياطين على أهل الشام لقاتلتهم بهم» وهذا يوضح أن ابن الزبير قد استعان بالكثير من الناس في

ص: 83

---

1- (1) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 5، ص 363.

2- (2) ينظر: المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج 3، ص 196-198؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 381-382.

3- (3) - تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 337.

4- (4) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 381.

5- (5) - المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج 5، ص 199.

6- (6) - جمل من أنساب الأشراف، ج 5، ص 360.

قتال الأمويين، وهو على علم بأنهم ليسوا على رأيه، فكل ما كان يعنيه هو تحقيق النصر على الأمويين.

وذكر ابن سعد(1) بسنده عن الواقدي: «قاتل مع ابن الزبير، المسور بن مخرمة(2)، وأمده بالسلاح، وقاتل معه مواليه، وهم كهول من الفرس، فقتلوا عدداً من أهل الشام».

وروى أن الأحباش قاتلوا أهل الشام مع ابن الزبير فقد ذكر البلاذري(3) بسنده عن المدائني: «أرسل النجاشي جماعة من الحبش للدفاع عن الكعبة وأعان ابن الزبير بهم، فضمهم إلى أخيه مصعب بن الزبير فكانوا يقاتلون معه..»، وربما هذه الرواية في قتال الأحباش مع ابن الزبير تفتقر إلى الدقة والموضوعية، لكن البلاذري لا يستغرب قتال الأحباش مع ابن الزبير وهم قطعاً أبعد من المختار وغيره من العرب في صلتهم ببيت الله وهؤلاء الأحباش من المؤكد أنهم ليسوا على رأى ابن الزبير.

ويتضح من خلال ما تقدم أنّ الكثير قاتلوا مع ابن الزبير أثناء حصار الأمويين الأول للكعبة، بدوافع وأهداف متعددة، كان من أهمها الدفاع عن

ص:84

---

1- (1) - الطبقات، ج 6، ص 528-529.

2- (2) - هو المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، ويكنى أبا عبد الرحمن، وأمه عاتكة بنت عوف وهي أخت عبد الرحمن بن عوف، ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين، وتوفى فيها يوم جاء نعي يزيد بن معاوية سنة أربع وستين للهجرة. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج 6، ص 521-532؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 390-394.

3- (3) - جمل من أنساب الأشراف، ج 5، ص 362.

بيت الله الحرام لمكانته المقدسة عند المسلمين، وفضلاً عن هذا الهدف فلدى المختار هدف آخر هو عداؤه للأمويين، وهذا ما أشار إليه إبراهيم بيضون(1) عندما ذكر الذين قاتلوا مع ابن الزبير فقال: «والمختار الثقفى، الذى كان منفيًا من الكوفة، ووجد فى ابن الزبير حليفاً ضد العدو الأموى المشترك».

ويبدو أن المختار وجد الفرصة سانحة فى ضوء تلك الظروف التى يمر بها المسلمون فى الدفاع عن الكعبة، فأدى دوراً بطولياً مشرفاً، أعترف به معاصروه فقال ابن الزبير: «ما أبالى إذا قاتل معى المختار من لقيت فأنى لم أر أشجع منه قط...»(2).

ومن الطبيعى أن يكون شخصٌ مثل المختار يتميز بصفات عديدة ويشار إليه بالبنان، طموحاً ويسعى إلى تغيير الواقع الإسلامى فى تلك المرحلة، فكان المختار على الرغم من نزعة الطائف الأموية، يتزعم الفئة التى عاشت بين الحياد والمعارضة فى تلك الحقبة التاريخية(3). فوجد فى الدفاع عن الكعبة، والوقوف إلى جانب ابن الزبير فى ذلك الوقت هو قراراً صائباً، وهذا ما يفسر عدم بقائه مع ابن الزبير بعد تلك المرحلة.

#### رابعاً: المختار والكيسانية

اختلف المؤرخون القدامى فى تحديد تعريفهم للكيسانية، ومن هو

ص:85

---

1- (1) - الحجاز والدولة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت 1995 م، ص 341.

2- (2) - البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 5، ص 360.

3- (3) - بيضون، الحجاز والدولة الإسلامية، ص 342.

كيسان، فأثناء حديث ابن قتيبة(1) وأبن عبد ربه الأندلسي(2) والبغدادى(3) وابن حزم(4) وسبط بن الجوزى(5) عن الكيسانية قالوا: «هؤلاء أتباع المختار ابن أبي عبيد».

أما ابن منظور:(6) فيرى أن: «الكيسانية صنف من الروافض أصحاب المختار بن أبي عبيد»،

بينما يرى الشهرستاني(7) عندما تحدث عن المختارية فقال: «أصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي، كان خارجياً، ثم صار زبيرياً، ثم صار شيعياً وكيسانياً»..

والكيسانية حسب رأى البغدادى(8) وغيره: هي مجموعة فرق يجمعهم القول بإمامة محمد ابن الحنفية ويقولون بجواز البداء(9) على الله وسميت نسبة

ص:86

- 
- 1- (1) - المعارف، ص 622
  - 2- (2) - العقد الفريد، ج 2، ص 384.
  - 3- (3) - الفرق بين الفرق، ص 46
  - 4- (4) - الفصل فى الملل والأهواء والنحل، تحقيق: يوسف البقاعى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، 2002 م، ج 3، ص 12.
  - 5- (5) - تذكرة الخواص، ص 293
  - 6- (6) - لسان العرب، ج 4، ص 3514.
  - 7- (7) - الملل والنحل، ص 144
  - 8- (8) - ينظر: البغدادى، الفرق بين الفرق، ص 46؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ص 143-147؛ العكيدى، على فرعون، محمد ابن الحنفية ودوره فى الحياة الفكرية والسياسية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2007 م، ص 96-110.
  - 9- (9) - ينظر: فى معنى البداء من خلال البحث، ص 53-56.

إلى اسم كيسان مؤسس هذه الفرقة، وعلى الرغم من هذه الصلة بين اسم هذه الفرقة ومؤسسها، فقد اختلف المؤرخون في تحديد هوية كيسان، فالبلاذرى (1) يجزم بأن أبا عمرة صاحب حرس المختار هو كيسان فقال: «وولى حرسه كيسان مولى عُرينة، ويكنى أبا عمرة، وهو صاحب الكيسانية»، ولا يرى النوبختي (2) فرقاً بين الكيسانية والمختارية، مضيفاً أنّ محمد ابن الحنفية هو من طلب من المختار طلب قتلة الحسين وتنفيذ القصاص بهم وسماه كيسان لكياسته ولما عُرف من قيامه ومذهبه فيهم، لكنه يعزو في موضع آخر سبب تسميته بكيسان إلى صاحب شرطته فيقول: «وإنما لُقّب المختار كيسان بصاحب شرطته الممكنى بأبي عمرة كان اسمه كيسان». (3)

ويرى الأشعري (4) سبب تسميتهم بالكيسانية فيقول: «وإنما سموا كيسانية لأن المختار الذى خرج وطلب بدم الحسين بن على ودعا إلى محمد ابن الحنفية كان يقال له كيسان، ويقال: إنه مولى لعلى بن أبى طالب رضوان الله عليه»، وأثناء حديث ابن عبد ربه الأندلسي (5) عن فرق الشيعة قال: «من الروافض الكيسانية؟ قلت: وهم أصحاب المختار بن أبى عبيد، ويقولون إنّ اسمه كيسان».

ص: 87

---

1- (1) - جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 395.

2- (2) - فرق الشيعة، ص 24.

3- (3) - فرق الشيعة، ص 20-21.

4- (4) - مقالات الإسلاميين، ج 1، ص 89-90.

5- (5) - العقد الفريد، ج 2، ص 384.

وعند حديث كلِّ من الكشي والطوسي(1) عن المختار والكيسانية قالوا: «والمختار هو الذي دعا الناس إلى محمد بن علي بن أبي طالب ابن الحنفية وسموا الكيسانية، وهم المختارية، وكان لقبه كيسان، ولقب بكيسان لصاحب شرطته المكنى أبا عمرة وكان اسمه كيسان، وقيل إنّه سمى كيسان بكيسان مولى علي بن أبي طالب (عليه السلام)».

بينما نجد الأمر أكثر اختلافاً وغموضاً عند المسعودي(2) فيقول: «وإنما سمووا بالكيسانية لإضافتهم إلى المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان اسمه كيسان، ويكنى أبا عمرة، وأن علي بن أبي طالب سماه بذلك، ومنهم من رأى أن كيسان أبا عمرة هو غير المختار».

وعندما يروى المسعودي(3) ما جرى بين المختار ومصعب فيقول: «والمختار معه خلق كثير من الشيعة قد سموا الخشبية من الكيسانية وغيرهم... فكان جملة من أدركه الإحصاء ممن قتله مصعب مع المختار سبعة آلاف رجل، كل هؤلاء طالبون بدم الحسين، وقتله أعدائه، فقتلهم مصعب، وسماهم الخشبية...».

ويرى النعمان المغربي(4) أنما «سموا الكيسانية بكيسان رئيسهم، وكان فيما قيل مولى لعليّ عليه السلام، وكان مع المختار يتتبع قتلة الحسين عليه السلام».

ص: 88

---

1- (1) - رجال الكشي، ص 99؛ اختيار معرفة الرجال، ج 1، ص 342.

2- (2) - مروج الذهب، ج 3، ص 93-94.

3- (3) - مروج الذهب، ج 3، ص 116-117.

4- (4) - شرح الأخبار، ج 3، ص 315.



بينما قال البغدادي(1) أثناء حديثه عن الكيسانية: «وكان المختار يقال له: كيسان، وقيل: إنه اخذ مقالته عن مولى لعليّ رضى الله عنه كان اسمه كيسان».

وعندما ذكر الشهرستاني(2) الكيسانية قال: «أصحاب كيسان، مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وقيل تلميذ للسيد محمد ابن الحنفية رضى الله عنه...».

في حين يرى الصفدي(3): أن «الكيسانية فرقة من الرافضة منسوبة إلى كيسان مولى عليّ رضى الله عنه أخذ العلوم من السيد محمد ابن الحنفية وقرأ عليه وأقتبس الأسرار منه...».

وقال ابن خلدون(4): الكيسانية نسبة إلى كيسان مولى الإمام عليّ (عليه السلام)، أما المجلسي(5) فذكر: «الكيسانية وهم أصحاب المختار، وإنما سميت بهذا الاسم لأن المختار كان اسمه أولاً كيسان، وقيل: إنه سمي بهذا الاسم لأن أباه حملة وهو صغير، فوضعه بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام قالوا: فمسح يده على رأسه وقال: كيس كيس، فلزمه هذا الاسم، وزعمت فرقة منهم أن محمد بن علي استعمل المختار على العراقيين بعد قتل

ص:89

---

1- (1) - الفرق بين الفرق، ص 46.

2- (2) - الممل والنحل، ص 144.

3- (3) - الوافي بالوفيات، ج 24، ص 287.

4- (4) - تاريخ ابن خلدون، ج 1، ص 248.

5- (5) - بحار الأنوار، ج 37، ص 1.

الحسين (عليه السلام)، أمره بالطلب بثاراته، وسماه كيسان لما عرف من قيامه ومذهبه... ..

ويتبين من خلال ما تقدم، أنّ شخصية كيسان التي نسب إليه تأسيس الكيسانية، هو شخصية غامضة لم يتفق المؤرخون على تحديد هويته، التي يمكن أن نجملها بما يلي:

1 - مولى الإمام عليّ (عليه السلام) الذي أستشهد في صيفين سنة سبع وثلاثين للهجرة (1).

2 - المختار بن أبي عبيد، واختلفوا في سبب تسميته بذلك.

3 - تلميذ محمد ابن الحنفية (رضى الله عنه).

4 - أبو عمرة صاحب شرطة المختار.

وهذا الاختلاف مدعاة للشك والتساؤل في مدى صحة علاقة المختار بالكيسانية لاسيما إذا علمنا أن هناك علاقة واضحة بين مؤسس الكيسانية واسم كيسان، وهذا ما نلاحظه من خلال إصرار قسم من المؤرخين على إضافة اسم أو لقب كيسان إلى المختار من أجل خلق مبرر منطقي بين المختار والكيسانية، ولا يستغرب أن هناك عدم دقة في تلك المعلومات المتعلقة بالكيسانية، فهم ينسبون تأسيسها إلى كيسان مولى الإمام عليّ (عليهم السلام) وهو المستشهد يوم صيفين سنة 37 هـ - (2) أي أنه متوفى قبل الادعاء

ص: 90

1- (1) - ينظر: المنقري، وقعة صيفين، ص 117-118.

2- (2) - المصدر السابق.

ومن خلال ما تقدم يمكن القول إن اسم كيسان الذى ألصق بالمختار، كان اسماً لصاحب شرطة المختار المكنى بأبي عمرة، الذى كان له اليد الطولى فى الكوفة بعد قيام ثورة المختار فى الاقتصاص من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) فقد ذكر الدينورى (1) عندما تحدث عن غلبة المختار على الكوفة قال: «وولى الشرطة كيسان أبا عمرة، وأمره أن يجمع الف رجل من الفعلة بالمعاول، وتتبع دور من خرج لقتال الحسين بن على فيهدمها. وكان أبو عمرة بذلك عارفاً...». وقال عنه الكشى: (2) «وكان صاحب سره والغالب على أمره وكان لا يبلغه عن رجل من أعداء الحسين (عليه السلام) أنه فى دار أو موضع إلا قصده وهدم الدار بأسرها...»..

الأمر الثانى الذى اعتمد عليه المؤرخون فى صلة المختار بالكيسانية هى أنها دعت إلى إمامة محمد ابن الحنفية، ومادام المختار قد دعا الناس إلى محمد ابن الحنفية فهم يرون من الطبيعى أن يكون كيسانياً، وهذا ما ذهب إليه البغدادى (3) فيقول: «وافترقت الكيسانية فرقاً يجمعها شيئان: أحدهما قولهما بإمامة محمد ابن الحنفية واليه يدعو المختار بن أبى عبيد»..

وعلق السيد الخوئى (4) على القول بأن المختار دعا بالإمامة إلى محمد

1- (1) - الدينورى، الأخبار الطوال، ص 268.

2- (2) - رجال الكشى، ص 99.

3- (3) - الفرق بين الفرق، ص 46.

4- (4) - معجم رجال الحديث، ج 19، ص 110.

ابن الحنفية فيقول: «وهذا القول باطل جزماً، فإنّ محمد ابن الحنفية لم يدع الإمامة لنفسه حتى يدعو المختار الناس إليه، وقد قتل المختار ومحمد ابن الحنفية حي، وإنما حدثت الكيسانية بعد وفاة محمد ابن الحنفية».

بيد أن المختار قد استند في شرعية ثورته إلى محمد ابن الحنفية وهذا لا يخفى على احد، فكان المختار يقول: جئت من قبل محمد ابن الحنفية، وذلك لعلمه بمكانته عند الشيعة، وعرض نفسه بوصفه شخصية سياسية، وكان تأييد محمد ابن الحنفية للمختار من المرتكزات الأساسية لنجاح ثورته، فلم يلتف الشيعة حوله ولم يجمعهم إلا بعد أن ذهب وفد من أهل الكوفة يترأسه رجل وصف بأنه عظيم الشرف(1) ، فالتقى الوفد بمحمد ابن الحنفية، وبعد أن بينوا له الأمر، قال لهم: فوالله لو ددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه، فخرجوا من عنده وهم يقولون قد أذن لنا، ولما وصلوا إلى الكوفة قالوا للمختار: قد أمرنا بنصرتك، حينها كبر المختار، وأمر بجمع الشيعة له.(2)

يتضح من خلال ذلك أن تأييد محمد ابن الحنفية لثورة المختار أعطى

ص:92

---

1- (1) - كان رئيس الوفد عبد الرحمن بن شريح ومعه سعيد بن منقذ الثوري، وسعر بن أبي سعر الحنفي، والأسود بن جراد الكندي، وقدامه بن مالك الجشمي. ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 38-39؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 639؛ ابن نما الحلبي، ذوب النصار، ص 94.

2- (2) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 38-40؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 639-640.

الصفة الشرعية لها، بل يرى ابن نما الحلبي(1) أن هذا التأييد بتحويل من الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) لعمه محمد ابن الحنفية في قضية الأخذ بالثأر وقوله له: «يا عم لو أن عبداً زنجياً تعصب لنا أهل البيت، لوجب على الناس مؤازرته، وقد وليتك هذا الأمر فاصنع ما شئت».

وفي ظل الظروف المعقدة في ذلك الوقت ليس غريباً أن يناهى الإمام زين العابدين (عليه السلام) بنفسه عن الأمور السياسية والعسكرية ويتجنب الخوض في غمارها بشكل علني، ويرى السيد المكرم(2) في دعوة المختار لمحمد ابن الحنفية «هو ضرب من التدبير وتمويه في السياسة يقصد به تنزيه مقام السجاد (عليه السلام) من كل ثورة ضد سلطان الضلال، وحفظاً لشخص الإمامة أن تناله يد سوء والبغضاء...».

ويرى صفاء الخطيب(3): «أن الوضع السياسي كان يقتضى التكتم على إمامة زين العابدين (عليه السلام) خوفاً على دمه من شرار الخلق، فلذلك عندما تصدى محمد ابن الحنفية للزعامة الشيعية في تلك الظروف الحرجة، تصوره البعض إماماً مفترض الطاعة...».

وليس بالأمر الهين أن يحصل المختار على تأييد وموافقة شخص بمكانة وهيبة محمد ابن الحنفية، صاحب المنزلة الكبيرة عند المسلمين، ولمكانته عند

ص:93

---

1- (1) - ذوب النضار، ص 97.

2- (2) - تنزيه المختار، ص 17.

3- (3) - دولة المختار الثقفى، ص 527.

الإمام عليّ (عليه السلام)، وقربه من أخويه الحسن والحسين (عليهما السلام) وهو ما يفسر قوله: «أنى لو أردت القتال لوجدت الناس إلى سراعاً، والأعوان لى كثيراً».. (1) فكان له لواء يحج أصحابه فى ظله (2) مما يدل على تلك المكانة الرفيعة له عند المسلمين. فكان من أهم عوامل نجاح ثورة المختار هو تأييد محمد ابن الحنفية لها، وثورته ليست ببعيدة عن ثورة أهل المدينة، والتي تعزى الهزيمة فيها لعدم حصولها على تأييد البيت العلوى. (3)

أما قول المختار إنّ محمد ابن الحنفية هو المهدي، فلم يكن ذلك من قبل المختار وحده، فقد ذكر ابن سعد (4) فى طبقاته أنه: «كانوا يسلمون على محمد بن علي: سلام عليك يا مهدي. فقال: أجل أنا مهدي أهدى إلى الرشد والخير، اسمى أسم نبي الله وكنيتى كنية نبي الله،...»..

الأمر الثالث: الذى استند إليه البعض فى إصاق الكيسانية بالمختار قوله بالبدا، وهم يشيرون بذلك إلى المعركة التى حدثت بين المختار بن أبى عبيد وجيش مصعب بن الزبير فى حروراء، تلك المعركة التى خسر فيها المختار وأصحابه أمام جيش مصعب، فذكروا أن المختار قال له بعض أصحابه بعد

ص: 94

- 
- 1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 82؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 668.
  - 2- (2) - وقف فى سنة ثمان وستين أربعة ألوية للحج، لواء لمحمد ابن الحنفية، ولواء عبد الله بن الزبير وأصحابه، ولواء لبنى أمية، ولواء لنجدة الحرورى. ينظر: الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 128؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 706.
  - 3- (3) - عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسى، ص 88.
  - 4- (4) - الطبقات، ج 7، ص 96.

أن خسر المعركة: ألم تكن وعدتنا الظفر وإنا سنهزم مهم؟ فقال: أما قرأت كتاب الله تعالى: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)1  
(1) وهذا الأمر يجانب الحقيقة لسببين:

الأول: أن هذا القول الذى نسب للمختار، ذكره الطبرى بسنده عن أبى مخنف ونسبه إلى أحد أصحاب المختار فقال: «أن عبد الله بن نوف خرج من بيت هند بنت المتكلفة(2) حين خرج الناس إلى حروراء، وهو يقول: يوم الأربعاء، ترفعت السماء، ونزل القضاء، بهزيمة الأعداء. فاخرجوا على اسم الله إلى حروراء. فخرج، فلما التقى الناس للقتال، ضرب على وجهه ضربة، ورجع الناس منهزمين، ولقيه عبد الله بن شريك النهدي، وقد سمع مقالته، فقال له: ألم تزعم لنا يا بن نوف أنا سنهزم مهم؟ قال: أو ما قرأت فى كتاب الله (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)4»(3)

ويبدو أن رواية الطبرى أكثر دقة من غيرها، وذلك للأسباب التالية:

ص:95

- 
- 1- (2) - ابن أعثم الكوفى، كتاب الفتوح، ج 6، ص 289؛ ابن الاثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 686.
  - 2- (3) - هند بنت المتكلفة الناعطية، كان يجتمع إليها كل غالٍ من الشيعة، فيتحدث فى بيتها وفى بيت ليلى بنت قمامة المزنية، حتى وصل خبرهما إلى محمد ابن الحنفية. ينظر: الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 103؛ التستري، محمد تقى، قاموس الرجال، مؤسسة النشر الإسلامى، قم، 1425 هـ -، ج 12، ص 351.
  - 3- (5) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 103-104.

(1) أن الطبري أورد روايته مسندة في حين أورد ابن أعثم وابن الأثير روايتهما دون إسناد.

(2) حددت الرواية اليوم الذي وقعت فيه المعركة.

(3) أوردت الرواية اسم الشخص الذي تسائل عن النصر في المعركة.

(4) ورد في رواية الطبري أن الذي تنبأ بالنصر هو عبد الله بن نوف، والتي أشارت الشواهد التاريخية أنه يفعل أموراً دون علم المختار مما جعل المختار يتبرأ منه (1).

(5) ومما يرجح رواية الطبري كذلك، أن الجواب «أو ما قرأت في كتاب الله» ورد بصيغة المفرد مما يدل على أن الذي تسائل كان شخصاً واحداً كما أورده الطبري.

يتضح مما تقدم أن الذي تنبأ بالنصر في المعركة التي هُزم فيها المختار أمام جيش مصعب هو عبد الله بن نوف ولما سُئل عن ذلك النصر أجاب بذكر قوله تعالى (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) 2. ولم يكن القول المتقدم للمختار حسب رواية الطبري التي أشرنا إليها

السبب الثاني: هو قضية البدء نفسه، فالبدء لغةً يعنى الظهور، من قولهم: بدا الشيء، أي ظهر لي (2)، أما اصطلاحاً فيعرفه الشريف المرتضى:

ص: 96

1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 89؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج 5، ص 53.

2- (3) - الرازي، مختار الصحاح، ص 31؛ ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص 248.



«هو الأمر بالفعل الواحد بعد النهى عنه، أو النهى عنه بعد الأمر به مع اتحاد الوقت والوجه والأمر والمأمور»(1)، وكذلك يعرفه الحلبي(2) بالقول: «والبداء هو النهى عن نفس ما وقع به الأمر به أو الأمر بنفس ما حصل النهى عنه، وإنما يكون كذلك بأن يكون ما تعلق به النهى والأمر واحداً، والمأمور والمنهى واحداً، والوقت والوجه واحداً...».

وروى الكليني(3) بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما عظم الله بمثل البداء»، ويرى الشيخ الصدوق(4) في باب الاعتقاد في البداء فيقول: «إنّ اليهود قالوا إنّ الله قد فرغ من الأمر. قلنا: بل هو تعالى كل يوم هو في شأن، لا يشغله شأن عن شأن، يحيى ويميت، ويخلق ويرزق، ويفعل ما يشاء. وقلنا: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتْ وَعَدَدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) 5، وأنه لا- يمحوا إلا ما كان، ولا يثبت إلا ما لم يكن. وهذا ليس ببداء كما قالت اليهود وإتباعهم فنسبتنا اليهود في ذلك إلى القول بالبداء، وتابعهم على ذلك من

ص: 97

- 
- 1- (1) - الشريف المرتضى، على بن الحسين (ت: 436 هـ - 1044 م)، رسائل المرتضى، قدم له: أحمد الحسيني، دار القرآن الكريم، قم 1405 هـ -، ج 2، ص 264.
  - 2- (2) - أبو الصلاح (ت: 447 هـ - 1055 م)، الكافي في الفقه، تحقيق: رضا أستاذي، مكتبة الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام، أصفهان، د. ت، ص 80.
  - 3- (3) - محمد بن يعقوب (ت: 329 هـ - 940 م)، أصول الكافي، علق عليه: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثالثة، دار الكتب الإسلامية، طهران 1388 هـ -، ص 146.
  - 4- (4) - محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت: 381 هـ - 991 م)، الاعتقادات في دين الامامية، تحقيق: عصام عبد السيد، الطبعة الثانية، دار المفيد، بيروت، 1993 م، ص 40.

خالفنا من الأهواء المختلفة».

ويتضح من قول الشيخ الصدوق الآنف الذكر، أن هناك بعض الفرق التي تختلف في الأهواء عن الإمامية تتهمهم بالبداء.

ويؤكد الشهرستاني(1) أن للبداء الكثير من المعاني، منه البداء في العلم، والبداء في الإرادة والبداء في الأمر، وان هناك تداخلاً بين النسخ والبداء، وهو يرى بأن المختار: «كان لا يفرق بين النسخ والبداء، قال: إذا جاز النسخ في الأحكام، جاز البداء في الإخبار».

ويبدو من خلال ذلك أن البداء من المسائل العقائدية المختلف عليها بين المذاهب الإسلامية، بحيث يصف صاحب الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل البداء بأنه: «أحد البحوث العويصة بين الشيعة والسنة»(2).

يقول أحد الباحثين(3): «إن من العقائد الثابتة عند الشيعة الإمامية، هو القول بالبداء، ومن الكلمات الدارجة بين علمائهم أن النسخ والبداء صنوان(4)، غير أن الأول في التشريع والثاني في التكوين» ويرى الباحث نفسه

ص:98

---

1- (1) - المملل والنحل، ص 145.

2- (2) - الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الطبعة الثانية، دار الأميرة، بيروت، 2009 م، ج 7، ص 427.

3- (3) - السبحاني، جعفر، أضواء على عقائد الشيعة الامامية، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، قم 1421 هـ -، ص 427.

4- (4) - صنوان: وتعني أن أصلهما واحد، عم الرجل صنو أبيه، ويقال فلان صنو فلان أى أخوه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 2، ص 2250.

أثناء حديثه عن الكيسانية: «أنّ القول بالبداء ليس من عقائد هذه الطائفة وإنما هو عقيدة إسلامية جاء بها القرآن الكريم ونصت به السنة النبوية ولو فسرت على وجه صحيح لعلم أن المسلمين باجمعهم متفقون على القول بها»<sup>(1)</sup>. ويبيّن أحد الباحثين<sup>(2)</sup> التداخل بين البداء والناسخ والمنسوخ فقال: «إنّ القول بالبداء هو المقالة الوحيدة التي نستطيع بهديها أن نفسر لك الناسخ والمنسوخ في القرآن، كالحكمة فيما ورد من تحريم الخمر، وكيف تدرج ذلك التحريم في صورة مراحل ليعالج سبحانه بذلك اعوجاج النفس البشرية..»، ويرى السيد الخوئي<sup>(3)</sup> أن «القول بالبداء: هو الاعتراف الصريح بأن العالم تحت سلطان الله وقدرته في حدوثه وبقائه، وأنّ إرادة الله نافذة في الأشياء أزلاً وأبداً، بل وفي القول بالبداء يتضح الفارق بين العلم الإلهي وبين علم المخلوقين.... والقول بالبداء يوجب انقطاع العبد إلى الله وطلبه إجابة دعائه منه وكفاية مهماته، وتوفيقه للطاعة، وإبعاده عن المعصية، فإن إنكار البداء والالتزام بأن ما جرى به قلم التقدير كائن لا محالة دون استثناء يلزمه يأس المعتقد بهذه العقيدة عن إجابة دعائه..».

ويبدو أن قول المختار بالبداء لم يكن دقيقاً، فبالإضافة لاختلاف

ص: 99

- 
- 1- (1) - السبحاني، جعفر، بحوث في المثل والنحل دراسة موضوعية مقارنة للمذاهب الإسلامية، الطبعة الثانية، مؤسسة الإمام الصادق، قم 1423 هـ -، ج 7، ص 33.
  - 2- (2) - المظفر، محمد رضا، عقائد الأمامية، قدم له: حامد حفني داود، مؤسسة الأنصار، قم، د. ت، ص 26.
  - 3- (3) - أبو القاسم الموسوي، البيان في تفسير القرآن، الطبعة الثانية، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، قم، 2007 م، ج 50، ص 390-391.

الروايات فى القول الآنف الذكر أهو قوله أم قول أحد أصحابه عبد الله بن نوف، فإن سلمنا بأنّ القول هو للمختار فقضية البدء وكما أشرنا هى من القضايا العقائدية المختلف عليها وقول المختار بالبدء كان من ضمن ما يعتقده الشيعة الإمامية فى المسائل العقائدية.

وبعد أن استعرضنا علاقة المختار بالكيسانية من خلال اسم كيسان، والدعوة بالإمامة إلى محمد ابن الحنفية والقول بالبدء، وما ورد فيهما من اختلاف وتناقض بين المؤرخين، إضافة إلى أن تلك الروايات وردت دون إسناد، نجد هناك ما يدل على عدم دقة تلك الروايات لدى المؤرخين والتي ينسبونها إلى المجهول فذكروا: يقولون، وقيل، ويقال.

زيادة على ذلك فإن هناك غموضاً وتداخلاً فى روايات المؤرخين فى تحديد من هم المقصودون بالكيسانية، فىرى النوبختى(1): أن الكيسانية هم أنفسهم المختارية، فى حين يقول ابن حزم(2) عندما ذكر الكيسانية: «وهم أصحاب المختار بن أبى عبيد، وهم عندنا شعبة من الزيدية..»، وحين ذكر الشهرستانى(3) المختارية قال: إنها إحدى فرق الكيسانية، أما المسعودى(4) فيذكر أن الذين قاتلوا مع المختار خلق كثير من الشيعة قد سموا الخشبية من الكيسانية وغيرهم، ثم ذكر بعد ذلك: أن مصعباً قتل سبعة الاف من أصحاب

ص:100

---

1- (1) - فرق الشيعة، ص 24.

2- (2) - الفصل فى الملل والأهواء والنحل، ج 3، ص 97

3- (3) - الملل والنحل، ص 144.

4- (4) - مروج الذهب، ج 3، ص 116، 117.

المختار، وسماههم الخشبية، فى الوقت نفسه ذهب البلاذرى(1) إلى القول: إنَّ عبد الله بن الزبير هو من سُمى أصحاب المختار بالخشبية، وذلك عندما بعثهم المختار لنصرة محمد ابن الحنفية وأهل بيته وأصحابه، حين سجنهم ابن الزبير وأعد الحطب لإحراقهم، فجاء هؤلاء، وكسروا السجن وأخرجوهم منه وهم ينادون بالثارات الحسين فقال ابن الزبير: واعجباً لهذه الخشبية، ينعون الحسين كأنى أنا قاتله... وقيل: لهم: خشبية؛ لأنهم دخلوا مكة وبأيديهم الخشب، كراهة إشهار السيوف فى الحرم، أو لأنهم وثبوا على الخشب الذى كان ابن الزبير جمعه حول زمزم لإحراق ابن الحنفية وأصحابه، فأخذ كل امرئ منهم بيده خشبة من ذلك الحطب الذى أعده ابن الزبير(2).

وحسب هذه الروايات أن أصحاب المختار لهم أكثر من مسمى فقد وردت الكيسانية والمختارية والخشبية، وجعلهم ابن حزم شعبة من الزيدية، وهذا التداخل والاختلاف بين روايات بعض المؤرخين يشير الكثير من الشكوك، فقول المسعودى: إنَّ مع المختار خلقاً كثيراً من الشيعة قد سموا الخشبية من الكيسانية وغيرهم، إشارة إلى أن هناك من أصحاب المختار هم من غير الكيسانية. وإن صح قول ابن حزم أنهم شعبة من الزيدية، يدل على أن الكيسانية حدثت بعد وفاة المختار بمدة ليست بالقصيرة، وأحصى الأشعرى فرق الكيسانية إحدى عشرة فرقة، تسع فرق منها اختلفوا فى وفاة

ص:101

1- (1) - جمل من أنساب الأشراف، ج 3، ص 467؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 670.

2- (2) - البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 3، ص 467؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 670.

محمد ابن الحنفية ووصيته(1) وهذا يعضد رأى السيد الخوئي(2): أن الكيسانية حدثت بعد وفاة محمد ابن الحنفية، وقد قتل المختار بن أبي عبيد ومحمد ابن الحنفية على قيد الحياة، وإن لم يصح قول ابن حزم فهو يوضح مدى الاختلاف والتناقض بين روايات المؤرخين فى بعض النصوص التاريخية بشأن المختار.

ولا يستبعد أن العباسيين قد روجوا لفكرة الكيسانية وأعطوها أكثر من حجمها الحقيقى، إن لم يكن هناك خلق كامل لها من قبلهم، فهم استندوا فى أحقيتهم بالخلافة عليها، وذلك من خلال وصية أبى هاشم بن محمد ابن الحنفية إلى محمد بن على بن عبد الله بن العباس، وأوصى محمد إلى ابنه إبراهيم الإمام، وأوصى إبراهيم إلى أخيه عبد الله الملقب بالسفاح، وأوصى هو إلى أخيه المنصور وانتقلت فى ولده بالنص واحداً بعد واحد إلى آخرهم(3).

ونسب مؤلف أخبار الدولة العباسية الكيسانية إلى المختار بن أبى عبيد وقال: «كان يلقب كيسان، وهو أول من قال بإمامة محمد بن على، وبها كان يقول على بن عبد الله وولده إلى أيام المهدي(4) (158 هـ - 169 هـ-)، وكان

ص:102

---

1- (1) - الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج 1، ص 95.

2- (2) - معجم رجال الحديث، ج 19، ص 110.

3- (3) - الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج 1، ص 92-94؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 1، ص 250؛ الليثى، سميرة مختار، جهاد الشيعة فى العصر العباسى الأول، دار الكتاب العربى، قم، 2007 م، ص 51؛ الخطيب، دولة المختار، ص 528.

4- (4) - هو محمد بن المنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد بن على العباسى، ولد فى سبع وعشرين ومائة للهجرة، وأمه أم موسى الحميرية، تولى الخلافة بعد وفاة والده المنصور عشر سنوات

تشيع العباسية أصله من قبل محمد ابن الحنفية، والى ذلك دعا أبو مسلم(1) حتى كان زمان المهدي (158 هـ - 169 هـ -)، فردهم إلى إثبات الإمامة للعباس بن عبد المطلب، وقال لهم: إنَّ الإمامة كانت للعباس عم النبي (صلى الله عليه واله وسلم)... ثم من بعده عبد الله بن العباس،... ثم المهدي». (2)

واستنتج أحد الباحثين: (3) «أنَّ العباسيين قد موهوا على الناس، واستطاعوا أن يخدعواهم... فصنعوا سلسلة الوصاية المعروفة عنهم من على بن أبي طالب، إلى محمد ابن الحنفية، وإلى أبي هاشم، فإلى على بن عبد الله بن العباس، وهكذا، وهى فى الحقيقة نفس عقيدة الكيسانية..»، وهذا الاستنتاج تطابق مع ما يراه السبحاني(4) «أنَّ المذهب الكيساني تحدقه إيهامات

ص: 103

- 
- 1- (1) - هو أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم، ويقال: عبد الرحمن بن عثمان بن يسار الخراساني، الأمير، صاحب الدعوة العباسية، وهازم جيوش الأمويين، ولد سنة مئة للهجرة، وأول ظهور له فى سنة تسع وعشرين ومائة فى خراسان وكان واليها نصر بن سيار من قبل الأمويين، دخل خراسان وملكها بعد تسع سنوات، وتقدم منها إلى العراق وبلاد الشام بكتائب أمثال الجبال فقلب دولة وأقام دولة، قتله أبو جعفر المنصور فى سنة سبع وثلاثين ومائة للهجرة. ينظر: الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج 6، ص 48-73.
  - 2- (2) - مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، تحقيق: عبد العزيز الدورى، دار صادر، بيروت د. ت، ص 165-166.
  - 3- (3) - مرتضى السيد جعفر، حياة الإمام الرضا (عليه السلام)، دار التبليغ الإسلامى، 1978 م، ص 48.
  - 4- (4) - بحوث فى الملل والنحل، ج 7، ص 40. (158 هـ - 169 هـ -)، توفى سنة تسع وسبعين ومائة للهجرة.. ينظر: الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج 7، ص 400-403؛ السيوطى، تاريخ الخلفاء، ص 259-265.

وغموض في مؤسسه وأتباعه وأهدافه تكاد تدفع الإنسان إلى أنه مذهب مختلق من جانب الأعداء، ملصق بشيعة أهل بيت النبي (صلى الله عليه واله وسلم) لغاية تشويش أذهان الشيعة أولاً وتحطيم سمعة... المختار ثانياً».

وانقراض الكيسانية وعدم استمرارها إلى فترة طويلة يثير الشكوك في غايتها وأهدافها وربما انتفت الحاجة إليها بعد فترة من نشوئها، فقال عنها الشريف المرتضى(1): «إنّ الكيسانية في وقتنا هذا لا بقية لهم ولا يوجد عدد منهم يقطع العذر بنقله بل لا يوجد احد منهم يدخل في جملة أهل العلم....»، ووصفها ابن حزم(2) بأنها: «طائفة قديمة قد بادت...»..

ويبدو من خلال ما تطرقنا له عن الكيسانية ومدى صلتها بالمختار بن أبي عبيد، أن هناك اضطراباً وغموضاً وتداخلاً في الروايات التاريخية حولها، وحسب تلك المعطيات التاريخية التي ذكرت، أنّ الكيسانية قد نشأت وتبلورت أفكارها وعقائدها في فترة ليست بالقصيرة بعد وفاة محمد ابن الحنفية، وهو ما يتضح بسبب اختلافهم في وفاته، ومن أجل أن تكون الكيسانية لها قدرة على جذب الآخرين، وإعطائها الصفة الشرعية، اجتهدت في إرجاع أصل نشأتها إلى شخصيات أدت دوراً مهماً في التاريخ الإسلامي مثل محمد ابن الحنفية، والمختار، وكيسان صاحب شرطة المختار، ولا يستبعد أن هناك من روج ووظف هذا الأمر لصالحه مثل العباسيين، فهم أصحاب تنظيم دقيق لثورتهم، وأحاطوا ذلك

ص:104

1- (1) - الفصول المختارة، ص 304-305.

2- (2) - الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج 3، ص 12.



بسرية تامة، وكان شعارهم الرضا من آل محمد، ولم يكن ذلك حقيقياً.

### خامساً: المختار بين الزيدية والرافضة

ذهب ابن حجر العسقلاني(1) إلى القول بأن المختار كان زيدياً، وقوله يدل على أن بعض الروايات التاريخية بشأن المختار تقتصر إلى الدقة والموضوعية في طرحها، ويبدو ثمة تحاملاً واضحاً لدى البعض من المؤرخين في إصاق التهم إليه دون ذكر أى دليل يعضد ذلك.

ومن المسلم به أن زيد بن علي بن الحسين (عليه السلام) قد أعلن ثورته في الكوفة على الخلافة الأموية زمن هشام بن عبد الملك (105 هـ - 125 هـ) (2) وكان السبب المباشر لها تلك المقابلة السيئة التي قابله بها هشام بن عبد الملك، حيث قال له: لقد بلغني أنك تذكر الخلافة وتتمناها، وأنت لست أهلاً لها، وأنت ابن أمة(3)، فقد كانت أم ولد أهداها المختار بن أبي عبيد إلى علي بن الحسين (عليه السلام) (4)، ولم يكن زيد بن علي (عليه السلام) شخصية اعتيادية فقد وصفه ابن الطقطقي(5) بالقول: «كان زيد من عظماء أهل البيت

ص:105

1- (1) - الاصابة في تمييز الصحابة، ج 6، ص 276.

2- (2) الدينوري، الأخبار الطوال، ص 316؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 228؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 7، ص 122-129؛ المسعودي، مروج الذهب، ج 3، ص 235-237؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 19، ص 450-480.

3- (3) - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 227؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 7، ص 113؛ المسعودي، مروج الذهب، ج 3، ص 236؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 19، ص 451.

4- (4) - أبو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبين، ص 124.

5- (5) - الفخرى في الآداب السلطانية، ص 132.

(عليهم السلام) علماً وزهداً وورعاً وشجاعةً ودينياً وكرماً»، فكان رده حاسماً وبديهيّاً على هشام، فقال له: «ويلك مكان أمي يضعني؟ والله لقد كان إسحاق ابن حرة وإسماعيل ابن أمة، فاختص الله عز وجل ولد إسماعيل، فجعل منهم العرب، فما زال ذلك ينمي حتى كان منهم رسول الله...» (1)، ثم خرج من قصر هشام وهو يقول: «ما أحب الحياة أحد قط إلا ذل» (2).

ولم تكن ثورة زيد بن علي عليه السلام ردة فعل على مقابلة هشام فحسب، وإنما كانت ذا أهداف سامية، فقد دعا إلى الكتاب والسنة وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين، ورد المظالم وإرجاع من كان ملازماً فترة طويلة في الثغور، وتقسيم الفيء بين أهله بالسوية، ونصر أهل البيت على من نصب لهم وجهل حقهم (3)، وقد وقف إلى جانبه الكثير من العلماء والفقهاء ومنهم أبو حنيفة النعمان (4).

انتهت تلك الثورة باستشهاد قائدها الذي صلبه الأمويون في كناسة الكوفة وبقي مصلوباً حتى مات هشام بن عبد الملك، إذ أمر الوليد بن يزيد ابن عبد الملك (125 هـ - 126 هـ) أن يحرق جثمان زيد ويذر في نهر الفرات (5)، وكان استشهاده في سنة 122 هـ - (6).

ص: 106

- 
- 1- (1) - تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 227.
  - 2- (2) - ابن سعد، الطبقات، ج 7، ص 320.
  - 3- (3) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 7، ص 117.
  - 4- (4) - أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص 140-141.
  - 5- (5) - أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص 139.
  - 6- (6) - ابن سعد، الطبقات، ج 7، ص 321؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 7، ص 129؛

والمذهب الزيدي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بزید بن علی (عليه السلام) فقد ذكر الأشعري(1) الزيدية فقال: «وإنما سموا زيدية لتمسكهم بقول زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان زيد بويح له بالكوفة في أيام هشام بن عبد الملك..»، وقال البغدادي(2): «فأما الزيدية من الرافضة.... يجمعها القول بإمامة زيد بن علي بن الحسين في أيام خروجه وكان ذلك في أيام هشام بن عبد الملك (105 هـ - 125 هـ - 105 هـ)»، وهو ما أكدته الشهرستاني(3) بقوله: «الزيدية أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة...».

وهكذا يتضح أن المذهب الزيدي وجد إما أثناء حياة زيد بن علي (عليه السلام) أو بعد وفاته، وهي مدة ليست بالقصيرة بين وفاة المختار عام سبع وستين للهجرة وبين استشهاد زيد بن علي (عليه السلام) عام مئة واثنين وعشرين للهجرة، وحسب رواية ابن سعد(4)، وأبي الفرج الأصفهاني(5)، وابن عساکر(6)، أن سن زيد بن علي (عليه السلام) حين استشهاده اثنتان وأربعون سنة، فهو يشير إلى أن زيد بن علي قد ولد بعد وفاة المختار بأكثر من

ص: 107

- 
- 1- (1) - مقالات الإسلاميين، ج 1، ص 129.
  - 2- (2) - الفرق بين الفرق، ص 30.
  - 3- (3) - الملل والنحل، ص 151.
  - 4- (4) - الطبقات، ج 7، ص 321.
  - 5- (5) - مقاتل الطالبين، ص 127.
  - 6- (6) - تاريخ دمشق، ج 19، ص 476.

ومن خلال تلك المعطيات التاريخية يتضح لنا أنه لا توجد أى علاقة بين المذهب الزيدى والمختار بن أبى عبيد، وما ذهب إليه ابن حجر العسقلانى فى هذا القول وغيره بشأن المختار، لابد أن يوضع أمامه الكثير من علامات الاستفهام.

وأما كون المختار رافضياً، وهو ما ذهب إليه قسم من المؤرخين<sup>(1)</sup>، على الرغم من أن البعض يرجع تسمية الرافضة إلى ثورة زيد بن على (عليه السلام) وذلك أن جماعة من أنصاره سألوه حين قام بثورته فى البراءة من أبى بكر وعمر، فقال لهم: بل أتولاهما، عند ذلك قالوا له إذا نرفضك، فسموا هؤلاء بالرافضة<sup>(2)</sup> على الرغم من ذلك فإن تهمة الرفض طالت الكثير من أنصار آل البيت، وأصبح مصطلحاً عاماً يشمل أغلب فرق الشيعة فى نظر الكثير من المؤرخين، ولذلك أرجعوا نشوء الرافضة إلى زمن الإمام على (عليه السلام)، فىرى الأشعرى<sup>(3)</sup>: «وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبى بكر وعمر، وهم مجتمعون على أن النبى صلى الله عليه وسلم نص على استخلاف

ص: 108

---

1- (1) - ابن عبد البر، الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، (تحقيق: عادل مرشد)، ص 716؛ الكتبى، فوات الوفيات، مج 4، ص 123؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 19؛ المقرئى، إمتاع الأسماع، ج 12، ص 249؛ ابن حجر العسقلانى، الإصابة فى تمييز الصحابة، ج 6، ص 276.

2- (2) - الشهرستانى، الملل والنحل، ص 152-153؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج 19، ص 264؛ ابن حجر الهيتمى، الصواعق المحرقة، ص 209.

3- (3) - مقالات الإسلاميين، ج 1، ص 87.

على بن أبي طالب باسمه، وظهر ذلك وأعلنه، وان أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف...»..

ويقول البغدادي(1): «ثم افتقرت الرافضة بعد زمان على رضى الله عنه أربعة أصناف: زيدية، وإمامية، وكيسانية، وغلاة...»، وقال في موضع آخر أثناء حديثه عن الروافض: «وجمهورهم الأكبر من الإمامية يزعمون أن الصحابة كفروا إلا ستة منهم»(2)، في حين وصف ابن حزم(3) الإمامية بجمهور الرافضة، وحسب هذه النظرة لمعنى الرفض فلا يستغرب أن تنسب تهمة الرفض إلى المختار، فهذا المصطلح أخذ منحى آخر وأصبح يطلق على عامة الشيعة فيشمل المختار وغيره بشكل تلقائي وطبيعي.

ويبدو أن هذا التناقض الواضح في أغلب روايات المؤرخين القدامى في مذهب المختار وولائه، هو دليل على ضعف تلك الروايات ووهنها التي تتم عن العدا المفرط لكل من يقف إلى جانب آل بيت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ولذلك كانت تلك التهم تطلق جزافاً فيتلقفها الآخرون دون تدقيق أو تمحيص وكأنها من المسلمات، والبعض منهم يعبر في ذلك عن انتمائه المذهبي فيحاول النيل من المختار بشتى الوسائل، والذي يظهر مما قام به

ص: 109

- 
- 1- (1) - الفرق بين الفرق، ص 29.
  - 2- (2) - البغدادي، كتاب الملل والنحل، تحقيق: ألبير نصرى نادر، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1986 م، ص 155.
  - 3- (3) - الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج 3، ص 12.

المختار أنه على المذهب الإمامي، وأنه أفنى حياته في الدفاع عن آل بيت الرسول، ومن أجل الهدف الأسمى الذي رسمه لنفسه على أثر استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وهو القصاص العادل من قتلته، فكان قيامه بذلك سبباً رئيساً في قيام أعدائه على الرغم من اختلافهم فيما بينهم في بعض الأمور على تليفق شتى أنواع التهم عليه وهو أمر دأب عليه الأمويون والزييريون، وكون هؤلاء تحكموا بمقدرات المسلمين فترة حكمهم أصبحت اتهاماتهم كأنها من المسلمات، فإخلاص المختار وإصراره على القصاص من القتلة دون هوادة يدل على تدينه وموالاته لآل البيت وحبهم لهم، وهذا ما أكدته زوجته عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري عندما عرضت عليها البراءة منه فقالت: «أقول إنه كان تقياً، نقياً، صواماً»..(1) وفي رواية أخرى أنها قالت: «ولكني أقول كان عبداً مؤمناً، محباً لله ورسوله وأهل بيت رسوله محمد صلى الله عليه واله وسلم»(2)، وذكر المسعودي(3) أنها قالت: «... كيف تبرأ من رجل يقول ربى الله؟ كان صائماً نهاره قائماً ليله، قد بذل دمه لله ورسوله في طلب قتلة ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وأهله وشيعته».. وهي تعلم مسبقاً أن ثمن ما قالته هو حياتها، فلم يكن مجرد موقف عاطفي وإنما ينم عن صدق إيمانها بعقيدة وأهداف زوجها التي قاتل لأجلها حتى الرمق الأخير.

ص:110

- 
- 1- (1) - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 184.
  - 2- (2) - ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج 6، ص 292.
  - 3- (3) - مروج الذهب، ج 3، ص 117.







## المبحث الأول: الموقف من نهضة الإمام الحسين (عليه السلام)

### أولاً: موقف المختار في عهد الإمام علي (عليه السلام)

قبل التطرق إلى موقف المختار عند المؤرخين القدامى من نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) لابد لنا من الرجوع إلى مواقفه قبل تلك النهضة، لأنها امتداد طبيعي لها. فقد أشارت كتابات المؤرخين القدامى إلى بعض مواقف المختار الثقفى فى خلافة الإمام علي (عليه السلام) وان كانت تلك الإشارات مقتضبة وشحيحة لكنها تدل على أن هناك دوراً مميزاً قام به المختار فى تلك المرحلة من تاريخ المسلمين.

أشارت بعض المصادر التاريخية خلال حديثها عن الخوارج، لاسيما بعد ظهور البوادر الأولى لتحركهم بشكل مسلح، فذكرت قيام الإمام علي (عليه السلام) بإرسال أبي موسى الأشعري لحضور التحكيم فى دومة الجندل<sup>(1)</sup>

ص: 113

---

1- (1) - وهى حصن وقرى بين الشام والمدينة، ذهب بعض الرواة إلى أن التحكيم بين الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية وقع فيها. ينظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج 2، ص 487-489.

حسب الاتفاق المبرم مع معاوية بن أبي سفيان. وعلى أثر ذلك عقد الخوارج اجتماعاً في منزل أحد زعمائهم عبد الله بن وهب الراسبي وأمره عليهم(1)، بعدها قرر الخوارج اختيار إحدى المدن لتنفيذ حكم الله، حسب زعمهم، قال بعضهم لبعض: «نخرج إلى المدائن فننزلها، ونأخذ بأبوابها، ونخرج منها سكانها، ونبعث إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا»(2)، لكن هذا الرأي جوبه برفض أحد كبار قادتهم وهو زيد بن حصين الطائي فقال لهم: فأما المدائن فإن بها من يمنعكم منها(3)، وفي رواية أخرى أنه قال: «إن المدائن لا تقدر أن عليها، فإن بها جيشاً لا تطيقونه وسيمنعونها منكم،...»(4)، ويتضح من خلال تلك الروايات أمران:

الأمر الأول: أن سكان المدائن كانوا من المعارضين للخوارج وهو ما وضحه قول الخوارج وكما اشرنا إليه: «ونخرج منها سكانها».

ص:114

- 
- 1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 49؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج 5، ص 131؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 288؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 10، ص 579.
  - 2- (2) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 49؛ ينظر ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج 5، ص 131؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 288؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 10، ص 580.
  - 3- (3) - الدينوري، الأخبار الطوال، ص 188؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 49؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج 5، ص 131؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 288.
  - 4- (4) - ابن كثير، البداية والنهاية، ج 10، ص 581.

الأمر الثاني: أنّ المدائن لم تكن تتمتع بقوة ومنعة فحسب، بل إنها تمتلك جيشاً قوياً لا يطيقه الخوارج.

وعلى أثر ذلك اتخذ والى المدائن العديد من الإ-جراءات التى تمثلت: بغلق أبواب المدينة، وتهيئة أكثر من خمسمائة فارس لقتالهم، وخروجه بنفسه لقتالهم وملاحقتهم، واناوبته عليها قبل خروجه ابن أخيه المختار الثقفى. (1)

واختلف المؤرخون فى كيفية قيام سعد بن مسعود والى المدائن بملاحقة الخوارج، فقد أشار بعضهم (2): إلى أن عدى بن حاتم الطائى هو من حذر سعد بن مسعود بخروج الخوارج نحو المدائن، فأغلق أبوابها وخرج إليهم فى خمسمائة فارس، بينما يرى ابن خلدون (3) أن الإمام علياً (عليه السلام) هو من أرسل إلى سعد بن مسعود يأمره بذلك.

ومن خلال ما تقدم يمكن القول إنّ سعد بن مسعود كان على ثقة تامة بموافقة الإمام على (عليه السلام) بما قام به تجاه الخوارج من قيامه بتكليف ابن أخيه والياً على المدائن نيابة عنه أثناء فترة غيابه عنها، أو الإجراءات التى طبقها من غلق الأبواب، وملاحقتهم إلى الكرخ فى بغداد والاصطدام معهم، والذى يُرجح ذلك الرأى، هو قول أصحابه له عند امتناع الخوارج

ص: 115

---

1- (1) - الدينورى، الأخبار الطوال، ص 189؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 50؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 289؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 2، ص 638.

2- (2) الدينورى، الأخبار الطوال، ص 189؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 50؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 289.

3- (3) - تاريخ ابن خلدون، ج 2، ص 638.

وانصرفهم عنه: «ما تريد من قتال هؤلاء، ولم يأتك فيهم أمر خلهم فليذهبوا؟ واكتب إلى أمير المؤمنين فإن أمرك بإتباعهم اتبعتمهم، وإن كفاكهم غيرك كان في ذلك عافية لك، فأبى عليهم».(1)

ولم يكن ولاية الإمام على (عليه السلام) باستطاعتهم الاستعانة في أمورهم الإدارية المهمة مثل الإنابة عنهم أو تعيين العمال على النواحي التابعة لولاياتهم مطلقاً الأيدي، فقد وضع الإمام على (عليه السلام) لولاته الضوابط والشروط والصفات الضرورية ليكون الاختيار على ضوئها(2)، فمن غير الممكن أن يكون تكليف المختار بإدارة ولاية مهمة مثل المدائن، قد جاء بشكل عفوى وغير مدروس، لأن الوضع كان دقيقاً وأن تحرك الخوارج لم يكن مقتضراً على الكوفة فقط، فقد ذكر ابن كثير(3) أن الخوارج: «اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين، وتواطؤوا على المسير إلى المدائن ليملكوها ويتحصنوا بها ثم يبعثوا إلى إخوانهم وأضرابهم ممن هو على ما هم عليه، من أهل البصرة وغيرها فيوافوهم إليها ويكون اجتماعهم عليها». وهو ما حصل فعلاً، فقد اجتمع الخوارج في البصرة وأمروا عليهم مسعر بن فدكى

ص:116

- 
- 1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 50؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 289؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 2، ص 638.
  - 2- (2) - ينظر: العيساوى، علاء كامل صالح، النظم الإدارية والمالية فى عهد الإمام على (عليه السلام)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة، كلية الآداب، 2005 م، ص 81-123؛ الشرهانى، التغير فى السياسة المالية، ص 253-272.
  - 3- (3) - ابن كثير، البداية والنهاية، ج 10، ص 580-581؛ ينظر: الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 49.

التمييز والتحقيق بخوارج الكوفة في النهروان(1)، وهذا يعني أن المدائن كانت مهددة في تلك الظروف من خوارج الكوفة وغيرهم، وذلك لما تتمتع به المدائن من أهمية اقتصادية وسياسية وعسكرية.

كذلك أشارت بعض المصادر التاريخية إلى أن المختر كان يُكلف من قبل عمه والي المدائن في خلافة الإمام علي (عليه السلام) ببعض المهام الإدارية والمالية، فقد ذكر بعض المؤرخين(2): «أتى المختر علي بن أبي طالب بمال من المدائن وعليها عمه سعد بن مسعود، قال: فوضع المال بين يديه وعليه مقطعة حمراء، قال: فأدخل يده فاستخرج كيسا فيه نحو خمس عشرة مائة، قال: هذا من أجور المومسات، قال: فقال علي: لا حاجة لنا في أجور المومسات، قال: وأمر بمال المدائن فرفع إلى بيت المال، قال: فلما أدير قال له علي: والله لو شق علي قلبه لوجد ملآن من حب اللات والعزى»، لكن هذه الرواية بحاجة إلى نقاش ولا يمكن أن نقبلها كما هي، لأن فيها الكثير من المآخذ والإشكالات غير المقبولة:

المآخذ الأول: الرواية تشير إلى أن الإمام علياً (عليه السلام) غير راض على جباية بعض هذه الأموال، وهذا يعني أن سعد بن مسعود لم يكن عارفاً

ص: 117

- 
- 1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 50؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 290.
  - 2- (2) - ابن أبي شيبه، عبد الله بن محمد (ت: 235 هـ - 849 م)، المصنف في الحديث والآثار، تحقيق: سعيد اللحام، دار الفكر، بيروت، 1989 م، ج 7، ص 263؛ وينظر ابن عبد البر، الاستيعاب، (تحقيق: عادل مرشد)، ص 716؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 25، ص 209؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج 6، ص 276؛ المقدم، تنزيه المختار، ص 25-27.

بما يقوم به من أموره الدينية، وهو يتعارض مع نهج الإمام علي (عليه السلام) وسيرته في اختيار ولايته وعماله على الولايات والأمصار منذ استلامه الخلافة، فقد قال للزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله لما طلبا منه أن يستعملهما على بعض أعماله: «واعلما أني لا أشرك في أمانتي إلا من أرضى بدينه وأمانته من أصحابي، ومن قد عرفت دخيلته»<sup>(1)</sup>، وهو كذلك يتعارض مع رأي الإمام علي (عليه السلام) في سعد بن مسعود، الذي أرسل له كتاب شكر وثناء يمدحه فيه لأمانته<sup>(2)</sup>.

المأخذ الثاني: أن مسألة جباية أموال المسلمين وإيصالها لبيت المال تتطلب أشخاصاً على قدر كبير من الأمانة والثقة التامتين وقول الإمام علي (عليه السلام): "لوشق على قلبه..." يدل إن صحت الرواية دلالة واضحة على خلاف ذلك.

المأخذ الثالث: الرواية تشير إلى أن الإمام علياً (عليه السلام) بعدما اعترض على تلك الأموال أمر بوضعها في بيت المال وكان من المفروض لو صحت الرواية أن يرجع تلك الأموال ولا يقبلها.

المأخذ الرابع: الرواية ذكرت أن الإمام علياً (عليه السلام) قال قوله في المختار عندما أدبر وفي رواية ابن حجر العسقلاني أنه قال قاتله الله، وحاشا للإمام علي (عليه السلام) أن يتكلم بسوء عن امرئ بعد مغادرته، فمن

ص: 118

---

1- (1) - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج 1، ج 1، ص 153.

2- (2) - البلاذري، أنساب الأشراف، ص 158؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 139؛ الشهراني، التغيير في السياسة المالية، ص 297.

المعروف عنه أنه لا تأخذه في الله لومة لائم، ولماذا يتكلم الإمام على (عليه السلام) بعد مغادرة المختار، وهل يخشى الإمام على (عليه السلام) المختار أو غيره؟.

المأخذ الخامس: من المسلم به أن أصنام تقيف هدمت وأزيلت من الوجود في السنة التاسعة للهجرة، وحسب الروايات التي أشارت إلى ولادة المختار أن عمره لم يتجاوز حينها التاسعة، ومن غير المعقول أن يكون قلب المختار قد ملئ إيماناً وحباً للآل والعزى وهو لم يدرك عبادة قومه لهما إلا في طفولته.

ولا يستبعد أن المختار قد كُلف بمهام إدارية ومالية من قبل عمه سعد بن مسعود فقد سبق وأن أشرنا إلى أنه جعله نائباً للمدائن في غيابه، ومن الطبيعي أن يكون تكليفه بإيصال بعض الأموال إلى الإمام على (عليه السلام) أيسر من ذلك بكثير. ويظهر أن البعض من الرواة والمؤرخين قد استكثروا تلك المهمة على المختار فحاولوا إضافة بعض الأمور إليها من أجل النيل من قدسية الإمام على (عليه السلام)، والنيل من سعد بن مسعود والمختار في آن واحد.

### ثانياً: موقف المختار في عهد الإمام الحسن (عليه السلام)

تقلد الإمام الحسن (عليه السلام) الإمامة بعد استشهاد الإمام على (عليه السلام) في سنة أربعين للهجرة (1) بموجب الوصية التي أشهد عليها

ص: 119

---

1- (1) - خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص 199؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف،

الإمام علي (عليه السلام) شهوداً وهم الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية وجميع ولده وأهل بيته ورؤساء شيعته فقال: «يا بني: أمرني رسول الله صلى الله عليه واله أن أوصي إليك وأدفع كتبي وسلاحى إليك، كما أوصى إلى رسول الله ودفع كتبه وسلاحه إلى وأمرني أن أمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين، ثم أقبل علي الحسين عليه السلام فقال له: وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك هذا، وأخذ بيد أبنه علي بن الحسين عليه السلام وهو صغير فضمه إليه وقال له: وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك محمد، فأقرأه من رسول الله السلام ومنى»(1).

وروى الكليني(2) أن الإمام علياً (عليه السلام) قال للإمام الحسن (عليه السلام): «أنت ولي الأمر وولي الدم».

فكان أول من بايعه بالخلافة قيس بن سعد الأنصاري، فقال له أبسط يدك أبايعك علي كتاب الله وسنة نبيه وقاتل المحلين، فأجابه الإمام الحسن (عليه السلام) بقوله: علي كتاب الله وسنة رسوله، فأنهما يأتیان علي كل

ص:120

- 
- 1- (1) - سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس، ص 376-377؛ الكليني، أصول الكافي، ج 1، ص 172؛ الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت: 548 هـ - 1153 م)، إعلام الوري بأعلام الهدى، صححه: علي أكبر الغفاري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 2008 م، ص 215.
- 2- (2) - أصول الكافي، ج 1، ص 172.



وبعد مراسلات بينه وبين معاوية، وقيام الأخير بالتوجه نحو العراق، «استقبل الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص لمعاوية إني لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها...»(2)، لكن المكر والخداع الذي استطاع من خلاله معاوية أن يخترق الجيش الذي أرسله الإمام الحسن (عليه السلام) إلى قتاله، ويكسب إلى جانبه قائده عبيد الله بن العباس، وأن يشيع بين الناس أن قيس بن سعد قد صالحه وصار معه، ثم أرسل وفداً للتفاوض مع الإمام الحسن (عليه السلام) وفيه المغيرة بن شعبة فيخرج الوفد وهو يقول: «إنَّ الله حقن بآبن رسول الله الدماء، وسكن به الفتنة وأجاب إلى الصلح؛ فاضطرب العسكر ولم يشكك الناس في صدقهم»(3)، أدت هذه الأخبار وغيرها إلى قيام بعض العسكر في الهجوم على سرداق الإمام الحسن (عليه السلام) وأنتهبوه وكنن له أحدهم وأسمه الجراح بن سنان الأسدي فجرحه بمعول في فخذه، فحُمل الإمام الحسن (عليه السلام) إلى المدائن وقد نزف نزفاً شديداً.(4)

ص:121

- 
- 1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 107؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 350؛ الصلابي، علي محمد، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتدايعات الانهيار، المكتبة العصرية، بيروت، 2009 م، مج 1، ص 144-145.
  - 2- (2) - ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص 171.
  - 3- (3) - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 149.
  - 4- (4) - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 149-150.

وقد اختلف المؤرخون في ذكر موقف المختار من الإمام الحسن (عليه السلام)، الذي كان إلى جنب عمه سعد بن مسعود وإلى المدائن منذ عهد الإمام علي (عليه السلام) ثم أقره الإمام الحسن (عليه السلام) عليها، فحين جرح حُمَل إليها وعولج حتى برئ، وأقدم رواية وردتنا في هذا الشأن هي رواية ابن سعد(1) التي قال فيها: «لما أتى الحسن بن علي قصر المدائن قال المختار لعمه: هل لك في أمر تسود به العرب؟ قال: وما هو؟ قال: تدعني أضرب عنق هذا وأذهب برأسه إلى معاوية. قال: ما ذاك بلاؤهم عندنا أهل البيت»، كذلك رواية البلاذري(2) تشبه رواية ابن سعد إذ قال: «وحمل الحسن إلى المدائن وعليها سعد بن مسعود عم المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان على ولاه إياها فأدخلوه منزله فأشار عليه المختار أن يوثقه ويسير به إلى معاوية على أن يطعمه خراج جوخي سنة، فأبى ذلك وقال للمختار: قبح الله رأيك، أنا عامل أبيه وقد ائتمنتني وشرفني، وهبني نسيت بلاء أبيه، أنسى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ولا أحفظه في ابن ابنته وحبيبه. ثم إن سعد بن مسعود أتى الحسن بطبيب وقام عليه حتى برئ، وحوله إلى أبيض المدائن».

وذكر الطبري(3) رواية بسنده عن إسماعيل بن راشد فقال: «.... وخرج الحسن حتى نزل المقصورة البيضاء بالمدائن وكان عم المختار بن أبي عبيد

ص:122

---

1-1 (1) - الطبقات، ج 6، ص 370؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص 197.

2-2 (2) - جمل من أنساب الأشراف، ج 3، ص 283.

3-3 (3) - تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 107-108.

عاملاً على المدائن، وكان اسمه سعد بن مسعود، فقال له المختار وهو غلام شاب: هل لك فى الغنى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: توثق الحسن، وتستأمن به إلى معاوية! فقال له سعد: عليك لعنة الله، أثب على ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فأوثقه؟ بس الرجل أنت».

وجاءت رواية الشيخ الصدوق(1) أثناء تطرقه إلى محاولة اغتيال الإمام الحسن (عليه السلام) فذكر: «... فقال المختار لعمه تعال حتى نأخذ الحسن ونسلمه إلى معاوية فيجعل لنا العراق، فبدر بذلك الشيعة من قول المختار لعمه فهموا بقتل المختار فتلطف عمه لمسألة الشيعة بالعفو عن المختار ففعلوا،...»..

ووردت روايات ابن الجوزى(2)، وابن الأثير(3)، وسبط ابن الجوزى(4)، وابن كثير(5)، متطابقة بشكل كبير مع الروايات السالفة الذكر مع بعض الاختلافات البسيطة والتي لا تغير من المضمون شيئاً.

أوضحت الروايات السابقة موقف المختار الثقفى من الإمام الحسن (عليه السلام) على أثر تناولهم قضية محاولة اغتياله وكيف آلت الأمور إلى

ص:123

- 
- 1- (1) - أبو جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى (ت: 381 هـ - 1451 م)، علل الشرائع، تقديم محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدريه، النجف 1966 م، ج 1، ص 221.
  - 2- (2) - المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، ج 5، ص 166.
  - 3- (3) - الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 353.
  - 4- (4) - تذكرة الخواص، ص 197.
  - 5- (5) - البداية والنهاية، ج 11، ص 132.

عقد الصلح مع معاوية بن أبي سفيان. وقبل أن يناقش تلك الروايات سوف نتطرق إلى روايات المؤرخين الذين ذكروا نفس الحادثة لكنهم لم يسيروا إلى هذا الموقف والذي عُد من المآخذ السلبية على المختار.

أورد الدينوري(1) محاولة اغتيال الإمام الحسن (عليه السلام) بشكل واضح ومفصل فقال: فلما «بلغ معاوية قتل على تجهز، وقدم أمامه عبد الله ابن عامر بن كريز فأخذ على عين التمر، ونزل الأنبار يريد المدائن، وبلغ ذلك الحسن بن علي وهو بالكوفة، فسار نحو المدائن... فنزل ساباط وقام فيها خطيباً... فلما سمع أصحابه ذلك نظر بعضهم إلى بعض، فقال من كان معه ممن يرى رأى الخوارج كفر الحسن كما كفر أبوه من قبله فشد عليه نفر منهم فانتزعوا مطرفه عن عاتقه، فدعا بفرسه، فركبها ونادى أين ربيعة وهمدان فتبادروا إليه، ودفعوا عنه القوم ثم أرتحل يريد المدائن، فكمّن له رجل ممن يرى رأى الخوارج يسمى الجراح بن قبيصة من بني أسد بمظلم ساباط، قام إليه بمعول قطعنه في فخذه، وحمل على الأسدى عبد الله بن خطل وعبد الله بن ظبيان، فقتلاه. ومضى الحسن رضى الله عنه مثخنا حتى دخل المدائن، ونزل القصر الأبيض وعولج حتى برئ وأستعد للقاء بن عامر».

وتناول اليعقوبى(2) محاولة اغتيال الإمام الحسن (عليه السلام) فقال: «فوثبوا بالحسن.... وحمل الحسن إلى المدائن وقد نزف نزفاً شديداً، واشتدت به العلة، فافترق عنه الناس، وقدم معاوية العراق...».

ص:124

1- (1) - الأخبار الطوال، ص 200-201.

2- (2) - تاريخ اليعقوبى، ج 2، ص 149-150.

وجاءت رواية ابن أعثم الكوفي(1) أكثر تفصيلاً من رواية الدينورى واليعقوبى فقال: «... وأقبل رجل من بنى أسد يقال له سنان بن الجراح... وأفاق الحسن من غشائه وقد ضعف، فعصبوا جراحه وأقبلوا به إلى المدائن؛ قال: وعامل المدائن يومئذ سعد بن مسعود الثقفى عم المختار بن أبى عبيد، قال: فأنزل الحسن فى القصر الأبيض، وأرسل إلى الأطباء فنظروا إلى جراحته وقالوا ليس عليك بأس يا أمير المؤمنين. قال: فأقام الحسن بالمدائن يداوى».

وأسهب أبو الفرج الأصفهاني(2) فى روايته التى ابتدأها من خطبة الإمام الحسن (عليه السلام) بعد استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) ثم بيعة الإمام الحسن (عليه السلام) ومسيره لقتال معاوية وأهل الشام، وخطبته فى سباط، ثم تناول ما حصل له من قيام قسم من العسكر بالهجوم على فسطاطه، وكيف دعا الإمام الحسن (عليه السلام) ربيعة وهمدان فطافت به ودفعوا الناس عنه، ثم تعرضه لمحاولة الاغتيال، وبعد قتل الجراح بن سنان الذى حاول اغتياله قال أبو الفرج الأصفهاني: (3) «وحمل الحسن على سرير إلى المدائن، وبها سعد بن مسعود الثقفى والياً عليها من قبله، وكان على ولاه فأفره الحسن بن على، فأقام عنده يعالج نفسه».

وذكر الشيخ المفيد بيعة الإمام الحسن (عليه السلام) وخطبته بعد استشهاد الإمام على (عليه السلام) وكيف أن معاوية قد دس العيون

ص: 125

---

1- (1) - كتاب الفتوح، ج 4، ص 287-288.

2- (2) - مقاتل الطالبين، ص 72.

3- (3) - مقاتل الطالبين، ص 72.

والجواسيس إلى الكوفة والبصرة ليكتبوا إليه بالأخبار ويفسدوا على الإمام الحسن (عليه السلام) الأمور، لكنه استطاع أن يكتشفهم ويأمر بضرب أعناقهم ثم كتب إلى معاوية: «أما بعد فأنتك دسست الرجال للاحتيال والاغتيال وأرصدت العيون كأنك تحب اللقاء وما أوشك ذلك فتوقعه إن شاء الله، وبلغنى أنك شمتّ بما لا يشمت به ذوو الحجى وإنما مثلك فى ذلك كما قال الأول:

فقل للذى يبغى خلاف الذى مضى تجهز لأخرى مثلها فكأن قد

فإننا ومن قد مات منا لكالذى يروح فيمسى فى المبيت ليغتدى»(1)

ثم استطرده فى روايته فذكر كيف أن الإمام الحسن (عليه السلام) أراد أن يمتحن أصحابه ويستبرئ أحوالهم فى الطاعة له ليعرف بذلك أولياءه من أعدائه ويكون على بصيرة من أمرهم عند لقائه معاوية وأهل الشام، فنزل فى ساباط ونادى الصلاة جامعة، وألقى خطبته، فحصل ما حصل فى العسكر، وبعد ذلك قال الشيخ المفيد(2) «... وحمل الحسن (عليه السلام) على سرير إلى المدائن فأنزل به على سعد بن مسعود الثقفى وكان عامل أمير المؤمنين (عليه السلام) بها فأقره الحسن (عليه السلام) على ذلك وأشتغل بنفسه يعالج جرحه».

وكذلك ذكر الطوسى(3) أن عسكر الإمام الحسن (عليه السلام) وثبوا فيه فجرح وعاد إلى المدائن حتى تحصن فيها عند عم المختار بن أبى عبيدة..

ص:126

1- (1) - المفيد، الإرشاد، ص 179.

2- (2) - الإرشاد، ص 181.

3- (3) - اختيار معرفة الرجال، ج 1، ص 330.

بينما أوجز ابن شهر آشوب (1) روايته عن تلك الحادثة وهو أيضاً لم يتطرق فيها للمختار الثقفي وموقفه من الإمام الحسن (عليه السلام)، في حين وصف كيفية وصوله إلى المدائن فقال: «فأطاف به ربيعة وهمدان وهو على سرير حتى أنزل على سعد بن مسعود الثقفي».

كما أسهب ابن أبي الحديد في تفصيل تلك الحادثة فذكر روايتين في هذا الشأن:

الرواية الأولى: جاء بها حسب رواية المدائني بعد أن ذكر خطبة الإمام الحسن (عليه السلام) في ساباط والتي ذكر فيها الإمام الحسن (عليه السلام) إنكم تبايعوني على أن تسالموا من سالمتم فقال: «قال الناس: ما قال هذا القول إلا وهو خالغ نفسه وسلم الأمر لمعاوية، فثاروا به وقطعوا كلامه، وانتهبوا متاعه، وانتزعوا مطرفاً كان عليه،.... وأختلف الناس فصارت طائفة معه، وأكثرهم عليه، فقال: اللهم أنت المستعان، وأمر بالرحيل، فارتحل الناس، وأتاه رجل بفرس، فركبه وأطاف به بعض أصحابه، فمنعوا الناس عنه وساروا، فقدمه سنان بن الجراح الأسدي إلى مظلم ساباط، فأقام به، فلما دنى منه تقدم إليه يكلمه، وطعنه في فخذه بالمعول طعنة كادت تصل إلى العظم فغشى عليه... وأفاق الحسن (عليه السلام) من غشيته، فعصبوا جرحه وقد نزع وضعف، فقدموا به المدائن، وعليها سعد بن مسعود، عم المختار بن أبي عبيد، وأقام بالمدائن حتى برئ من جرحه» (2).

ص: 127

---

1- (1) - مناقب آل أبي طالب، ج 3، ص 195.

2- (2) - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج 8، ج 16، ص 218-219.

الرواية الثانية: نقلها عن أبي الفرج على بن الحسين الأصفهاني والتي سبق وأن أشرنا إليها(1).

وذكر الأربلي(2) روايته عن ذلك فذكرها معتمداً على رواية الشيخ المفيد السالفة الذكر فابتدأ ذلك بقوله: «قال الشيخ المفيد في إرشاده: لما قبض أمير المؤمنين (عليه السلام) خطب الحسن بن علي (عليه السلام) وذكر حقه، فبايعه أصحاب أبيه (عليه السلام)»..

وأورد ابن خلدون(3) روايته فذكر بيعة الإمام الحسن (عليه السلام) وزحفه إلى قتال معاوية بعد أن بلغه أن الأخير قد أتجه نحو الكوفة، وعند وصوله المدائن شاع بين العسكر أن قيس بن سعد قد قتل ثم ذكر: «واهتاج الناس وماج بعضهم في بعض...، وقامت ريعة وهمدان دونه واحتملوه على سرير إلى المدائن ودخل إلى القصر»..

وذكر ابن عنبه(4) روايته عن الإمام الحسن (عليه السلام) فقال «وسار الحسن (عليه السلام) حتى أتى ساباط المدائن.... فعصبوا جراحته وأقبلوا به إلى المدائن فأقام يداوى جراحته»..

ص: 128

- 
- 1- (1) - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج 8، ج 16، ص 227-228.
  - 2- (2) - أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت: 692 هـ -- 1291 م)، كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام، تحقيق: علي الفاضلي، المجمع العالمي لأهل البيت، د. م، 1426 هـ -، ج 2، ص 336-342.
  - 3- (3) - تاريخ ابن خلدون، ج 2، ص 648.
  - 4- (4) - أحمد بن علي (ت: 828 هـ - 1424 م)، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، صححه: محمد صادق بحر العلوم، دار الأندلس، النجف، د. ت، ص 66-67.



وأورد ابن الصباغ(1) روايته على غرار رواية الشيخ المفيد، فقال: «وحمل الحسن (عليه السلام) على سرير من تلك الضربة إلى المدائن فنزل بها على سعد بن مسعود الثقفي وكان عاملاً عليها من جهة أبيه على بن أبي طالب (عليه السلام)، فأقره الحسن (عليه السلام) على ذلك، واشتغل الحسن عليه السلام بمعالجة جرحه...»..

الذي يتأمل الروايات التي أشرنا إليها يرى أن الكثير من المؤرخين، أمثال الدينوري، واليعقوبي، وابن أعثم الكوفي، والأصفهاني، والمفيد، والطوسي، وابن شهر آشوب، وابن أبي الحديد، والأربلي، وابن خلدون، وابن عنبه، وابن الصباغ، تناولوا تلك القضية بنوع من التفصيل ولم يتطرقوا إلى موقف المختار الذي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بتلك القضية وكأنه جزءٌ منها، فمن غير المعقول أنهم ذكروا تلك القضية بهذا التفصيل وأغفلوا ذلك الموقف، وعدم تطرق هؤلاء المؤرخين لذلك الموقف يضع الكثير من علامات الاستفهام أمام روايات المؤرخين التي ذكرت موقف المختار من الإمام الحسن (عليه السلام) والذي تمثل باقتراحه على عمه سعد بن مسعود بقتل الإمام الحسن أو تسليمه إلى معاوية، وهو ما يشكك بوجود هذه الروايات أصلاً.

الأمر الثاني: الذي يتمعن في اقتراح المختار حسب تلك الروايات، أنه كان علنياً ولم يكن سرياً بينه وبين عمه، فقد ذكرت تلك الروايات أن الشيعة

ص:129

---

1- (1) - على بن محمد بن أحمد (ت: 855 هـ - 1451 م)، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تحقيق: جعفر الحسيني، الطبعة الثانية، المجمع العالمي لأهل البيت، بيروت، 2011 م، ص 239.

أرادت قتل المختار عندما أقترح على عمه ذلك، وكان حرياً بالمختار - إن صحت الرواية - أن يكون هذا المقترح سرياً بينه وبين عمه، فمن المعروف أن أنصار الإمام الحسن (عليه السلام) وشيعته يحيطون به وكانوا إلى جانبه، وإن كان سرياً فمن غير المعقول أن سعد بن مسعود هو من أعلن موقف المختار هذا على رؤوس الأشهاد فهذا - إن صح - سيكون مثلبة على أسرة سعد ابن مسعود لأن المختار بن أبي عبيد هو أحد أفرادها.

الأمر الثالث: أشارت روايات المؤرخين التي ذكرت بأن المختار اقترح على عمه قتل أو تسليم الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية، كان يريد بذلك التقرب إلى الأمويين. وسبق وأن أشرنا في الفصل الأول عند التطرق إلى العثمانية أن المصادر التاريخية قد ذكرت العديد من الشخصيات التي قامت بتلك الأدوار وحصلت على الكثير من الامتيازات نتيجة لمواقفها من الأمويين في خلافة الإمامين علي والحسن عليهما السلام، فلم تشر تلك المصادر إلى حصول أي محاولة من قبل المختار للاتصال بالأمويين أو التقرب إليهم، في الوقت الذي لم يدخر الأمويون جهداً لكسب ود أنصار الإمام علي عليه السلام المقربين الذين كانوا على دراية تامة بمحاولات الأمويين لاستمالتهم (1)، بل إن أصحاب الإمام علي عليه السلام كانوا على ثقة بأن الأمويين يتمنون أن يكسبوا ود أنصار آل البيت وهو ما أشار إليه ابن أعثم الكوفي (2) عندما ذكر

ص: 130

1- (1) - عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، ص 117.

2- (2) - كتاب الفتوح، ج 4، ص 296؛ وينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج 8، ج 16، ص 211.

كلام المسيب بن نجبة(1) للإمام الحسن (عليه السلام) أنه قال: «أما والله يا بن رسول الله! ما يعظم علينا هذا الأمر الذي صار إلى معاوية، ولكننا نخاف عليكم أن تضاموا بعد هذا اليوم، وأما نحن فأنهم - أي الأمويين - يحتاجون إلينا وسيطلبون المودة منا كلما قدروا عليها».

يتضح من خلال ما تقدم أن المختار لو كان لديه النية للتقرب إلى الأمويين فقد كانت الفرصة مهيأة له في ذلك الوقت. لكن ذلك لم يحصل، فبقى المختار يتحين الفرصة للوقوف بوجه الأمويين وعدم التعاون معهم بأي شكل من الأشكال، وقد ظهر ذلك جلياً من خلال رفضه الشهادة ضد حجر بن عدى(2).

الأمر الرابع: لو سلمنا بصحة روايات المؤرخين حول موقف المختار لرأيناه لا يختلف عن مواقف الكثير من أصحاب الإمام الحسن (عليه السلام) الذين عبروا عن استيائهم وغضبهم لما آلت إليه نتيجة الأمور من معاهدة الصلح بينه وبين معاوية بن أبي سفيان فقد أورد المؤرخون روايات كثيرة أشارت إلى تلك المواقف من الصلح.

ص: 131

1- (1) - هو المسيب بن نجبة بن ربيعة بن رباح بن عوف بن هلال بن شمخ من فزارة، شهد القادسية، كان من كبار أصحاب الإمام على عليه السلام شهد معه مشاهدته كلها، وهو أحد زعماء التوابين الذين تحمسوا للأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام، فشارك في معركة عين الوردية وهو من حمل راية التوابين بعد استشهاد سليمان بن صرد الخزاعي فقاتل قتال الأبطال حتى أستشهد وحمل رأسه إلى مروان بن الحكم فنصبه في دمشق. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج 8، ص 336؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 5، ص 248.

2- (2) - ينظر من خلال البحث، ص 76-84.

فقد ذكر البلاذري(1) موقف الشيعة منه فقال: «لما بايع الحسن بن علي معاوية أقبلت الشيعة تتلاقى بإظهار الأسف والحسرة على ترك القتال»، ونسب ابن قتيبة(2) قولاً إلى سليمان بن صرد الخزاعي(3) فقال: «وذكروا أنه لما تمت البيعة لمعاوية بالعراق، وانصرف راجعاً إلى الشام، أتاه سليمان بن صرد، وكان غائباً عن الكوفة، وكان سيد أهل العراق ورأسهم، فدخل على الحسن، فقال: السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال الحسن: وعليك السلام، اجلس لله أبوك...»، ونقل الدينوري(4) قول حجر بن عدى للإمام الحسن (عليه السلام): «يا بن رسول الله، لوددت أني مت قبل ما رأيت، أخرجتنا من العدل إلى الجور، فتركنا الحق الذي كنا عليه، ودخلنا في الباطل الذي كنا نهرب منه، وأعطينا الدنيا من أنفسنا، وقبلنا الخسيسة التي لم تلق بنا»، وكذلك

ص: 132

1- (1) - جمل من أنساب الأشراف، ج 3، ص 290.

2- (2) - الإمامة والسياسة، ص 154.

3- (3) - هو سليمان بن صرد بن أبي الجون الخزاعي، يكنى أبو مطرف، كان اسمه يسار فلما أسلم سماه رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) سليمان، نزل الكوفة وأبنتى فيها داراً، شهد مع الإمام علي عليه السلام صفين، وقتل فيها أحد قادة معاوية مبارزة، كاتب الإمام الحسين عليه السلام للقدوم للكوفة ولم يوفق لنصرته، فكان فيمن ندم على ذلك وتاب مع العديد من المسلمين فسموا التوابين، وسمى هو أمير التوابين، فسار إلى بلاد الشام لقتال عبيد الله بن زياد فقاتله قتال الأبطال، استشهد في معركة عين الوردية (65 هـ -). ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج 5، ص 196-197؛ خليفة بن خياط (ت: 240 هـ -- 854 م)، طبقات خليفة بن خياط، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1993 م، ص 181؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 1، 563-564؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج 2، ص 548-549؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 5، ص 122-123.

4- (4) - الأخبار الطوال، ص 204

أورد الدينوري (1) أن حجر بن عدى دخل مع عبيدة بن عمرو (2) على الإمام الحسين (عليه السلام) فقالوا: «أبا عبد الله، شريتم الذل بالعز، وقبلتم القليل، وتركتم الكثير، أطعنا اليوم، واعصنا الدهر، دع الحسن وما رأى من هذا الصلح، وأجمع إليك شيعتك من أهل الكوفة وغيرها، وولني وصاحبي هذه المقدمة، فلا يشعر ابن هند ألا ونحن نقارعه بالسيوف. فقال الحسين: إنا قد بايعنا وعاهدنا، ولا سبيل إلى نقض بيعتنا».

وذكر ابن أعثم الكوفي (3) قول المسيب بن نجبة بعد الصلح فقال: «وقام المسيب بن نجبة الفزاري إلى الحسن بن علي فقال: لا والله جعلني الله فداك، ما ينقضى تعجبي منك، كيف بايعت معاوية ومعك أربعون ألف سيف، ثم لم تأخذ لنفسك ولا لأهل بيتك ولا لشيعتك منه عهداً وميثاقاً في عقد ظاهر، لكنه أعطاك أمراً بينك وبينه ثم إنه تكلم بما قد سمعت...».

وأورد الدينوري (4)، وأبو الفرج الأصفهاني (5)، والمفيد (6)، والطوسي (7)،

ص: 133

- 
- 1- (1) - الأخبار الطوال، ص 204
  - 2- (2) - هو عبيدة بن عمرو بن ناجية بن مراد السلماني، أسلم في عام فتح مكة، من أهل اليمن، أخذ الفقه عن الإمام علي عليه السلام فبرع فيه، وكان ثباتاً في الحديث، روى عن الإمام علي (عليه السلام) وابن مسعود وغيرهما. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 44-40.
  - 3- (3) - كتاب الفتوح، ج 4، ص 294-295.
  - 4- (4) - الأخبار الطوال، ص 204.
  - 5- (5) - مقاتل الطالبين، ص 75.
  - 6- (6) - الاختصاص، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، دار المفيد، بيروت، 1993 م، ص 83.
  - 7- (7) - اختيار معرفة الرجال، ج 1، ص 327-328.

أنه دخل رجل من أصحاب الإمام الحسن (عليه السلام) يقال سفيان ابن أبي ليلي(3) فقال له: السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال له الإمام الحسن (عليه السلام): وعليك السلام، أجلس لست مذل المؤمنين، ولكني معزهم.

وروى عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال لأحد أصحابه: «اعلم أن الحسن بن علي (عليه السلام) لما طعن واختلف الناس عليه سلم الأمر لمعاوية فسلمت عليه الشيعة عليك السلام يا مذل المؤمنين. فقال عليه السلام: ما أنا بمذل المؤمنين ولكني معز المؤمنين. إنني لما رأيتكم ليس بكم عليهم قوة سلمت الأمر لأبقي أنا وأنتم بين أظهرهم، كما عاب العالم السفينة لتبقى لأصحابها وكذلك نفسى وأنتم لتبقى بينهم».(4)

ويظهر من روايات المؤرخين أن الظروف التي رافقت صلح الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية قد تباينت فيه مواقف أصحابه واختلطت عليهم الأمور ولم يميز البعض منهم الهدف الأسمى الذي ابتغاه الإمام من

ص:134

1- (1) - شرح نهج البلاغة، مج 8، ج 16، ص 211.

2- (2) بحار الأنوار، ج 44، ص 23-24.

3- (3) - هو سفيان بن أبي ليلي من أصحاب الأمام الحسن (عليه السلام)، وقيل أنه من حواريه ينظر: النفرشي، مصطفى بن الحسين، (ت: القرن الحادى عشر للهجرة)، نقد الرجال، مؤسسة إحياء التراث، قم 1418 هـ -، ج 2، ص 331-332، الخوئي، معجم رجال الحديث، ج 9، ص 156-157.

4- (4) - الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة (ت: القرن الرابع الهجرى)، تحف العقول آل الرسول، دار المتقين، النجف، 2012 م، ص 196.

خلال الصلح مع معاوية، ومن الطبيعي أن يكون المختار أحد هؤلاء إن صحت الروايات التي أوردت موقفه من الإمام الحسن (عليه السلام)، ونجد أن تلك الروايات قد نسبت بعض المواقف إلى حجر بن عدى وسليمان بن صرد الخزاعي وهي محاولة للنيل منهما فهي لا تتفق مع سيرة الصحابين الجليلين، فلا غرابة أن ينسب للمختار ما لم يقله أو يفعله.

### ثالثاً: موقف المختار من الشهادة ضد حجر بن عدى

يُعد حجر بن عدى بن جبلة بن ربيعة الكندي(1)، المكنى بأبي عبد الرحمن(2)، والملقب بحجر الخير(3)، من عظماء أصحاب الإمام على عليه السلام وشيعته(4) شهد مع الإمام على عليه السلام الجمل وصفين والنهروان(5)، ولم يكن حجر بن عدى شخصية اعتيادية عند المسلمين وإنما كان من فضلاء صحابة النبي صلى الله عليه واله وسلم(6)، ثقة

ص:135

- 
- 1- (1) - ابن سعد، الطبقات، ج 8، ص 337؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج 12، ص 207؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج 1، ص 697؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 462-463؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 227.
  - 2- (2) - الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 11، ص 247.
  - 3- (3) - ابن سعد، الطبقات، ج 6، ص 239؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج 1، ص 697.
  - 4- (4) - الدينوري، الأخبار الطوال، ص 207؛ يعقوبي، تاريخ يعقوبي، ج 2، ص 160.
  - 5- (5) - ابن سعد، الطبقات، ج 6، ص 239؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج 1، ص 697؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 11، ص 247.
  - 6- (6) - ابن عبد البر، الاستيعاب، (تحقيق على البجاوي)، ج 1، ص 329؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج 12، ص 212؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج 1، ص 697.

معروفاً (1)، شريفًا، أميراً مطاعاً، أماراً بالمعروف، مقدماً على الإنكار (2)، وكان من عباد الناس وزهادهم (3)، شهد القادسية، وهو الذي أفتتح مرج عذراء، وكان عطاؤه ألفين وخمسة مئة (4).

ولما آلت الأمور إلى معاوية بن أبي سفيان بعد الصلح مع الإمام الحسن (عليه السلام) ولي على الكوفة المغيرة بن شعبة وذلك في سنة إحدى وأربعين للهجرة (5) دعاه معاوية وقال له: «وقد أردت أيصاءك بأشياء كثيرة، فأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني ويسعد سلطانى، ويصلح به رعيتى، ولست تاركاً أيصاءك بخصلةٍ لا تتحم عن شتم على وذمه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب على أصحاب على، والإقصاء لهم، وترك الاستماع منهم، ويطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه، والإدناء لهم والاستماع منهم» (6).

فأقام المغيرة بن شعبة والياً على الكوفة حتى وفاته، وكان طيلة مدة ولايته لا يدع ذم الإمام على (عليه السلام) والوقعة فيه (7) فكان حजर بن

ص: 136

---

1- (1) - ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج 12، ص 210؛ الصفدى، الوافى بالوفيات، ج 11، ص 247؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 228.

2- (2) - الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 463.

3- (3) - ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 229.

4- (4) - ابن سعد، الطبقات، ج 8، ص 337؛ الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 463.

5- (5) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 169.

6- (6) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 169؛ ينظر: ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 413.

7- (7) - البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 5، ص 252؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5،



عدى إذا سمع ذلك، يقوم من بين الناس فيقول: «وأنا أشهد أن من تدمون وتعيرون لأحق بالفضل، وأن من تزكون وتطرون أولى بالدم»<sup>(1)</sup>، واستمر حجر بن عدى في معارضته لحكم الأمويين طيلة مدة أمانة المغيرة، ولم تقتصر تلك المعارضة على شجب سياسة السب التي أبدعها الأمويون<sup>(2)</sup> فحسب، وإنما تبنى الدفاع عن حقوق المسلمين، فقد قام حجر وويخ المغيرة في المسجد بعد أن أوغل في كلامه عن الإمام على (عليه السلام) في أواخر أيام أمارته وقال له: «إنك لا تدري بمن تولع وقد هرمت أيها الإنسان وحرمت الناس أرزاقهم، وأخرت عنهم عطاءهم»<sup>(3)</sup>.

لقد أثارت تلك المطالب التي أعلنها حجر في المسجد أهل الكوفة فقام معه أكثر من ثلثي الناس وهم يقولون: «صدق والله حجر وبر، مر لنا بأرزاقنا وأعطينا»<sup>(4)</sup>، وكان لتلك الوقفة التي وقفها حجر بن عدى من حكم

ص: 137

- 
- 1- (1) - الطبري، الأمم والملوك، ج 5، ص 169؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 413.
  - 2- (2) - للمزيد من التفاصيل ينظر: الجابري، على رحيم أبو الهيل، الدعاية الأموية المضادة للإمام على عليه السلام دراسة في سياسة السب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة، ص 66-72.
  - 3- (3) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 5، ص 252؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 170؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 414؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 13.
  - 4- (4) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 170؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 414.

الأمويين وسياسة المغيرة في السب والنيل من الإمام علي (عليه السلام)؛ أثرها على المقربين من المغيرة فأشاروا عليه بالتصدي لحجر وقتله، فأجابهم المغيرة: «أنه قرب أجلى، وضعف عملي، ولا أحب أن أبتدىء أهل هذا المصر بقتل خيارهم، وسفك دمائهم، فيسعدوا بذلك وأشقى، ويعز في الدنيا معاوية، ويذل يوم القيامة المغيرة»<sup>(1)</sup>.

ولم يكن المغيرة بن شعبه في سياسته هذه يخشى الحساب ويوم القيامة، وإنما كان رجل دنيا وسلطة حاول الحفاظ على سلطته بمدارة أهل الكوفة من جهة، وتجنب إثارة حفيظة معاوية عليه من جهة أخرى، فهو التزم بوصايا معاوية بن أبي سفيان بالسب والنيل من الإمام علي (عليه السلام) وهو يعلم ما يرتكبه في ذلك من الإثم العظيم.

وبعد وفاة المغيرة في سنة إحدى وخمسين للهجرة جمع معاوية الكوفة والبصرة لزياد بن أبيه<sup>(2)</sup> فلما قدمها «خطب خطبة له مشهورة لم يحمد الله فيها، ولم يصل على محمد، وأرعد فيها وأبرق، وتوعد وتهدد، وأنكر كلام من تكلم، وحذرهم ورهبهم، وقال: وقد سميت الكذبة<sup>(3)</sup>، على المنبر، الصلحاء، فإذا أوعدتكم أو وعدتكم، فلم أف لكم بوعدى ووعيدى، فلا

ص: 138

---

1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 170.

2- (2) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 170، ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 414.

3- (3) - وردت الكلمة عند اليعقوبى الكلبى، والظاهر أنه خطأ مطبعى لعدم تناسقها مع المعنى ووردت لدى الطبرى بالكذبة. ينظر: اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ج 2، ص 160؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 170-171.

طاعة لى عليكم»(1) وكان بينه وبين حجر مودة، فأحضره وقال له: «يا حجر! أرأيت ما كنت عليه من المحبة والمولاة لعللى؟ قال: نعم قال: فإن الله قد حول ذلك بغضة وعداوة، أو رأيت ما كنت عليه من البغضة والعداوة لمعاوية؟ قال: نعم! قال: فإن الله قد حول ذلك محبة ومولاة، فلا أعلمنك ما ذكرت علياً بخير ولا أمير المؤمنين معاوية بشر»(2)

ويظهر من خلال ما تقدم أن زياد بن أبيه أراد أن يوضح لحجر سياسته الجديدة التى تختلف فى حدتها وصرامتها عن سلفه المغيرة الذى عدّ متساهلاً إلى حدٍ ما مع شيعة الإمام على (عليه السلام) فيما زعموا، فضلاً عن أن زياد بين لحجر بن عدى بأن مودته للإمام على (عليه السلام) قد تحولت إلى كراهية وبغض له ولشييعته، وبغضه وعدواته لمعاوية أصبحت مودة ومحبة له ولبنى أمية، والتى أعتقد أنها إشارة واضحة لحجر لكى يتوقف عن الحملة التى يقودها ضد ولاية الأمويين فى الكوفة.

وكان زياد بن أبيه يقيم فى الكوفة ستة أشهر وفى البصرة ستة أشهر(3)، وأثناء غيابه عن الكوفة ينيب مكانه عمرو بن حريث(4)، الذى أستمرو فى

ص: 139

- 
- 1- (1) - اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ج 2، ص 160؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 170-171.
  - 2- (2) - اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ج 2، ص 160؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج 8، ص 337؛ الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 364-463.
  - 3- (3) - الدينورى، الأخبار الطوال، ص 206.
  - 4- (4) - هو عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان المخزومى عمره اثنتا عشرة سنة حين توفى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، نزل الكوفة وأبتنى فيها داراً كبيرة، وكان من أصحاب الأموال

تطبيق سياسة الأمويين المتمثلة بالسب والنيل من الأمام على (عليه السلام) على المنابر، وفي الوقت ذاته استمر حجر في ولائه للإمام على (عليه السلام) وصعد موقفه من ولاية الأمويين، وتخطى مرحلة المعارضة في الكلام والرد على السب بالسب؛ عندما وجد ذلك لا يجدى نفعاً في ظل تلك الظروف، فكان أول شيء صدر منه أنه أخذ يحصب عمرو بن حريث عندما تعرض للإمام على (عليه السلام) بالسوء، وكان عمله هذا بداية مرحلة جديدة من النضال، وشاركه في عمله هذا آخرون ممن هم على رأيه ومبدئه. فهو ينسجم جملة وتفصيلاً مع مكانة حجر وأصحابه وموقفهم الصارم من السب ومعارضته. (1)

وعندما شعر عمرو بن حريث نائب زياد بن أبيه على الكوفة بخطورة الوضع ومدى التأييد الذي حظى به حجر وأصحابه وسط المجتمع الكوفي، كتب إلى زياد يخبره بما يجري في الكوفة خلفه، موضحاً له قوة حجر وأصحابه فقال: «وأنه لا يملك من الكوفة معهم إلا دار الأمانة» (2) وحثه على القدوم إلى الكوفة قائلاً: «إن كانت لك حاجة بالكوفة فالعجل» (3)

ص: 140

- 
- 1- (1) - الحسنی، الانتفاضات الشيعية، ص 214؛ الجابري، السياسة الأموية المضادة، ص 101.
  - 2- (2) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 5، ص 254.
  - 3- (3) - ابن سعد، الطبقات، ج 8، ص 338؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 464.

يتضح من خلال ما كتبه عمرو بن حريث لزيد أن ما يقوم به حجر بن عدى وأصحابه، لم يكن عملاً فردياً أو ردة فعل آنية على موقف معين وإنما ثورة منظمة استقطبت الكثير من أهالي الكوفة، بحيث أصبحت السلطة الأموية معها لا تتعدى دار الأمانة.

وما إن وصل كتاب عمرو بن حريث حتى قفل زيد راجعاً بأسرع ما يمكن، وحال وصوله بدأ باتخاذ التدابير التي اعتاد العتاة من ولاية الأمويين على اتخاذها في مثل تلك الظروف، والتي تمثلت بالتهديد والوعيد بالقتل وحرق البيوت وحبس العطاء عن الثوار وقبائلهم وغيرها، فما إن دخل القصر، حتى أعتلى المنبر في الكوفة فقال: «أما بعد فإنَّ غِبَّ البَغْيِ والغَيِّ وَخَيْمٍ، إن هؤلاء جموا فأشروا، وأمنوني فأجترؤوا على، وأيُّمُ الله، لئن لم تستقيموا لأداوينكم بدوائكم؛... ثم قال: أبلغ نصيحة أن راعي إبلها سقط العشاء به على سرحان»<sup>(1)</sup>.

وجرت محاولات عسكرية عديدة لإلقاء القبض على حجر إلا أنها فشلت في الوصول إلى مبتغاها، في الوقت نفسه استمرت الضغوط على قدم وساق على زعماء القبائل التي ينتمي لها حجر وأصحابه، فقد ذكر الطبري<sup>(2)</sup> بسنده عن هشام بن محمد فقال: «وثب زيد بأشراف أهل الكوفة، فقال: يا أهل الكوفة، أتشجون بيد وتأسون بأخرى؟ أبدانكم معي وأهواؤكم مع

ص: 141

---

1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 171؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 414؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 231.

2- (2) - تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 172؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 415.

حجر... هذا والله من دحسكم وغشكم! والله لتظهروا لى براءتكم أو لآتينكم يقوم أقيم بهم أودكم وصعركم!»، فى إشارة من زياد بن أبيه إلى استخدام جند الشام الذين لطالما كانوا مصدر تهديد لأهل الكوفة فى مثل تلك الظروف.

وفى وسط تلك الظروف الحرجة والعصيبة التى مرت على حجر وأصحابه، شعر حجر بمدى خطورة الوضع الذى يتعرض له عامة الناس من قبائلهم بسبب الضغوط والغارات التى تقوم بها شرطة زياد للبحث عنهم، فبعث غلاماً له إلى محمد بن الأشعث الذى قال له زياد لما عجز عن القبض على حجر: «والله لتأتينى به، أو لأقطعن كل نخلة لك وأهدم دورك، ثم لا تسلم منى حتى أقطعك إرباً إرباً. فأستمهله، فأمهله ثلاثاً» (1) فأخبره الغلام برغبة مولاه فى تسليم نفسه، على أن يأخذ له أماناً من زياد، ويبيعث به إلى معاوية ليرى فيه رأيه. (2)

ويبدو أن حجراً أفضل أن يوكل أمره إلى معاوية، تخلصاً من جبروت زياد وتعسفه، وبالفعل توجه محمد بن الأشعث مع جماعة من أشرف أهل الكوفة، وعرضوا على زياد رغبة حجر فى تسليم أمره إلى معاوية على أن يمنحه الأمان على نفسه، فوافق على ذلك، فأرسلوا إلى حجر، فحضر عند زياد، وهو جريح (3)، فلما رآه قال: «مرحباً بك أبا عبد الرحمن، حرب فى

ص: 142

---

1- (1) - ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 416، ينظر: البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 5، ص 259.

2- (2) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 416.

3- (3) - وقعت العديد من المعارك بين حجر بن عدى وأنصاره من جهة وبين قوات زياد بن أبيه من

أيام الحرب، وحرب وقد سالم الناس، على أهلها تجنى براقش، قال: ما خالعت طاعة، ولا فارقت جماعة، وأنى لعلى بيعتى؛ فقال: - زياد - هيهات هيهات يا حجر! تشج بيد وتأسوا بأخرى، وتريد إذ أمكن الله منك أن نرضى! كلا والله.

قال - حجر - : ألم تؤمنى حتى أتى معاوية فيرى فيّ رأيه؟ قال: بلى، قد فعلنا، انطلقوا به إلى السجن..(1).

وبعد ذلك جد زياد في البحث عن أصحاب حجر فأستطاع أن يلتقى القبض على أربعة عشر رجلاً منهم(2)، وقيل أثنى عشر(3)، ثم دعا إليه رؤوس الأرباع وأشهدهم على حجر فشهدوا: «ان حجراً جمع إليه الجموع، وأظهر شتم الخليفة، ودعا إلى حرب أمير المؤمنين؛ وزعم أن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل أبي طالب، ووثب بالمصر وأخرج عامل أمير المؤمنين، وأظهر عذر أبي تراب والترحم عليه، والبراءة من عدوه وأهل حربه؛ وأن هؤلاء النفر الذين معه هم رؤوس أصحابه على مثل رأيه وأمره»(4).

ص:143

- 
- 1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 176؛ ينظر: البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 5، ص 259؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 417.
  - 2- (2) البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 5، ص 262.
  - 3- (3) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 178.
  - 4- (4) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 178؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 422.

ويظهر أن تلك الشهادة لم تعجب زياد بن أبيه، وكذلك فضل أن يكون الشهود أكثر من أربعة(1)، فجاء أبو بردة بن أبي موسى فكتب: «هذا ما شهد عليه الشهود أبو بردة بن أبي موسى لله رب العالمين، شهد أن حجر بن عدى خلع الطاعة وفارق الجماعة، ولعن الخليفة ودعا إلى الحرب والفتنة، وجمع إليه جموعاً يدعوهم إلى نكث البيعة، وخلع أمير المؤمنين معاوية، فكفر بالله كفره صلحاء، وأتى معصية شنعاء، فقال زياد أشهدوا على مثل شهادته»(2) وأستكثر من الشهود على ذلك(3) فشهد سبعون رجلاً(4).

وأورد البلاذري(5) قضية حجر وشهادة الشهود بالتفصيل، فذكر أغلب أسمائهم ابتداءً من رؤوس الأرباع، ثم ذكر العديد من الشهود من أشرف الكوفة وزعمائها، إلى أن قال: «وهرب المختار بن أبي عبيد، وعروة بن المغيرة من أن يشهدا».

أما الطبري(6) الذي أسهب كذلك في تفصيل قضية حجر بن عدى فذكر شهادة الشهود وأسماءهم وقبائلهم إلى أن قال: «ودعا المختار بن أبي عبيد وعروة بن المغيرة بن شعبة ليشهدا عليه، فراغا...».

ص:144

1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 179.

2- (2) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 5، ص 262.

3- (3) - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 15.

4- (4) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 180.

5- (5) - جمل من أنساب الأشراف، ج 5، ص 263.

6- (6) - تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 180؛ الأمين، محسن، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف، بيروت، 1983 م، ج

4، ص 10.



وذكر أبو الفرج الأصفهاني(1) قصة حجر بن عدى فقال: «... وشهد حجار بن أبجر العجلي وعمرو بن الحجاج وليد بن عطار و محمد بن عمير ابن عطار وأسما بن خارجة وشمر بن ذى الجوشن وزحر بن قيس الجعفي وشبث بن ربعي وسماك بن مخزومة الأسدي صاحب مسجد سماك ودعا المختار ابن أبي عبيد وعروة بن المغيرة بن شعبة إلى الشهادة فراغا وشهد سبعون رجلاً ودفع ذلك إلى وائل بن حجر وكثير بن شهاب...»..

ويلاحظ أن أغلب المؤرخين لم يتطرقوا إلى ذكر موقف المختار من الشهادة ضد حجر بن عدى على الرغم من أنها لم تكن أمراً اعتيادياً فقد ترتب على ذلك الكثير من الأمور:

الأمر الأول: عندما بعث زياد بحجر وأصحابه إلى معاوية كتب إليه كتاباً جاء فيه: «... وقد دعوت خيار أهل المصر وأشرفهم وذوى السن والدين منهم، فشهدوا عليهم بما رأوا وعملوا، وقد بعثت بهم إلى أمير المؤمنين، وكتبت شهادة صلحاء أهل المصر وخيارهم فى أسفل كتابى هذا»(2)، فلما قرأ معاوية الكتاب وشهادة الشهود عليهم، قال: «ماذا ترون فى هؤلاء النفر الذين شهد عليهم قومهم بما تسمعون؟»..(3)، يتضح من وصف زياد للشهود أن البيئـة أقيمت على حجر وأصحابه، وهو ما فهمه معاوية وعرف مقصده فقال مقولته ماذا ترون فى هؤلاء...، فالشهادة وفرت على معاوية

ص: 145

---

1- (1) - الأغاني، تحقيق: سمير جابر، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، د. ت، ج 17، ص 150.

2- (2) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 181.

3- (3) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 181.

المبررات التي أراد أن يوضح من خلالها قتل حجر وأصحابه.

وأخذ معاوية من تلك الشهادة مبرراً شرعياً أحل به دماء حجر وأصحابه، فقد ذكر الطبري قول معاوية على لسان رسوله الذي بعثه إلى حجر وأصحابه لتنفيذ عملية قتلهم: «... وإنّ أمير المؤمنين يزعم أن دماءكم قد حلت له بشهادة أهل مصركم عليكم، غير أنه قد عفا عن ذلك، فأبرؤوا من هذا الرجل - أي الإمام على عليه السلام نُخل سبيلكم...» (1)؛ ونقل ابن كثير (2) قول معاوية بن أبي سفيان لعائشة لما قالت له: أين ذهب عنك حلمك يا معاوية حين قتلت حجراً وأصحابه فقال لها: «إنما قتله الذين شهدوا عليه».

وروى ابن سعد (3) أن حجر بن عدى قبل أن يستشهد قال: اللهم إنا نستعديك على أمتنا فإن أهل العراق شهدوا علينا وأن أهل الشام قتلونا...، ومن الملاحظ على هذه الرواية أنها تشير على منهج التحامل على أهل العراق عامة وأهل الكوفة خاصة، كونهم معقل التشيع لآل البيت زمن بنى أمية وبنى العباس، فمن اليسير عند ملاحظة أسماء الشهود على حجر بن عدى وأصحابه هم المنتفعين والموالين لبنى أمية؛ في الوقت ذاته يستشف من رواية ابن سعد أنها تخفف الوزر عن كاهل معاوية وزيد بن أبيه في مسؤوليتهما عن قتل حجر وأصحابه رضوان الله عليهم.

ص: 146

---

1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 183؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 424.

2- (2) - ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 236-237.

3- (3) - الطبقات، ج 8، ص 339.

وعندما بعث معاوية كتاباً إلى زياد بن أبيه، بيّن فيه ترده بين العفو عن حجر وأصحابه وبين قتلهم، كتب إليه زياد قائلاً: «أما بعد، فقد قرأت كتابك، وفهمت رأيك في حجر وأصحابه، فعجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم، وقد شهد عليهم بما قد سمعت من هو أعلم بهم، فإن كانت لك حاجة في هذا المصر فلا تردن حُجراً وأصحابه إلى». (1)

وعلى الرغم من أن وزر قتل حجر وأصحابه لا شك يقع على معاوية وزياد بن أبيه، لكنهم وظفوا تلك الشهادة كي تكون مبرراً لقتلهم، ولا يمكن تجاوزها إلا بالبراءة من الإمام على (عليه السلام) أو القتل، وهو ما حصل فعلاً.

الأمر الثاني: الذي يتأمل الروايات التي ذكرت قضية شهادة الشهود على حجر وأصحابه، يرى أن البعض منهم كتبت شهادتهم دون علمهم، أو أثناء غيابهم (2) وقد أشار الطبري (3) إلى شهادة الشهود فقال: «... والسرى ابن وقاص الحارثي، وكتب شهادته وهو غائب في عمله». وذكر الطبري (4) في موضع آخر «... وأسماء بن خارجة الفزاري، كان يعتذر من أمره». ..

وكذلك ذكر الطبري (5) الموضوع نفسه «وكتب في الشهود شريح بن

ص: 147

1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 182.

2- (2) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 5، ص 264.

3- (3) تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 179.

4- (4) تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 180.

5- (5) تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 180.

الحارث القاضى وشريح بن هانىء الحارثى؛ فأما شريح فقال: سألتنى عنه، فأخبرته أنه كان صواماً قواماً، وأما شريح بن هانىء الحارثى فكان يقول: ما شهدت، ولقد بلغنى أن قد كتبت شهادتى، فكذبته ولمته»، وروى أن شريح ابن هانىء قد بعث بكتاب إلى معاوية ورد فيه «... فإنه بلغنى أن زياداً كتب إليك بشهادتى على حجر بن عدى، وأن شهادتى على حجر أنه ممن يقيم الصلاة، ويؤتى الزكاة، ويديم الحج والعمرة، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر؛ حرام الدم والمال، فإن شئت فاقتله، وإن شئت فدعه. فقرأ كتابه على وائل بن حجر وكثير، فقال: ما أرى هذا إلا قد أخرج نفسه من شهادتكم».(1)

ويظهر من خلال ذلك أن زياداً حاول قدر الإمكان الزج بأكبر عدد من الشهود الذين لهم مكانة بارزة فى المجتمع الكوفى حتى وإن كانوا غير حاضرين، وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يتجرأ على درج أسم المختار من ضمن الشهود لمعرفته بعدم موافقته مسبقاً على تلك الشهادة، وجل ما فعله هو أنه دعاه ليشهد على تلك الشهادة.

ولم يذكر البلاذرى، والطبرى، وأبو الفرج الأصفهاني، الذين أسهبوا فى ذكر شهادة الشهود، أحداً دعى إلى الشهادة ورفض ذلك غير المختار وعروة ابن المغيرة بن شعبة، مما يوضح مدى أهمية ومكانة شخصية المختار، فى الوقت

ص:148

---

1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 181؛ ينظر: البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 5، ص 264؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 423.

نفسه الذى ألقى أسماء بعض الشهود على الرغم من شهادتهم على ذلك، «فقال: زياد ألقوهم إلا- من قد عرف بحسب وصلاح فى دينه...»(1). وهى من المفارقات أن بعض الناس يشهدون حسب رغبة الأميين وولاتهم فترفض شهادتهم، بينما يدعى إلى الشهادة المختار فيرفض ذلك. مما يدل على صدق ولائه لآل البيت والإمام على (عليه السلام)، فمحور الشهادة التى تدور حوله شهادة الشهود هو الولاء للإمام على (عليه السلام)، بحيث أقرن العفو عن حجر وأصحابه أو قتلهم بإعلان البراءة من الإمام على عليه السلام من عدمها.

الأمر الثالث: عُدت الشهادة ضد حجر بن عدى من المثالب الرئيسة على أى شخص دونت شهادته فى ذلك الموقف، فبعد أكثر من خمسة عشر عاماً أراد المختار أن يجعل شريحاً على قضاء الكوفة، إلا أنه تراجع عن ذلك بسب عدم قبول الناس به، فكان أحد أسباب رفضهم لتقلد شريح القضاء هو أنه شهد على حجر بن عدى (2)، وهذا يعنى أن الشهادة ضد حجر بن عدى كانت وصمة عار ومثلية على كل من أشرك فى ذلك الفعل الدنىء للأهمية والمكانة المرموقة بين المسلمين عامة والموالين لآل البيت خاصة التى يتمتع بها الصحابى الجليل حجر بن عدى.

ص: 149

---

1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 180.

2- (2) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 53؛ ابن الجوزى، المنتظم، ج 6، ص 55؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص

651؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 14-15.

## رابعاً: موقف المختار أثناء نهضة الإمام الحسين (عليه السلام)

تولى الخلافة يزيد بن معاوية (60 هـ - 64 هـ) بعد وفاة والده معاوية سنة ستين للهجرة (1)، بعهد من أبيه، الذي أخذ له البيعة من الأمصار في حياته، فرفض تلك البيعة الإمام الحسين (عليه السلام)، وعبد الله بن الزبير بن العوام (2) وما أن آلت الأمور إلى يزيد حتى كتب كتابين إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان عامله على المدينة، نعى إليه في أحدهما موت معاوية، وجاء في كتابه الثاني، الذي كتبه في صحيفة وصفت لصغرهما كأنها أذن فأرة: «أما بعد فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة ولا هوادة حتى يبايعوا؛ والسلام». (3)

وما إن وصل كتاب يزيد إلى الوليد بن عتبة وإلى المدينة، حتى بعث إلى مروان بن الحكم ليشاوره في الأمر، وعلى الرغم من سوء العلاقة بينهما فقد حضر مروان إليه، فأخبره الخبر واستشاره في ذلك، فأشار عليه أن يبعث على وجه السرعة إلى الإمام الحسين (عليه السلام) وعبد الله بن الزبير، فيدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة، فإن استجابوا خيراً وإن أبوا فتضرب أعناقهم، قبل أن يعلموا بموت معاوية، لأنهم إن علموا أظهروا الخلاف ووثب كل واحد منهم في جهة (4).

ص: 150

- 
- 1- (1) - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 166؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 218.
  - 2- (2) - الدينوري، الأخبار الطوال، ص 209؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 217.
  - 3- (3) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 5، ص 313؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 227-228؛ ابن أعمش الكوفي، كتاب الفتوح، ج 5، ص 10.
  - 4- (4) - الدينوري، الأخبار الطوال، ص 210؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 469.

وأصر مروان أن يرسل في طلبهما في جوف الليل أى عند وصول رسول يزيد إلى المدينة وأن لا يؤخر ذلك إلى الصباح، وبالفعل أرسل الوليد عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو غلام صغير السن، يدعوهما للحضور، فوجدهما في المسجد يتحدثان، وأتاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها، فبلغهما بذلك، فصرفاه وقالاه: سنأتى فى أثرك. وتداولوا الأمر فيما بينهما عن سبب تلك الدعوة فقال الإمام الحسين عليه السلام لأبن الزبير: أظن أن طاغيتهم قد مات، ويدعوننا لنبايع قبل أن يعلم الناس بذلك، وأقتنع عبد الله ابن الزبير بصحة حدس الإمام الحسين (عليه السلام) بهذا الشأن. (1)

قرر الإمام الحسين (عليه السلام) التوجه إلى مجلس الوليد ويدد مخاوف ابن الزبير عليه من الوليد فقال له: لا آتية إلا وأنا قادر على الامتناع منه، ثم جمع الإمام الحسين عليه السلام أصحابه ومواليه وفتيانه وأوصاهم أن يقفوا فى باب مجلس الوليد فان دعاهم أو سمعوا صوته قد علا، يدخلوا عليه بإجمعهم إلى مجلس الوليد، ثم دخل وسلم، فلما وجد مروان عنده، قال: الصلة خير من القطيعة، والصلح خير من الفساد، فى إشارة إلى ما كان من الخلاف بين الوليد ومروان، ثم جلس الإمام الحسين (عليه السلام)، فقرأ عليه الوليد كتاب يزيد، ونعى له معاوية، ودعاه إلى بيعة يزيد، فاسترجع الحسين، ثم قال: «أما ما سألتنى من البيعة فان مثلى لا يعطى بيعته سراً، ولا أراك

ص:151

---

1- (1) - الدينورى، الأخبار الطوال، ص 210؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 228؛ ابن أعمش الكوفى، كتاب الفتوح، ج 5، ص 11-12؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 469.

تجتزئ بها منى سراً دون أن نظهرها على رؤوس الناس علانية؛ قال: أجل، فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمراً واحداً، فقال له الوليد، وكان يحب العافية: فانصرف على أسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس» (1)، لكن هذا الرأي لم يعجب مروان فقال للوليد: «والله لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، أحبس الرجل، ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه، فوثب عند ذلك الحسين، فقال: يا بن الزرقاء، أنت تقتلني أم هو! كذبت والله وأثمت، ثم خرج فمر بأصحابه، فخرجوا معه حتى أتى منزله» (2).

ثم أنشغل الوليد بإرسال الرسل إلى عبد الله بن الزبير الذي طلب أن يمهلوه إلى اليوم التالي، فبعث أخاه جعفر بن الزبير إلى الوليد فقال له: «كف عن عبد الله، فإنك قد أفزعته وذعرت به بكثرة رسلك، وهو آتيك غداً إن شاء الله فمر رسلك فليصرفوا عنا، فبعث اليهم فانصرفوا» (3). وخرج ابن الزبير من ليلته، هو وأخوه جعفر لا ثالث لهما، فأخذ الطريق الفرع وتجنب الطريق الأعظم مخافة الطلب.

وقد تجنب الوليد اتخاذ أى إجراء آخر ضد الإمام الحسين (عليه السلام)، وذلك لمكانته الدينية المرموقة بين المسلمين، ولكونه ابن بنت رسول

ص: 152

- 
- 1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 228-229؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 470.
  - 2- (2) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 229؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 470.
  - 3- (3) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 229؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 470.



الله (صلى الله عليه واله وسلم)، وعلى الرغم من الموقف السيئ الذى وقفه مروان فى تلك الأحداث، فقد قال للوليد: «عصيتنى لا والله لا يمكنك من مثلها من نفسه أبداً». (1) فكان رد الوليد واضحاً وعنيفاً فقال: «ويحك، أتشير على بقتل الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وعليهما السلام؟ والله إن الذى يُحاسب بدم الحسين يوم القيامة لخفيف الميزان عند الله» (2)، وذكر ابن أعثم الكوفى (3) أنه قال: «ويحك! أشرت على بقتل الحسين وفى قتله ذهاب دينى وديناى».

أوضح الإمام الحسين (عليه السلام) رأيه بشكل جلى بأنه لم ولن يبايع يزيد منذ الوهلة الأولى فقد قال أثناء حديثه مع عبد الله بن الزبير فى شأن البيعة: «.... أنى أبايع ليزيد ويزيد رجل فاسق معلى الفسق يشرب الخمر ويلعب بالكلاب والفهود ويبغض بقية آل الرسول! لا والله لا يكون ذلك أبداً». (4)

وقال لأخيه محمد ابن الحنفية: «والله يا أخى لو لم يكن فى الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية أبداً». (5)

ص: 153

- 
- 1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 229؛ ينظر: الدينورى، الأخبار الطوال، ص 211؛ المفيد، الإرشاد، ص 192
  - 2- (2) - الدينورى، الأخبار الطوال، ص 211؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 229؛ المفيد، الإرشاد، ص 192.
  - 3- (3) - كتاب الفتوح، ج 5، ص 14.
  - 4- (4) - ابن أعثم الكوفى، كتاب الفتوح، ج 5، ص 12.
  - 5- (5) - ابن أعثم الكوفى، كتاب الفتوح، ج 5، ص 21.

يتضح من كلام الإمام (عليه السلام) مع الوليد ومروان تصميمه على القيام بإصلاح أوضاع الأمة والوقوف بوجه يزيد وأعدائه ورفض بيعته وعلى أثر ذلك حدثت مشادة بينه وبين مروان أنب فيها مروان وعنه فقد قال له: «ويلك يا مروان! إليك عنى فإنك رجس وإنا أهل بيت الطهارة الذين أنزل الله عز وجل على نبيه (صلى الله عليه واله وسلم) فقال: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) 1.

قال: فنكس مروان رأسه لا ينطق بشيء» (1).

بعد ذلك كتب الوليد إلى يزيد بن معاوية يخبره بما كان من أهل المدينة وابن الزبير، ثم ذكر له أمر الإمام الحسين (عليه السلام) أنه ليس يرى لنا عليه طاعة ولا بيعة، فكتب إليه يزيد: «من عبد الله يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد ابن عتبة، أما بعد، فإذا ورد عليك كتابى هذا فخذ البيعة ثانياً على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم، وذو عبد الله بن الزبير فإنه لن يفوتنا ولن ينجو منا أبداً ما دام حياً، وليكن جوابك إلى رأس الحسين بن على، فإن فعلت ذلك فقد جعلت لك أعنة الخيل ولك عندى الجائزة والحظ الأوفر والنعمة واحدة والسلام» (2).

واستمرت تلك الضغوط فقرر الإمام الحسين (عليه السلام) التوجه إلى مكة المكرمة وبصحبه بنوه وإخوته وبنو أخيه وجل أهل بيته، إلا محمد ابن

ص: 154

- 
- 1- (2) - ابن أعثم الكوفى، كتاب الفتوح، ج 5، ص 17.  
2- (3) - ابن أعثم الكوفى، كتاب الفتوح، ج 5، ص 18.

الحنفية، وقبل أن يخرج من مكة دخل مسجد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وتمثل بقول الشاعر:

لا ذعرت السوام في فلق الصب - ح مغيراً ولا دعيت يزيداً

يوم أعطى من المهابة ضيماً والمنايا يرصدنى أن أحيداً(1)

ولما خرج لزم الطريق الأعظم فقال له أهل بيته: لو تنكبت الطريق الأعظم كما فعل ابن الزبير لئلا يلحقك الطلب فقال: لا والله حتى يقضى الله ما هو قاضٍ (2) فرفض أن يتخذ غيره خوفاً من الطلب، ولما خرج نحو مكة، تلا قوله تعالى: (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) 3.

فلما دخل مكة قرأ قوله تعالى: (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) 4 (3)، ومضى حتى وافى مكة، فنزل شعب على، وأختلف الناس إليه، فكانوا يجتمعون عنده حلقاً حلقاً، وتركوا عبد الله بن الزبير، وعلم أن الناس لا يحفلون به والإمام الحسين (عليه السلام) مقيم بالحجاز، فكان يختلف إلى الحسين صباحاً ومساءً(4).

ص: 155

---

1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 230؛ ابن أعثم الكوفى، كتاب الفتوح، ج 5، ص 22؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 471.

2- (2) - المفيد، الإرشاد، ص 193.

3- (5) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 230.

4- (6) الدينورى، الأخبار الطوال، ص 212؛ المفيد، الإرشاد، ص 193.

أرجع الدينوري(1) تحرك أهل الكوفة نحو الإمام الحسين (عليه السلام) إلى وقت مبكر جداً، وبالتحديد في عهد الإمام الحسن (عليه السلام) وذلك أثناء عقد الصلح مع معاوية فقد ذكر أن حجر بن عدى دخل مع عبيدة بن عمرو على الإمام الحسين (عليه السلام) فقالوا: «أبا عبد الله، شريتم الذل بالعز، وقبلتم القليل، وتركتم الكثير، أطعنا اليوم، واعصنا الدهر، دع الحسن وما رأى من هذا الصلح، وأجمع إليك شيعتك من أهل الكوفة وغيرها، وولني وصاحبي هذه المقدمة، فلا يشعر ابن هند إلا ونحن نقارعه بالسيوف. فقال الحسين: إنا قد بايعنا وعاهدنا، ولا سبيل إلى نقض بيعتنا».

ويبدو - إن صحت رواية الدينوري هذه بأن صاحب القول هو حجر بن عدى - فهي لا تتعدى عن ردة الفعل التي انتابت العديد من شيعة آل البيت في ذلك الظرف العصيب الذي رافق عقد الصلح، ولا يمكن أن تكون بأى حال من الأحوال هيبيعة للإمام الحسين (عليه السلام) في حياة أخيه الإمام الحسن (عليه السلام)، فقد كان الحماس شديداً لدى الخالص من شيعة آل البيت في قتال معاوية.

وعندما قتل حجر بن عدى وأصحابه على يد معاوية سنة إحدى وخمسين للهجرة(2)، أستفزع أهل الكوفة ذلك استفظاعاً شديداً، وخرج نفر

ص:156

1- (1) - الدينوري، الأخبار الطوال، ص 204.

2- (2) - خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص 213؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 185.

من أشرفها إلى الإمام الحسين (عليه السلام) في المدينة، وأخبروه بما جرى على حجر وأصحابه، وقام هؤلاء يختلفون إليه(1) ، مما أثار الشكوك والريبة لدى والى المدينة يومئذ مروان بن الحكم، «فكتب إلى معاوية يعلمه أن رجالاً من أهل العراق قدموا على الحسين بن علي رضي الله عنهما، وهم مقيمون عنده يختلفون إليه، فاكتب إلى بالذي ترى». (2)

وعلى الرغم من أن معاوية لم يسمح لمروان والى المدينة بالتعرض للإمام الحسين حيث كتب له «لا تعرض للحسين في شيء، فقد بايعنا، وليس بناقض بيعتنا ولا مخفر ذمتنا»(3) ، ومن المعروف أنّ الإمام الحسين عليه السلام إلتزم بالهدنة التي عقدها الإمام الحسن (عليه السلام) مادام معاوية على قيد الحياة إلا أن ذلك لم يبدد مخاوف معاوية من منزلة ومكانة الإمام الحسين (عليه السلام) عند المسلمين عامة وعند أهل العراق خاصة، فكتب إليه: «أما بعد، فقد انتهت إلى منك أمور، لم أكن أظنك بها رغبة عنها، وأن أحق الناس بالوفاء لمن أعطى بيعة من كان مثلك، في خطرک وشرفک ومنزلتک التي أنزلک الله بها، فلا تنازع إلى قطيعتک، وأتق الله، ولا تردن هذه الأمة في فتنة، وانظر لنفسک ودينک وأمة محمد، ولا يستخفنک الذين لا يوقنون». (4)

ص: 157

- 
- 1- (1) - الدينوري، الأخبار الطوال، ص 207-208؛ الشريف المرتضى، على بن الحسين (ت: 436 هـ - 1044 م)، تنزيه الأنبياء، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، د. ت، ص 175؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 203.
  - 2- (2) - الدينوري، الأخبار الطوال، ص 207-208؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 203.
  - 3- (3) - الدينوري، الأخبار الطوال، ص 208.
  - 4- (4) - ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص 167؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص 208.

ويتضح من خلال كتاب معاوية هذا حجم مخاوفه من اتصال أهل الكوفة بالإمام الحسين (عليه السلام)، وما سوف تتوّل إليه الأمور في حال استجابته إلى ذلك، ويبدو كذلك من جواب الإمام الحسين الذي كان رداً حاسماً وقوياً، فأجابه بكتاب كتب فيه: «... وأما ما ذكرت أنّه رقى إليك عنى، فإنما رقاها الملاقون، المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الجمع، وكذب الغاوون المارقون، ما أردت حرباً ولا خلافاً، وأنى لأخشى الله في ترك ذلك منك ومن حزبك، القاسطين المحليين، حزب الظالم، وأعوان الشيطان الرجيم، ألسن قاتل حجر، وأصحابه العابدين المحبّتين... أو لست بقاتل عمرو بن الحمق...» (1).

والإمام الحسين (عليه السلام) يرى أحقيته في النهضة ضد الأمويين ولكنه يرى أن الوقت لم يحن بعد، فقد سبق وأن وجه بعض شيعته وأنصاره قائلاً: «ليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته، مادام معاوية حياً؛ فإنها بيعة كنت والله لها كارهاً، فإن هلك معاوية نظرنا ونظرتم، ورأينا ورأيتم» (2).

وما إن توفى معاوية عام (60 هـ) وعلم أهل الكوفة بتنصيب أهل الشام يزيد خليفة للمسلمين، ورفض الإمام الحسين (عليه السلام) مبايعته وخروجه إلى مكة، حتى اجتمع أهل الكوفة في بيت سليمان بن صرد الخزاعي، وبعد أن

ص: 158

1- (1) - ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص 169؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص 208.

2- (2) - ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص 155.

تداولوا الأمر فيما بينهم كتبوا له كتاباً جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن علي من سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر. وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة، سلام عليك، فانا نحمد اليك الله الذي لا اله إلا هو، أما بعد، فالحمد لله الذي قضم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فأبترها أمرها، وغصبها فيئها، وتأمّر عليها بغير رضى منها، ثم قتل خيارها، وأستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبارتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثموداً، إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق، والنعمان بن بشير في قصر الامارة، لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله، والسلام ورحمة الله عليك».(1)

وما إن وصل كتاب أهل الكوفة المتقدم الذكر في العاشر من رمضان سنة ستين للهجرة إلى الإمام الحسين (عليه السلام) مع عبد الله بن سبع الهمداني وعبد الله بن وال(2)، فلم يلبث أهل الكوفة أكثر من يومين حتى

ص: 159

---

1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 237؛ وينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص 210؛ المفيد، الإرشاد، ص 194؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 475؛ ابن طاووس، على بن موسى (ت: 664 هـ - 1265 م)، اللهوف فى قتلى الطفوف، دار السجدة، قم، 2003 م، ص 22، 23؛ ابن الصباغ، الفصول المهمة، ص 277، 278.

2- (2) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 237؛ وينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص 210؛ المفيد، الإرشاد، ص 194؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 475؛ ابن طاووس، اللهوف، ص 22، 23.

سرحا مع قيس بن مسهر الصيداوى(1) وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحبى وعمارة بن عبيد السلولى، أكثر من ثلاثٍ وخمسين صحيفة من رجال من أهل الكوفة، وتوالت الكتب على الإمام الحسين تدعوه إلى القدوم على الكوفة فقد كتب بعض قادتهم منهم شبت بن ربعى وحجار بن أبجر وعمرو ابن الحجاج وغيرهم «أما بعد، فقد أخضرت الجنب، وأينعت الثمار، وطمّت الجمام، فإذا شئت فأقدم على جنديك لك مجندٍ والسلام عليك». (2).

ولما قرأ الإمام الحسين (عليه السلام) تلك الكتب وسأل الرسل عن أمر الناس كتب لهم مع هانى بن هانى السبيعى وسعيد بن عبد الله الحنفى، وكانا آخر من قدم عليه من الرسل: «بسم الله الرحمن الرحيم من حسين بن على

ص:160

1- (1) - هو قيس بن مسهر الصيداوى أحد حملة رسائل أهل الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام بعد إعلان الإمام رفضه لبيعة يزيد بن معاوية، ثم صحب مسلم بن عقيل عليه السلام عند قدومه سفيراً عن الإمام عليه السلام إلى الكوفة، ورجع يحمل إلى الإمام الحسين عليه السلام رسالة من مسلم بن عقيل عليه السلام، قبل استشهاده بسبع وعشرين ليلة يخبره فيها بيعة من بايع ويدعوه إلى القدوم، ولما رجع إلى الكوفة حاملاً كتاب الإمام عليه السلام القى القبض عليه قبل دخولها الحصين بن نمير فمزق الكتاب وأرسله إلى ابن زياد فسأله لماذا مزقت الكتاب قال له لئلا تعرف ما فيه فقال له: من أين فقال من الحسين إلى جماعه من أهل الكوفة لا أعرف أسماءهم، فأمره أن يصعد ويسب الإمام الحسين وأباه، فصعد وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس أنا رسول الحسين بن على خير خلق الله... فأجيبوه، ولعن ابن زياد وأباه، وأستغفر للإمام على عليه السلام فأمر أن يرمى من فوق القصر فرمى وتقطع وأستشهد. ينظر: البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 3، ص 378، الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 266-267.

2- (2) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 237-238؛ ابن طاووس، اللهوف، ص 23.



إلى الملاء من المؤمنين والمسلمين؛ أما بعد، فإن هانئاً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكركم، ومقالة جللكم: إنه ليس علينا إمام، فاقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق. وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إلي بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إلي أنه قد أجمع رأي ملتكم وذوى الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم، وقرأت في كتبكم أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله؛ فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله. والسلام» (1).

وهكذا استدعى الإمام الحسين (عليه السلام) مسلم بن عقيل فسرحه مع قيس بن مسهر الصيداوى وعمارة بن عبد السلولى وعبد الرحمن بن عبد الله الارحبي وأمره بتقوى الله وكنمان أمره واللطف، فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجل إليه بذلك، فسار مسلم حتى نزل الكوفة (2). وهنا يذكر معظم المؤرخين أنه نزل في دار المختار بن أبي عبيد (3) في حين ذكر بعضهم أنه

ص: 161

---

1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 238؛ ينظر: المفيد، الإرشاد، ص 193؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 475.

2- (2) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 238-239.

3- (3) أبو مخنف، لوط بن يحيى (ت: 157 هـ - 773 م)، مقتل الحسين، تحقيق: حسن الغفارى، المطبعة العلمية، قم، 1398 هـ -، ص 20؛ البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 2، ص 334-335؛ الدينورى، الأخبار الطوال، ص 213؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 239؛ ابن أعثم الكوفى، كتاب الفتوح، ج 5، ص 33؛ ابن حبان، أبو حاتم محمد (ت: 354 هـ - 965 م)،

نزل في دار هاني بن عروة(1) ، وذكر آخرون أنه نزل في دار مسلم بن عوسجة(2).

وعلى الرغم من هذا الاختلاف بين المؤرخين في المكان الذي نزل فيه مسلم بن عقيل إلا أنهم أجمعوا على ثلاثة من كبار أهل الكوفة آنذاك وهم هاني بن عروة، ومسلم بن عوسجة، والمختار بن أبي عبيد، وهؤلاء أشهر من أن يُعرف موقفهم من نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) فهاني بن عروة (رحمه الله) أستشهد مع مسلم بن عقيل عليه السلام قبل وصول الإمام الحسين (عليه السلام) ومسلم بن عوسجة (رحمه الله) أستشهد مع الإمام الحسين (عليه السلام) في واقعة الطف، والثالث هو المختار. والاقتران بهؤلاء لم يكن شيئاً اعتيادياً وإنما هو منقبة بحد ذاته، فضلاً عن ذلك كانت الكوفة في ذلك الوقت معقل كبار أنصار آل محمد أمثال حبيب بن مظاهر الأسدي وسليمان بن صرد الخزاعي وغيرهم فلم يختر مسلم النزول عند أحدٍ منهم.

ص:162

---

1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 263.

2- (2) - المسعودي، مروج الذهب، ج 3، ص 68؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 234؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 480.

وقد نقل الطبري روايته بسنده عن أبي مخنف لوط بن يحيى دخول مسلم إلى الكوفة وتحركاته فيها فوصف تلك الرواية فقال: «وأما أبو مخنف فإنه ذكر من قصة مسلم بن عقيل وشخصه إلى الكوفة ومقتله قصة هي أشبع وأتم من خبر عمار الدهني (1) الذي ذكرناه». (2) - فقال: «... ثم أقبل مسلم حتى دخل الكوفة، فنزل دار المختار بن أبي عبيد، وهي التي تدعى اليوم دار مسلم بن المسيب، وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فكلما اجتمعت إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب حسين، فأخذوا يبكون. فقام عابس بن أبي شبيب الشاكري، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنني لا أخبرك عن الناس، ولا أعلم ما في أنفسهم، وما أغرك منهم، والله أحدثك عما أنا موطن نفسي عليه، والله لأجيبنكم، إذا دعوتهم، ولا قاتلن معكم عدوكم، ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلا ما عند الله. فقام حبيب بن مظاهر الفقعسي؛ فقال: رحمك الله! قد قضيت ما في نفسك، بواجز من قولك؛ ثم قال: وأنا والله الذي لا إله إلا هو على مثل ما هذا عليه...». (3) ، ثم بايع الناس بعد ذلك فكان المختار فيمن بايعه وناصره، وأخذ البيعة له من الناس. (4)

ص: 163

- 
- 1- (1) - عمار الدهني: هو أحد رواة الطبري الذي ذكر أن مسلماً نزل في دار رجلٍ من أهل الكوفة يقال له ابن عوسجة. ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 234.
  - 2- (2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 236.
  - 3- (3) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 20؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 239.
  - 4- (4) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 376؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 384؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 5، ص 61.

ويبدو أن الروايات التي أشارت إلى نزول مسلم بن عقيل في دار المختار هي أرجح الروايات، وذلك لأن أغلب المصادر التاريخية أشارت إلى ذلك، فضلاً عن أن هناك عاملاً آخر رجح تلك الروايات، وهو أن المختار كان متزوجاً من عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري وإلى الكوفة من قبل الأمويين آنذاك وهو ما يجعل محل إقامته بعيداً عن شك الأمويين وجواسيسهم.

وبعد أن ناقش هاشم معروف الحسني(1) فرضية وجود صداقة ومودة بين الرجلين استبعد ذلك وعلله بفارق العمر الكبير بينهما، وسكن أحدهما في المدينة بينما يسكن الثاني في الكوفة؛ لكن أحد الباحثين(2) توصل إلى أن عمر مسلم بن عقيل عند دخوله الكوفة قد ناهز الخمسين مستنداً في استنتاجه هذا على رواية للواقدي ذكر فيها مشاركة مسلم بن عقيل في فتوح مصر إبان خلافة عمر بن الخطاب(3)، وهو ما يعني أن فارق العمر لم يكن كبيراً بين مسلم بن عقيل والمختار، وسبق وأن أشرنا لقول الذهبي(4) «ونشأ المختار بالمدينة يعرف بالميل إلى بني هاشم»، فلا يستبعد - فضلاً عن ولاء المختار لبني هاشم وعمله الدؤوب في سبيل انتقال السلطة إليهم - هناك روابط من الصداقة والمودة القديمة بين مسلم بن عقيل والمختار.

ص:164

1- (1) - الانتفاضات الشيعية، ص 337

2- (2) - الجميلي، على إبراهيم عبيد، مسلم بن عقيل دراسة تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، بغداد، 2010 م، ص 8، 11.

3- (3) - للمزيد من التفاصيل ينظر: الواقدي، محمد بن عمر (ت: 207 هـ - 822 م)، فتوح الشام، مراجعة: طه عبد الرؤوف سعد، دار ابن خلدون، الإسكندرية، ج 2، ص 268-348.

4- (4) - سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 544.

ويُعد نزول مسلم بن عقيل في دار المختار دليلاً على عظمته ومنزلته، فقد أورد ابن أعثم الكوفي (1) قول الإمام الحسين (عليه السلام) عندما دعا مسلم بن عقيل ووجهه إلى الكوفة فقال له: «إني موجهك إلى أهل الكوفة وهذه كتبهم إلي، وسيقضى الله من أمرك ما يحب ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء، فامض على بركة الله حتى تدخل الكوفة، فإن دخلتها فانزل عند أوثق أهلها وادع الناس إلى طاعتي واخذلهم عن آل أبي سفيان، فإن رأيت الناس مجتمعين على بيعتي فعجل لي بالخبر حتى أعمل على حسب ذلك إن شاء الله تعالى، ثم ودعه وبكى جميعاً».

وهنا يشير الإمام الحسين عليه السلام إلى قضية في غاية الأهمية وهي أن ينزل مسلم بن عقيل عند أوثق أهل الكوفة، ويتبين من خلال ذلك أنه لم يكن نزول مسلم بن عقيل في دار المختار أمراً اعتباطياً وإنما عن دراية كاملة، وتخطيط مسبق.

ثم تغيرت الموازين على وجه السرعة بعد أن كتب أنصار الحزب الأموي إلى مركز الخلافة الأموية بقدوم مسلم بن عقيل إلى الكوفة وأخذ البيعة للإمام الحسين (عليه السلام)، وأن والي الكوفة ضعيف ولم يحرك ساكناً، فاستشار يزيد أعوانه في ذلك فأشاروا عليه بتولية عبيد الله بن زياد على الكوفة وكان حينها والياً على البصرة، فجمع له يزيد الكوفة معها، فقدم إليها على وجه السرعة، وكان وصوله إليها على حين غرة من أهلها، وأتبع

ص: 165

الحيلة والدهاء فى دخولها على هيئة الإمام الحسين (عليه السلام)، فعزل واليها النعمان بن بشير الأنصارى، ثم سلط شرطته وجواسيسه على كل من يشك بولائه لآل محمد فملاً السجون بهم، وبدأ يتجسس على محل إقامة مسلم بن عقيل الذى انتقل على أثر وصول ابن زياد من دار المختار إلى دار هانى بن عروة للحفاظ على سرية محل إقامته، وكذلك للولاء المنقطع النظير لهانى بن عروة لآل البيت وللمنزلة الرفيعة التى يتمتع بها فى قومه، وما أن علم عبيد الله ابن زياد بمكان مسلم فى دار هانى بن عروة حتى استدعاه على وجه السرعة إلى القصر ومن ثم اعتدى عليه بالضرب ثم أودعه السجن. (1)

وقد أشار المؤرخون إلى موقف المختار من مسلم بن عقيل بعد أن ألقى القبض على هانى بن عروة، فما أن علم مسلم بذلك حتى هب لمحاصرة قصر الأمانة لإنقاذ هانى بن عروة من مآل ابن زياد، وقد ذكرت المصادر التاريخية العديد من الروايات بهذا الشأن:

فقد أورد أبو مخنف روايته بشكل مفصل ودقيق فذكر: أن المختار بن أبى عبيد كان فى قرية له تدعى لقفاً (2)، فجاءه خبر خروج مسلم بن عقيل عند الظهر ولم يكن خروجه على موعد من أصحابه، وإنما كان بسبب التطورات السريعة التى حدثت وهى اعتقال هانى بن عروة، فأقبل المختار فى

ص: 166

---

1- (1) - للمزيد من التفاصيل ينظر: الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 240-247؛ ابن أعثم الكوفى، كتاب الفتوح، ج 5، ص 48-35.

2- (2) - وهى قرية فى ناحية خطرنية إحدى نواحي بابل فى العراق. ينظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج 2، ص 278.

موالٍ حتى وقف بباب الفيل بعد الغروب، فقال له هانى بن أبي حية: أظنك والله قاتلاً نفسك، ولما علم بقدم المختار عمرو بن حريث صاحب راية عبيد الله بن زياد التي عقدها للناس في المسجد أرسل إليه يقول: أن صاحبه لا يُدري أين هو فلا يجعلن على نفسه سبيلاً، وطلب منه أن ينضم إلى رايته ويعطيه الأمان وأنه سيسفح له إذا وصل أمره إلى ابن زياد، فلما استشهد مسلم بن عقيل (عليه السلام) ودخل المختار مع الناس على عبيد الله بن زياد في اليوم التالي، فقال له ابن زياد: «أنت المقبل في الجموع لتنصر ابن عقيل فقال له: لم أفعل ولكني أقبلت ونزلت تحت راية عمرو بن حريث وبت معه وأصبحت فقال له عمرو: صدق أصلحك الله، قال: فرجع القضيب فأعرض به وجه المختار فخطب به عينه فشرها، وقال: أولى لك، أما والله لولا شهادة عمرو لك لضربت عنقك، انطلقوا به إلى السجن؛ فانطلقوا به إلى السجن فحُبس فيه، فلم يزل في السجن حتى قتل الحسين».(1)

وجاءت رواية البلاذري(2) متطابقة مع رواية أبي مخنف، إلا أنها أقل تفصيلاً منها، وتختلف في بعض المفردات التي لا تغير من المضمون شيئاً، وعلى الرغم من الإيجاز في رواية البلاذري إلا أنها أشارت إلى حماس المختار في نصرته مسلم بن عقيل، فقال: «وقدم المختار الكوفة مسرعاً، فوقف على

ص:167

---

1- (1) - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 269-270؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 384-385؛ وينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 602؛ ابن نما الحلبي، ذوب النصار، ص 69؛ المقريزي، أمتاع الأسماع، ج 12، ص 250.

2- (2) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 376.

باب المسجد الذى يعرف بباب الفيل فى جماعة..».

وأورد اليعقوبى(1) رواية مقتضبة فقال: «وكان المختار بن أبى عبيد أقبل فى جماعة عليهم السلاح، يريدون نصر الحسين بن على، فأخذه عبيد الله بن زياد، فحبسه، وضربه بالقضيب، حتى شتر عينه..».

وعلى الرغم من تطابق أغلب مفردات رواية اليعقوبى مع الروايات الأخرى، إلا أنه انفرد بقوله: بأن المختار قدم لنصرة الإمام الحسين (عليه السلام، حيث أجمعت المصادر التاريخية أن المختار أثناء قدوم الإمام الحسين إلى كربلاء كان فى سجن بن زياد.

وأورد الطبرى بهذا الشأن روايتين:

الأولى: وهى رواية أبى مخنف السالفة الذكر، فقال بسنده «قال هشام ابن محمد الكلبي: قال أبو مخنف:..... والمختار فى قرية له بخرنية(2) تدعى لققا، فجاءه خبر ابن عقيل عند الظهر..»(3).

الرواية الثانية: أوردها الطبرى(4) بسنده عن هارون بن مسلم فقال: «إنَّ المختار بن أبى عبيد وعبد الله بن الحارث بن نوفل كانا خرجا مع مسلم، خرج المختار براية خضراء، وخرج عبد الله براية حمراء، وعليه ثياب حُمْر،

ص:168

1- (1) - تاريخ اليعقوبى، ج 2، ص 180.

2- (2) - وهى ناحية من نواحي بابل فى العراق. ينظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج 2، ص 278.

3- (3) - تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 384.

4- (4) - تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 257.



وجاء المختار برايته فركزها على باب عمرو بن حريث، وقال إنما خرجت لأمنع عمراً؛ وأن ابن الأشعث والقعقاع بن شور وشبث بن ربيع قاتلوا مسلماً وأصحابه عشية سار مسلم إلى قصر بن زياد قتالاً شديداً، وان شبثاً جعل يقول: انتظروا بهم الليل يتفرقوا؛ فقال له القعقاع: إنك قد سددت على الناس وجه مصيرهم، فأفرج لهم ينسربوا، وأن عبيد الله أمر أن يُطلب المختار وعبد الله بن الحارث، وجعل فيهما جُعللاً، فأتى بهما فحبسا».

ورواية الطبري الثانية ذكرها ابن كثير (1) بصيغة أخرى فقال: «وسمع مسلم بن عقيل الخبر - أي ضرب وسجن هاني بن عروة - فركب ونادى بشعاره: يا منصور أمث. فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، وكان معه المختار بن أبي عبيد، ومعه راية خضراء، وعبد الله بن الحارث بن نوفل براية حمراء، فرتبهم ميمنة وميسرة» سار هو في القلب إلى عبيد الله وهو يخطب الناس في أمر هانيء..... إذ جاءت النظارة يقولون جاء مسلم بن عقيل...».

ويبدو أن روايتي الطبري الثانية وابن كثير لا يمكن الأخذ بهما بهذه السهولة، وذلك لأن أغلب المصادر التاريخية أشارت إلى أن المختار أثناء هذه الأحداث لم يكن في الكوفة، فضلاً عن أن الحملة التي قادها مسلم بن عقيل على القصر عقب ورود خبر هاني بن عروة أوردتها المصادر التاريخية بشكل آخر فقد جعل على مقدمته عبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندي وعقد له

ص: 169

1- (1) - البداية والنهاية، ج 11، ص 485.

راية ربع كندة وربيعة، ومسلم بن عوسجة على ربع مذحج وأسد، وأبا ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان، وعلى ربع المدينة عباس بن جعدة الجدلي، فأقبل بهم نحو القصر وحاصر بن زياد. (1)

وعلى الرغم من أن رواية ابن أعثم الكوفي (2) قريبة من رواية أبي مخنف التي ذكرناها، إلا أنها تختلف في بعض الأمور المهمة، فذكر أن ابن زياد قال: «يا بن أبي عبيد! أنت المقبل في الجيوش بالأمس لنصرة مسلم بن عقيل، وأنت ممن يتولى علياً وولده؟ فقال: إني أحبهم بمحبة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لهم، وأما نصرتي لمسلم بن عقيل فلم أفعل، وهذا عمرو بن حريث المخزومي يعلم ذلك، وهو شيخ أهل الكوفة يعلم أنني كنت في ذلك الوقت لازماً لمنزلي. قال: وأستحيي عمرو بن حريث أن يشهد على رجل مسلم في ذلك الوقت بين يدي عبيد الله بن زياد فيقتل، غير أنه قال: صدق أيها الأمير لم يقاتل مع مسلم بن عقيل، ولقد كذب عليه في هذا، فإن رأى الأمير أن لا يعجل عليه فإنه من أبناء المهاجرين...».

وهنا يشير ابن أعثم الكوفي في روايته هذه إلى مسألة غاية في الأهمية وهي: أن الولاية والمحبة لعلي وأولاده كانت من الأسباب المباشرة للقبض والتنكيل بالمختار، وكذلك أوضحت الرواية أن عمرو بن حريث كان على

ص: 170

- 
- 1- (1) - الدينوري، الأخبار الطوال، ص 219-220؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 248؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص 103؛ المفيد، الإرشاد، ص 201؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 484.
- 2- (2) كتاب الفتوح، ج 5، ص 144-145.

يقين بأن المختار إنما جاء لنصرة مسلم بن عقيل، إلا أنه أضطر أن يكون في ذلك الموقف إلى جانبه لأنه كره أن يشهد على رجل مسلم فيكون سبباً في قتله.

ويبدو أن هناك مبالغة في سبب شهادة عمرو بن حريث إلى جانب المختار لأنه رجلٌ مسلمٌ، فعمرو من قادة ابن زياد الذى قتل العترة الطاهرة ولم يكن يعنيه الإسلام شيئاً، أما موقفه هذا فربما بسبب الوعد الذى قطعه على نفسه عندما بعث زائدة بن قدامه للمختار للانضمام إلى رايته، لكن تلك الرواية أوضحت حجم الجيش الذى قدم به المختار لنصرة مسلم بن عقيل فأشارت إلى قول عبيد الله بن زياد: «أنت المقبل فى الجيوش».

وأورد ابن عساكر (1)، وابن الأثير (2)، وابن نما الحلى (3)، والذهبي (4)، والمقرئى (5)، والمجلسى (6) موقف المختار من مسلم بن عقيل بعد مجيء عبيد الله بن زياد وقيامه بضرب وسجن هانئ بن عروة فوردت رواياتهم مختصرة تتفق بشكل تقريبي مع رواية أبى مخنف بشكل واضح مع بعض الاختلافات التى لا تغير من المضمون شيئاً.

ص: 171

---

1- (1) - تاريخ دمشق، ج 18، ص 295-296.

2- (2) - الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 602.

3- (3) - ذوب النصار، ص 68-69.

4- (4) - تاريخ الإسلام، ج 5، ص 61.

5- (5) - إمتاع الأسماع، ج 12، ص 250.

6- (6) - بحار الأنوار، ج 45، ص 353.

وعلق السيد الشهيد الصدر الثاني(1) على موقف المختار من مسلم بن عقيل فقال: «إنه لا شك أنه مخلص بدرجة معتد بها، حيث شارك مسلم بن عقيل في حركته، وأعانه على أهدافه، وهو يعلم أن من نتائج ذلك السجن أو القتل، لأن الحكم الحقيقي لم يكن بيدهم، بل بيد أعدائهم»

يتضح من خلال ما تقدم الأهمية الكبيرة التي يتمتع بها المختار والدور الكبير الذي قام به مع مسلم بن عقيل، ولولا أن الأمور جرت بشكل سريع لأصبح الموقف أكثر تعقيداً على عبيد الله بن زياد، باكتمال وصول أنصار مسلم بن عقيل على الموعد الذي ضربه إليهم لكن تغيير وقت الشروع بالثورة حال دون وصولهم لنصرة مسلم بن عقيل الذي أدى استشهاداه إلى إلقاء القبض على الموالين له وزجهم بالسجون فقتل بعضهم مثل ميثم التمار، وحال السجن بين من بقى منهم بالأشتراك في ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) كالمختار وغيره.

ص:172

---

1- (1) - محمد محمد صادق، شذرات من فلسفة تاريخ الحسين، تحقيق: أسعد الناصري، دار البصائر، بيروت، 2010 م، ص 111.

عند الحديث عن موقف المختار من التوابين لابد أن نقسم هذا الموقف على مرحلتين: الأولى التي تتمثل في شخوصهم لقتال الأمويين، والثانية عند عودتهم من بلاد الشام بعد أن استشهد معظم قادتهم وعلى رأسهم سليمان ابن صرد الخزاعي المنافس القوي للمختار في زعامة الشيعة، وقبل أن نتطرق إلى موقف المختار في المرحلتين لابد لنا من أن نخرج على حركة التوابين.

كان استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء على أيدي الأمويين وأتباعهم سبباً رئيساً ودافعاً حقيقياً لقيام الثورات في العديد من أمصار الدولة الإسلامية، والتي أدت في نهاية المطاف إلى سقوط دولتهم تحت شعار الرضا من آل محمد.

كانت حركة التوابين من أولى تلك الحركات التي أخذت على عاتقها ألقصاص من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) والأخذ بثأره، وتميزت تلك الحركة بأنها حركة شيعية منظمة اتخذت في بدايتها طابعاً سرياً منظماً<sup>(1)</sup>، وقد

ص:173

---

1- (1) - الخطيب، دولة المختار الثقفي، ص 162.

أورد الطبري(1) في تاريخه أنّها بدأت تحركاتها منذ الأيام الأولى التي تلت استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، فقال: «... قتل الحسين بن علي ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة(2)، فدخل الكوفة، تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم، ورأت أنها قد أخطأت خطأً كبيراً بدعائهم الحسين إلى النصرة وتركهم إجابته، ومقتله إلى جانبهم لم ينصروه، ورأوا أنه لا يغسل عارهم والإثم عنهم في مقتله إلاّ بقتل من قتله، أو القتل فيه، ففزعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رؤوس الشيعة: إلى سليمان بن صرد الخزاعي وكانت له صحبة مع النبي صلى الله عليه واله وسلم، وإلى المسيب بن نجبة الفزاري وكان من أصحاب علي وخيارهم، وإلى عبد الله بن سعد بن نفييل

ص:174

1- (1) - تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 372-373؛ وينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 364؛ الثقفى، الغارات، ج 2، ص 774؛ المسعودى، مروج الذهب، ج 3، ص 110؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج 37، ص 458؛ ابن الأثير الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 593-594؛ المجلسى، بحار الأنوار، ج 45، ص 360؛ البحرانى، عبد الله بن نور الله، عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار، تحقيق: محمد باقر المرتضى، مدرسة الإمام المهدي، قم، 1407 هـ -، ص 674، الخطيب، دولة المختار الثقفى، ص 154؛ الخشخشى، خالد راسم أمير، حركة التوابين 61 هـ - 65 هـ -، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بابل، كلية التربية، 2007 م، ص 154-163؛ الزيدى، مروان عطية، ثورة الإمام الحسين وأثرها فى حركات المعارضة حتى عام 132 هـ -، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، 2007 م، ص 111-113.

2- (2) - النخيلة: تصغير نخله، وهو موضع قرب الكوفة على سَمْت الشام، كثيراً ما يتخذها أهل الكوفة معسكراً لقواتهم إذا أرادوا أن يستعدوا للحرب. ينظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج 5، ص 278.

الأزدى(1)، وإلى عبد الله بن والٍ التيمي(2)، وإلى رفاعه بن شداد البجلي(3)».

وأصل التوابون بالشيعة خارج الكوفة من أهل المدائن والبصرة

ص:175

1- (1) - هو عبد الله بن سعد بن نفييل الأزدي من أزد شنوءة، أحد زعماء التوابين، أوقف ماله كله عدى سلاحه الذي يقاتل به صدقة على المسلمين حين استعد التوابين للأخذ بثأر الإمام الحسين (عليه السلام)، وهو من أشار على سليمان بطلب دم الحسين من عمر بن سعد، ومن بالمصر فإنهم الذين شركوا في دمه وتولوا أمره، لكن سليمان كان يرى ابن زياد هو من سرب وجهاز الجيش لقتل الحسين (عليه السلام)، كان قائد الميمنة في عين الوردة، وحامل راية التوابين بعد استشهاد سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة، قيل له إن أهل المدائن وأهل البصرة في طريقهم للحوق بكم فقال: هذا لو جاؤونا ونحن أحياء، وحين جزع البعض من التوابين لكثرة القتلى والجرحى بينهم، قال: لأجل هذا خرجنا، فاستشهد في عين الوردة (سنة 65 هـ -)، نعتة الأعشى في قصيدة كانت تكتنم ذلك الزمان بسيد شنوءة. للمزيد من التفاصيل ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 366، 369، 371؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 6، 7، 14، 17؛ الزركلي، الأعلام، ج 4، ص 89.

2- (2) - هو عبد الله بن والٍ التيمي من تيم اللات بن ثعلبة من بكر بن وائل، من أصحاب الإمام علي (عليه السلام)، يعد من الفقهاء والعباد، خرج مع التوابين لقتال جيش الشام، وحمل راية التوابين بعدما أستشهد سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة وعبد الله بن سعد، فأستشهد في معركة عين الوردة (سنة 65 هـ -). للمزيد من التفاصيل ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 364-371؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 12، 14، 17؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 615-616؛ السماوي، محمد بن طاهر، إِبصار العين في أنصار الحسين، تحقيق: محمد جعفر الطبسي، دار الثورة، د. م، 1419 هـ -، ص 38.

3- (3) - هو رفاعه بن شداد بن عبد الله بن قيس بن حيال بن بد الفتياي، وفتيان بطن من بطون بجيلة، من أصحاب حجر بن عدى، وعمرو بن الحمق، وأحد زعماء التوابين وكان آخر من حمل رايته بعد استشهاد قادتهم فانسحب بهم إلى الكوفة. ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 364-365.

فاستجابوا لهم فكان ابتداء أمرهم في آخر سنة إحدى وستين للهجرة (1)، وحافظوا على سرية حركتهم حتى مات يزيد بن معاوية، فذكر الطبري (2) بسنده عن أبي مخنف فقال: «فلم يزل القوم في جمع آلة الحرب، والاستعداد للقتال، ودعاء الناس في السر، من الشيعة وغيرها، إلى الطلب بدم الحسين؛ فكان يجيبهم القوم بعد القوم، والنفر بعد النفر فلم يزالوا كذلك وفي ذلك، حتى مات يزيد بن معاوية...»..

يتضح من خلال ما تقدم الطابع السري الذي امتازت به حركة التوابين ودقة تنظيمها من خلال دعوة الموالين لهم في الأمصار الأخرى، حتى جاء الوقت الذي قرروا فيه الخروج للقتال، فخرج سليمان بن صرد الخزاعي سنة (65 هـ -) إلى معسكر النخيلة، وأستعرض أصحابه فلم يعجبه عددهم، وكان قد عاهده على الخروج معه قبل ذلك ستة عشر ألفاً، فأرسل حكيم بن منقذ الكندي (3) والوليد بن عاصير (4) فناديا في الكوفة: يا لثارات الحسين! فكانا

ص:176

- 
- 1- (1) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 366؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 377.
  - 2- (2) - تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 377؛ وينظر: مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت: 421 هـ - 1030 م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003 م، ج 2، ص 69-70؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 597.
  - 3- (3) - هو حكيم بن منقذ الكندي من التوابين أرسله سليمان بن صرد الخزاعي هو والوليد بن عاصير من النخيلة إلى الكوفة فناديا يا لثارات الحسين وذلك في سنة خمس وستين للهجرة. ينظر: الأمين، أعيان الشيعة، ج 6، ص 216.
  - 4- (4) - هو الوليد بن عاصير الكنانى من التوابين أرسله سليمان بن صرد هو وحكيم بن منقذ الكندي



أول خلق الله دعا: يا لثارات الحسين (عليه السلام) (1).

وبعد أن أقام بالنخيلة ثلاثة أيام يبعث إلى من تخلف عنه، قال له المسيب بن نجبة: «رحمك الله! إنه لا ينفعك الكاره، ولا يقاتل معك إلا من أخرجته النية، فلا تنتظرن أحداً، وأكمش في أمرك، قال: فإنك والله لنعما ما رأيت» (2).

كانت أهداف التوايين واضحة وجلية أعلنها زعيمهم سليمان بن صرد عند مغادرتهم معسكرهم في الكوفة وقد عزموا على المسير إلى الشام فقال: «أيها الناس، من كان خرج يريد بخروجه وجه الله والآخرة، فذلك منا، ونحن منه، فرحمة الله عليه حياً وميتاً، ومن كان إنما يريد الدنيا، فوالله ما يأتي فيء نأخذه، وغنيمة نغنمها، ما خلا رضوان الله، وما معنا من ذهب ولا فضة ولا متاع، وما هو إلا سيوفنا على عواتقنا، وزاد قدر البلغة» (3).

وهكذا وفي ظل محدودية الأهداف، وضعف التمويل، وقلة العدد،

ص: 177

1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 5؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 608.

2- (2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 6؛ ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 608.

3- (3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 608-609؛ ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 6؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 73.

توجهت نخبة من المسلمين فى الكوفة إلى كربلاء حيث القبر الشريف فأقاموا فيه يوماً وليلة يكون ويندبون ويطلبون من الله سبحانه التوبة، ومن كربلاء توجهوا إلى هيت(1) ثم خرجوا منها باتجاه قرقيسيا(2) وعليها زفر بن الحارث(3) الذى فتح لهم سوقاً لإمدادهم بالمؤمن التى يحتاجونها وقدم لهم معلومات مهمة عن تحرك الجيش الأموى الذى كان بقيادة عبيد الله بن زياد ونصحهم بأن يسبقوهم إلى عين الوردة(4) وينزلوا غريبها ويجعلوها من ورائهم لتحمى ظهورهم(5).

ص:178

- 1- (1) - هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار، كثيرة النخيل وخيراتها واسعة، مجاورة للصحراء، فتحها المسلمون عام ستة عشر للهجرة. ينظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج 5، ص 420-421.
- 2- (2) - قرقيسيا: بلد على نهر الخابور تبعد ستة فراسخ عن مصبه فى مثلث بين الخابور والفرات، فتحها المسلمون عام ستة عشر للهجرة. ينظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج 4، ص 328-329.
- 3- (3) - هو زفر بن الحارث بن عبد بن عمرو بن معاوية الكلابى، يكنى أبو الهذيل، تابعى من أهل الجزيرة، شهد صفين مع معاوية بن أبى سفيان، كان سيد قيس فى وقته وقف إلى جانب عبد الله ابن الزبير فى وقعة مرج راهط فهرب على أثرها إلى قرقيسيا، توفى فى خلافة عبد الملك بن مروان (65 هـ - 86 هـ). ينظر: ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج 19، ص 34-40؛ الصفدى، الوافى بالوفيات، ج 14، ص 134؛ الزركلى، الأعلام، ج 3، ص 45.
- 4- (4) - عين الوردة: وهو رأس عين المدينة المشهورة بالجزيرة كانت فيها وقعة عين الوردة بين التوابين من أهل العراق والجيش الأموى من الشام. ينظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج 4، ص 180.
- 5- (5) - البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 370؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 12-13.

بعد خمسة أيام من نزولهم التقى الجمعان غير المتكافئين في العدد والعدة، قاتل التوابون قتال الأبطال واستماتوا في الدفاع عن المبادئ والقيم التي خرجوا للقتال دونها، لكن التفوق العددي لجيش الشام استطاع أن يهاجمهم من جميع الجهات، وقاتل سليمان ومعه التوابون بعد أن كسروا جفون سيوفهم وقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة، وأكثروا الجراح فيهم، فاضطر قادة الجيش الأموي إلى أن يستخدموا السهام فاستشهد سليمان بن صرد الخزاعي، فحمل الراية بعده المسيب بن نجبة، فارس مضر الحمراء(1) كلها، وحمل على القوم، ثم استشهد، فأخذ الراية بعده عبد الله بن سعد بن نفييل فاستشهد كذلك، وحملها بعده عبد الله بن والٍ فلما استشهد حمل الراية بعده رفاعة بن شداد الذي رأى هو ومن تبقى منهم أن ينسحبوا ليلاً من أرض المعركة بعد تلك الملحمة البطولية(2)، وهكذا انسحبوا من عين الوردية ورجعوا

ص: 179

1- (1) - روى أن سبب تلك التسمية هو أنه لما حضرت الوفاة نزار بن معد بن عدنان قسم ميراثه على بنيه وكانوا أربعة، فأعطى مضر ناقته الحمراء وما أشبهها من الحمرة فسمى مضر الحمراء، وأعطى ربيعة الفرس وما أشبهها فسمى ربيعة الفرس أو ربيعة الخيل، وأعطى أياد غنمه وعصاه، وكانت الغنم برقاء - ما اجتمع فيها سواد وبياض - فسمى أياد البرقاء ويقال أياد العصا، وأعطى انمار جارية له تسمى بجيله، فسمى بها، وفي رواية أخرى أنه أعطى مضر الذهب فسمى مضر الحمراء وقيل غير ذلك، ينظر اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 1، ص 192؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 2، ص 171؛ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت: 463 هـ - 1070 م، الإنباه على قبائل الرواة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985 م، ص 86.

2- (2) - للتفاصيل ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 363-374؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 5-23؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 614-619.

إلى الكوفة فكان التوابون موضع عز وفخر عند الشيعة فى نضالهم الطويل من أجل تحقيق العدالة وإرجاع الحقوق إلى أهلها.

### المرحلة الأولى: موقف المختار من حركة التوابين أثناء شخوصهم إلى بلاد الشام

وردت عدة روايات تتحدث عن موقف المختار من التوابين، لكن أوفى هذه الروايات ما نقلته بعض المصادر عن أبى مخنف إذ ذكر ثلاث روايات فى هذا الشأن:

الرواية الأولى (1) قال: «... وأقبل المختار يبعث إلى الشيعة وقد اجتمعت عند سليمان بن صرد فيقول لهم: إني قد جئتكم من قبل ولى الأمر، ومعدن الفضل، ووصى الوصى، والإمام المهدي، بأمر فيه الشفاء، وكشف الغطاء، وقتل الأعداء، وتمام النعماء، إن سليمان بن صرد يرحمنا الله وإياه، إنما هو عشمة من العشم، وحفش بالٍ، ليس بذى تجربة للأمر، ولا له علم بالحروب، إنما يريد أن يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم، إني إنما أعمل على مثال قد مثل لى، وأمر قد بين لى، فيه عز وليكم، وقتل عدوكم، وشفاء صدوركم؛ فاسمعوا منى قولى، وأطيعوا أمرى، ثم ابشروا وتباشروا، فإني لكم بكل ما تأملون خير زعيم».

ويتضح من رواية أبى مخنف هذه أن المختار قد بين الهدف الذى جاء به،

ص:180

---

1- (1) - مقتل الحسين، ص 280-281؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 391؛ ينظر: ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 605.

وأنه مخول من محمد ابن الحنفية، ليعطى شرعية لثورته التي يرى أن التوايين يفتقدون إليها، وحاول أن يقلل من قدرات سليمان بن صرد العسكرية من أجل كسب المؤيدين له.

الرواية الثانية: استطرد أبو مخنف(1) في ذكر جهود المختار في استمالة الشيعة إلى صفه فقال: «فو الله مازال بهذا القول ونحوه - أى ما قاله المختار في روايته السابقة - حتى استمال طائفة من الشيعة، وكانوا يختلفون إليه ويعظمونه وينظرون أمره، وعُظُم الشيعة يومئذ ورؤساؤهم مع سليمان بن صرد، وهو شيخ الشيعة وأسْنهم، فليس يعدلون به أحداً؛ إلا أن المختار قد استمال منهم طائفة ليسوا بالكثير، فسليمان بن صرد أثقل خلق الله على المختار.»..

على الرغم من أن رواية أبي مخنف هذه قد أظهرت أن بعض الشيعة يعظمون المختار وينتظرون أمره إلا أن أبا مخنف ركز في روايته على أهمية ومكانة سليمان بن صرد، موضحاً أن المختار فشل في الحصول على تأييد الشيعة له بوجود منافس قوى له مثل سليمان بن صرد الذى وصفه أبو مخنف بأنه "شيخ الشيعة"، فى حين وصف أصحاب المختار بأنهم "ليسوا بالكثير" فلم يستطع المختار استقطاب العدد الكافى للقيام بثورته من الشيعة وغيرهم بوجود سليمان بن صرد ولذلك كان أثقل الناس عليه.

ص:181

---

1- (1) - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 281؛ البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 367؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 391؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 605.

الرواية الثالثة: روى أبو مخنف إن هناك حديثاً جرى بين سليمان بن صرد الخزاعي وحميد بن مسلم أحد رواة معركة الطف - بشأن موقف المختار من التوابين حين نظر سليمان بن صرد في ديوانه لينظر عدة من بايعه فوجدهم ستة عشر ألفاً، فقال: سبحان الله ما وافانا إلا أربعة الآف من ستة عشر ألفاً، فقال حميد بن مسلم لسليمان بن صرد: «إن المختار والله يثبط الناس عنك، إنى كنت عنده أول ثلاث، فسمعتُ نقرأ من أصحابه يقولون: قد كملنا ألفي رجلٍ فقال - سليمان بن صرد - : وهب أن ذلك كان، فأقام عنا عشرة الآف أما هؤلاء بمؤمنين؟ أما يخافون الله أما يذكرون الله وما أعطونا من أنفسهم من العهود والمواثيق ليُجاهدوا ولينصرونا؟ فأقام بالنخيلة ثلاثاً...» (1).

إن الملاحظ على هذه الرواية أن سليمان بن صرد الخزاعي لم يذكر المختار أو أصحابه الذين بايعوه بسوء، ولم يعط أى اهتمام لعدددهم وكأنه استقلهم فهم لم يتجاوزوا الألفين، وصب جم غضبه على العشرة الاف الذين لم يلتحقوا به فى معسكره الذى أنتظرهم فيه ثلاثة أيام(2).

أما خليفة بن خياط فإنه لم يتطرق إلى موقف المختار من التوابين، فعندما تطرق لحوادث سنة خمس وستين قال: «وفيها قتل سليمان بن صرد،

ص:182

---

1- (1) - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 284؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 6؛ ينظر: ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 608.

2- (2) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 284؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 6؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 608.

والمسيب بن نجبه، وعبد الله التيمي من تيم اللات ابن ثعلبة»(1) ، وذكر في طبقاته أثناء ترجمة سليمان بن صرد قال: «يكنى أبا مطرف، من ساكنى الكوفة، قتل بعين الوردة، وهو أمير التوايين.....»(2).

ومن المسلم به أنّ منهج خليفة بن خياط يميل في أغلب الأحيان إلى اختصار الحوادث التاريخية، فهو لا يتطرق دائماً إلى التفاصيل، ومن الطبيعي أنه لم يذكر أى موقف للمختار من التوايين.

وذكر البلاذري(3) موقف المختار من التوايين في هذه المرحلة فقال: «فكان المختار إذا دعا الشيعة إلى نفسه، وإلى الطلب بدم الحسين قالوا: هذا سليمان بن صرد شيخ الشيعة وقد أطاعته الشيعة وانقادت له وولته أمرها، فيقول إن سليمان رجل لا علم له بالحروب وسياسة الرجال، وقد جئتكم من المهدي محمد - يعنى محمد ابن الحنفية - مؤتماً منتجباً ووزيراً مناصحاً، فلم يزل حتى انشعبت إليه طائفة منهم، وعظمهم مع ابن صرد.....»..

ويتضح من رواية البلاذري أن المختار ركز كذلك على عدم قدرة سليمان العسكرية، وسياسته في مدارات الرجال، وأن سليمان يفتقر إلى التخويل الذي منحه ابن الحنفية له، لكن البلاذري على الرغم من ذلك ذكر عدم قدرة المختار في استقطاب الشيعة وانضمامهم إليه فوصف عظم جمهور

ص:183

- 
- 1- (1) - خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص 262.
  - 2- (2) - خليفة بن خياط، طبقات خليفة، ص 181.
  - 3- (3) - جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 367.

فى حين اكنفى اليعقوبى (1) بذكر العلاقة بين المختار والتوابين بالقول: «... شخص - المختار - إلى العراق، فوافى وقد خرج سليمان بن صرد الخزاعى يطلب بدم الحسين، فلما صار إلى الكوفة اجتمعت إليه الشيعة...»..

وعلى الرغم من أن اليعقوبى يميل إلى الاختصار فى تناوله بعض الحوادث التاريخية إلا- أنه خصص حيزاً ليس قليلاً فى تاريخه عن المختار، لكنه لم يشر سوى تلك الإشارة إلى موقفه من التوابين، ويبدو أنه يرى أن المختار لم يكن له تأثير كبير فى قيام حركة التوابين بثورتهم ضد الأمويين.

أما ابن أعثم الكوفى (2) فقد تناول قضية التوابين بشكل مفصل، فتطرق إلى موقف المختار عند وصوله إلى الكوفة ودعوته الشيعة للالتفاف حوله لأخذ ثار الإمام الحسين (عليه السلام) وأن محمد ابن الحنفية قد بعثه لذلك، فذكر أن الشيعة قالت له: «يا أبا إسحاق! أنت موضع ذلك، غير أن الناس اجتمعوا إلى سليمان بن صرد الخزاعى وأنت تعلم أنه شيخ الشيعة اليوم، فلا تعجل إلى أن تنظر وينظر ويؤول الأمر إلى ما تحب إن شاء الله ولا قوة إلا بالله. قال: فسكت المختار وأقام بالكوفة ينتظر ما يكون من أمر سليمان بن صرد». وهذه الرواية نقلها الخوارزمى (3) باختلاف بسيط فى بعض الكلمات

ص: 184

1- (1) - تاريخ اليعقوبى، ج 2، ص 180.

2- (2) - مقتل الحسين، الطبعة الثانية، أنوار الهدى، قم، 1424 هـ -، ص 196؛ وكتاب الفتوح، ج 6، ص 208.

3- (3) - أبو مؤيد الموفق بن أحمد (ت: 568 هـ - 1172 م)، مقتل الحسين، علق عليه: محمد السماوى،



إن ما جاء في رواية ابن أعثم الكوفي وكأنه لم يتطرق إلى قول المختار بأن سليمان ليس له علم بالحرب وأنه يريد أن يقتل نفسه ويقتلكم، على الرغم من أن روايته في وصول المختار إلى الكوفة ودعوته إلى بيعته تطابقت مع رواية أبي مخنف الأولى والتي ذكرها كل من الطبري وابن الأثير، وقد تكون هي كذلك مأخوذة من أبي مخنف، لكن عندما تطرق ابن أعثم إلى عدد التوابين في ديوان سليمان قال: «وكانوا في ديوانه قبل أن يقدم المختار إلى الكوفة ستة عشر ألفاً، فلما كان ذلك اليوم عرضهم إذا هم ألف رجل أو يزيدون قليلاً»..(1)

وهنا يشير ابن أعثم ضمناً إلى أن المختار كان سبباً في عدم قدوم بعض الذين بايعوا سليمان بن صرد الخزاعي، ورواية ابن أعثم جعلت عدد التوابين ألف رجل أو يزيدون قليلاً في حين أن أبا مخنف ذكر أنهم أربعة آلاف وهي أقرب للواقع من رواية ابن أعثم الكوفي، فعددهم يتناسب مع الدور الذي قاموا به، فضلاً عن أن بعض المصادر التاريخية ذكرت أن عددهم أربعة آلاف أو أقرب إلى ذلك(2).

ص:185

- 
- 1- (1) - ابن أعثم الكوفي، مقتل الحسين، ص 198؛ وكتاب الفتوح، ج 6، ص 210.  
2- (2) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 6؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 608.

وأشار ابن أعثم الكوفى(1) فى رواية أخرى إلى أن تحركات المختار بدأت قبل معرفة ما تؤول إليه حركة التوابين فذكر: «وعلم المختار أن سليمان بن صرد قد مضى فى أصحابه وحدثته نفسه أنه ليس يرجع منهم أحد، فجعل يبعث إلى الشيعة ويشاورهم فى الخروج...»، وهو يشير بذلك إلى تحركات المختار فى مدة قصيرة جداً وهى بين خروج التوابين وقيام عبد الله بن يزيد والى آل الزبير بسجن المختار الذى أستمر حتى عودة التوابين من معركة عين الورد.

وأورد المسعودى(2) موقف المختار من التوابين فذكر: «وفى سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة، وتلاقوا بالتلاوم والتندم حين قتل الحسين فلم يغيثوه... ففزعوا إلى خمسة نفر منهم: سليمان بن صرد الخزاعى... فعسكروا بالنخيلة، بعد أن كان لهم مع المختار بن أبى عبيد الثقفى خطب طويل بتشيطه الناس عنهم ممن أراد الخروج معهم...»، وهكذا تتفق رواية المسعودى مع من يقول أن المختار يشبط الناس عن التوابين فى حين يرى مسكويه(3): أن الشيعة رفضت دعوة المختار لبيعته لأنها انقادت إلى سليمان بن صرد وهو شيخ الشيعة يومها.

وأورد ابن الجوزى(4) روايته بهذا الخصوص متطابقة بشكل واضح مع

ص:186

---

1- (1) - مقتل الحسين، ص 208؛ وكتاب الفتوح، ج 6، ص 217.

2- (2) - مروج الذهب، ج 3، ص 110.

3- (3) - تجارب الأمم، ج 2، ص 75.

4- (4) - المنتظم، ج 6، ص 29، 35.

رواية أبي مخنف الأولى والثالثة التي سبق وأن أشرنا إليها.

وذكر الذهبي (1) قدوم المختار للكوفة فقال: «فقدم المختار وقد هاجت الشيعة للطلب بالثأر، وعليهم سليمان بن صرد، فأخذ المختار يفسدهم، ويقول إنى جئت من قبل المهدي ابن الوصي، يريد ابن الحنفية، فتبعه خلق، وقال: إن سليمان لا يصنع شيئاً، إنما يلقي بالناس إلى التهلكة، ولا خبرة له بالحرب».

ولم تختلف رواية ابن كثير (2) عن رواية أبي مخنف إلا أن ابن كثير ضمنها رأيه في أكثر من إشارة فقال: «وصارت الشيعة فرقتين؛ الجمهور منهم مع سليمان يريدون الخروج على الناس ليأخذوا بثأر الحسين، وفرقة أصحاب المختار يريدون الخروج للدعوة إلى إمامة محمد ابن الحنفية، وذلك من غير أمر ابن الحنفية ورضاه، وإنما يتقولون عليه ليروجوا على الناس به، وليتوصلوا إلى أغراضهم الفاسدة»..

ومن خلال وصف كل من الذهبي وابن كثير لأصحاب سليمان بن صرد يتضح عددهم الكبير مقارنة مع من بايع المختار، فقد وصف الذهبي ذلك فقال: وقد هاجت الشيعة للطلب بالثأر، وعليهم سليمان بن صرد، ولم يبتعد ابن كثير عن ذلك فقال: الجمهور منهم مع سليمان، مما يدل على أن المختار لم يكن له تأثير كبير على تعبئة الناس للتوايين، لكن ما يؤخذ على ما

ص: 187

---

1- (1) - سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 540.

2- (2) - البداية والنهاية، ج 11، ص 686.

قاله كل من الذهبي وابن كثير هو رأيهم في موقف المختار من التوابين فقول الذهبي فأخذ المختار يفسدهم، بقوله إنه مخول من محمد ابن الحنفية بذلك، وهو ما سار عليه وبشكل واضح ابن كثير، وهذان الرأيان لا يمكن الركون إليهما، فمواقف محمد ابن الحنفية من المختار لم تكن خافية وإنما كانت بشكل علني وواضح، وكان وفد أهل الكوفة قد قابل ابن الحنفية فرجعوا وهم يقولون قد أمرنا بنصرة المختار ومؤازرته(1)، وحين سجن ابن الزبير محمد ابن الحنفية لم يستطع الخروج من السجن إلا حين أرسل المختار له أكثر من أربعة آلاف مقاتل فأخرجوه من سجن ابن الزبير رغماً عنه، فضلاً عن الأموال التي يرسلها المختار لمحمد ابن الحنفية(2)، ولما قتل المختار تضعع موقف محمد ابن الحنفية في مكة ففرض عليه ابن الزبير أما أن يبايعه أو الخروج منها.(3)

ويمكن أن يلاحظ بسهولة مدى تحامل الذهبي وابن كثير على المختار وأصحابه، وذلك بسبب ميولهم المذهبية وأهوائهم التي بدت واضحة على أغلب رواياتهم فخلت من كل موضوعية وافتقدت حياديتها.

ومن خلال ما تقدم يمكن أن نستنتج العديد من النقاط التي توضح مدى الصلة بين ثورة المختار وحركة التوابين، وأن المختار لم يكن له دور سلبي

ص:188

- 
- 1- (1) - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 180؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 38-40؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 639-640.
  - 2- (2) - ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج 6، ص 251-252؛ المسعودي، مروج الذهب، ج 3، ص 92-93.
  - 3- (3) - الدينوري، الأخبار الطوال، ص 282؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 670.

على التوايين وإنما كان هدفهما واحداً لكن الفرق بينهما كان فى الأسلوب وآلية التنفيذ، ومن تلك النقاط هى:

أولاً: لم يعط سليمان بن صرد الخزاعى أهمية بالغة للذين لم يلتحقوا به بسبب مبايعتهم للمختار، وذلك لقلة عددهم من جهة، ولعلمه بأن المختار وأصحابه يحملون نفس الهدف إلا أنهم مختلفون فى آلية تنفيذ ذلك، وهو ما أشار إليه عمر بن سعد وشبث بن ربعى فقالوا لوالى الكوفة عبد الله بن يزيد: «إن المختار بن أبى عبيد أشد عليكم من سليمان بن صرد. فبعث إليه الشرطة فأحاطوا بداره، فأخذ وذهب به إلى السجن مقيداً وقيل: بغير قيد. فأقام به مدة ومرض فيه»<sup>(1)</sup>

ثانياً: لم تشر المصادر التاريخية إلى أن سليمان بن صرد قد تعرض بسوء للمختار أو حاول النيل منه، وعندما قال له حميد بن مسلم إن المختار يشبط الناس عنهم وأنه قد بايعه ألفان قال سليمان: «وهب أن ذلك كان، فأقام عنا عشرة آلاف أما هؤلاء بمؤمنين؟ أما يخافون الله أما يذكرون الله...»<sup>(2)</sup>، ويبدو أن العشرة الاف الذين تخلفوا عن التوايين لهم الأثر الأكبر بعدم نجاح حركتهم ضد الحكم الأموى وهؤلاء يبدو أنهم خذلوا سليمان وترددوا فى نصرته كما فعل اولئك الذين نقضوا بيعتهم للإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء.

ص: 189

---

1- (1) - ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 689.

2- (2) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 284؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 6؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 608.

ثالثاً: أورد ابن أعثم الكوفى(1) فى روايته أن الشيعة قالت للمختار «... فلا تعجل إلى أن تنظر وينظر ويؤول الأمر إلى ما تحب إن شاء الله ولا- قوة إلا- بالله. قال: فسكت المختار وأقام بالكوفة ينتظر ما يكون من أمر سليمان بن صرد». وهذا يعنى أن المختار أقام بالكوفة وآثر السكوت وانتظر ما تؤول إليه أمور التوابين ولم يقم بتثبيط الناس عنهم.

يقول أحد الباحثين(2) إن المختار الثقفى نادى بالدعوة نفسها - الأخذ بثأر الأمام الحسين (عليه السلام) من قاتليه - لكنه خالف التوابين وفضل البقاء فى الكوفة على الخروج معهم، كما يرى مؤرخ آخر(3) من المحدثين أن حركة التوابين وثورة المختار على الرغم أنهما رفعتا نفس الشعار يا لثارات الحسين إلا أن ثورة المختار تختلف عنها بأنها أول حركة منظمة لها تأثير كبير على تطور الفكر الشيعى كفرقة دينية وسياسية.

ويمكن القول إن هدف المختار لا يختلف عن هدف التوابين إلا فى كيفية القيام بذلك، ففى الوقت الذى قرر فيه التوابون التوجه إلى بلاد الشام عد المختار ذلك انتحاراً عسكرياً وإجهاضاً للجهود التى بذلها الشيعة فى الأخذ بثأر الإمام الحسين (عليه السلام)، وما حدث للتوابين واستشهاد معظم قادتهم

ص:190

---

1- (1) - ابن أعثم الكوفى، مقتل الحسين، ص 196؛ وكتاب الفتوح، ج 6، ص 208.

2- (2) - الراوى، ثابت إسماعيل، تاريخ الدولة العربية خلافة الراشدين والأمويين، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1976 م، ج 2، ص 167.

3- (3) - الأطرقجى، قصى برهان مصطفى، الاتجاهات السياسية للقبائل العربية فى الكوفة، دار النايا للدراسات والنشر، دمشق، 2008 م، ص 179.

وفرسانهم دون قتل أى من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام)، يعضد رأى المختار فى ذلك، فى حين أن المختار استطاع قتل الغالبية العظمى ممن أشركوا فى قتل آل البيت (عليهم السلام).

ويستغرب أحد المؤرخين المحدثين أن يترك التوابون قتلة الحسين الحقيقيين وراء ظهورهم ويتوجهون لمقاتلة أهل الشام، لكنه يستدرک كلامه هذا مباشرة فيقول: «لكن وجهة النظر التى أخذوا بها أنهم اعتبروا الدولة نفسها هى المسؤولة، فيجب محاربتها، وبخاصة مادام فيها عبيد الله بن زياد»<sup>(1)</sup>

والظاهر من الرأى السالف الذكر أن صاحبه يحاول أن يجعل يزيد وأهل الشام بمنأى عن وزر قتل الإمام الحسين (عليه السلام)، فهو يقول حين تكلم عن معركة الخازر (67 هـ -) التى وقعت بين أهل الشام زمن عبد الملك بن مروان وجيش المختار بقيادة إبراهيم بن الأشتر: «على انه فى الحق لم يكن هو - أى عبد الملك - ولا أهل الشام يستحقون هذه الهزيمة، إذ لم تكن لهم علاقة بمقتل الحسين الذى قتله أهل العراق، ولكن وجود ابن زياد بينهم وقائداً لجيشهم كان هو سبب هذه الكارثة التى حلت بهم»<sup>(2)</sup>، وهذا الأمر لا يمكن قبوله فالسلطة الأموية هى التى أصدرت الأوامر بقتل الإمام الحسين (عليه السلام)، ولم يكن ابن زياد إلا أحد صنائعها ويأتمر بأوامرها، ولم يقيم أى خليفة بعزل ابن زياد ومعاقبته على ما فعله، ولما تولى آل مروان السلطة

ص: 191

1- (1) - الرئيس، عبد الملك بن مروان، ص 148.

2- (2) الرئيس، عبد الملك بن مروان، ص 162.

وجهوا عبيد الله بن زياد لقتال أهل العراق وأمروه أن ينهب الكوفة إذا هو ظفر بأهلها ثلاثة أيام(1)، وهو أمر طبيعي لدى الأمويين وأنصارهم فهم أحرقوا الكعبة مرتين ورموها بالمنجنيق، وقبل ذلك قتلوا سبط الرسول صلى الله عليه واله وسلم وأهل بيته، وأباحوا مدينة رسول صلى الله عليه واله وسلم ثلاثة أيام لجند الشام.

وهناك من يرى أن ثورة التوابين هي: «ثورة انتقامية استشهادية لم يفكر أصحابها بغير هدف الثأر أو الاستشهاد في سبيل ذلك»(2)، وعلى الرغم من أنها ثورة جهادية استشهادية إلا أنها لا تخلو من الأهداف السامية العالية الهمة، ويؤيد هذا ما ذكره بعض المؤرخين(3) من أن سليمان بن صرد الخزاعي كان يخاطب الجيش الأموي القادم الذي إلتقاه في عين الوردة ويدعوهم إلى أن «يسلموا إليهم عبيد الله بن زياد ويخلعوا عبد الملك، ويُخرج عمال عبد الله بن الزبير، ويُسلم الأمر إلى أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)....»، ولم يكن للمختار أى دور فى ما حصل بالتوابين وعن هذا المعنى عبر هاشم معروف الحسنى(4) فقال: «ولا أحسب إن للمختار الثقفى صلة

ص: 192

---

1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 56.

2- (2) البيشوائى، مهدى، سيرة الأئمة الإثنى عشر، دار الكتاب العربى، بيروت، 2005 م، ص 200.

3- (3) البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 370-371؛ وينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين: ص 300؛ الطبرى، تاريخ، ج 6، ص 15؛ ابن أعثم، كتاب الفتوح، ج 6، ص 122؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 81؛ ابن الأثير، الكامل، ج 3، ص 614؛ ابن نما الحلّى، ذوب النصارى، ص 88؛ المجلسى، بحار الأنوار، ج 45، ص 361؛ الخطيب، دولة المختار، ص 158.

4- (4) الانتفاضات الشيعية، ص 330.



فيما انتهى إليه مصير تلك الحركة ولا في بعث روح التخاذل بين أنصارها كما يرى بعض الباحثين..».

### المرحلة الثانية: موقف المختار من التوابين بعد عودتهم من المعركة

ذكرت المصادر التاريخية أن المختار كان في السجن حين عودة التوابين من عين الوردة(1)، وسبق أن أشرنا إلى أن المختار فشل في استقطاب الشيعة إلى جانبه بوجود شخصية رفيعة ومرموقة لديهم مثل سليمان بن صرد الخزاعي، فمكث في بيته أول الأمر ينتظر ما تؤول إليه أمور التوابين، إلا أن عبد الله بن يزيد(2) والى ابن الزبير في الكوفة أخذ بنصيحة عمر بن سعد فأودعه السجن(3).

ص: 193

1- (1) - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 314-315؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 373-374؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 35؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 6، ص 51؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 617؛ ابن نما الحلبي، ذوب النضار، ص 91؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 5، ص 45؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 5-6؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج 45، ص 362.

2- (2) - هو عبد الله بن يزيد بن حصن بن عمرو الخطمي الأوسى الأنصاري، شهد بيعة الرضوان، وشهد مع الإمام علي (عليه السلام)، الجمل وصفين والنهروان، ولى الكوفة لعبد الله بن الزبير ثم عزله عنها وولى عليها عبد الله بن مطيع، قيل إنه توفي عام سبعين للهجرة. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، (تحقيق: علي الجاوي)، ج 3، ص 1001؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 197-198؛ والكاشف في معرفة من له رواية في كتب السنة، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة، جدة، 1992 م، ج 6، ص 607؛ آل خليفة، محمد علي، أمراء الكوفة وحكامها، مراجعة: ياسين صلاواتي، مؤسسة الصادق، طهران، 1425، ص 222-226.

3- (3) - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 281-282.

وكان التحامل واضحاً على المختار من قبل ولاة آل الزبير فقد قال إبراهيم بن محمد بن طلحة(1) صاحب خراج الكوفة لعبد الله بن يزيد والى الكوفة من قبل ابن الزبير: «شده كتافاً ومشه حافياً فقال له عبد الله بن يزيد سبحان الله ما كنت لأمشيه ولا لأحفيه ولا كنت لأفعل هذا برجل لم يظهر لنا عداوة ولا حرباً وإنما أخذناه على الظن فقال له إبراهيم بن محمد "ليس بعشك فأدرجى" ما أنت وما يبلغنا عنك يا ابن أبى عبيد فقال له ما الذى بلغك عنى إلا باطل وأعوذ بالله من غشك كغش أبىك وجدك... وأتى المختار ببغلة دهماء يركبها، فقال إبراهيم لعبد الله ابن يزيد ألا تشد عليه القيود فقال: كفى له بالسجن قيلاً». (2)، يتضح من الرواية مدى جرأة المختار وقوة شخصيته من خلال رده بعنف على إبراهيم بن محمد بن طلحة. فضلاً عن تحامل ولاة آل الزبير على المختار.

ونقل البلاذرى قول عمر بن سعد ومن معه لعاملى الكوفة عبد الله بن

ص:194

1- (1) - هو إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله القرشى التيمى، عده خليفة بن خياط من الطبقة الثالثة، وأمه خولة بنت منظور بن زبان بن سيار بن عمرو، وهو أخو الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب لأمه، أستعمله عبد الله بن الزبير على خراج الكوفة، توفى سنة مئة وعشر للهجرة. ينظر: خليفة بن خياط، طبقات خليفة، ص 445؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 7، ص 140-155؛ المزى، جمال الدين أبو الحجاج يوسف (ت: 742 هـ - 1314 م)، تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992 م، ج 2، ص 172-173.

2- (2) - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 282؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 391-392؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 605.

يزيد وإبراهيم بن محمد بشكل أكثر تفصيلاً فقال: «إن المختار بن أبي عبيد أشد عليكم من ابن صرد، وهو يقول إذا ذكر ابن صرد: أنه عشمه من العشم وحفش من الأحفاش بال، ليس بذى تجربة للأمر، ولا علم بالحروب وأنا أعلم على مثال مُثَلَّ لى، وأمر تقدم فيه إلى، ويدل بنفسه غير أدلال ابن صرد، وليس البلد والمختار فيه لكم ببلد، فأودعوه السجن حتى يجتمع الناس على رجل، فأخذاه فحبسناه مقيداً». (1)

وهنا يوضح البلاذرى مخاوف عمر بن سعد ومن معه من قتلة الإمام الحسين عليه السلام من خطورة المختار عليهم وعلى دولة آل الزبير، وكان قوله البلد ليس ببلدكم وفيه المختار غاية في الدقة فهو علم مسبقاً أنه لا بقاء لقتلة ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم في الكوفة فهناك معرفة مسبقة للمختار من قبل هؤلاء، كذلك معرفتهم بقدراته ومواهبه فضلاً عن ميل الشيعة إليه، وأوضحت الرواية كذب وزيف إدعاء آل الزبير وعمالهم أنهم يطلبون بثأر الإمام الحسين عليه السلام فكانت نصائح عمر بن سعد أقرب للأوامر منها إلى الطلب، ولذلك تم إيداع المختار السجن.

وأورد ابن أعثم هذه الرواية إلا أنه جعل إبراهيم بن محمد بن طلحة هو من يدافع عن المختار في حين يصبر عبد الله بن يزيد على أن يشد المختار كتافاً ويمضى به إلى السجن حافياً، ولم يتطرق ابن أعثم إلى المشادة بين المختار وإبراهيم بن محمد بن طلحة.

ص: 195

ويبدو أن رواية أبي مخنف في أن صاحب القول المشدد على المختار هو إبراهيم بن طلحة بن عبید الله أقرب للواقع منه من رواية ابن أعثم وذلك من خلال المشادة بينه وبين المختار وتعرضه بأبيه وجده فهو يشير إلى بيعة جده طلحة بن عبید الله إلى الأمام على عليه السلام الذى نقضها وخرج عليه يوم الجمل، ويظهر من خلال ما تقدم أن عمر بن سعد كان له نفوذ واسع لدى عمال آل الزبير فهو لا يبيت إلا فى قصر الأمانة مخافة أن يأتيه المطالبون بثأر الأمام الحسين عليه السلام فيقتلونه فى بيته(1)، وأن المختار سجن بمشورته على عمال ابن الزبير.

وأورد الطبرى(2) فى تاريخه نقلاً عن أبي مخنف أن المختار كتب وهو فى السجن إلى رفاعة بن شداد: «أما بعد، فمرحباً بالعصب الذين عظم الله لهم الأجر حين انصرفوا، ورضى انصرفهم حين قفلوا. أما ورب البنية التى بنا ما خطا خاطٍ منكم خطوةً، ولا رتا رتوةً، إلا كان ثواب الله له أعظم من ملك الدنيا، إن سليمان قد قضى ما عليه، وتوفاه الله، فجعل روحه مع أرواح الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين، ولم يكن بصاحبكم الذى به تنصرون، إني أنا الأمير المأمور، والأمين المأمون، وأمير الجيش، وقاتل الجبارين، والمنتقم من أعداء الدين، والمقيد من الأوتار، فأعدوا واستعدوا، وابشروا واستبشروا؛ أدعوكم إلى كتاب الله، وسنة نبيه صلى الله عليه واله

ص:196

- 
- 1- (1) - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 310؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 7.
  - 2- (2) - تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 20؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 617.

وسلم، وإلى الطلب بدماء أهل البيت، والدفع عن الضعفاء وجهاد المحليين، والسلام».

أظهر المختار في كتابه هذا مودته للتوابين وترحيبه بعودتهم، وأن سليمان ابن سرد والشهداء الذين معه قد أدوا ما عليهم وأنهم مع أرواح الأنبياء والشهداء والصدّيقين والصالحين، ووضح لهم المختار في كتابه أنه هو قائدهم الحقيقي الذي سوف يحققون فيه غايتهم وهدفهم وأنه سوف يأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام وبشرهم بقدم الفرج.

ولم يكتف المختار بكتابه المتقدم الذكر إلى التوابين وإنما أرسل لهم كتاباً آخر جاء فيه: «أما بعد؛ فإن الله أعظم لكم الأجر، وحط عنكم الوزر، بمفارقة القاسطين، وجهاد المحليين؛ إنكم لم تنفقوا نفقة، ولم تقطعوا عقبه، ولم تخطوا خطوة إلا رفع الله لكم بها درجة، وكتب لكم بها حسنة، إلى ما لا يحصيه إلا الله من التضعيف؛ فابشروا فإنى لو قد خرجت إليكم قد جردت فيما بين المشرق والمغرب في عدوكم السيف يا ذن الله، فجعلتهم يا ذن الله ركاماً؛ وقتلتهم فذاً وتوأماً؛ فرحب الله بمن قارب منكم واهتدى؛ ولا يبعد الله إلا من عصى وأبى؛ والسلام يا أهل الهدى».(1)

بشر المختار في كتابه هذا الشيعة بأنه سوف ينتصر على عدوهم حال خروجه من السجن، وأنه على ثقة تامة سوف يجرد السيف فيهم بأذن الله

ص:197

---

1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 35؛ ابن الجوزى، المنتظم، ج 6، ص 51؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 5.

ويبدو أنه عند عودة التوابين كان المختار تحت أعين عمال آل الزبير في الكوفة، فلم يكن وصول كتبه إلى من يريد بالأمر السهل فعندما بعث سيحان بن عمرو من بني ليث من قبيلة عبد القيس بكتابه السالف الذكر إلى التوابين أدخله في قلنسوته فيما بين الظهارة والبطانة(1)، وتشير طريقة إخفاء كتاب المختار إلى مراقبة السلطة لتحركاته واتصالاته بأنصاره وشيعته، وعلى أية حال وصل كتاب المختار إلى قادة التوابين العائدين من معركة عين الورد، وعلى رأسهم رفاعة بن شداد، فبعثوا إليه عبد الله بن كامل(2) «فقالوا له: قل له: قد قرأنا الكتاب، ونحن حيث يسرك، فإن شئت أن نأتيك حتى نخرجك فعلنا. فأتاه، فدخل عليه السجن؛ فأخبره بما أرسل إليه به؛ فسر باجتماع الشيعة له، وقال لهم: لا تزيدوا هذا؛ فإني أخرج في أيامي هذه»(3).

وموقف التوابين هذا من المختار ومبايعتهم إياه واقتراحهم عليه

ص:198

1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 35.

2- (2) - هو عبد الله بن كامل الشاكري أحد قادة المختار، عينه المختار على شرطة الكوفة، وكلفه ببعض المهام الخاصة بالقصاص من قتلة الإمام الحسين عليه السلام وإلقاء القبض عليهم. ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 345، الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 53، ابن الجوزي، المنتظم، ج 6، ص 55؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: 733 هـ - 1332 م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمي، بيروت، 2004 م، ج 21، ص 11؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 31.

3- (3) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 35؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 6، ص 51؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 637؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 6.

بإخراجه من السجن يوضح أن التوابين لا يحملون المختار مسؤولية تثييط الناس عنهم أو أن له دوراً سلبياً في حركتهم، بل وجدوا في المختار ضالتهم التي يبحثون عنها فالتفوا حوله وبايعوه، وكذلك يستشف أن أصحاب المختار الذين بايعوه ولم يخرجوا مع التوابين كانوا أقل عدداً وقوةً من التوابين أثناء عودتهم من عين الوردة إلى الكوفة، فلم يجرأ أصحاب المختار الذين معه على إخراجه من السجن في حين عرض التوابون عليه ذلك.

ويرى ابن كثير (1) أن المختار «كره أن يُخرجوه من مكانه على وجه القهر لنواب الكوفة» فضلاً عن ثقته بأن مبعوثه إلى صهره عبد الله بن عمر ابن الخطاب على وشك الوصول بكتاب يشفع له عند عمال آل الزبير، وربما أن المختار يعلم في حالة خروجه قهراً من السجن يكون قد أعلن الحرب على ولاية الكوفة وهو بحاجة إلى مزيد من الوقت لجمع الأنصار والمؤيدين له والاتفاق على خطة الثورة.

وأورد ابن أعمش الكوفي (2) رواية مختلفة عن الروايات الأخرى عند عودة التوابين إلى الكوفة استقبلهم والى الكوفة عبد الله بن يزيد وعزاهم ثم ذكر: «وخرج إليهم أيضاً المختار بن أبي عبيد فعزاهم وقال: أبشروا فقد قضيتم ما عليكم وبقي ما علينا، ولن يفوتنا منهم من بقي إن شاء الله تعالى».

ص: 199

---

1- (1) - البداية والنهاية، ج 12، ص 6.

2- (2) - مقتل الحسين، 218-219.

ويبدو أن هذه الرواية تفتقر إلى الدقة فقد أشارت العديد من المصادر التاريخية إلى أن المختار كان أثناء عودة التوابين في السجن وقد لعب هؤلاء دوراً واضحاً وكبيراً في محاولة إخراجه من السجن. ولا يستبعد أن يكون كلامه الذي ذكره ابن أعمش للتوابين قد ورد في إحدى رسائله إليهم قبل خروجه من السجن، ولم يلبث أن بعث عبد الله بن عمر كتاباً إلى عبد الله بن يزيد وإلى الكوفة وإبراهيم بن محمد عامل خراجها، ياطالبهم فيه بإخراجه من السجن(1)، وما أن وصل كتاب ابن عمر إليهما فدعوا بكفلاء يضمونونه، وحلفاه بالله على أن لا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان(2)، وقد التزم المختار بتلك الشروط وإن صرح بأنه يحق له نقضها والتكفير عن أيمانه إذا رأى ما هو خير من الالتزام بذلك(3).

فكان هناك من يأخذ له البيعة سراً ولم يزل أمره يقوى ويشتد ويستفحل ويرتفع حتى أضطر ابن الزبير إلى عزل عبد الله بن يزيد وإبراهيم ابن محمد وبعث عبد الله بن مطيع(4) وذلك في رمضان من سنة خمس وستين

ص:200

---

1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 36؛ ابن أعمش الكوفي، مقتل الحسين، ص 210-211؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ص 194.

2- (2) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 36؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ص 194؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 6.

3- (3) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 36.

4- (4) - هو عبد الله بن مطيع بن الأسود بن حارثة بن نضلة بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب، ولد في حياة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، كان أحد قادة أهل المدينة يوم الحرة فلما انتصر مسلم بن عقبة عليهم هرب إلى مكة، وبايع ابن الزبير وولاه الكوفة فوثب بها



للهجرة(1) وبذلك أستطاع المختار أن يتخلص دون عناء مما تعهد به، بعد عزل ابن الزبير لعامله في الكوفة وتعيين ابن مطيع والياً عليها.

ويبدو أن المختار بدأ ثورته فعلياً من حيث انتهى التوابون، فقد مهدت حركة التوابين لظهور حركة المختار وانتشارها بشكل أسرع(2)، ولم يكن فشلهم في تلك المعركة ليضعف من عزيمة المختار أو يقلل من نشاطه بل ضاعف ذلك من همته، وحوله إلى شعلة متأججة للقيام بثورته(3) والوثوب بالكوفة، فيقول أحد الباحثين(4): «ولعل سياسيين آخرين دون المختار نفاذ بصيرة كانوا يظنون أن حيوية الحركة الشيعية قد تلاشت مع فشل حركة التوابين، ولكن المختار سرعان ما أدرك أن قوتها الأساسية هي في كونها نقطة التقاء للمتذمرين، وحيال ذلك تبنى القضية الشيعية وأنشأ ما عرف آنذاك باسم شرطة الخميس أي أولئك المتميزين الموالين في الجيش، كان هؤلاء

ص:201

- 
- 1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 37؛ ابن أعثم الكوفي، مقتل الحسين، ص 219؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 638؛ النويري، نهاية الأرب، ج 21، ص 6؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 7.
  - 2- (2) - الأطرقي، الاتجاهات السياسية للقبائل العربية، ص 179.
  - 3- (3) - الدجيلي، المختار الثقفي، ص 57.
  - 4- (4) - شعبان، محمد عبد الحى محمد، صدر الإسلام والدولة الأموية، دار الأهلية، بيروت، 1987 م، ص 106-107.

يشكلون النواة الصلبة لأنصار علي في الكوفة وكان عددهم دون اثني عشر ألفاً من رجال القبائل»

ويوضح الباحث في رأيه هذا قوة ونفاذ بصيرة المختر الذي تميز بالعديد من صفات القيادة والحنكة السياسية، وكيف وظف حماس التوايين بعد عودتهم من عين الوردة وتعاطف الناس معهم وسخطهم على بني أمية لصالح ثورته وتنفيذ أهدافها، وكذلك ربط الباحث بين شرطة الخميس التي أستخدمها المختر وبين شرطة الخميس في عهد الإمام علي عليه السلام وجعلها امتداداً طبيعياً لها، لكنه جانب الحقيقة حين جعل المختر هو من أنشأ شرطة الخميس، فشرطة الخميس زمن المختر لم تكن سوى امتداداً لشرطة الخميس التي أنشأها الإمام علي عليه السلام.

وهو ما يراه إبراهيم بيضون(1) كذلك فذكر: «لقد نجح المختر في استثمار المناخ الثوري في الكوفة، الذي تبلور مع قيام الحركة التوايية، فما كادت فلول التوايين تعود من عين الوردة، حتى تلقاها المختر واعدأ ومشجعاً، وبالتالي مقرناً القول بالفعل، حين قام بانقلابه السريع في الكوفة وسيطر على قصر الأمانة فيها، معلناً السلطة الشيعة باسم البيت العلوي، والمختر منذ اليفاعة متحمس لهذا الاتجاه...».

وذهب مؤرخ محدث آخر(2) في علاقة المختر بالتوايين إلى أكثر من ذلك

ص:202

---

1- (1) - من دولة عمر إلى دولة عبد الملك، منشورات شهاب الدين، قم، 2006 م، ص 200.

2- (2) علي، سيد أمير، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ترجمة: رياض رأفت، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2001 م، ص 79.

فقال: «وارتحلت البقية منهم إلى الكوفة حيث ظلوا قابعين إلى أن ثاروا مرة أخرى بقيادة المختار بن أبي عبيد الثقفي»، فهذا المؤرخ يرى أن ثورة المختار هي ثورة التوابين بقيادة أخرى وهذا إن دل على شيء فهو يدل على مدى تداخل هاتين الثورتين في المنبع والأهداف والمبادئ.

ومن خلال ما تقدم يمكن القول إن المختار والتوابين لهم هدف واحد، وجمهور واحد، وعدو مشترك، اختلفا في آلية التنفيذ والتوقيت، لكن في نهاية المطاف استطاع المختار أن يوظف جهوده مع جهود الشيعة وحماس التوابين - الذين عادوا وقد شهدوا مصرع إخوانهم وفرسانهم في عين الوردة تلك الملحمة البطولية التي كسرت حاجز الخوف الذي اصطنعه الأمويون وعمالهم بوجه تحركات الشيعة على أثر استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، فضلاً عن تدمير المجتمع الكوفي من الأمويين والزبيريين. في القيام بثورته في الكوفة والسيطرة عليها، ومن ثم الاقتصاص من قتلة الإمام الحسين عليه السلام وأحدًا تلو الآخر وما كان هذا الانتصار يتحقق لولا حركة التوابين.

أولاً: بداية حركة ابن الزبير

تعد حركة عبد الله بن الزبير من الحركات الكبيرة المناوئة للحكم الأموي، والتي استطاعت أن تنتزع أغلب الأمصار التي كانت خاضعة لسلطة الأمويين، فقد بعث عبد الله بن الزبير ولاته إلى مصر وفلسطين ودمشق وحمص وقنسرين والكوفة والبصرة وخراسان، فضلاً عن مكة والمدينة، ولم تبق ناحية إلا ومالت إليه، بينما اقتصر حينها سلطان الأمويين على الأردن<sup>(1)</sup>.

وترجع حركة ابن الزبير إلى بداية خلافة يزيد بن معاوية (60 هـ - 64 هـ -)، والتي سبق وأن أشرنا إلى الكتاب الذي أرسله يزيد بن معاوية إلى واليه على المدينة الوليد بن عتبة بأخذ البيعة له من الإمام الحسين (عليه السلام) وعبد الله بن الزبير فرفضاً ذلك، وقصد مكة<sup>(2)</sup>.

ص:204

- 
- 1- (1) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 5، ص 374؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 178.  
2- (2) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 5، ص 313؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 227-228؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج 5، ص 10.

ووجد عبد الله بن الزبير في مكة الملاذ الآمن الذي يبحث عنه للنأى بنفسه عن سلطة وعيون الأمويين، وأستطاع أن يكسب ود المسلمين فقال أول ما دخل مكة: «إنما أنا رجل مجاور لهذا البيت عائذ به»<sup>(1)</sup>، ولذلك «كان يدعى العائذ»<sup>(2)</sup>، ويرى عبد الله بن الزبير نفسه أحق من يزيد بالخلافة، فقد استغرب من الناس كيف أنهم رضوا بإبعادهم عن الخلافة وقبلوا بخلافة يزيد، فقال للإمام الحسين (عليه السلام) في مكة: «ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم وكفنا عنهم ونحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الأمر دونهم»<sup>(3)</sup>.

ولم يقف أمام طموح ابن الزبير للخلافة وزيادة سطوته في الحجاز سوى وجود الإمام الحسين (عليه السلام) في مكة، فكان حسب قول المسعودي<sup>(4)</sup>: «أثقل الناس عليه، وقد غمه مكانه بمكة، لأن الناس ما كانوا يعدلون به بالحسين، فلم يكن شيء يُؤتاه أحب إليه من شخص الحسين عن مكة»، ولذلك لم يدخر جهداً في حثه على التوجه إلى العراق فقال له: «أما لو كان لي بها - يقصد الكوفة - مثل شيعتك ما عدلت بها»<sup>(5)</sup>، وكان الإمام الحسين (عليه السلام) عارفاً بمقاصد ابن الزبير في رغبته بخروجه من الحجاز فقال: «... وقد علم أنه ليس له من الأمر معي شيء، وأن الناس لم يعدلوه بي، فود

ص: 205

- 
- 1- (1) - ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج 5، ص 151؛ ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 10؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 321؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 472.
  - 2- (2) - المبرد، الكامل في اللغة، ج 3، ص 188.
  - 3- (3) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 258.
  - 4- (4) - مروج الذهب، ج 3، ص 69-70.
  - 5- (5) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 258؛ ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ج 3، ص 69

أنى خرجت منها لتخلو له».(1) ، وهو ما أشار إليه عبد الله بن العباس فقال للإمام الحسين (عليه السلام): «لقد أقررت عين ابن الزبير بتخليتك إياه والحجاز والخروج منها وهو اليوم لا ينظر إليه أحد معك»..(2).

ولم يكن رأى وطموح عبد الله بن الزبير يعنى شيئاً للإمام الحسين (عليه السلام) فى خروجه أو بقائه فى مكة، فقد كان هدفه أسمى وأعظم من أن يدركه عبد الله بن الزبير أو غيره، وقد أوضح ذلك منذ اليوم الأول من خروجه من المدينة إلى مكة حين كتب إلى أخيه محمد ابن الحنفية كتاباً جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسين بن على بن أبى طالب لأخيه محمد ابن الحنفية... إن الحسين بن على يشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله، جاء بالحق من عنده، وأن الجنة حق والنار حق. وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور، وأنى لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب النجاح والصلاح فى أمة جدى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وسيرة أبى على بن أبى طالب...».(3)

ص: 206

1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 258.

2- (2) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 65؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 259.

3- (3) - ابن أعثم الكوفى، كتاب الفتوح، ج 5، ص 21؛ الخوارزمى، مقتل الحسين، ج 2، ص 188؛ المجلسى، بحار الأنوار، ج 44، ص 329-330؛ المقدم، عبد الرزاق الموسوى، مقتل الحسين، مؤسسة النور، بيروت، 2002 م، ص 138-139.

اتخذ عبد الله بن الزبير واقعة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) ذريعة لكسب ود المسلمين الذين اعتبروا تلك الجريمة النكراء انتهاكاً صارخاً لمبادئ الإسلام والمسلمين، فلما بلغه مقتل الحسين عليه السلام فقام في أهل مكة «وعظم مقتله، وعاب على أهل الكوفة خاصة، ولأم أهل العراق عامة، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، إن أهل العراق غدر فجر إلا قليلاً؛ وإن أهل الكوفة شرار أهل العراق. وإنهم دعوا حسيناً لينصروه ويولوه عليهم، فلما قدم عليهم ثاروا إليه فقالوا له: إنا أن تضع يدك في أيدينا فنبعث بك إلى ابن زياد ابن سمية سلماً فيمضى فيك حكمه، وإنا أن تحارب. فرأى والله أنه هو وأصحابه قليل في كثير، وإن كان الله عز وجل لم يُطلع على الغيب أحداً أنه مقتول؛ ولكنه اختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة؛ فرحم الله حسيناً، وأخزى قاتل حسين!.... أما والله لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامه، كثيراً في النهار صيامه، أحق بما هم فيه منهم وأولى به في الدين والفضل، أما والله ما كان يبدل بالقرآن الغناء، ولا بالبكاء من خشية الله الحُداء، ولا بالصيام شرب الحرام، ولا بالمجالس في حَلَقِ الذكر الركض في تطلاب الصيد - يعرض بيزيد - (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) 1. فثار إليه أصحابه فقالوا له: أيها الرجل، أظهر بيعتك فإنه لم يبق أحد إذ هلك حسين ينازعك هذا الأمر. وقد كان يبايع الناس سراً ويظهر أنه عائد بالبيت، فقال لهم لا تعجلوا...» (1).

ص: 207

---

1- (2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 321؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 546-547.

وقبل أن نخرج على موقف المختار من آل الزبير لابد لنا من معرفة ما آلت إليه أمور المختار في السجن الذي أودع فيه منذ استشهاد مسلم بن عقيل، إذ تذكر الروايات التاريخية أنه استطاع أن يبعث رسولاً إلى صهره عبد الله بن عمر بن الخطاب بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء، فكتب على أثر ذلك عبد الله بن عمر إلى يزيد كتاباً يطلب فيه أن يأمر ابن زياد بإخراجه من السجن، وفعلاً كتب يزيد إلى ابن زياد على وجه السرعة يأمره فيه بإطلاق سراحه حال أن ينظر في كتابه، ونفذ ابن زياد ما أمر به يزيد على الفور، ولكنه أشرط على المختار أن يخرج من الكوفة خلال ثلاثة أيام وإلا يهدر دمه، فخرج المختار خلال تلك المدة إلى الحجاز. (1)

وعندما وصل المختار إلى مكة قادماً من الكوفة بعد خروجه من السجن، عرض البيعة عليه واعتبره رجل العرب، لكن ابن الزبير أعرض عن ذلك، ثم غاب عنه سنة ورجع إلى مكة فبايع ابن الزبير على شروط أشرطها عليه، فقبلها ابن الزبير بعد أن تردد في ذلك، وهي أن لا يقضى الأمور دونه، ويكون أول من يأذن له بالدخول عليه، وإذا ظهر على يزيد يستعين به على أفضل أعماله. (2)

ص: 208

---

1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 385؛ ابن أعمش الكوفى، كتاب الفتوح، ج 5، ص 145-146؛ ومقتل الحسين، ص 182؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 602-603.

2- (2) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 275؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 388؛ ابن أعمش الكوفى، كتاب الفتوح، ج 5، ص 148-149؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 603-604.



يتضح من شروط المختار الأنفة الذكر مدى قوة شخصيته وسعة نفوذه وحاجة الآخرين إليه، وإن لم تكن مكانة المختار بهذا الشكل فكيف يتسنى له أن تكون بيعته على هذه الشروط، والتي وجد ابن الزبير نفسه مضطراً لقبولها، فقد ذكر أن المختار قال: «والله إنه إلى لأحوج مني إليه»<sup>(1)</sup> ثم أوضح قدرته على قيادة الناس فصرح «إن سمع مني وقبل عنى كفيته أمر الناس»<sup>(2)</sup>.

ويبدو أن شجاعة المختار وقدراته لم تكن خافية على ابن الزبير الذي كان بحاجة ماسة له لمعرفة المسبقة بأن المواجهة بينه وبين الأمويين على وشك الوقوع، وهو ما يفسر قبول ابن الزبير ببيعة المختار المشروطة التي لم تشر المصادر التاريخية أن ابن الزبير قد قبل مثلها.

### ثانياً: قتال المختار مع عبد الله بن الزبير

لعب المختار دوراً مهماً ومحورياً في قتال الأمويين إلى جانب ابن الزبير دفاعاً عن البيت الحرام منذ بيعته له، فقد كان موقفه حازماً وجريئاً مع الوفد الذي أرسله يزيد بن معاوية إلى أخذ البيعة له من ابن الزبير، وكان من ضمن الوفد عبد الله بن عضاة الذي هدد وتوعد ابن الزبير وأهل مكة وقال: «وأقسم بالله صادقاً لتبايعن يزيد طائعاً أو كارهاً أو لتعرفن في هذه البطحاء وفي يدي الراية الأشعرين»<sup>(3)</sup> ولم ينته من قوله هذا حتى انبرى إليه المختار ابن

ص: 209

1- (1) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 38.

2- (2) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 38؛ ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 386.

3- (3) - ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج 5، ص 152.

أبي عبيد قائلاً: «أما والله يا بن عضاة! لئن أنت رمت ذلك وأردت بصاحب هذا البيت سوءاً ليدمرن الله عليك وعلى صاحبك يزيد كما دمر على أصحاب الفيل إذ راموه فجعل كيدهم في تضليل، فإن شئت فرم ذلك! فقال له عبد الله بن عضاة: يا بن أبي عبيد! أما! إن عبيد الله بن زياد قد كان حازم الرأي في حبسك بالكوفة، ولو ضرب عنقك لأصاب الرأي، ولكن لا جرى الله صهرك عبد الله بن عمر خيراً. قال ابن أبي عبيد: والله ما كان أبوه أمير المؤمنين، وقد قتل وسفك دماء المؤمنين، وقد قتل ابن بنت نبي رب العالمين. قال: وارتفعت الأصوات بين عبد الله بن عضاة وبين المختار، فأقسم عبد الله بن الزبير على المختار أن يسكت، فسكت» (1)، أوضح ابن أعثم الكوفي في روايته هذه العديد من الأمور منها:

(1) الشجاعة التي يتحلى بها المختار، فكان رده عنيفاً وجريئاً على ابن عضاة.

(2) أثنى ابن عضاة على رأي ابن زياد بسجن المختار، وتمنى أن يكون قتله، مبيناً عدم رضاه عن شفاعته ابن عمر في المختار. وهو يبين مدى قناعة أنصار الأمويين بعداء المختار لهم.

(3) أشارت الرواية إلى سبب عداة المختار الحقيقي للأمويين ألا وهو قتل الإمام الحسين عليه السلام، الذي كان لا يفتأ المختار في التذكير به، والطلب بأخذ الثأر من قتلته.

ص:210

(4) أوضحت الرواية أن المختار لم يتوقف عن الكلام إلا بعد أن أقسم عليه ابن الزبير بالسكوت، وفي هذا دليل كافٍ على أن انضمامه لابن الزبير كان مرحلياً لهدف أسمى وأعلى.

أما عن قتاله مع ابن الزبير فهناك من يشير إلى أنه كان قبل حصار الكعبة، فقد أرسل والي المدينة جيشاً بقيادة عمرو بن الزبير<sup>(1)</sup> إلى مكة، فخرج عبد الله بن الزبير على رأس جيشه وكان على ميمنته المختار بن أبي عبيد، وعلى يسارته العباس بن سهل الأنصاري والتقى مع جيش الأمويين بين مكة والمدينة، فانتصر عبد الله بن الزبير وهزم جيش الأمويين وأسر قائده عمرو بن الزبير فقام عبد الله بن الزبير بحبسه وقتله تحت ضرب السياط<sup>(2)</sup>، وأوردت المصادر التاريخية الكثير من المواقف التي أظهرت شخصية المختار وشجاعته في الحرب أثناء حصار الحصين بن نمير للكعبة، فروى أبو مخنف بسنده عن عباس بن سهل بن سعد أحد قادة عبد الله بن الزبير أنه قال: «تولى قتال أهل الشام يوم تحريق الكعبة عبد الله بن مطيع، وأنا، والمختار. قال فما كان فينا يومئذ رجلٌ أحسن بلاءً من المختار»<sup>(3)</sup>.

ص: 211

---

1- (1) - هو عمرو بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، وأمه أم خلد بنت خالد بن سعيد الأموية، تولى شرطة عمرو بن سعيد الأشدق فضرب أناساً من قريش والأنصار بالسياط وقال: هؤلاء شيعة عبد الله بن الزبير، وكان من أعدى الناس لعبد الله بن الزبير، وجهه والي المدينة عمرو بن سعيد بأمرٍ من يزيد لقتال عبد الله بن الزبير، فأسره عبد الله وأمر الناس بالاعتصام منه فمات تحت السياط. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج 7، ص 184-185؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج 5، ص 198-200.

2- (2) - ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج 5، ص 153-154.

3- (3) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 388.

وذكر ابن سعد(1) أثناء ترجمته لمحمد ابن الحنفية: «كان المختار مع عبد الله بن الزبير في حصاره الأول أشد الناس معه ويريه أنه شيعة له، وأبن الزبير معجب به ويُحْمَل عليه فلا يسمع عليه كلاماً...».

وأورد ابن قتيبة(2) في هذا الشأن فقال: «ومعه - أي عبد الله بن الزبير - من القرشيين عبد الله بن مطيع، والمختار بن أبي عبيد، والمسور بن مخرمة، والمنذر بن الزبير،... فقال المختار بن أبي عبيد: وهبت رويحة: والله إنى لأجد النصر في هذه الرويحة، فاحملوا عليهم، قال: فحملوا عليهم حتى أخرجوهم من مكة، وقتل المختار رجلاً، وقتل ابن مطيع رجلاً...».

في حين أورد البلاذري(3) روايته فأوضح فيها أن المختار كان يحث ابن الزبير على قتال الأمويين والدفاع عن البيت الحرام فقال: «... وكان المختار ابن أبي عبيد الثقفي قال لأبن الزبير: انهض إلى القوم، وكان قد مكث أياماً لا يقاتل، وقال له المختار أيضاً إن الله يقول (وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عَدَدَ الْمُسَدِّ حِدِّ الْحَرَامِ حَتَّى يُعَاتِلُوَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ)4، فنهض ابن الزبير... وقال: ما أبالي إذا قاتل معي المختار من لقيت فإنى لم أر أشجع منه قط...» وفي رواية أخرى أنه قال ذلك بعد ما قتل العديد من قاداته وأنصاره(4).

ص:212

1- (1) - الطبقات، ج 7، ص 99.

2- (2) - الإمامة والسياسة، ص 219؛ وينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 4، ص 373.

3- (3) - جمل من أنساب الأشراف، ج 5، ص 360.

4- (5) - جمل من أنساب الأشراف، ج 5، ص 362.

ويتضح من رواية البلاذري أن المختار كان سبباً مباشراً في قتال عبد الله ابن الزبير للأمويين فكان يحثه على ذلك، ويتقدم الصفوف في القتال.

وأورد بعض المؤرخين(1) أن المختار قاتل أهل الشام إلى آخر يوم من حصارهم للكعبة وأخذ يناديهم: «يا أهل الشام أنا المختار بن أبي عبيد، أنا الكرار غير الفرار، أنا المُقدم غير المُحجم، إليّ يا أهل الحفاظ وحماة الأديار...»، ووصف البغدادي(2) قتال المختار مع ابن الزبير أثناء حصار مكة فقال: «وقد اشتدت نكاية المختار في تلك الحروب على أهل الشام...»، في حين ذكر ابن الأثير(3) قتال المختار مع آل الزبير فقال: «وشهد معه قتال الحصين بن نمير، وأبلى أحسن البلاء، وقاتل أشد القتال، وكان أشد الناس على أهل الشام».

يتضح مما تقدم الدور الذي لعبه المختار مع ابن الزبير في الدفاع عن مكة، والذي تجلى فيها عند المختار مدى العداوة الذي يكنه للأمويين وأنصارهم، فكان أشد من ابن الزبير عليهم، فقد كان يرى في قرارة نفسه أنهم يتحملون الوزر الأعظم في قتل الإمام الحسين عليه السلام، وقد وضع نصب عينيه منذ الأيام الأولى لاستشهاد الإمام الحسين عليه السلام الأخذ بثأره والقصاص من قتلته.

ص:213

---

1- (1) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 5، ص 379؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 388؛ ابن أعمش الكوفي، كتاب الفتوح، ج 5، ص 164.

2- (2) - الفرق بين الفرق، ص 52.

3- (3) - الكامل في التاريخ، ج 3، ص 604.

أختلف المؤرخون في كيفية مفارقة المختار لعبد الله بن الزبير ووثوبه على الكوفة فيرى البعض منهم أن المختار فارق ابن الزبير بأذن منه وموافقته وأنه هو من ولاه على الكوفة، فروى ابن سعد(1): «وجاء المختار إلى ابن الزبير فقال: اعلم أن مكاني من العراق أنفع لك من مقامي هاهنا، فأذن له عبد الله ابن الزبير فخرج هو وابن كامل، وابن الزبير لا يشك في مناصحته، وهو مصر على الغش لابن الزبير»، وذكر(2) في موضع آخر فقال: «ألح المختار بن أبي عبيد على عبد الله بن الزبير في الخروج إلى العراق فأذن له، وكتب ابن الزبير إلى ابن مطيع وهو عامله على الكوفة يذكر له حال المختار عنده، فلما قدم المختار الكوفة أختلف إلى ابن مطيع وأظهر مناصحة ابن الزبير وعابه في السر...»، ولما ذكر ابن سعد(3) وصول المختار إلى الكوفة قال: «لما قدم المختار العراق اختلف إلى عبد الله بن مطيع، وهو والي الكوفة يومئذ لعبد الله ابن الزبير»..

وذكر ابن قتيبة(4) أن عبد الله بن الزبير «... أرسل عبد الله بن مطيع إلى الكوفة، ثم بعث المختار بن أبي عبيد على الكوفة وعزل عبد الله بن مطيع وسيره إلى المدينة» وأكد روايته هذه مرة أخرى فقال في موضع آخر: «... ثم

ص:214

1- (1) - الطبقات، ج 7، ص 99-100.

2- (2) الطبقات، ج 7، ص 147.

3- (3) الطبقات، ج 7، ص 100.

4- (4) - الإمامة والسياسة، ص 229.

بعث مصعب بن الزبير أخاه، وضم إليه العراقيين الكوفة والبصرة، فلما ضم إليه الكوفة، وعزل المختار عنها خلع المختار عبد الله بن الزبير بالكوفة، ودعا إلى آل الرسول، وأراد أن يعقد البيعة لمحمد ابن الحنفية ويخلع عبد الله بن الزبير. فكتب عبد الله بن الزبير إلى أخيه مُصعب، أن سر إلى المختار بمن معك، ثم لا تبليه ريقه، ولا تمهله حتى يموت الأعجل منكما..(1)

وأورد المبرد(2) روايته بشكل آخر فقال: «ويروى أن المختار بن أبي عبيد حيث كان والياً لأبن الزبير على الكوفة، أتهمه ابن الزبير، فولى رجلاً من قريش الكوفة، فلما أطل قال لجماعة من أهلها: أخرجوا إلى هذا المغرور فردوه، فخرجوا إليه، فقالوا: أين تريد؟ والله لئن دخلت الكوفة ليقتلنك المختار، فرجع».

في حين أورد المسعودي(3) روايته بصيغة أخرى، فذكر: «فقال المختار ابن أبي عبيد لابن الزبير: إني لأعرف قوماً لو أن لهم رجلاً له رفق وعلم بما يأتي لأستخرج لك منهم جنداً تغلب أهل الشام، فقال: من هم؟ قال: شيعة بنى هاشم بالكوفة قال: كن أنت ذلك الرجل؛ فبعثه إلى الكوفة، فنزل ناحية منها، وجعل يظهر البكاء على الطالبيين وشيعتهم، ويظهر الحنين والجزع لهم، ويحث على أخذ الثأر لهم والمطالبة بدمائهم، فمالت الشيعة إليه،

ص: 215

1- (1) - ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص 230.

2- (2) - الكامل في اللغة، ج 3، ص 187.

3- (3) - مروج الذهب، ج 3، ص 89؛ وينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج 9، ج 20، ص 330.

وانضافوا إلى جملته، وسار إلى قصر الإمارة فأخرج ابن مطيع منه، وغلب على الكوفة، وابتنى لنفسه داراً، وأتخذ بستاناً أنفق عليه أموالاً عظيمةً أخرجها من بيت المال، وفرق الأموال على الناس بها تفرقةً واسعة، وكتب إلى ابن الزبير يعلمه أنه إنما أخرج ابن مطيع عن الكوفة لعجزه عن القيام بها، ويسوم ابن الزبير أن يحسب له بما أنفقه من بيت المال، فأبى ابن الزبير وذلك عليه فخلع المختار طاعته، ووجد بيعته...»..

وجاءت رواية الذهبي (1) بهذا الشأن مختصرة فقال: «فلما مات يزيد، استأذن ابن الزبير في الرواح إلى العراق، فركن إليه، وأذن له، وكتب إلى نائبه بالعراق عبد الله بن مطيع يوصيه به، فكان يختلف إلى ابن مطيع، ثم أخذ يعيب في الباطن ابن الزبير، ويثنى على ابن الحنفية، ويدعوا إليه،.... والتفت عليه الشيعة، فخافه ابن مطيع، وفر من الكوفة وتمكن هو - أى المختار -...»..

ويمكن مناقشة تلك الروايات التي أشارت إلى قيام ابن الزبير بتولية المختار، أو على أقل تقدير موافقته على مغادرة المختار إلى الكوفة.

فرواية ابن سعد والتي جزم فيها أن ابن الزبير لا يشك في مناصحة المختار له لا يمكن الأخذ بها لأمرين:

الأمر الأول: لو كان ابن الزبير لا يشك بمناصحة المختار له، لكان الأحرى به أن يفى بعهدده معه عندما بايعه المختار على تلك الشروط والتي كان أهم شروطها أن يستعمله على أفضل أعماله ودون شك كانت الكوفة

ص:216



أفضل ولايات الدولة آنذاك، فضلاً عن شجاعة وقدرة المختار السياسية التي يتمتع بها والتي اعترف بها ابن الزبير في أكثر من مناسبة.

الأمر الثاني: جعل ابن سعد وصول المختار في ولاية ابن مطيع في حين أن وصول المختار قبل ولاية عبد الله بن يزيد الخطمي بثمانية أيام وذلك في الخامس عشر من رمضان في سنة أربع وستين للهجرة (1) فمكث في ولايته إلى خمس بقين من رمضان سنة خمس وستين للهجرة حيث قدم عبد الله بن مطيع والياً من قبل ابن الزبير على الكوفة (2)، ومن الجدير بالذكر أن عبد الله بن يزيد والى الكوفة قام بسجن المختار بعد خروج التوابين من الكوفة، وخرج المختار بعد عودتهم إلى الكوفة، وبشفاعة ابن عمر (3) أيضاً، فيتضح من خلال ذلك أن وصول المختار إلى الكوفة لم يكن أثناء ولاية ابن مطيع كما أشار ابن سعد.

أما رواية ابن قتيبة التي أشرنا إليها لا يمكن الأخذ بها بهذه البساطة فمن المسلم به أن المختار أخذ الكوفة عنوة وحاصر ابن مطيع في قصر الأمانة، الذي استسلم وأتجه نحو البصرة حيث كره أن يذهب إلى ابن الزبير في مكة (4)،

ص: 217

1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 378-379.

2- (2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 37.

3- (3) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 35-36؛ ابن أعمش الكوفي، كتاب الفتوح، ج 6، ص 219.

4- (4) للتفاصيل ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 343-382؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 394-395؛

الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 44-56؛ ابن أعمش الكوفي، كتاب الفتوح، ج 6، ص 232؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3،

ص 668-670؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 10-14.

وكذلك نجد ابن قتيبة يجعل خلع المختار لعبد الله بن الزبير عند ولاية مصعب للبصرة في حين أشارت بعض المصادر التاريخية إلى العديد من الوقائع بين المختار وابن الزبير قبل ولاية مصعب للبصرة، ظهر فيها الخلاف جلياً بين المختار وابن الزبير منها إخراج محمد ابن الحنفية من السجن، وجيش المختار الذى أرسله للدفاع عن المدينة المنورة وغدر به ابن الزبير وقتل قائده. (1)

ورواية المبرد من اتهام ابن الزبير للمختار وتولية رجل من قريش وإرسال المختار من يمنعه فى الكوفة، هو أمر مسلم به، لكن الأمر الذى لا يمكن الأخذ به هو قول المبرد إن المختار كان والياً لابن الزبير وهو ما أشرنا إليه عند مناقشة الروايات السالفة الذكر.

أما ما ذكره المسعودى وابن أبى الحديد: بأن المختار بعث برسالة يوضح فيها المبررات التى جعلته يثب بالكوفة ويطرد ابن مطيع منها فهو أمر طبيعى لما عرف عن المختار من حنكة سياسية وعسكرية فهو يخشى أن يقاتل الأمويين فى وقت لم يكن بمأمن من غدر آل الزبير، فحاول كسب ودهم للتفرغ إلى هدفه الرئيسى وهو الأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام ومحاربة الأمويين. لكن ما ذكره المسعودى من أن سبب خلافه مع ابن الزبير هى قضية الأموال فهذه الرواية لا يمكن الأخذ بها لما عرف عن سخاء المختار وإنفاقه الأموال وهو ما أشار إليه المسعودى نفسه فقال: وفرق الأموال على الناس بها تفرقة

ص: 218

---

1- (1) - البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 419؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 79-84.

واسعة. فضلاً عن الأموال التي أعطاها لأبن مطيع عند مغادرته الكوفة، وسبعين ألفاً أعطاها إلى والى ابن الزبير الذي لم يسمح له المختار بالدخول إلى الكوفة، والأموال التي يبعث بها إلى عبد الله ابن عمر وغيره(1).

في حين جاءت رواية الذهبى مختصرة، وفيها تناقض واضح فهي توضح بأن ابن الزبير أوصى ابن مطيع بالمختار، في حين عند دخول المختار إلى الكوفة لم يكن يومها والى عليها ابن مطيع، لأن المختار دخل الكوفة قبل قدوم عبد الله بن مطيع بأكثر من عام(2).

ويرى بعض المؤرخين أن المختار قصد الكوفة دون علم ابن الزبير وأنه أخذها عنوة، وأخرج منها عامل ابن الزبير، فذكر البلاذرى روايتين في هذا الشأن:

الرواية الأولى: ذكرها البلاذرى(3) بعد أن تطرق إلى حصار الحصين بن نمير السكونى وقتال المختار مع ابن الزبير فقال: «وأقام المختار مع ابن الزبير حتى انصرف عنه الحصين بن نمير وأهل الشام إلى الشام، فلما رأى أن ابن الزبير لا يوليه شيئاً أقبل يسأل الناس عن خبر الكوفة وأهلها... ثم ركب

ص:219

- 
- 1- (1) - مروج الذهب، ج 3، ص 89؛ وينظر: ابن أبى الحديد، شرح نهج البلاغة، مج 9، ج 20، ص 330.
  - 2- (2) دخل المختار الكوفة في رمضان من عام أربع وستين للهجرة، في حين كان وصول عبد الله بن مطيع في رمضان من عام خمس وستين للهجرة ينظر: الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 37؛ وج 5، ص 378.
  - 3- (3) - جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 379.

الرواية الثانية: جاء بها البلاذري (1) أثناء حديثه عن مواقف ابن الزبير السليبية مع بنى هاشم وغيرهم ثم قال: «... وكان المختار معه فلما رأى تفننه وتخليطه تركه وأنصرف إلى الكوفة...»..

وأورد اليعقوبى كذلك روايتين فى هذا الشأن تطرق فى الأولى: إلى سبب مفارقة المختار لابن الزبير وفى الثانية تطرق إلى سبب وثوب المختار بالكوفة وطرده عامل ابن الزبير منها.

فجاء فى الرواية الأولى: «كان - المختار - مع ابن الزبير، فلما لم ير ابن الزبير يستعمله شخص إلى العراق،...».. (2)

أما الرواية الثانية فأوردها اليعقوبى (3) فى سبب وثوب المختار بالكوفة فقال: «وكان ابن مطيع عامل ابن الزبير على الكوفة، فجعل يطلب الشيعة ويخيفهم، فواعد المختار أصحابه، ثم خرجوا بعد المغرب...، ونادى: يا لثارات الحسين بن على!».

وعلى الرغم من أن رواية اليعقوبى قد تطابقت مع العديد من الروايات الأخرى، إلا أنه انفرد فى روايته الثانية بمضايقة ابن مطيع للشيعة وإخافتهم، وسياسة عمال آل الزبير تجاه الشيعة لم تكن مستغربة ولكنها فى تلك الظروف

ص: 220

1- (1) - جمل من أنساب الأشراف، ج 5، ص 333.

2- (2) - اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ج 2، ص 180.

3- (3) - تاريخ اليعقوبى، ج 2، ص 180.

لم تكن بشكل علني فابن مطيع نفسه حاول سجن المختار لمجرد أن السائب بن مالك الأشعري قال له: «لا يسار فينا إلا بسيرة علي بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا هذه حتى هلك رحمة الله عليه»..(1) فأشار علي ابن مطيع صاحب شرطته بسجن المختار لكن تلك المحاولة المبكرة لإجهاض ثورته فشلت بفضل ابن عمه زائدة بن قدامة(2) وذكاء المختار.(3)

وذكر الطبري(4) روايته حول مفارقة المختار لابن الزبير فذكر أن المختار أقام معه أكثر من خمسة أشهر بعد موت يزيد ثم ذكر بسنده عن أبي مخنف: «أن هاني بن أبي حية الوادعي قدم مكة يريد عمرة رمضان، فسأله المختار عن حاله وحال الناس بالكوفة وهيئتهم، فأخبره عنهم بصلاح واتساق على طاعة ابن الزبير، إلا- أن طائفة من الناس إليهم عدد أهل المصر، لو كان لهم رجل يجمعهم على رأيهم أكل بهم الأرض إلى يوم ما، فقال له المختار أنا أبو إسحاق، أنا والله لهم، أنا أجمعهم على مر الحق، وأنفى بهم ركبان الباطل،

ص: 221

---

1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 37؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 638-693.  
2- (2) هو زائدة بن قدامة بن مسعود الثقفي ابن عم المختار بعثه عمرو بن حريث صاحب شرطة ابن زياد يدعو المختار للوقوف تحت رايته عند مقتل مسلم بن عقيل، أرسله المختار وهو في سجن عبيد الله بن زياد بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) إلى عبد الله بن عمر ليشفع له عند يزيد فأدى مهمته على أتم وجه وأطلق سراح المختار، قتل في سنة ست وسبعين للهجرة. ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 18، ص 295-298.

3- (3) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 37؛ ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 638-693.

4- (4) - تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 389-390.

وأقتل بهم كل جبار عنيد،... ثم وثب فخرج وركب رواحله فأقبل نحو الكوفة...»..

وأورد ابن أعمش الكوفي (1) رواية تتفق مع رواية الطبري لكنه يشير بوضوح إلى خروجه بدون علم ابن الزبير وانه لما علم بذلك أثر السكوت عن المختار، فقال: «... ثم انصرف - أى المختار - إلى منزله، فلما كان الليل وثب فاستوى على فرسه وخرج من مكة بغير علم عبد الله بن الزبير...»، وأستطرد ابن أعمش فى ذلك فذكر موقف ابن الزبير بعد أن علم بوصول المختار إلى الكوفة فقال: «وعلم عبد الله بن الزبير أن المختار قد صار إلى الكوفة فأتقى أن يفسد عليه البلد، فأرسل إلى عامر بن مسعود الجحى - والى الكوفة لأبن الزبير - فعزله عن الكوفة وولى عليها عبد الله بن يزيد الأنصارى...» (2).

ويرى البغدادي (3) سبب مفارقة المختار لأبن الزبير هو أنه لقي جفوة منه فكانت سبباً فى مفارقتة له.

وأورد ابن الأثير بهذا الشأن روايتين:

الرواية الأولى: جاءت متطابقة مع رواية الطبري مع الاختلاف فى بعض الألفاظ التى لا تغير من المضمون شيئاً، والتى أشارت أن سبب مفارقة المختار

ص: 222

- 
- 1- (1) - كتاب الفتوح، ج 6، ص 207؛ ومقتل الحسين ص 194.
  - 2- (2) - كتاب الفتوح، ج 6، ص 208؛ ومقتل الحسين، ص 196.
  - 3- (3) - الفرق بين الفرق، ص 52.

لأبن الزبير هو أنه لم يستعمله(1).

الرواية الثانية: ذكرها ابن الأثير(2) وهي تتطابق مع ما ذكره المسعودي، والتي أشارت إلى أن ابن الزبير أذن للمختار في خروجه إلى الكوفة، والتي تطرقنا إليها.

في حين يرى النويري(3) في سبب مفارقة المختار لابن الزبير أنه «أقام المختار عنده خمسة أشهر - بعد وفاة يزيد -، فلما رآه لا يستعمله جعل يسأل من يقدم من الكوفة عن حال الناس.... ثم ركب دابته وسار نحو الكوفة فوصل إليها واختلفت الشيعة إليه».

وجمع ابن كثير(4) بين الرأي الذي يرى أنه خرج بدون علم ابن الزبير والرأي الذي يقول إنه خرج بعلمه، ثم أضاف أنه بعد أن اخرج عامل ابن الزبير من الكوفة كتب المختار «إلى ابن الزبير يعتذر إليه ويخبره أن ابن مطيع كان مدهناً لبني أمية، وقد خرج من الكوفة، وأنا ومن بها في طاعتك، فصدقته ابن الزبير؛ لأنه كان يدعو له على المنبر يوم الجمعة على رؤوس الناس، ويظهر طاعته».

ومن خلال ما تقدم، يمكن أن نوجز آراء المؤرخين في سبب مفارقة المختار لأبن الزبير: هو أنه لم يستعمله على أي من أعماله، أو بسبب الجفوة

ص: 223

1- (1) - الكامل في التاريخ، ج 3، ص 604.

2- (2) - الكامل في التاريخ، ج 3، ص 606.

3- (3) - نهاية الأرب، ج 21، ص 4.

4- (4) - البداية والنهاية، ج 12، ص 66.

التي وجدها عند ابن الزبير، أو لأن المختار رأى الظروف أصبحت مهيأة له للوثوب بالكوفة، وهذه الآراء متداخلة فيما بينها، وأغلبها أكد على أن سبب مفارقة المختار لابن الزبير هو أنه لم يستعمله.

ولم يكن قتال المختار مع آل الزبير سوى وسيلة أراد بها أن يعد العدة ويهيء نفسه لتحقيق هدفه الأسمى وهو الأخذ بالثأر من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، ولذلك أهمله ابن الزبير ولم يوليه أياً من الولايات الإسلامية التابعة له، لعلمه مسبقاً أن المختار لم يكن يقبل بغير ولاية الكوفة لأن أهدافه لا تتحقق إلا بها، فكان ذلك سبباً في مراوغته في تنفيذ شروط بيعته للمختار؛ تلك الشروط التي أراد أن يحقق من خلالها: قتال الأمويين أعدائه التقليديين من جهة، والظفر بولاية الكوفة لتحقيق هدفه في أخذ الثأر، ولم يكن ابن الزبير غافلاً عن ميول المختار الشيعية وخشيته في حال وصوله إلى الكوفة أن يلتف حوله الشيعة ويزداد نفوذه وأن يصبح نداً قوياً له.

أما وضع الكوفة فلم يكن مهيئاً للمختار حين توجه إليها، فهي أعلنت ولاءها لآل الزبير حين علمت بوفاة يزيد، بينما التفت الشيعة فيها حول سيدها وزعيمها سليمان بن صرد الخزاعي، الذي لا يمكن أن يجد المختار له في الكوفة مكاناً بوجوده، لذلك اضطر المختار أن ينتظر مدة من الزمن حتى تتضح له الأمور، وهو لم يكن متعجباً لما عُرف عنه من حنكة في إدارة الأمور، وكان خروج سليمان بن صرد الخزاعي بجموع التوابين التي تبعته وخسارتهم المعركة سبباً في أن يعلن سيطرته على الكوفة، وهنا أثر ابن الزبير



السكوت والاعتراف بالأمر الواقع، فضلاً عن معرفته المسبقة بعداء المختار للأمويين العدو المشترك بينهما، للاستفادة من ذلك العداء قدر الإمكان، وقد يكون انتصار المختار على الأمويين في معركة الخازر (67 هـ -) ومقتل عبيد الله ابن زياد، صور لابن الزبير أن خطر الأمويين تحجم نوعاً ما وأصبح خطر المختار أكثر منهما، فعجل بالتوجه إلى المختار لمحاربتة والقضاء على دولته في نهاية المطاف.

### رابعاً: أوجه الخلاف العلني بين المختار وابن الزبير بعد سيطرته على الكوفة

#### 1 - قيام المختار بطرد والي ابن الزبير على الكوفة

استطاع المختار أن يطرد والي ابن الزبير على الكوفة، لكنه في الوقت نفسه يعلم أن هذا الأمر سيثير غضب ابن الزبير عليه، وكان يخشى أن يضطر للقتال على جبهتين: جبهة الشام وجبهة الحجاز والبصرة، ونظراً لما يتمتع به المختار من حنكة سياسية وعسكرية فكان عليه الاطمئنان على إحدى الجبهتين، لكي يتفرغ لقتال الأخرى، ولا ريب أن المختار كان له موقف إيجابي مع ابن الزبير أثناء حصار الأمويين له، فضلاً عن عداؤه المتجذر للأمويين، الذي وصل إلى أعلى مراحل بعد قتلهم الإمام الحسين (عليه السلام) والذي وضع المختار نصب عينيه الأخذ بثأره والاقترصاص من قتلته مهما كلفه ذلك، إذا ما أضفنا إليه ما أعلنه ابن الزبير بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) من ندم وحسرة على استشهاده،

وذم من أشترك في دمه، وإن كان ذلك من أجل الحصول على تأييد الناس التي هالها ما قام به الأمويون من قتل سبط الرسول (صلى الله عليه واله وسلم). تلك الأمور وغيرها دعت المختار إلى مهادنة ابن الزبير ومحاولة إرضائه في هذه الظروف على أقل تقدير، وقد ذكر المؤرخون العديد من الروايات بهذا الشأن التي توضح طبيعة العلاقة بين المختار وابن الزبير، التي يشوب أغلبها التداخل وعدم الوضوح إلا أنها تبين أن هناك نوعاً من المكاتبات بينهما:

فقد روى ابن سعد(1): «لما خرج ابن مطيع من الكوفة أتبعه المختار بكتاب إلى عبد الله بن الزبير يقع فيه بابن مطيع ويحببته ويقول: قدمت مكة وأنا على طاعتك فرأيت عبد الله بن مطيع مداهنأً لبنى أمية فلم يسعني أن أقره على ذلك لما حملت في عنقي من بيعتك، فخرج من الكوفة وأنا ومن قبلي على طاعتك..».

وأورد البلاذري(2) رواية قريية من رواية ابن سعد فقال: «كتب المختار إلى ابن الزبير، أن ابن مطيع خالفك، وكاتب عبد الملك، وأنت أحب إلينا من عبد الملك...».. وكتب كذلك إلى ابن الزبير يعلمه بأنه اضطر إلى إخراج ابن مطيع من الكوفة لعجزه عن القيام بمهامه التي كلف بها.(3)

ص:226

- 
- 1- (1) - الطبقات، ج 7، ص 147-148؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 541؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 66.
  - 2- (2) - جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 447.
  - 3- (3) - المسعودي، مروج الذهب، ج 3، ص 89.

وذكر الذهبي (1) أن المختار كتب إلى ابن الزبير يقول: «رأيتك - أي ابن مطيع - مدهناً لبني أمية، فلم يسعني أن أقره على ذلك وأنا على طاعتك، فصدقه ابن الزبير وكتب إليه بولاية الكوفة..»

ولم يكتف المختار بذلك بل كتب إلى ابن الزبير يقول: «إني اتخذت الكوفة داراً، فإن سوغتني ذلك وأمرت بألف ألف درهم سرت إلى الشام وكفيتك أمره..» (2)، ثم كتب له أيضاً يقول: «أما بعد فقد عرفت مناصحتي كانت لك، واجتهادى في طاعتك ونصرتك، وما كنت أعطيتني من نفسك، فلما وفيت لك خست لي بما عاهدتني فكان مني ما كان، فإن تراجعني أراجعك، وإن تُرد مناصحتي أنصح لك» (3).

ويمكن أن يلاحظ على كتب المختار المتقدمة الذكر لابن الزبير مدى الحنكة السياسية التي يتمتع بها المختار فقد حاول جهد الإمكان أن يتجنب غضب ابن الزبير لكي لا يكون بين جبهتين، الأمويين من جانب وابن الزبير من جانب آخر، ويرى بعض المؤرخين (4) أن تلك الرسائل كانت من القوة والرصانة إلى درجة صدقها ابن الزبير وأقره على ولاية الكوفة.

ص: 227

---

1- (1) - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج 5، ص 50.

2- (2) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 447.

3- (3) البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 415؛ ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 79؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج 6، ص 58-59؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 32.

4- (4) - ابن سعد، الطبقات، ج 7، ص 147-148؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 541؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 66.

ويلاحظ على تلك الكتب أنها ركزت على مسألة في غاية الأهمية ألا وهي العدو المشترك بين المختار وآل الزبير وهم بنو أمية وحشد الجهود لقتالهم بل أوضح له أنه على استعداد لمقاتلتهم نيابة عن ابن الزبير، لأنه يعلم إنما يقاتلهم للأهداف التي رسمها مسبقاً للأخذ بثأر الإمام الحسين (عليه السلام)، وكذلك ذكر ابن الزبير بالعهود التي قطعها على نفسه أثناء بيعته له، وبين له أنها كانت سبباً مباشراً له في الخلاف معه والتي أدت في نهاية المطاف إلى استيلائه على الكوفة، والتي أخذها عنوة وطرد عمال ابن الزبير منها وأوضح بعض المؤرخين القدامى سبب تلك الكتب: فذكر البلاذري (1) سبب قيام المختار بإرسال هذه الرسائل إلى ابن الزبير فقال: «وكان المختار خائفاً من أن يوجه إليه ابن الزبير جيشاً لمّا فعل بآبن مطيع وإخراجه إياه»، وأتفق الطبري (2) مع ما يراه البلاذري بشكل واضح في هذا الشأن فقال: «وهو يريد بذلك كفه عنه، حتى يستجمع له الأمر...»، في حين قال ابن الجوزي (3): «... وأخذ يخادع ابن الزبير فكتب إليه، أما بعد، فإنك قد عرفت مناصحتي وما كنت أعطيتني..»، بينما يرى ابن كثير (4) سبب كتب المختار لابن الزبير: «ولما علم المختار أن ابن الزبير لا ينام عنهم، وأن جيش الشام من قبل عبد الملك بن مروان (65 هـ - 86 هـ) يقصدونه مع عبيد الله بن زياد في جمع كثير لا

ص: 228

- 1- (1) - جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 415.
- 2- (2) تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 79.
- 3- (3) - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج 6، ص 58-59.
- 4- (4) - البداية والنهاية، ج 12، ص 32.

يرام، شرع يصانع ابن الزبير، يريد خداعه والمكر به...».

ومن خلال ما تقدم يظهر أن ما يراه البلاذرى والطبرى فى سبب رسائل المختار إلى ابن الزبير هى أقرب للواقع والمنطق فى ظل تلك الظروف المحيطة بالمختار، فالمختار حاول قدر الإمكان فتح صفحة جديدة مع آل الزبير وعدم إثارة غضبهم لكى لا يفتح عليه جبهة أخرى هوفى غنى عنها، وأما ما يراه ابن الجوزى وابن كثير فيبدو أن رأيهم تأثر بما آلت إليه الأمور من قيام المختار بطرد والى ابن الزبير حيث كان المختار مضطراً لفعل ذلك وإلا خسر كل ما خطط له من القيام بالقصاص من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام).

ولما أراد ابن الزبير أن يعلم أسلم هو أم حرب؟ قرر أن يرسل والياً جديداً إلى الكوفة «فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام(1) فقال له: قد وليتك الكوفة فسر إليها، فقال: كيف وبها المختار؟ قال: قد كتب إلى أنه سامع مطيع لى»(2)، وما أن اقترب الوالى الجديد من الكوفة حتى أرسل المختار إليه ابن عمه زائدة بن قدامة على رأس خمسمائة فارس، وأوصاه أن يعطيه ضعف الأموال التى أعطاهها له ابن الزبير، فإن رفض أظهر

ص:229

---

1- (1) - هو عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى الوالى الذى بعثه ابن الزبير إلى الكوفة بعد أن سيطر المختار على الكوفة فأرسل إليه المختار ابن عمه زائدة بن قدامة وأعترضه فى الطريق وبعد كلام دار بينهما دفع له سبعين الف درهم فذهب إلى البصرة فأقام بها. ينظر: البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 415-417.

2- (2) البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 415؛ ينظر الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 79؛ ابن الجوزى، المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، ج 6، ص 59؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 32.

له الجيش الذى أمره المختار بأن يخبئهم ولا يخرجهم إلا بعد رفضه أخذ الأموال، فلما فعل ذلك، وافق عمر بن الحارث على أخذ الأموال وعدم الدخول إلى الكوفة، ولكنه آثر الذهاب إلى البصرة بدلاً من الرجوع إلى ابن الزبير. (1)

## 2 - إرسال المثنى بن مخرمة العبدى إلى البصرة

قام المختار فى بداية ثورته فى الكوفة بخطوة، تتم عن جرأته وحنكته السياسية والعسكرية، وذلك بإرسال المثنى بن مخرمة العبدى لأخذ بيعة أهل البصرة له. وذلك لأهمية البصرة استراتيجياً واقتصادياً وسياسياً، ولم يكن المثنى شخصاً اعتيادياً، فتاريخه حافل بالولاء والحب لآل البيت وأنصارهم وشيعتهم، فكان أحد أصحاب الإمام على (عليه السلام) (2)، ففى معركة الجمل استقبل الإمام علياً (عليه السلام) قبل وصوله البصرة، وأخبره بأمر طلحة والزبير فى البصرة وبما لقيه أنصار الإمام على (عليه السلام) منهم، وفيمن قتل من ربيعة وعبد القيس وغيرهم. (3)

وكان له موقف يتضح منه قوة ولائه وإخلاصه للإمام على (عليه)

ص:230

- 
- 1- (1) - البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 415-416؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 80؛ ابن الجوزى، المنتظم، ج 6، ص 59؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 666؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 32.
- 2- (2) - سيف بن عمر (ت: 200 هـ - 815 م)، الفتنة ووقعة الجمل، تحقيق: أحمد راتب عرموش، الطبعة السابعة، دار النفائس، بيروت، 1993 م، ص 170.
- 3- (3) - البلاذرى، أنساب الأشراف، ص 233-234.

السلام) أثناء محاولة معاوية بن أبي سفيان السيطرة على البصرة، حين أرسل ابن الحضرمي لشق عصا المسلمين إبان ولاية زياد بن أبيه عليها في خلافة الإمام علي (عليه السلام)، فوقف المثنى بوجه ابن الحضرمي موقفاً مشهوداً له فقال أمام رؤوس الأَشهاد: «والله لئن لم ترجع إلى مكانك الذي جئتنا منه لنجاهدك بأسيفنا ورماحنا...»<sup>(1)</sup>، وفي رواية أخرى أنه قال: «نحن ندع ابن عم نبينا وسيد المسلمين، وندخل في طاعة حزب من الأحزاب طاغ، والله لا يكون ذلك أبداً حتى تسير كتبية إلى كتبية وتفلق الهام بالسيوف»<sup>(2)</sup>

فكانت له المواقف المشهودة في حروب الإمام علي (عليه السلام)، وما أن قرر التوابون التهيؤ للأخذ بثأر الإمام الحسين (عليه السلام) حتى بعث زعيمهم سليمان بن صرد الخزاعي رسائل يدعو فيها الخلفاء من الشيعة إلى الانضمام لحركته التي ضرب لها أجلاً، فكانت إحدى رسائله للمثنى بن مخزوم العبدى الذي أجاب على رسالة سليمان بن صرد الخزاعي فقال: «إننا معشر الشيعة حمدنا الله على ما عزمتم عليه، ونحن موافق إن شاء الله للأجل الذي ضربت. وكتب في أسفل الكتاب:

تبصر كأنى قد أتيتك معلماً على أتلع الهادى أجش هزيم

طويل القرى نهد الشواء مقلص ملح على فأس اللجام أزوم

بكل فتى لا يملأ الروع قلبه محش لنار الحرب غير سؤوم

ص: 231

---

1- (1) - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 311.

2- (2) - الثقفى، الغارات، ج 2، ص 367.

أخى ثقة ينوى الإله بسعيه ضروب بنصل السيف غير أثيم»(1)

وسار لنصرة التوابين فى ثلاثمائة من أهل البصرة، ووصل خير مقدمهم إلى التوابين وهم فى أرض المعركة يخبرونهم بأن سعد بن حذيفة جاءهم بمئة وسبعين من أهل المدائن، وأنّ المثنى قدم عليهم بثلاثمائة من أهل البصرة(2)، وقبل أن يصلوا إليهم انتهت المعركة بخسارة التوابين ورجوع من بقى منهم فالتقوا فى الطريق معهم وعاد المثنى بن مخزومة إلى الكوفة مع بقية التوابين(3). وهناك من يرى أنه شهد المعركة مع سليمان بن صرد فذكر: «أن المثنى بن مخزومة العبدى كان ممن شهد عين الوردة مع سليمان بن صرد»(4).

وعند عودة المثنى مع التوابين إلى الكوفة، أقام فيها حتى خروج المختار من السجن، وباعه سراً، فطلب منه المختار أن يلتحق ببلده البصرة ويدعو الناس سراً لبيعه فيها فأجابته رجال من قومه ومن غيرهم(5)، ثم خرج المثنى بأصحابه بعد أن وثب المختار بالكوفة، واستتبت له أمور الكوفة، وكان على البصرة القبايع(6) والياً من قبل ابن الزبير، فوقع القتال بينه وبين أصحاب المثنى

ص:232

1- (1) - ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 596.

2- (2) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص 303؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 16؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 615.

3- (3) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 16-17؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 616-617.

4- (4) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 76؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 665.

5- (5) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 76؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 665.

6- (6) - هو الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى، أمه نصرانية، وكان خطيباً بليغاً ديناً، عينه ابن



انتهى فى نهاية المطاف بعقد الصلح بين الطرفين الذى تضمن خروج المثنى ومن على رأيه إلى الكوفة والتحاقهم بالمختار(1) ، وعلى الرغم من أن حركة المثنى بن مخزومة انتهت بالفشل عسكرياً إلا أنها أفرزت العديد من النتائج منها:

1. كان موقف المثنى هذا سبباً فى اتصال المختار ببعض زعماء قبائل البصرة فقد ذكر الطبرى(2): «وأخبر المثنى المختار حين قدم عليه بما كان من أمر مالك بن مسمع وزياد بن عمرو، ومسيرهما إليه، وذبهما عنه حتى شخص عن البصرة. فطمع المختار فيهما، فكتب إليهما...»، ويبدو أن تلك الرسالة التى دعاهم المختار فيها لنصرته لم تلق التأييد الكامل من أولئك الزعماء فكان جواب أحدهم: «أما أنا فلا أقاتل نسيئةً؛ من أعطانا الدراهم قاتلنا معه». (3)

2. وفى الوقت نفسه كان لدعوة المثنى أثرٌ سلبيٌّ على المختار بسبب أنه كتب كتاباً للأحنف بن قيس(4) الذى كان له موقف غير ايجابي من تلك

ص:233

---

1- (1) - البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 415-418؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 76-79؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 665.

2- (2) - تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 77.

3- (3) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 77؛ ينظر: البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 418.

4- (4) - هو صخر بن معاوية بن حصن بن عباد بن مرة بن عبيد، وقيل: اسمه الضحاک بن قيس وكان

الدعوة فجاء في كتاب المختار: «أما بعد فويل أم ريعة من مضر،... ولعمري لئن قاتلتموني وكذبتموني لقد كذب من كان قبلي وما أنا بخيرهم».(1)، فتم تأويل هذا الكتاب من قبل الأحنف بن قيس حسب رواية الشعبي(2) إلى أن المختار قد ادعى النبوة، وهذا الكتاب سوف نتطرق إليه في الفصل الرابع بشيء من التفصيل.

### 3 - القتال بين جيش المختار وجيش ابن الزبير في المدينة

على الرغم من الحذر الذي اتبعه كل من المختار وآل الزبير بعدم تصعيد الموقف فيما بينهما أكثر مما هو عليه خشية من استغلال الأمويين ذلك، لكن الأمور تطورت إلى أبعد من ذلك حتى وصل إلى القتال المباشر والعلنى، وذلك عندما أرسل المختار جيشاً بقيادة شرحبيل بن ورس الهمداني في ثلاثة آلاف مقاتل جلهم من الموالى للدفاع عن المدينة من الأمويين الذين توجهوا لها

ص:234

---

1- (1) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 418؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 77.

2- (2) البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 418؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 77.

بقيادة عبد الملك بن الحارث الذي أرسله عبد الملك بن مروان(1)، إلا أن ابن الزبير رأى أن المختار يكايده ويتحين الفرص للنيل منه، فأرسل قائده عباس ابن سهل بن سعد الساعدي على رأس جيش قوامه ألفى مقاتل وأوصاه أن يستنفر الأعراب معه وقال له: «إن رأيت القوم - أي جيش المختار - في طاعتي فاقبل منهم، وإلا فكايدهم حتى تهلكهم».(2)

وما أن التقى بهم قائد جيش ابن الزبير وتكلم معهم حتى عزم على الغدر بهم بعد أن بعث لهم بالمؤمن التي كانوا بحاجة إليها، حيث كان ابن ورس وأصحابه قد هلكوا جوعاً، فأستغل اطمئنانهم له، فهجم عليهم وقتل قائدهم ابن ورس وأغلب الجيش، بل إنه رفع راية أمان فمن انحاز إليها قتله أيضاً(3).

ويرى المؤرخون أن هناك أكثر من سبب أدى إلى إرسال جيش المختار ونشوب القتال بينه وبين جيش آل الزبير، فيرى أبو مخنف(4): «أن المختار أخير أن أهل الشام قد أقبلوا نحو العراق، فعرف أنه به يُبدأ، فخشى أن يأتيه أهل الشام من قبل المغرب، ويأتيه مصعب بن الزبير من قبل البصرة؛ فودع ابن الزبير وداراه وكايده».

ص: 235

- 
- 1- (1) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 419؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 80.
  - 2- (2) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 81.
  - 3- (3) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 81.
  - 4- (4) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 80.

وذكر البلاذري(1) رواية أبي مخنف ثم قال: «فأظهر الميل إلى عبد الله بن الزبير ومداراته وكتب إليه: بلغني أن مروان قد بعث إلى الحجاز جنداً فإن أحببت أن أمدك أمدتكَ»، في حين ذكر ابن الجوزي(2): «وفي هذه السنة (ست وستين للهجرة) بعث المختار جيشاً إلى المدينة للمكر بابن الزبير وهو مظهر له أنه وجههم معونة له لحرب الجيش الذي كان بعثه عبد الملك لحربه».

ويرى بعض المؤرخين(3) أن المختار أوصى قائده شرحبيل بن ورس إذا وصل المدينة أن ينتظر أوامره، وهو يريد بذلك إذا وصل المدينة أن يبعث أميراً عليها من قبله، ويأمر قائده أن يحاصر ابن الزبير ويقاتله بمكة، وخشى ابن الزبير أن يكون المختار إنما يكيد، فبعث إليه جيشاً بقيادة عباس بن سهل فقتلهم، فوصف فلهاوزن(4) العمل الذي قام به قائد ابن الزبير بأنه تخلص من حلفائه «عن طريق قتلهم غدرًا واغتيالًا جبانًا، ولا شك أنه فعل ذلك بأمر صريح من سيده ابن الزبير...».

ومن خلال ما تقدم يبدو أن ابن الزبير بسبب شكوكه وعدم ثقته بالمختار قدم على الغدر بجيش المختار، وإن ما ذكره المؤرخون بأن المختار كان

ص:236

---

1- (1) - جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 419.

2- (2) - المنتظم، ج 6، ص 58.

3- (3) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 419-420؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 80؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 667؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 32-33؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 35-36.

4- (4) - حركات المعارضة السياسية، ص 215.

فى نيتة أخذ المدينة ومحاصرة ابن الزبير وقتاله فى مكة لا يمكن الأخذ به وذلك للأسباب التالية:

(1) إن الظروف لم تكن مهيةاً لذلك فجيوش الأمويين تتقدم فى ذلك الوقت باتجاهين العراق من جهة وبلاد الحجاز من جهة أخرى، لاسيما وأن الأمر فى الشام أصبح أكثر استقراراً بعد أن آلت أمور الخلافة إلى عبد الملك ابن مروان (65 هـ - 86 هـ) الذى يُعد أكثر حزمًا وقوةً من غيره من الأمويين.

(2) الجيش الذى أرسله المختار كان جيشاً لا يتجاوز عدده ثلاثة آلاف جلهم من الموالى، ويفتقر للمؤن فقد وصف الطبرى (1) ذلك بقوله: «وبعث إلى ابن ورس بجزائر كانت معه فأهداها له، وبعث إليه بدقيق وغنم مسلخة، وكان ابن ورس وأصحابه قد هلكوا جوعاً»، وقال ابن الأثير (2): «وكانوا قد ماتوا جوعاً»، وقال ابن كثير (3): «وبعث إليهم الجزر والغنم والدقيق، وقد كان عندهم حاجة أكيدة إلى ذلك، وجوع كثير فجعلوا يذبحون ويطبخون...». وهذا العدد القليل من الجيش فضلاً عن انعدام المؤن لديه لا يستطيع القيام بالحصار والقضاء على دولة مثل دولة آل الزبير بهذه السهولة.

(3) يتضح من قول قائد المختار عندما نادى أصحابه يحثهم للقتال: «يا شرطة الله إلى قاتلوا الملحدين، أولياء الشياطين، فإنكم على الحق المبين،

ص: 237

- 
- 1- (1) - تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 81.
  - 2- (2) - الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 668.
  - 3- (3) - البداية والنهاية، ج 12، ص 33-34.

وقد غدر القوم وفجروا»..(1)، وهو يشير بذلك إلى غدر آل الزبير بأولئك الذين قدموا لنصرتهم.

ويبدو أن العمل الذي قام به ابن الزبير وغدره بالجيش قد أثار غضب المختار دون شك، وعلى أثر ذلك «قام خطيباً فقال: ألا إن الفجار الأشرار قتلوا الأبرار الأخيار؛ ألا إنه كان أمراً مأتياً وقضاء قضياً»(2)، وجعل المختار يفصح علناً عن علاقته مع ابن الحنفية الذي يتعرض للعديد من المضايقات من ابن الزبير.

#### 4 - موقف المختار من ابن الزبير عند حبسه محمد ابن الحنفية

بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء ووفاة يزيد بن معاوية (60 هـ - 64 هـ) لم يبق من ينافس عبد الله بن الزبير في الخلافة وأصبحت الأمور مهياة له، فدعا الناس إلى بيعته بالخلافة(3)، وأطلق على نفسه أمير المؤمنين(4) فدانت له أغلب مدن وأمصار الدولة وأعلنت بيعتها له ولم تقب خارج سلطته ونفوذه إلا الأردن(5).

ص: 238

- 
- 1- (1) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 420؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 81.
  - 2- (2) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 82.
  - 3- (3) - ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج 28، ص 209؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 206.
  - 4- (4) - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 178؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج 28، ص 209.
  - 5- (5) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 5، ص 374؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 178؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 208.

وفى ظل تلك الظروف التى تهيأت لابن الزبير، علا نجمه، وتوسع نفوذه، فدعا كبار أبناء الصحابة لبيعته، وكان على رأس هؤلاء محمد ابن الحنفية لكنه رفض وأبى بيعته(1)، وحاول احد أصحاب ابن الحنفية أن يبدد مخاوف ابن الزبير من منافسة محمد ابن الحنفية له فقال: «وإن صاحبنا يقول: لو بايعتني الأمة كلها غير سعد مولى معاوية ما قبلته»(2)، ولم يتغير موقف ابن الحنفية من ابن الزبير، واستمر يرفض بيعته، فازداد غضب ابن الزبير «وتحامل... على بنى هاشم تحاملاً شديداً، وأظهر لهم العداوة والبغضاء، حتى بلغ ذلك منه أن ترك الصلاة على محمد فى خطبته، فقبل له: لم تركت الصلاة على النبي؟ فقال: إن له أهل سوء يشربون لذكوره، ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به»(3).

واستمرت الضغوط على محمد ابن الحنفية من قبل ابن الزبير لبياعه، فلما رفض وأصر على عدم البيعة، قرر ابن الزبير حبسه هو وأصحابه، فحبسهم فى زمزم، وتوعدهم بالقتل والإحراق إن لم يبايعوا وضرب لذلك أجلاً(4).

ص:239

---

1- (1) - ابن سعد، الطبقات، ج 7، ص 102؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 3، ص 172؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 36.

2- (2) - ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 669.

3- (3) - اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ج 2، ص 182؛ وفى رواية أخرى: ((وأظهر سوء الرأى فى بنى هاشم، وترك ذكر النبي (صلى الله عليه وآله) من أجلهم، وقال: إن له أهيل سوء فإن ذكر مدوا أعناقهم لذكوره...)) ينظر: البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 5، ص 333.

4- (4) - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 7، ص 103؛ اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ج 2، ص 182؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 82-83؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 669؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 3، ص 172.

ويبدو أن هناك علاقة مباشرة بين سجن محمد ابن الحنفية ومن معه من قبل ابن الزبير وبين موقف الأخير من المختار فيرى ابن أعثم الكوفى (1): «ونظر عبد الله بن الزبير إلى المختار وغلبته على البلاد فعلم أنه إنما يفعل ذلك بظهر محمد ابن الحنفية، فأرسل إليه أن هلم فبايع فإن الناس قد بايعوا...»، ويتفق البلخي (2) مع ابن أعثم الكوفى فى ذلك فيقول: «أخذ محمد ابن الحنفية بالبيعة والانقياد، فقال محمد ابن الحنفية: أنا أولى بهذا الأمر منك إن كانت خلافة، فجمع أصحاب ابن الحنفية، وحبسهم...».

يتضح مما تقدم مدى قناعة ابن الزبير بالعلاقة بين المختار ومحمد ابن الحنفية، وإن قوة المختار تكمن فى تأييد محمد ابن الحنفية له ولذلك بادر إلى سجنه والتصديق عليه من أجل أخذ بيعته قبل استفحال قوته فى حال ازدياد نفوذ المختار وتوسع دولته.

ويرى بعض المؤرخين (3) أن ابن الزبير حبس ابن الحنفية وأهل بيته لأنه خشى من نفوذ المختار ودعوته لأبن الحنفية فقالوا: «فلما استولى المختار على الكوفة، وصارت الشيعة تدعو لابن الحنفية، خاف ابن الزبير أن يتداعى الناس إلى الرضا به، فألح عليه وعلى أصحابه فى البيعة له، فحبسهم...».

ويظهر أن ابن الزبير لم يبتعد عن الحقيقة فى علاقة المختار مع محمد ابن

ص: 240

---

1- (1) - كتاب الفتوح، ج 6، ص 247.

2- (2) - أبو زيد أحمد بن سهل (ت: 322 هـ - 933 م)، كتاب البدء والتاريخ، تحقيق: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997 م، ج 1، ص 247.

3- (3) - ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 669؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 36.



الحنفية فقد أشارت المصادر التاريخية إلى تلك العلاقة بشكل واضح، فالبلاذري (1) يرجع العلاقة بين محمد ابن الحنفية والمختار إلى قبل وثوبه بالكوفة، وأن المختار استشاره قبل خروجه من مكة وقال له: «إني على الشخصوس للطلب بدمانكم، والانتصار لكم، فسكت ابن الحنفية فلم يأمره ولم ينهه، فقال - المختار - إن سكوتة عنى أذن لى وودعه...». فضلاً عن الوفد الذى أرسله الكوفيون إلى محمد ابن الحنفية ليسأله عن موقفه من دعوة المختار للأخذ بثأر الحسين (عليه السلام) وهل أن ذلك بأمر منه أم لا، فأمرهم محمد ابن الحنفية بمؤازرة المختار وإجابته لما دعا إليه. فوصف الطبرى (2) ذلك بقوله: «فاستجمعت له الشيعة وحدثت عليه»، ويوضح هنا الطبرى مدى التأييد الواسع الذى حصل عليه المختار بعد رجوع وفد أهل الكوفة بسبب التخويل الذى حصلوا عليه من محمد ابن الحنفية، وقول الطبرى المتقدم يوضح كذلك مدى الشعبية الكبيرة التى يتمتع بها محمد ابن الحنفية بين المسلمين عامة والشيعة خاصة، وان الأوضاع انتظمت للمختار بسبب انتسابه لمحمد ابن الحنفية علماً ودعوة (3).

ولما غدر ابن الزبير بالجيش الذى أرسله المختار إلى المدينة المنورة، كتب المختار إلى محمد ابن الحنفية كتاباً جاء فيه: «إني كنت بعثت جنداً ليحوا لك البلاد، ويدوخوا الأعداء، فلما صاروا بطيبة لقيهم جند الملحد فخدعوهم

ص: 241

1- (1) - جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 380.

2- (2) - تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 40.

3- (3) - الشهرستاني، الملل والنحل، ص 145.

وغروهم فإن رأيت أن أبعث إلى المدينة خيلاً وجنداً كثيفاً وتبعث من قبلك رسلاً يعلمونهم أنى فى طاعتك...» (1)، فأجابه محمد بن الحنفية قائلاً: «أما بعد، فإن كتابك لما بلغنى قرأته، وفهمت تعظيمك لحقى، وما تنوى به من سرورى، وإن أحب الأمور إلى كلها ما أطيع الله فيه...» (2).

وحين حُبس ابن الحنفية كتب كتاباً إلى المختار: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن على ومن قبله من آل رسول الله إلى المختار بن أبى عبيد ومن قبله من المسلمين، أما بعد فإن عبد الله بن الزبير أخذنا، فحبسنا فى حجرة زمزم، وحلف بالله الذى لا اله إلا هو لنبايعنه، أو ليضرمنا بالنار، فيا غوثاً!» (3)، فما أن وصل الكتاب إلى المختار، حتى خنقته العبرة واستعبر باكياً، ثم نادى الصلاة جامعة، فصعد المنبر وقال: «أيها الناس: هذا كتاب مهديكم وصريح أهل آل نبيكم، يستغيث بكم مما نزل به من ابن الزبير، فأغيثوه وأعينوه، فلست بأبى إسحاق إن لم أنصره نصر مؤازر، وإن لم أحزب الخيل فى آثار الخيل كالسيل يتلوه السيل، حتى يحل من عاداه الويل...» (4).

ص: 242

- 
- 1- (1) - البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 420-421؛ ينظر: الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 82؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 668.
  - 2- (2) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 82؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 668.
  - 3- (3) - اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ج 2، ص 183؛ ابن أعثم الكوفى، كتاب الفتوح، ج 6، ص 250-251؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 83؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 669.
  - 4- (4) - ابن أعثم الكوفى، كتاب الفتوح، ج 6، ص 251؛ وينظر: ابن سعد، الطبقات، ج 7،

يتضح من كتاب ابن الحنفية وجواب المختار له قوة العلاقة بينهما، وإيمان محمد ابن الحنفية بقدرة المختار على إنقاذه من هذا الموقف الحرج، فقد ذكر أنّ محمد ابن الحنفية قال قبيل وصول جيش المختار: «سيمنعه عنى حجاب قوى»<sup>(1)</sup>، ولم يكن من السهل الوصول إلى مقر الدولة الذى يتحصن فيه ابن الزبير من جهة، ومن جهة ثانية حرمة حمل السلاح فى مكة المكرمة فاضطر المختار إلى أن يكون سلاح ذلك الجيش الخشب<sup>(2)</sup>، ثم دعا أبو عبد الله الجدلى وكان من خيار أهل الكوفة وأكابرهم، وضم إليه الجيش الذى جهزه لإنقاذ محمد ابن الحنفية من حبس ابن الزبير، وكتب إليه كتاباً جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، للمهدى محمد بن على، من المختار بن أبى عبيد، أما بعد: فقد قرأت كتابك وأقرأته شيعتك وإخوانك من أهل الكوفة، وقد سيرت إليك الشيعة إرسالاً يتبع أولاهم أخراهم، وبالله أقسم قسماً صادقاً لئن لم يكف عنك من تخاف غائلته على نفسك وأهل بيتك لأبعثن إليك الخيل والرجال ما يضيق به مكة على ما عادا وناوأك، حتى يعلم ابن الزبير أنك أعز منه نفراً ودعوة وأكثر نفيراً، فأبشر فقد أتاك الغوث وجاءك المغيث، وقد وجهت إليك بأربعمائة ألف درهم لتجعلها فيمن أحببت من أهل بيتك

ص: 243

- 
- 1- (1) - المسعودى، مروج الذهب، ج 3، ص 93.
  - 2- (2) البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 3، ص 467؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 82؛ المسعودى، مروج الذهب، ج 3، ص 117؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 670.

وشيعتك، وقد سرحت إليك رجالاً ينصرونك ويحفظون المال حتى يؤدوه إليك...»(1)..

يتضح من كتاب المختار لمحمد ابن الحنفية حماس المختار وتصميمه على الدفاع عن آل البيت بكل ما أوتى من قوة فالمختار الذى حاول تجنب إثارة آل الزبير عليه وجد فى الدفاع عن محمد ابن الحنفية وبنى هاشم أمام غطرسة آل الزبير واجباً حتمياً لا يمكن السكوت عنه موضعاً هدفه من ذلك وهو أن يكون محمد ابن الحنفية أعز وأعلى شأناً من ابن الزبير.

واستطاع جيش المختار إنقاذ محمد ابن الحنفية وأن يحقق غايته وهدفه، على الرغم من خطورة الوضع فى حال علم ابن الزبير بمجىء تلك القوات خوفاً أن يعجل على محمد ابن الحنفية وأصحابه بالقتل فقد أورد المسعودى(2) قول أبى عبد الله الجدلى الذى أرسله المختار على رأس جيش قوامه أربعة آلاف فارس «هذه خيل عظيمة، وأخاف أن يبلغ ابن الزبير الخبر فيعجل على بنى هاشم، فيأتى عليهم، فانتدبوا معى، فانتدبنا معه فى ثمانمائة فارس جريده خيل، فما شعر ابن الزبير إلا والرايات تخفق على رأسه..... فلما رأى ابن الزبير تنمرنا له وإقدامنا عليه لاذ بأستار الكعبة، وقال: أنا عائد الله»، ووصف ابن الأثير(3) ذلك المشهد فقال: «وقال ابن الزبير: أتحسبون أنى مخلى

ص:244

---

1- (1) - ابن أعثم الكوفى، كتاب الفتوح، ج 6، ص 251-252؛ وينظر: مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص 103.

2- (2) مروج الذهب، ج 3، ص 92-93.

3- (3) - الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 670؛ ينظر: الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 83.

سبيلهم دون أن يبائع ويباعون؟ فقال الجدلي: أي ورب الركن والمقام، لتخليين سبيله، أو لنجالدنك بأسيفنا...، فكف ابن الحنفية أصحابه وحذرهم الفتنة، ثم قدم باقي الجند ومعهم المال حتى دخلوا المسجد الحرام، فكبروا وقالوا: يا لثارات الحسين! فخافهم ابن الزبير، وخرج محمد ابن الحنفية ومن معه إلى شعب علي، وهم يسبون ابن الزبير، ويستأذنون محمداً فيه فأبى عليهم فاجتمع مع محمد في الشعب أربعة آلاف رجل، فقسم بينهم المال وعزوا وأمتنعوا».

ويظهر أن المختار أبقى مع محمد ابن الحنفية أغلب تلك القوات التي أرسلها لإنقاذه من السجن، وبلغ من القوة والمنعة محمد ابن الحنفية فلما وقف أربعة ألوية للحج بعرفات، كان لمحمد ابن الحنفية لواء يحج في ظل أصحابه وأنصاره، مثله مثل ابن الزبير وبنى أمية ونجدة الحروري(1)، فكان أصحاب ابن الحنفية الذين حج بهم في ذلك العام هم جند المختار الذين أرسلهم لإنقاذه، وقد ذكر ابن سعد(2) ذلك فقال: «أقام الحج تلك السنة ابن الزبير وحج عامنذ محمد ابن الحنفية في الخشبية معه، وهم أربعة آلاف نزلوا في الشعب الأيسر من منى»، فأقاموا على خدمته ثمانية أشهر، فأثار ذلك غضب ابن الزبير وأرسل جيشاً لحربه بقيادة مصعب وولاه جميع العراق.(3)

ص: 245

---

1- (1) - ابن سعد، الطبقات، ج 7، ص 104؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 184؛ الذهبي، دول الإسلام، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1985 م، ص 42.

2- (2) - الطبقات، ج 7، ص 105.

3- (3) - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج 5، ص 57.

ويتفق ابن تغرى بردى(1) مع الذهبي فى ذلك فيقول: «وأما ابن الزبير فإنه غضب من المختار لكونه انتصر لمحمد ابن الحنفية وندب لقتاله أخاه مصعب بن الزبير وولاه جميع العراق، فتوجه مصعب وحصر المختار فى قصر الأمانة بالكوفة...»، ولم يستطع ابن الزبير بعد تلك الحادثة طلب البيعة من ابن الحنفية وبقي عزيزاً قوياً، مادام المختار حياً، فما أن قتل حتى تغير الأمر على ابن الحنفية وأخذت ضغوط ابن الزبير تأخذ طابعاً أشد من قبل فى حال رفضه بيعة ابن الزبير(2).

فأورد ابن سعد(3) أن ابن الزبير أرسل أخاه برسالة واضحة إلى ابن الحنفية بعد مقتل المختار جاء فيها: «إن أمير المؤمنين يقول لك إنى غير تاركك أبداً حتى تبايعنى أو أعيدك فى الحبس وقد قتل الله الكذاب الذى كنت تدعى نصرته، وأجمع على أهل العراقين، فبايع وإلا فهى الحرب بينى وبينك إن امتنعت...».

وذكر الدينورى(4): «ولما قتل المختار، وأستتب الأمر لعبد الله بن الزبير، أرسل إلى عبد الله بن العباس ومحمد ابن الحنفية: إما أن تبايعانى أو

ص:246

- 
- 1- (1) - جمال الدين يوسف (ت: 874 هـ - 1469 م)، النجوم الزاهرة فى أخبار ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992 م، ج 1، ص 232.
  - 2- (2) - ابن سعد، الطبقات، ج 7، ص 107؛ الدينورى، الأخبار الطوال، ص 282؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 670؛ النويرى، نهاية الأرب، ج 21، ص 22.
  - 3- (3) - ابن سعد، الطبقات، ج 7، ص 107.
  - 4- (4) - الأخبار الطوال، ص 282.

تخرجوا من جوارى، فخرجوا من مكة، فنزلا- الطائف، وأقاما هناك»، وقال ابن الأثير(1): «فلما قتل المختار تضعضوا واحتاجوا - أى أصحاب ابن الحنفية، ثم إن البلاد استوثقت لابن الزبير بعد قتل المختار، فأرسل إلى ابن الحنفية: ادخل فى بيعتى وإلا نابذتك...»..

وكون موقف المختار من محمد ابن الحنفية من المواقف النبيلة فى الدفاع عن آل محمد أستكثر بعض المؤرخين ذلك، فوجد ابن خلكان(2) فى ترجمته لمحمد ابن الحنفية التى قاربت خمس صفحات يقول: «ولما دعا ابن الزبير إلى نفسه وبايعه أهل الحجاز بالخلافة دعا عبد الله بن العباس ومحمد ابن الحنفية رضى الله عنهما إلى البيعة، فأبيا ذلك وقالوا: لا نبايع حتى تجتمع لك البلاد، ويتفق الناس، فأساء جوارهم وحصرهم وأذاهم، وقال لهم: لئن لم تبايعا أحرقكما بالنار، والشرح فى ذلك يطول»، فعلى الرغم من إسهاب ابن خلكان فى ذلك إلا أنه لم يشر إلى كيفية خلاصهم مما هددهم به ابن الزبير، فأغفل ذكر دور المختار المشرف فى إنقاذهم، وكان موت المختار سبباً مباشراً فى خروج محمد ابن الحنفية من مكة نحو الطائف، فأقام هناك(3)، ثم توجه إلى بلاد الشام.(4)

ص: 247

- 
- 1- (1) - الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 670؛ ينظر: النويرى، نهاية الأرب، ج 21، ص 22.
  - 2- (2) - وفيات الأعيان، ج 3، ص 172.
  - 3- (3) - الدينورى، الأخبار الطوال، ص 282.
  - 4- (4) - ابن سعد، الطبقات، ج 7، ص 107؛ الدينورى، الأخبار الطوال، ص 282؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 3، ص 172؛ الذهبى، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج 5، ص 57.

## إشارة

تجمع المصادر التاريخية<sup>(1)</sup> على أن قتل المختار وإنهاء دولته على أيدي الزبيريين، وذلك عندما قاد مصعب بن الزبير حملة كبيرة على المختار، وأورد المؤرخون العديد من العوامل التي ساعدت مصعب بن الزبير في الانتصار على المختار يمكن أن نوجزها بالآتي:

### 1 - موقف إبراهيم بن الأشتر من المختار

تحدثت بعض المصادر عن العلاقة بين المختار وإبراهيم بن مالك الأشتر عندما توجه مصعب لقتال المختار لذلك سنحاول عرض النصوص التاريخية والآراء الواردة فيها فذكر أن المختار لما علم بخروج مصعب لقتاله بعث أحمر ابن شميظ على رأس جيش وأمره بالخروج إلى المذار<sup>(2)</sup> لقتالهم «ودعا المختار رؤوس الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر، فبعثهم مع أحمر بن شميظ كما كانوا مع ابن الأشتر، فإنهم إنما فارقوا ابن الأشتر، لأنهم رأوه كالمتهاون بأمر

ص:248

---

1- (1) - ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص 229-230؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 433-444؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص 278-281؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 96-110؛ ابن أعمش الكوفي، كتاب الفتوح، ج 6، ص 284-294؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 130-141؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 6، ص 64-66؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 683-691؛ النويري، نهاية الأرب، ج 21، ص 25-30؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 543-544؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 58-64.

2- (2) - المذار: بلدة تقع في ميسان، بين واسط والبصرة، بينها وبين مدينة البصرة أربعة أيام. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 88.



المختار؛ فانصرفوا عنه..» (1)، وهنا يشير الطبري إلى أن رؤوس الأرباع في الكوفة قد فارقوا إبراهيم واختلفوا معه لأنه لم يكن على وئام مع المختار، وأنه تهاون في الدفاع عنه وعن دولته.

وأورد ابن أعمش الكوفي عدة روايات بشأن موقف إبراهيم بن مالك الأشتر فجاءت أكثر تفصيلاً من الطبري، ذاكراً ثلاث روايات بهذا الشأن:

الرواية الأولى: جاء فيها ابن أعمش الكوفي (2) عند حديثه عن استعداد مصعب للخروج لقتال المختار: «ونظر مصعب بن الزبير إلى إبراهيم بن الأشتر وقد احتوى على البلاد من الجزيرة وبقي المختار بالكوفة، فعزم على المسير إليه..»

ويمكن أن يستنتج من هذه الرواية أن الزبيريين على دراية وعلم بوجود خلاف بين المختار وإبراهيم، مما شجعهم على المسير لقتال المختار، مستغلين ذلك الخلاف في القضاء على المختار الذي أصبح في نظرهم خطراً يهددهم ويقلق مصيرهم أكثر من الأمويين، لأن بغضهم لأهل البيت وشيعتهم كان أكثر وأهم من القضاء على بني أمية، لكن ذلك إنما جاء في صالح الأمويين بالدرجة الأولى والذي جعل الطريق سالكاً لهم للسيطرة على كل الأمصار الخارجة عن سلطتهم، وهو ما حصل بالفعل، فما إن قُتل المختار حتى هوى آل الزبير الواحد تلو الآخر وخضعت مدنهم واحدة تلو الأخرى بيد بني

ص: 249

---

1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 97؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 6، ص 64؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 59.  
2- (2) - مقتل الحسين، ص 299.

أمية، فكان القضاء على المختار من أخطاء آل الزبير التي تدل على حقدهم الدفين وجهلهم بالسياسة(1).

الرواية الثانية: ذكرها ابن أعثم الكوفي(2) في موضع آخر عند حديثه عن موقف المختار عندما علم بتحرك مصعب من البصرة إلى الكوفة فقال: «وبلغ ذلك المختار فعلم أنه قد أوتى من قبل إبراهيم بن الأشر، لأنه قد خذله وقعد عنه، فقام في الناس خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد يا أهل الكوفة! فإن أهل مصركم الذين بغوا عليكم، وقتلوا ابن بنت نبيكم الحسين بن علي (عليه السلام)، قد كانوا لجأوا إلى أمثالهم من الفاسقين، فاستعانوا بهم عليكم، لما علموا أن ابن الأشر خذلني وقعد عن نصرتي، وقد بلغني أنهم خرجوا من البصرة في جيش لجب...».

ويبدو أن رواية ابن أعثم أكثر وضوحاً هذه المرة، فذكرت قول المختار بأن إبراهيم خذله وقعد عن نصرته، فكان ذلك سبباً في قدوم مصعب عليه، ويظهر أن المختار قد يئس من تغيير موقف إبراهيم، فقرر الاعتماد على إمكانياته الذاتية والتي يظهر أنها لا تقارن من حيث العدة والعدد مع جيش الزبيريين.

ص:250

---

1- (1) - أشار الحصين بن نمير قائد جيش الشام في حصار مكة الأول لما توفي يزيد بن معاوية على عبد الله بن الزبير ببيعته والتوجه معه لبلاد الشام وتنصيبه خليفة فرفض ابن الزبير ذلك فقال له الحصين: ((من زعم يابن الزبير أنك داهية فهو أحمق)) ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ج 3، ص 98.

2- (2) - كتاب الفتوح، ج 6، ص 285-286؛ ومقتل الحسين، ص 301.

الرواية الثالثة: جاء بها ابن أعثم الكوفي(1) أثناء قتال المختار لجيش مصعب في حروراء فقال: «ودعى المختار برجل من أصحابه فاستخلفه على الكوفة، وقد أعد في القصر جميع ما احتاج إليه من آلة الحصار، ثم أقبل حتى نزل بحروراء ودنا القوم بعضهم من بعض. فقال المختار: يا له من يوم لو حضرني فيه ابن الأشتر! ولكنه قعد عنى وخذلى، ووالله ما من الموت بد!». وهذه الرواية تبين أن الوقت والظروف حالتا دون وصول ابن الأشتر لنصرة المختار وأن المراسلات بينهما مستمرة حتى بعد هزيمة جيش المختار في معركة المذار ويعزز ما ذكرناه ما نقله الخوارزمي(2) بقوله: «فنزل بالمختار أمر عظيم الخلاف من مقتل أصحابه فكتب إلى إبراهيم بن الأشتر أيضاً فلم يجبه..»، ولو كان خلاف المختار وابن الأشتر لدرجة القطيعة لئس منه المختار ولم يعاود الكتابة له.

ويرى البغدادي(3) في سبب عدم نصرته إبراهيم الأشتر للمختار فقال: «لما بلغه أن المختار تكهن وادعى نزول الوحي إليه قعد عن نصرته، واستولى لنفسه على بلاد الجزيرة، وعلم مصعب بن الزبير أن إبراهيم بن الأشتر لا ينصر المختار، فطمع عند ذلك في قهر المختار»

والنص المتقدم الذى أورده البغدادي لم يكن رواية بل هو رأى ذكره دون أن يدعمه بالأدلة، فقد ذكر فى رأيه أن سبب مفارقة ابن الأشتر الذى

ص:251

---

1- (1) - كتاب الفتوح، ج 6، ص 287؛ ومقتل الحسين، ص 303.

2- (2) - مقتل الحسين، ص 244.

3- (3) - الفرق بين الفرق، ص 56.

يظهر أنه ذو شقين، فالأول هو تكهن المختار وقوله بنزول الوحي عليه. وهو الذى لا يمكن الأخذ فيه فاتهام المختار بهذه التهم جاء فى وقت مبكر فقد ذكر بعض المؤرخين(1) قول ابن الزبير بعد خروج المختار من سجن ابن زياد بعام واحد: «لقد انبعث كذاباً متكهناً» أى قبل حصار جيش يزيد بن معاوية لابن الزبير فى حين أن ابن الأشر كان قائد جيش المختار فى معركة الخازر عام سبعة وستين للهجرة(2) وهو ما يعنى أن إبراهيم بقى على وثام مع المختار إلى مطلع عام (67 هـ -)، أما الشق الثانى فى رأى البغدادي هو أن إبراهيم استولى لنفسه على بلاد الجزيرة، وربما هذا السبب لم يتعد كثيراً عن الصواب أمام مكانة وطموح إبراهيم بن الأشر فى السلطة والزعامة، فقد قال إبراهيم بن الأشر لأهل الكوفة حين دعوته للأخذ بثأر الحسين عليه السلام: «قد أجبتمكم إلى ما دعوتمنى إليه من الطلب بدم الحسين وأهل بيته على أن تولوني الأمر».(3)

فى حين يرى الخوارزمي(4): أن ابن الأشر فارق المختار لأنه عندما قُتل ابن زياد استولى على أرض الجزيرة وأقام هناك «وأعرض عن المختار، فكان المختار يكتبه فلا يجيبه، فلما نظر مصعب بن الزبير إلى أن المختار قد بقى فى

ص:252

- 
- 1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 387؛ ابن أعثم الكوفى، كتاب الفتوح، ج 6، ص 147؛ ومقتل الحسين، ص 185.
  - 2- (2) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 900
  - 3- (3) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 41.
  - 4- (4) - مقتل الحسين، ج 2، ص 242-243؛ وينظر: ابن أعثم الكوفى، كتاب الفتوح، ج 6، ص 278.

شردمة قليلة من أهل الكوفة وأن إبراهيم بن الأشتر معرض عنه لا- يجيب كلامه ولا يسمع له، اغتنم الفرصة في ذلك...»، ثم تحدث الخوارزمي (1) عن قتال المختار لمصعب وأورد رأياً مطابقاً لما جاء في رواية ابن أعثم الثالثة فقال: «وخرج المختار من الكوفة حتى نزل بإزائهم، وقال يا له من يوم لو حضرني فيه ابن الأشتر...».

ويبدو مما تقدم أن الخوارزمي يرى أن موقف إبراهيم بن الأشتر من المختار كان سبباً رئيساً في قيام آل الزبير بالقضاء على المختار ودولته، ولو كان موقف إبراهيم إيجابياً معه في هذه المرحلة لربما لم يستطع آل الزبير المجازفة والتقدم نحو الكوفة.

ويستغرب أحد الباحثين (2) موقف إبراهيم من المختار فيقول: «... لا نعطي الحق مطلقاً لإبراهيم في تهاونه بأمر المختار، فهو ليس تهاوناً بأمر شخص، بل بسب هذا التهاون تم سحق آمال كبيرة وعريضة كانت قد استيقظت في نفوس الضعفاء والمسحوقين من الطبقات المغموطة حقها، بعد طول المدة وشدة المحنة، والدماء النقية التي أريقَت في سبيل إقامة هذه الدولة العادلة».

ويكتنف الغموض العلاقة بين المختار وإبراهيم الأشتر قبيل مصرع المختار وتشح المصادر التاريخية في ذكر ملابسات تلك العلاقة، وربما قد تكون

ص: 253

---

1- (1) - مقتل الحسين، ج 2، ص 244.

2- (2) - الخطيب، دولة المختار الثقفي، ص 463.

متعمدة من المصنفين بسبب انتقائهم فى تدوين الروايات فيطمسون أخباراً مهمة لغاية فى نفوسهم، أو لمحابة السلطة التى يعرفون مزاجها(1).

ويبدو أن أمور الحرب بين المختار وآل الزبير سارت بشكل أسرع مما يتوقع لها ولم تسعف الظروف إبراهيم بن الأشتر بترك ولاية الموصل نتيجة ما تتعرض له تلك الولاية من تهديدات من قبل الأمويين خاصة بعد ما آلت إليه أمور السلطة لعبد الملك بن مروان (65 هـ -- 86 هـ -) الذى يُعد من أقوى خلفاء بنى أمية والذى تهيأت له الكثير من الأمور فتصور ابن الأشتر أن خطر الأمويين أشد خطورة من آل الزبير وربما هو ما يفسر انضمامه إليهم بعد مصرع المختار لقتال بنى أمية، وعلى الرغم من الأهداف السامية لإبراهيم بن الأشتر لكن الطموح الشخصى والتنافس للوصول إلى السلطة قد تركا أثرهما الواضح فى طبيعة موقفه من المختار.

## 2 - هزيمة جيش المختار بسبب سوء إدارة ابن شميظ فى معركة المذار

أشار الطبرى(2) إلى سبب هزيمة أحمر بن شميظ وقتل الموالى فى معركة المذار وكانت هزيمة منكرة قتل فيها أصحاب المختار وقادته والموالى وجعلت الطريق مفتوحاً إلى الكوفة، فعزاها إلى خيانة فى جيش المختار فقال: «جاء عبد الله بن وهب بن أنس الجشمى إلى ابن شميظ، وقد جعله على ميسرته،

ص:254

---

1- (1) - بيضون، ثورة الحسين، ص 127-128.

2- (2) - تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 98؛ ينظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 132؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 684-685.

فقال له: إن الموالى والعبيد آل حَوْر عند المصدوقة، وإنّ معهم رجالاً كثيراً على الخيل، وأنت تمشى، فمرهم فلينزّلوا معك، فإنّ لهم بك أسوة فإنّي أتخوف إن طوردوا ساعة وطوعنوا وضربوا، أن يطيروا على متونها ويسلموك؛ وإنك إن أرجلتهم لم يجدوا من الصبر بدءاً. وإنما كان هذا منه غشاً للموالى والعبيد. لما كان لقوا منهم بالكوفة، فأحب إن كانت عليهم الدبرة أن يكونوا رجالاً لا ينجو منهم أحد. ولم يتهمه ابن شميّط، وظن أنه إنما أراد بذلك نصحه ليصبروا ويقاتلوا؛ فقال: يا معشر الموالى، انزلوا معى فقاتلوا؛ فنزلوا معه، ثم مشوا بين يديه وبين يدي رأيتة».

فكانت تلك المشورة سبباً في هزيمة الجيش وقتل يومها الموالى قتلاً ذريعاً، وتآلم المختار تألماً شديداً لذلك، وعلى الرغم من أن مسكويه (1) ذكر تلك المشورة إلا أنه وصف صمود جيش المختار في عدة مواضع ومنها صمود ابن شميّط فقال: «وحمل الناس جميعاً على ابن شميّط فقاتل حتى قُتل، وتنادى أصحابه: يا معشر بجيلة وختعم، الصبر الصبر».

وتحدث البلاذري (2) عن معركة المذار بنوع من التفصيل فذكر قدوم جيش مصعب نحو المعركة وقيام المختار بتهيأة الجيش وضمه إلى ابن شميّط الذي سار به نحو المذار، وقبل المعركة عبأ كل من ابن شميّط ومصعب جيشهما ووقعت معركة صمد أصحاب المختار فيها لكن أصحاب مصعب

ص: 255

1- (1) - تجارب الأمم، ج 2، ص 132-133.

2- (2) - جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 429-431.

حملوا جميعاً على ابن شميظ فقاتل حتى قُتل، وأشار كذلك إلى قسوة جيش مصعب ومعهم الهاريين من الكوفة على من انهزم أو أسر من جيش المختار.

وأسهب ابن أعثم الكوفي(1) في تفصيل المعركة لكنه لم يشر إلى تلك المشورة ويستشف من روايته للمعركة أن عدد جيش مصعب في معركة المذار ضعف جيش المختار، وأن جيش المختار صمد في المعركة حتى أثار صمودهم غضب محمد بن الأشعث الذي حث متمردي الكوفة الهاريين من المختار على القتال فوُقت الهزيمة وقتل قادة المختار وأضطرب جيشه.

لكن كلاً من البلاذري وابن أعثم الكوفي لم يشيرا إلى تلك المشورة التي يرى البعض أنها كانت سبباً في تلك الهزيمة، لكن معركة المذار فتحت الطريق على مصراعيه للوصول إلى الكوفة مقر دولة المختار على الرغم من الإجراءات العسكرية والإدارية التي اتخذها المختار، بعد مقتل أغلب قادته في تلك المعركة فضلاً عن كثرة القتلى في جيشه فأصبح جيش مصعب متفوقاً في العدة والعدد. والظاهر على الرغم من وجود تلك المشورة التي تبين الهوة بين الأشراف والموالي؛ إلا أنها وكما يبدو من عدم تطرق بعض المؤرخين إليها ذات تأثير محدود على نتيجة المعركة.

### 3 - دور قتلة الأمام الحسين (عليه السلام) وأعوانهم من أهل الكوفة

لعب قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) وأعوانهم الذين هربوا من المختار دوراً محورياً ومهماً في إذكاء نار الحرب بين المختار وآل الزبير، وهزيمة

ص:256



جيش المختار في المعارك التي جرت بينه وبين مصعب بن الزبير.

فقد وصف الدينوري (1) عدد الهاربين من المختار إلى مصعب فقال: «ولما تتبع المختار أهل الكوفة جعل عظاماً وهم يتسللون هرباً إلى البصرة حتى وافاها منهم مقدار عشرة آلاف رجل، وفيهم محمد بن الأشعث، فاجتمعوا، ودخلوا على مصعب بن الزبير».

أما الطبري (2) فذكر أن شيبث بن ربعي وقف بباب مصعب وهو ينادى يا غوثاه، ثم دخل على مصعب ودخل معه أشراف الناس من أهل الكوفة «فاخبروه بما اجتمعوا له، وبما أصيبوا به، ووثب عبيدهم ومواليهم عليهم، وشكوا إليه، وسألوه النصر لهم والمسير إلى المختار معهم».

وعندما رفض مصعب وقال: «لا أسير - إلى الكوفة - حتى يأتيني المهلب بن أبي صفرة... فذهب محمد بن الأشعث بكتاب المصعب إلى المهلب، فلما قرأه قال له: مثلك يا محمد يأتي بربداً أما وجد المصعب بربداً غيرك قال محمد: إني والله ما انا بربيد أحد، غير أن نساءنا وأبناءنا وحر منا غلبنا عليهم عبداننا وموالينا، فخرج المهلب وأقبل بجموع كثيرة، وأموال عظيمة معه، في جموع وهيئة ليس بها أحد من أهل البصرة...» (3).

ص: 257

1- (1) - الأخبار الطوال، ص 278.

2- (2) - تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 96-97؛ ينظر: مسكوية، تجارب الأمم، ج 2، ص 130؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 6، ص 65؛ النويري، نهاية الأرب، ج 21، ص 25؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 543.

3- (3) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 97؛ ينظر: مسكوية، تجارب الأمم، ج 2، ص 130-131؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 6، ص 64؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 65.

وذكر الطبري(1) أثناء حديثه عن القتال في المذار فقال: «وسرح محمد ابن الأشعث في خيل عظيمة من أهل الكوفة، ممن كان المختار طردهم، فقال لهم: - مصعب - دونكم ثأركم! فكانوا حيث انهزموا أشد عليهم من أهل البصرة، لا يدركون منهزماً إلا قتلوه، ولا يأخذون أسيراً فيعفون عنه. قال: فلم ينج من ذلك الجيش إلا طائفة من أصحاب الخيل، وأما رجالتهم فأيدوا إلا قليلاً...»، واستمر دور هؤلاء الهاربين من المختار حتى بعد قتله فقد أصروا على قتل الأسرى الذين أعطوهم أماناً وكان قتلهم بسبب إصرارهم على ذلك فقد ذكر المؤرخون(2): «ورق لهم مصعب وأراد أن يخلي سبيلهم. فقام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال: تخلي سبيلهم اخترنا يا بن الزبير أو اخترهم!... ووئب كل قوم وأهل بيت كان أصيب منهم رجل فقالوا نحواً من هذا القول، فلما رأى مصعب بن الزبير ذلك، أمر بقتلهم...».

وليس غريباً على من أشرت في قتل الأمام الحسين (عليه السلام) أن يشير على مصعب وغيره بقتل الأسرى، لكن يستشف من هذه الرواية أنّها تظهر مصعب بأنه صاحب رقة وإنسانية وأخذته الرأفة بالأسرى، وهو من

ص:258

- 
- 1- (1) - تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 98-99؛ ينظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 133؛ النويري، نهاية الأرب، ج 21، ص 26.
- 2- (2) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 108؛ وينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 422؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 139-140؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 688؛ النويري، نهاية الأرب، ج 21، ص 28.

سمى نفسه منذ اليوم الأول لوصوله البصرة بالجزار(1) وهو من قتل زوجة المختار عمرة بنت النعمان صبراً بعد قتله هؤلاء الأسرى(2) دون أى جريرة تذكر سوى أنّها قالت كان المختار عبداً من عباد الله الصالحين(3).

#### 4 - المرض الذي كان يعاني منه المختار أثناء قتال آل الزبير

ذكر اليعقوبي(4) سبباً آخر أدى إلى انتصار آل الزبير وهو مرض المختار أثناء القتال فذكر عند قدوم مصعب لقتال المختار «... كانت بينهم وقعات مذكورة، وكان المختار شديد العلة من بطن به...»، وربما يكون هذا المرض أفضده عن قيادة الجيش فكانت الهزيمة لأن الآخرين ليسوا بكفاءة المختار، فضلاً عن العوامل الأخرى التي ذكرناها وغيرها والتي جاءت كلها لصالح آل الزبير وحققت لهم الانتصار على المختار وقتله والقضاء على دولته.

وقد اختلف المؤرخون في تناولهم لقضية مقتل المختار وإنهاء دولته وقتل الأسرى وذلك حسب منهجية كلٍّ منهم في سرده لتلك الحوادث التاريخية المهمة، لكن تلك المنهجية في أحيانٍ كثيرة تخرج عن الحيادية والموضوعية وذلك لأن الميول المذهبية والعقائدية تتحكم في آرائهم كذلك فإن الوضع السياسي يؤثر على تلك الآراء، وسنحاول أن نعرض هذه الروايات والآراء

ص: 259

1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 96.

2- (2) - الدينوري، الأخبار الطوال، ص 282-283.

3- (3) - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 184؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج 6، ص 293؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 142.

4- (4) - تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 184.

ذكر خليفة بن خياط (1) مقتل المختار، وكعادته تطرق إلى ذلك باختصار شديد فقال في أحداث سبع وستين: «وفيها وقعة المذار.... وقاتل المختار بن أبي عبيد دخل عليه القصر طريف وطراف أخوان من بني حنيفة فقتلاه، وأتيا مصعباً برأسه فأعطاهما ثلاثين ألفاً...»، ورواية خليفة تشير إلى دور آل الزبير في مقتل المختار، ولكنها ذكرت أن مقتل المختار كان داخل القصر وهذا ما انفرد به خليفة بن خياط عن المصادر التاريخية والتي أشارت إلى أن المختار قاتل وقتل خارج القصر.

أما ابن قتيبة (2) فذكر أن ابن الزبير قد وجه أخاه مصعب إلى المختار وكتب له: «أن سر إلى المختار بمن معك، ثم لا تبلعه ريقه، ولا تمهله حتى يموت الأجل منكما، فأتاه مصعب بمن معه فقاتله ثلاثة أيام حتى هزمه وقتله»

ورواية ابن قتيبة هذه تصور قتل المختار والقضاء على دولته بشكل سهل دون أى عقبات تذكر في حين أن القضاء على المختار ودولته تتطلب من آل الزبير القيام بالكثير من الأمور منها استدعاء المهلب بن أبي صفرة وعقد هدنة مع الخوارج، وقد مرت بعدة مراحل فوِّعت معركة المذار ومعركة حروراء ومن ثم حصار القصر لأكثر من أربعة أشهر.

ص: 260

---

1- (1) - تاريخ خليفة بن خياط، ص 264.

2- (2) - الإمامة والسياسة، ص 230.

فى حىن تناول البلاذرى (1) والدىنورى (2) والىعقوبى (3) والطبرى (4) وابن أعمش الكوفى (5) والمسعودى (6) وابن الأثير (7) الحرب بىن آل الزبىر والمختار وإنهاء دولته وقضية الأسرى ومقتل زوجة المختار على يد مصعب بن الزبىر، بشكل مفصل يتسم بنوع من الموضوعية والحيادية مع اختلافهم فى بعض التفاصيل، وكذلك أشاروا لتأىب عبد الله بن عمر بن الخطاب لمصعب ابن الزبىر على أثر قتله الأسرى بعد أن منحهم الأمان.

وقد أوضح اليعقوبى (8) أمان مصعب للأسرى وقتل زوجة المختار فقال: «ثم خرج المختار يوماً، فلم يزل يقاتلهم أشد قتال يكون، حتى قُتل، ودخل أصحابه إلى القصر فتحصنوا، وهم سبعة آلاف رجل، فأعطاهم مصعب الأمان، وكتب لهم كتاباً بأغلظ العهود، وأشد الموائيق، فخرجوا على ذلك، فقدمهم رجلاً رجلاً فضرب أعناقهم، فكانت إحدى الغدرات المذكورة المشهورة فى الإسلام، وأخذ أسماء بنت النعمان بن بشىر امرأة المختار، فقال لها: ما تقولين فى المختار بن أبى عبيد؟ قالت: أقول إنه كان تقياً، نقياً،

ص: 261

- 
- 1- (1) - جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 429-455.
  - 2- (2) - الأخبار الطوال، ص 278-0283
  - 3- (3) - تاريخ اليعقوبى، ج 2، ص 180-185.
  - 4- (4) - تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 96-112.
  - 5- (5) - كتاب الفتوح، ج 6، ص 284-294.
  - 6- (6) - مروج الذهب، ج 3، ص 116-117.
  - 7- (7) - الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 683-691.
  - 8- (8) - تاريخ اليعقوبى، ج 2، ص 184

صواماً. قال: يا عدوة الله أنت ممن يزكيه! فأمر بها فضرب عنقها، وكانت أول امرأة ضرب عنقها صبراً...». وعندما تناول البغدادي (1) ذلك قال: «ثم وقعت الهزيمة على المختار وأصحابه، فانهزموا إلى دار الامارة (2) بالكوفة، وتحصن فيها مع أربعمائة من أتباعه، وحاصرهم مصعب فيها ثلاثة أيام، حتى فنى طعامهم، ثم خرجوا إليه في اليوم الرابع مستقتلين، فقتلوا وقتل المختار معهم»..

وهنا يجعل البغدادي حصار المختار في القصر لا يتجاوز ثلاثة أيام وعدد أصحابه لا يتعدون الأربعمائة، في حين تكاد تجمع المصادر التاريخية على أن المختار بقي محاصر مدة ليست بالقصيرة داخل القصر، ولم يشر البغدادي هنا إلى قضية الأسرى وكيف قتلهم مصعب بعد أن أعطاهم الأمان.

وذكر الذهبي (3) ذلك فأشار إلى قيام مصعب بقتل الأسرى بعد أن أعطاهم الأمان وذكر كذلك تائب ابن عمر لمصعب على ذلك، وكذلك ذكر قتل زوجة المختار، إلا أنه في موضع آخر قال: «ثم ساق عسكر مصعب فدخلوا الكوفة وحاصروا المختار بقصر الامارة أياماً إلى أن قتله الله في رمضان» (4)، وقال في موضع آخر: «ولما بعث ابن الزبير أخاه مصعباً على

ص: 262

- 
- 1- (1) - الفرق بين الفرق، ص 58.
  - 2- (2) - وردت في متن الكتاب «دار الإمامة» والظاهر أنه خطأ مطبعي. ينظر: البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 58.
  - 3- (3) - سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 543-544.
  - 4- (4) - العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985 م، ج 1 ص 55.

العراق انضم إليه جيش البصرة فجاء وضايق المختار الكذاب حتى ظفر به وقتله وقتل بينهما سبعمائة أو أكثر»<sup>(1)</sup>.

وحين ذكر اليافعي<sup>(2)</sup> حصار الكوفة ومقتل المختار كرر ما قاله الذهبي وأضاف عليه «وحصروا المختار بقصر الأمانة أياماً إلى أن قتله الله...، وصفت العراق لمصعب رحمة الله عليه».

وهنا يخرج الذهبي واليافعي عن الموضوعية والحيادية فقالا إنَّ الله قتل المختار، ثم يذكر اسم المختار ويذكر الكذاب بعده مباشرة وكأنه لقب له أو كنية، في حين تغافلا عن قيام مصعب الذي قتل أكثر من خمسة آلاف أسير وحسب قول الذهبي نفسه الذي يراها مجرد إساءة ليس أكثر، في حين لم يكتف اليافعي بالتغافل عن قتل هؤلاء بل دعا بالرحمة لمصعب بن الزبير والذي سبق وأن أشرنا إلى تدمير المسلمين من غدره بالأسرى بعد أن أعطاهم الأمان.

ووصف ابن كثير<sup>(3)</sup> المعركة بين آل الزبير والمختار فقال: «فلما انتهى مصعب إلى قريب الكوفة لقيتهم الكتائب المختارية فحملت عليهم الفرسان الزبيرية، فما لبثت المختارية إلا يسيراً حتى هربوا على حميةٍ، وقد قتل منهم جماعة من الأمراء، وخلق من القراء، وطائفة من الشيعة الأغبياء، ثم انتهت

ص: 263

1- (1) - الذهبي، دول الإسلام، ص 42.

2- (2) أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي (ت: 768 هـ - 1367 م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997 م، ج 1، ص 114-115.

3- (3) - البداية والنهاية، ج 12، ص 60.

الهمزيمة إلى المختار»، وقال فى موضعٍ آخر: «فدخله - أى القصر - وهو ملوم مذموم، وعن قريب ينفذ فيه القدر المحتوم، فحاصره مصعب فيه وجميع أصحابه، حتى أصابه من جهد العطش ما الله به عليم، وضيق عليهم المسالك والمقاصد، وانسدت عليهم أبواب الحيل، وليس فيهم رجل رشيد ولا حليم، ثم جعل المختار يجيل فكرته ويكرر رؤيته فى الأمر الذى قد حل به، واستشار من عنده من الموالى والعييد، ولسان القدر والشرع، يناديه (قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَ مَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَ مَا يُعِيدُ) 1.... وليس معه من أصحابه سوى تسعة عشر، ولعله إن كان قد استمر على ما عاش عليه أن لا يفارقه التسعة عشر الموكلون بسقر...» (1)

وقال السيوطى (2) عن مقتل المختار: «وفى أيام ابن الزبير كان خروج المختار الكذاب الذى ادعى النبوة، فجهز ابن الزبير لقتاله، إلى أن ظفر به فى سنة سبع وستين، وقتله، لعنه الله».

يتضح مما قاله أو نقله كل من ابن كثير والسيوطى مدى تحامل بعض المؤرخين على المختار، ولا يحتاج من يقرأ كتابات بعضهم أمثال ابن كثير والسيوطى وغيرهم إلى عناء يذكر فى معرفة الغاية والهدف التى تروم إليهما، فابن كثير هو تلميذ ابن تيمية ومن الذين شغفوا بحبه حتى أوصى أن يدفن بجانب تربته، والأخير يرى أن عمر بن سعد قاتل الإمام الحسين أفضل من المختار

ص: 264

1- (2) - ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 62.

2- (3) - تاريخ الخلفاء، ص 210.



فقال: «من المعلوم أن عمر بن سعد أمير السرية التي قتلت الحسين مع ظلمه تقديمه الدنيا على الدين لم يصل في المعصية إلى فعل المختار»<sup>(1)</sup>، فأى حيادية وموضوعية يتوخاها المرء من هؤلاء الذين يجتهدون في الدفاع بشتى الوسائل عن قتلة آل البيت في الوقت ذاته يطعنون ويبصرون منقطع النظر بكل من يتصدى للدفاع عن مظلومية آل بيت النبوة. أما عن سنة وفاته فقد اختلف المؤرخون في ذلك ففي الوقت الذي ذهب أغلبهم<sup>(2)</sup> إلى أنه قتل في سنة (67 هـ -)، يرى ابن

ص: 265

- 
- 1- (1) - ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم (ت: 728 هـ - 1327 م)، منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، 1986 م، ج 2، ص 69.
- 2- (2) - خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص 264؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 106، 112؛ الأزدي، يزيد بن محمد بن إياس (ت: 334 هـ - 945 م)، تاريخ الموصل، تحقيق: أحمد عبد الله محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006 م، ج 1، ص 115؛ المسعودي، مروج الذهب، ج 3، ص 116؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، (على البجاوي)، ج 4، ص 1465؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 6، ص 68؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج 5، ص 117؛ والكامل في التاريخ، ج 3، ص 691؛ ابن أبي الدم الحموي، شهاب الدين إبراهيم (ت: 642 هـ - 1244 م)، التاريخ الإسلامي المعروف باسم التاريخ المظفری، تحقيق: حامد زيان غانم زيان، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1989 م، ص 234؛ ابن نما الحلبي، ذوب النضار، ص 145؛ ابن خلکان، وفيات الأعيان، ج 3، ص 71؛ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي، (ت: 732 هـ - 1331 م)، المختصر في أخبار البشر، تحقيق: محمد ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997 م، ج 1، ص 271؛ النويري، نهاية الارب، ج 21، ص 25-28؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 5، ص 227؛ ودول الإسلام، ص 42؛ سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 543؛ ابن شاکر الکتبی، فوات الوفيات، ج 4، ص 123؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 72؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج 6، ص 7؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 1، ص 232؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 210.

قتيبه(1) والبلاذري(2) أن مقتله كان في سنة (69 هـ -)، في حين ذكر اليعقوبي(3) أنه قتل في سنة (68 هـ -)، ويبدو أن أرجح الروايات في ذلك هي التي ذكرت أن مقتله كان في سبع وستين للهجرة لكثرة المصادر التاريخية التي أشارت لذلك، وأنهم استندوا في معرفة ولادته على سنة مقتله وأن عمره سبع وستون سنة، أما عن موضع قبره فقد وصفه ابن نما الحلبي(4) بالقول: «وإن قبته لكل من خرج من باب مسلم بن عقيل كالنجم اللامع»، وذكر ابن بطوطة(5) في رحلته أنه شاهد قرب غربي جبّانة الكوفة (قبة رفعت على قبر المختار)».

وقُدر للمختار الذي وقف مع مسلم بن عقيل وآواه منذ دخوله الكوفة لكنه لم يسعفه القدر لنصرته أن يكون موضع قبره اليوم داخل ضريح سفير الإمام الحسين مسلم بن عقيل (عليه السلام) لا تفصله عنه سوى خطوات معدودة وهو قطعاً شرفٌ له أن يكون بجوار آل محمد(6).

ص: 266

- 
- 1- (1) - المعارف، ص 356.
  - 2- (2) - جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 444؛ وج 7، ص 8.
  - 3- (3) - تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 184.
  - 4- (4) - ذوب النضار، ص 51.
  - 5- (5) - ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد (ت: 779 هـ - 1377 م)، رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، 1998 م، ص 220.
  - 6- (6) - وعُمّر قبره في العصر الحديث على يد العلامة الأكبر شيخ العراقيين الشيخ عبد الحسين الطهراني لمّا تشرف بالعبّات المقدسة بالعراق ونهض بعمارتها وساعده في ذلك العلامة الرضا ابن آية الله بحر العلوم الطباطبائي وذلك في حدود سنة (1285 هـ - 1868 م)، ينظر: البراقى، حسين السيد أحمد، تاريخ الكوفة، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، الطبعة الرابعة، دار الأضواء، بيروت، 1987 م، ص 85-86؛ المقدم، تنزيه المختار، ص 15-16؛ الخطيب، دولة المختار، ص 573-575.





إشارة

عاد التوابون إلى الكوفة بعد معركة عين الوردية التي قتل فيها أغلب قادتهم وعلى رأسهم سليمان بن صرد وحال عودتهم اتصلوا بالمختار فبايعوه قائداً لهم، لكن المختار كان في السجن في ذلك الوقت، فتولى أصحابه البيعة له سرّاً (1).

وعندما خرج المختار من السجن قوى أمره وأصبح زعيماً للشيعة دون أي منازع بعد مقتل سليمان، ووصف البلاذري (2) ذلك بالقول: «ثم إنّه صار إلى داره فتداكّت عليه الشيعة يباعونه فلم يزل أصحابه يكثرون وأمره يقوى...»، كما ذكر بعض المؤرخين (3) أنه: «لما نزل المختار داره عند

ص: 269

---

1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 36-37؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 6-7.

2- (2) - جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 382.

3- (3) - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 316؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 36؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 6، ص 52؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 638؛ ابن نما الحلبي، ذوب النصار، ص 94.

خروجه من السجن، اختلف إليه الشيعة واجتمعت عليه، واتفق رأبها على الرضى به» فلا يوجد من ينافسه في الكوفة على زعامة الشيعة بعد مقتل سليمان بن صرد الخزاعي.

أما ابن الزبير فإنه بدأ يشعر بأن موقفه في الكوفة أصبح مضطرباً، لاسيما أن عبد الله بن يزيد والى الكوفة وإبراهيم بن محمد بن طلحة صاحب خراجها أضعف من أن يواجهوا المختار لذلك عزلهم عن الكوفة وولى عليها عبد الله بن مطيع، وذلك في رمضان سنة خمس وستين للهجرة (1).

ويبدو أن ابن مطيع كان عارفاً بأوضاع الكوفة قبل توجهه إليها، فقد ذكر الطبرى (2) نقلاً عن أبي مخنف أن بعض المقربين منه قالوا له: لا تسر الليلة فإن القمر بالناطح (3)، فأجابهم «وهل نطلب إلا النطح؟ قال: فلقى والله نطحاً وبطحاً.... والبلاء موكلٌ بالقول».

فلما وصل ابن مطيع الكوفة ألقى فيها خطبته التي وضح فيها سياسته وحدد البيعة لعبد الله بن الزبير وقال: «أما بعد، فإن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بعثنى على مصركم وثغوركم، وأمرنى بجباية فينكم؛ وأن لا أحمل فضل

ص: 270

- 
- 1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 37؛ ابن أعثم الكوفى، مقتل الحسين، ص 219؛ ابن الجوزى، المنتظم، ج 6، ص 52؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 638؛ النويرى، نهاية الأرب، ج 21، ص 6؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 7.
  - 2- (2) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 36-37؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 638.
  - 3- (3) هو نجم أو كوكب من منازل القمر يتشاءم ويتطير العرب به. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ص 3946؛ الزبيدى، تاج العروس، ج 4، ص 236.

فيئكم عنكم إلا برضا منكم، ووصية عمر بن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته، وبسيرة عثمان بن عفان التي سار بها في المسلمين؛ فانتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا، وخذوا على أيدي سفهائكم، وإلا تفعلوا فلوموا أنفسكم ولا تلوموني؛ فوالله لأوقعن بالسقيم العاصي، ولأقيمن درء (1) الأصعر (2) المرتاب (3)، ويظهر من هذه الخطبة أنّ ابن مطيع ركز على الجانب الاقتصادي لمعرفة بأهمية ذلك عند الكوفيين لاسيما بعد أن مروا بسنين قطع عن الكثير منهم العطاء بعد تولى معاوية ويزيد الحكم كما أن أهل الكوفة كانوا من

ص: 271

- 
- 1- (1) - الدرء: العوج في العصا والقناة وكل شيء تصعب إقامته، وأقام درء فلان أي اعوجاجه وشغبه، وأقمت من درئه إذ قومته. ينظر: الفراهيدي، عبد الرحمن بن أحمد (ت: 170 هـ - 787 م)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، الطبعة الثانية، مؤسسة دار الهجرة، د. م، 1404 هـ -، ج 8، ص 59؛ الجوهرى، إسماعيل بن حماد (ت: 393 هـ -- 1002 م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت، 1987 م، ج 1، ص 49؛ زكريا، أحمد بن فارس (ت: 395 هـ -- 1004 م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامى، د. م، 1404 هـ -، ج 2، ص 274.
- 2- (2) الأصعر: هو الشخص المعرض بوجهه. ينظر: ابن قتيبة، غريب الحديث، تحقيق: عبد الله الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408 هـ -، ج 2، ص 14؛ ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت 606 هـ - 1209 م)، النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، الطبعة الرابعة، مؤسسة الاسماعيليين، قم، د. ت، ج 3، ص 91؛ الزبيدي، تاج العروس، ج 7، ص 91.
- 3- (3) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 37؛ ابن أعثم الكوفى، مقتل الحسين، ص 219؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 638؛ النویری، نهاية الأرب، ج 21، ص 6؛ فلهاوزن، الخوارج والشيعة، ص 202-203.

أوائل المعترضين على سياسة عثمان المالية؛ إذ تذكر الروايات التاريخية أنهم اعترضوا على قول سعيد بن العاص والى الكوفة أنّها بستان قريش(1)، كما أستخدم ابن مطيع فى هذه الخطبة التهديد والوعيد وتشابهت كلمات خطبته مع خطبة زياد بن أبيه المعروفة بالبراء(2) حين ولى البصرة من قبل معاوية بن أبى سفيان فقال: «وانى أقسم بالله، لأخذن الولى بالمولى، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والمطيع بالعاصى، والصحيح منكم فى نفسه بالسقيم، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول أنجُ سعدُ فقد هلك سُعيدُ، أو تستقيم لى قناتكم»(3).

ويبدو مما تقدم أنّ سياسة آل الزبير لم تكن مختلفة عن سياسة الامويين ومن سبقهم مع أهل الكوفة، عدا أنه وعدهم بالعدالة التى يرى أنها كانت سائدة فى عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وحتى هذا الأمر قد أعترض عليه الكوفيون لأنهم كانوا يريدون سياسة تشبه ما كان سائداً فى عهد الإمام على (عليه السلام) وهذا ما بينته الروايات التى تقول إن السائب ابن مالك الأشعرى وهو من رؤوس أصحاب المختار قال له وبتأييد من

ص:272

- 
- 1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص 224؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 124-125؛ ابن أبى الحديد، شرح نهج البلاغة، مج 1، ج 2، ص 317؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 2، ص 589؛ الشرهانى، التغير فى السياسة المالية، ص 31.
  - 2- (2) يسمى العرب الخطبة التى لم تبدأ بالتحميد، وتستفتح بالتمجيد بالبراء ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة السابعة، مكتبة الخانجى، القاهرة، 1998 م، ج 2، ص 6.
  - 3- (3) الجاحظ، البيان والتبيين، ج 2، ص 63.



المختار وأهل الكوفة أن لا يسير بهم إلا بسيرة الامام على (عليه السلام) التي سار بها في الكوفة، وأن لا يحمل فضل فيهم إلى خارج بلدهم، بل يقسم بينهم(1).

ويظهر من كلام السائب هذا مدى تأثر أهل الكوفة بسياسة الإمام على (عليه السلام) التي سار بها أيام دولته فكانت الكوفة حاضرتها ومقرها شهدت خلال تلك الفترة أوج عظمتها وازدهارها، ولذلك فإن أهلها يمنون أنفسهم بعودة تلك السيرة إلى مصرهم مرة أخرى، وقد علق فلهاوزن(2) على هذا الأمر بالقول: «واستغل هذا الشيعي الفرصة ليذكر الناس بعظمة الكوفة في عهد على».

بعد ذلك قال صاحب الشرطة لابن مطيع بأن هذه الأمور هي بأمر من المختار مقترحاً عليه أن يودعه السجن حتى يستقيم أمر المصر، لكن تلك المحاولة باءت بالفشل بسبب إشارة ضمنية من أحد مبعوثي ابن مطيع للمختار بأن هناك مؤامرة تحاك ضده، ففهمها المختار على وجه السرعة وتظاهر بإصابته بوعكة مفاجئة وأنه سوف يأتي للأمير في وقت آخر(3)، فأخذ المختار يعد العدة لإعلان الثورة والوثوب بالكوفة بمهارة وتخطيط محكمين لما عرف

ص:273

---

1- (1) - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 318؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 37؛ ابن أعثم الكوفي، مقتل الحسين، ص 219-220؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 638-639؛ النويري، نهاية الأرب، ج 21، ص 6-7؛ فلهاوزن، الخوارج والشيعية، ص 203.

2- (2) الخوارج والشيعية، ص 203.

3- (3) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 38؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 6، ص 52.

عنه من حنكة سياسية وحسن التدبير، وسارت الأمور لصالحه بعد أن تحقق له أمران في غاية الأهمية هما:

أولهما: قيام أهل الكوفة بإرسال وفدٍ إلى محمد ابن الحنفية بزعامه عبد الرحمن بن شريح الذي وصف بأنه عظيم الشرف(1)، ليسأله عن أمر المختار، فلما رجع الوفد تكلم زعيم الوفد قائلاً: «أما بعد يا معشر الشيعة، فإننا قد كنا أحببنا أن نستثبت لأنفسنا خاصة ولجميع إخواننا عامة، فقدمنا على المهدي بن علي، فسألناه عن حربنا هذه، وعن ما دعانا إليه المختار منها، فأمرنا بمظاهرتة ومؤازرتة وإجابته إلى ما دعانا إليه، فأقبلنا طيبة أنفسنا، مشرحة صدورنا، قد أذهب الله منها الشك والغل والريب، واستقامت لنا بصيرتنا في قتال عدونا؛ فليبلغ ذلك شاهدكم، غائبكم، واستعدوا وتأهبوا...؛ فاستجمعت له الشيعة وحدث عليه»(2).

ص:274

- 
- 1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 38؛ ابن نما، ذوب النضار، ص 95؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج 45، ص 364؛ الشاهرودي، على النمازي، مستدركات علم رجال الحديث، مؤسسة آل البيت، طهران، 1415 هـ -، ج 6، ص 401.
- 2- (2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 40؛ ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 384-385؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج 6، ص 227-229؛ ومقتل الحسين، ص 222-223؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 6، ص 52؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 639-640؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 8؛ الغروي، محمد هادي اليوسفي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مجمع الفكر الإسلامي، قم، 1428 هـ -، ج 6، ص 341-343؛ الأردكاني، أبو فاضل الرضوي، ثورة المختار، ترجمة علي الهاشمي، شركة الطباعة للنشر الدولي، د. ت، 2011 م، ص 265-269؛ الخطيب، دولة المختار، ص 187-190.

والآخر: هو أن المختار استطاع أن يضم إليه إبراهيم بن مالك الأشتر، من أكبر زعماء العراق آنذاك ورئيس قبيلة معروفة بالولاء والمحبة لآل البيت، وصاحب المكانة المتميزة بين الناس، وقد وصف بأنه كان شجاعاً شهماً مقدماً وغير ذلك من الصفات الحسنة زيادة على كونه من الموالين لأهل البيت فهو ابن مالك الأشتر صاحب المواقف المشهودة مع الإمام على (عليه السلام) (1)، وما أن تحقق له هذان الأمران حتى بدأ المختار يضع خطته في إعلان الثورة والثوب في الكوفة موضع التنفيذ، فضرب لذلك موعداً مع أصحابه وأنصاره، ثم سارت الأمور لصالحه، فقد تصادف أن قام إياس بن مضارب صاحب شرطة ابن مطيع باعتراض طريق إبراهيم الأشتر الذي كان يأتي كل ليلة إلى منزل المختار، فقام الأخير بقتله واحتز رأسه وحمله إلى المختار الذي اعتبر ذلك فالاً حسناً وعلى أثر ذلك تم إعلان الثورة، ووقعت معارك شديدة بين ابن مطيع وقواته من جهة وبين المختار وأنصاره من جهة أخرى (2)، انتهت بسيطرة المختار على الكوفة واستسلام ابن مطيع ومغادرته بعد ذلك إلى البصرة (3).

ص: 275

- 
- 1- (1) - الأمين، أعيان الشيعة، ج 2، ص 200.
  - 2- (2) - يعقوبي، تاريخ يعقوبي، ج 2، ص 180.
  - 3- (3) - للتفاصيل ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 389-395؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص 264-267؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 35-52؛ ابن أعمش الكوفي، مقتل الحسين، ص 222-239؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 94-106؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 6، ص 51-55؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص 637-650؛ ابن نما الحلبي، ذوب النصار، ص 101-109؛ النويري، نهاية الأرب، ج 21، ص 5-10؛ ابن كثير،

بعد أن سيطر المختار على الكوفة، صعد المنبر في صبيحة الليلة التي تلت دخوله دار الأمانة، فخطب الناس في المسجد فقال: «الحمد لله الذي وعد وليه النصر، وعدوه الخسر، وجعله فيه إلى آخر الدهر، وعداً مفعولاً، وقضاءً مقضياً، وقد خاب من افتري، أيها الناس: إنّه رُفعت لنا راية، ومُدت لنا غاية، فقبل لنا في الراية: أن أرفعوها ولا تضعوها، وفي الغاية: أن أجروا إليها ولا تعدوها، فسمعنا دعوة الداعي، ومقالة الواعي؛ فكم من ناعٍ وناعية، لقتلى في الواعية! وبعداً لمن طغى وأدبر، وعصى وكذب وتولى، ألا فأدخلوا أيها الناس فبايعوا بيعة هدى، فلا والذي جعل السماء سقفاً مكفوفاً، والأرض فجاجاً سبلاً، ما بايعتم بعد بيعة علي بن أبي طالب وآل علي أهدى منها»<sup>(1)</sup>، ثم دعا الناس لبيعته قائلاً: «ألا فهلموا عباد الله إلى بيعة الهدى، ومجاهدة الأعداء، والذب عن الضعفاء من آل محمد المصطفى، وأنا

ص:276

---

1- (1) - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 343؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 394؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 51-52؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 105؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج 2، ص 216؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 649؛ ابن نما الحلبي، ذوب النضار، ص 107-108؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 13؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج 45، ص 369؛ البراقى، تاريخ الكوفة، ص 325؛ الغروي، موسوعة التاريخ الإسلامى، ج 6، ص 361.

المسلط على المحليين، المطالب بدم ابن بنت رسول رب العالمين»<sup>(1)</sup>، فبايعه الناس، وبسط يده، وهو يقول: «تبايعوني على كتاب الله وسنة نبيه، والطلب بدماء أهل البيت، وجهاد المحليين، والدفع عن الضعفاء، وقتال من قاتلنا، وسلم من سالمنا، والوفاء ببيعتنا، لا نقيلكم ولا نستقيلكم»<sup>(2)</sup>، ويتبين لنا من خلال قراءة هذه الخطبة عدة أمور:

الأمر الأول: أوضح المختار في خطبته بأن المسلمين لم يبايعوا بيعة هدى بعد عصر الرسالة إلا بيعة الإمام علي (عليه السلام) وبيعة آل علي وهو يشير بشكل واضح إلى أحقية أهل البيت المطلقة بالخلافة وبوجوب الإقرار بذلك، وهذا إقرار مبكر من المسلمين بمظلومية آل البيت ودحض الرأى القائل أن مذهب الشيعة في آل البيت جاء متأخراً.

الأمر الثاني: كان من شروط بيعته الطلب بدماء أهل البيت وجهاد المحليين والدفع عن الضعفاء فكانت تلك الشروط دقيقة وواضحة ومحددة، فهو بذلك قد وضع ومنذ اليوم الأول لأمارته أن دماء آل البيت من أولويات

ص:277

---

1- (1) - ابن نما الحلبي، ذوب النضار، ص 108؛ وينظر: الخوارزمي، مقتل الحسين، ج 2، ص 216؛ الخطيب، دولة المختار، ص 241؛ محمد، حركة المختار، ص 79.

2- (2) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص 343؛ وينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 394؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 52؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 105؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج 2، ص 217؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 650؛ النويري، نهاية الأرب، ج 21، ص 11؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 13؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 31؛ الخطيب، دولة المختار، ص 241؛ الغروي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج 6، ص 362؛ محمد، حركة المختار، ص 79.

دولته وأهدافه، وبقي ينتظر اللحظة المناسبة للقيام بذلك.

الأمر الثالث: يتضح من خطبته المتقدمة الذكر أنه كان على ثقة تامة بما يؤول إليه مصير قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) وأن ذلك سيحصل بتوفيق من الله وأنه قضاءً مقضًى، ويبدو أن معرفة المختار جاءت على أساس الاستقراء للأمر فهو يعرف أن أهل الكوفة من محبى آل البيت تربوا على ذلك الحب، وقد ذاقوا مرارة الظلم من آل أبى سفيان لمدة خمسة وعشرين عاماً ثم ظلم آل الزبير فكانوا مهيين للثورة، كما أن طبيعة الأوضاع فى الدولة الإسلامية كانت تسير فى صالح المختار فآل الزبير لم تكن لهم سيطرة تامة على البلاد، وكان الأمويون فى أضعف حالاتهم، فضلاً عن أن المختار يمتلك قوتين الأولى: أهل الكوفة المهيين لدعم الثورة، والثانية؛ الأجازة التى منحها إياه محمد ابن الحنفية بتتبع قتلة الحسين (عليه السلام)، ويمكننا أن نضيف إلى ما تقدم بأن المختار كان يعرف مصير قتلة الحسين (عليه السلام) عن طريق ما علمه من الإخبار عن مجريات الملاحم والفتن عن الأئمة المعصومين (عليهم السلام)(1).

وبعد أن تمت له البيعة، بدأ بتشكيل حكومته التى اتخذ من الكوفة عاصمة لها، فكان هو على رأس تلك الحكومة، وجعل عبد الله بن كامل الشاكري على شرطة الكوفة(2)، وعين كيسان أبا عمرة على حرسه

ص: 278

1- (1) - ينظر: من خلال البحث، ص 180-181.

2- (2) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 344؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 52؛ النويرى، نهاية الأرب، ج 21، ص 11؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 31.

الخاص(1)، ويبدو أنه كان يعتمد عليه بشكل كبير جداً في تتبع قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) فذكر الدينوري(2): «وأمره أن يجمع ألف رجل من الفعلة بالمعاول، وتتبع دور من خرج إلى قتال الحسين بن علي، فيهدمها، وكان أبو عمرة بذلك عارفاً، فجعل يدور بالكوفة على دورهم، فيهدم الدار في لحظة، فمن خرج إليه منهم قتله، حتى هدم دوراً كثيرة، وقتل أناساً كثيراً، وجعل يطلب ويستقصى، فمن ظفر به قتله، وجعل ماله وعطاءه لرجل من أبناء العجم الذين كانوا معه»؛ وهذه الرواية تعنى أن أبا عمرة كان يمتلك صلاحيات استثنائية، وجعل على بيت مال الكوفة عبد الرحمن بن شريح(3).

واختلف المؤرخون في وصفهم دولة المختار وسيرته في الرعية فذكر البلاذري(4): «وكان المختار قد وجد في بيت مال الكوفة تسعة آلاف ألف درهم، فأعطى أصحابه ومن بايعه، وأحسن المختار مجاورة أهل الكوفة والسيرة فيهم، وأكرم الأشراف».

وهنا يشير البلاذري إلى سيرة المختار مع الأشراف في بداية حكمه فتجنب إثارة الأشراف حتى وطد حكمه ودولته لأن الكثير من الأشراف

ص:279

- 
- 1- (1) - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 344؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 52؛ النويري، نهاية الأرب، ج 21، ص 11؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 31.
  - 2- (2) الأخبار الطوال، ص 268.
  - 3- (3) البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 437؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 100؛ العلي، صالح أحمد، الكوفة وأهلها في صدر الإسلام، شركة المطبوعات، بيروت، 2003 م، ص 252.
  - 4- (4) جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 395.

شركاء في قتل الإمام الحسين (عليه السلام) فخشى أن يؤلبوا الناس عليه ويناصروا بنى أمية وآل الزبير.

ووصفها الدينوري(1) بالقول: «ثم إنَّ المختار غلب على الكوفة ودانت له العراق وسائر البلاد إلا الجزيرة والشام ومصر، فإن عبد الملك كان قد حماها، ووجه عماله في الأفق»، وعلى الرغم من مبالغة الدينوري في سعة دولة المختار - حين ضم العراق كله لها في حين أنَّ البصرة وما يتبعها كان خارج سيطرة المختار - إلا أن روايته أشارت إلى سعة تلك الدولة وقوة نفوذ المختار حيث وصفه بأنه وجه عماله في الأفق.

وتطرق البلخي(2) لدولة المختار فقال: «وغلب المختار على الكوفة، ووجه عماله على كور الجبل(3)، وأرمينية(4)».

وذكر ابن أعمش الكوفي(5) دولة المختار فقال: «واحتوى المختار على الكوفة فعقد لأصحابه وولاهم البلاد من أرمينية وأذربيجان(6) وأازان(7)

ص: 280

- 
- 1- (1) - الأخبار الطوال، ص 268.
  - 2- (2) البدء والتاريخ، ج 1، ص 247.
  - 3- (3) وهى المناطق الجبلية الواقعة فى شمال العراق، والمناطق الجبلية المقابلة لها من إيران. ينظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج 2، ص 99؛ الشهرمانى، التغير فى السياسة المالية، ص 295.
  - 4- (4) ينظر: ولاية أرمينية من خلال البحث، ص 164-165.
  - 5- (5) كتاب الفتوح، ج 6، ص 241؛ ومقتل الحسين، ص 241؛ وينظر: الخوارزمى، مقتل الحسين، ص 217.
  - 6- (6) ينظر: ولاية أذربيجان من خلال البحث، ص 169-170.
  - 7- (7) أازان: وهو اسم أعجمى لولاية واسعة وبلاد كثيرة، بينها وبين أذربيجان نهر يقال له الرس، فما



وحوران (1) والماهين (2) إلى الرى وأصفهان، فجعل يجبى خراج البلاد».

وأضاف ابن أعثم الكوفى (3) حين تحدث عن سيرة المختار فى دولته: «وأحبه الناس حباً شديداً، ودر له جلب البلاد، وحمل إليه الخراج من جميع عماله».

ووصف ابن عساكر (4) سيرة المختار بالقول: «وكان المختار أول ما ظهر أحسن شىء سيرة وتألماً للناس»، فى حين وصفها ابن الجوزى (5) بالقول: «وأخذ المختار فى السيرة الجميلة».

وعلى الرغم من تعصب الذهبى ضد المختار ودولته فى مواضع كثيرة بسبب تعصبه المذهبى وعدم موضوعيته التى سبق وأن أشرنا إليها؛ إلا أنه قال: «وأخذ المختار فى العدل وحسن السيرة» (6)، وذكر ابن كثير (7) دولة

ص: 281

- 
- 1- (1) - حوران: كوره واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة، ذات قرى ومزارع كثيرة، وقصبتها بصرى. ينظر ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج 2، ص 317-318.
  - 2- (2) الماهين: وهى الدينور ونهاوند، وماهان مدينة بكرمان. ينظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج 5، ص 48-50.
  - 3- (3) كتاب الفتوح، ج 6، ص 243؛ ومقتل الحسين، ص 244.
  - 4- (4) - تاريخ دمشق، ج 45، ص 56.
  - 5- (5) المنتظم، ج 6، ص 55.
  - 6- (6) سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 541.
  - 7- (7) البداية والنهاية، ج 12، ص 14.

المختار فقال: «ثم إن المختار بعث الأمراء إلى النواحي والبلدان والأقاليم والرساتيق، من أرض العراق وخراسان، وعقد الألوية والرايات، وقرر الإمارة والولايات»، وفي موضع آخر قال ابن كثير<sup>(1)</sup>: «ثم زالت دولة المختار، وكذلك سائر الدول، وفرح المسلمون بزوالها...»..

ويظهر تعصب ابن كثير على المختار ودولته في أوضح صورته حين نصب نفسه متكلماً عن المسلمين زمن المختار الذي يفصله بينهم وبينه أكثر من ستمائة عام في أقل تقدير؛ غافلاً ومتغافلاً عن ستة آلاف قتلهم مصعب ابن الزبير بعد سيطرته على الكوفة، وابن كثير نفسه أشار لقول عبد الله بن عمر بن الخطاب لمصعب حين أنبأه على قتله هؤلاء الأسرى: «أصب من الماء البارد ما استطعت في دنياك»<sup>(2)</sup>، وعبد الله بن عمر يشير في قوله هذا لمصعب بأن ليس له نصيب في الآخرة.

ووصف بيضون<sup>(3)</sup> دولة المختار فقال: «أعتلى المختار المسجد ليعلن برنامجه السياسى والإصلاحى، وكان محوره إقامة حكم علوى يشيع العدل بين الناس ويبعث الطمأنينة فى النفوس ويتعايش مع مختلف الأحزاب»، وفي موضع آخر عد بيضون<sup>(4)</sup> قول المختار بأن بيعته بيعة هدى «بأنه استرداد للشرعية» التى

ص: 282

---

1- (1) - البداية والنهاية، ج 12، ص 68.

2- (2) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 146.

3- (3) بيضون، إبراهيم، التوابون، بيروت، 1974 م، ص 176.

4- (4) - ثورة الحسين، ص 118.

يراها فقدت منذ خلافة آل علي، وهو ما أشار إليه مؤرخ محدث آخر (1) فقال: «وأخمدت أكبر الحركات الثورية، التي رمت إلى نصرة عصبة بنى هاشم، فبعد مقتل المختار أصبح هؤلاء لا حول لهم ولا طول...»، وعَدَّ هذا المؤرخ كذلك انتصار مصعب بن الزبير انتصاراً على الشيعة (2).

يتضح من خلال ما تقدم صلة المختار بالشيعة بشكل عام والعلويين بشكل خاص فضلاً عن برنامجه السياسى والإصلاحى لإرجاع الأمور إلى نصابها الصحيح فى تحقيق العدالة الاجتماعية. ويتبين كذلك من آراء المؤرخين فى سيرته أنه كان على محبة ووثام مع الناس لكن تجرده للقصاص من قتلة آل البيت أثار غضب وحفيظة كل من له صلة بينى أمية وآل الزبير وأعاونهم.

## ثانياً: النظام الإدارى للدولة

### إشارة

ما إن خضعت الكوفة لسيطرة المختار بن أبى عبيد الثقفى حتى عقد الرايات لولائه وعماله على الولايات والمدن التابعة لدولته حيث أصبح ما كان تابعاً للكوفة إدارياً فى الشرق والجزيرة الفراتية تحت سيطرته وبالشكل التالى:

### 1 - أرمينية وهمدان

أرمينية أسم لصقع عظيم واسع فى جهة الشمال الشرقى للعراق، وهى أرمينيتان الكبرى وتضم خلاط (3) ونواحيها، والصغرى وتضم تقليس 4

ص: 283

1- (1) - عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسى، ج 2، ص 124.

2- (2) عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسى، ج 2، ص 125.

3- (3) وهى مدينة عامرة ذات خيرات واسعة وثمار يانعة، وهى قصبه أرمينية الوسطى، توجد فيها بحيرة

ونواحيها(1)، في حين تعد همدان أكبر مدينة في الجبال، ومن أحسن البلاد وأنزهها وأرطبها وأرفهها، لكن شتاءها مفرط البرد، وهي أربعة فراسخ في مثلها، تتكون من أربعة وعشرين رستاقا(2)، فتحها المسلمون في خلافة عثمان بن عفان (23 هـ - 35 هـ) أثناء ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة(3)، وتقع في الشمال الغربي من إيران، وتلاصق الحدود الشمالية للعراق الحالي(4).

كانت أول راية عقدها المختار لعبد الله بن الحارث أخو مالك الأشر على أرمينية(5) وهمدان والماهين6، وفي رواية أخرى أنه عقد له على أذربيجان7

ص:284

- 
- 1- (1) - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 159-161؛ العيساوي، النظم الإدارية والمالية، ص 79.
  - 2- (2) الرستااق فارسي معرب والجمع رساتيق وتعنى السواد. ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص 139؛ ابن منظور، لسان العرب، ج 2، ص 1503.
  - 3- (3) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 410-417؛ العيساوي، النظم الإدارية والمالية، ص 70.
  - 4- (4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 410-417؛ الشرهاني، التغير في السياسة المالية، ص 291.
  - 5- (5) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 345؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 53؛ الأزدى، تاريخ الموصل، ج 1، ص 108؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 6، ص 55؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 651؛ ابن نما الحلبي، ذوب النصار، ص 109؛ النويري، نهاية الأرب، ج 21، ص 11؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 31؛ الغروي، موسوعة التاريخ

ويعد عبد الله بن الحارث من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) (1)، فهو من تلك الأسرة المتفانية في ولائها له وصاحبة المواقف والتاريخ المشهود في حب آل أبي طالب، وعُد العديد من أفرادها من أقطاب الشيعة دون منازع أمثال مالك الأشتر وأبنة إبراهيم.

## 2 - ولاية الموصل

تعاقب ثلاثة ولاية على الموصل بعثهم المختار واحداً تلو الآخر، وذلك لأهمية ولاية الموصل كونها محاذية ومتداخلة مع بلاد الشام الخاضعة لسيطرة الأمويين أعداء المختار الألداء الذين ما برحوا يبعثون الجيوش تلو الجيوش للسيطرة على الموصل والتوجه إلى الكوفة، فضلاً عن أن ولاية الموصل تضم العديد من المدن والقصبات والشغور والحصون المهمة (2)، وأول والٍ أرسله المختار إلى تلك الولاية هو عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني (3)، الذي

ص: 285

- 
- 1- (1) - ينظر: النقرشي، نقد الرجال، ج 3، ص 95؛ الأردبيلي، محمد علي (ت: 1101 هـ - 1689 م)، جامع الرواة وإزاحة الأشتباهات عن الطرق والإسناد، مكتبة المرعشي، قم، 1403 هـ -، ج 1، ص 480؛ الشاهرودي، مستدركات علم رجال الحديث، ج 6، ص 331.
  - 2- (2) ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 395؛ ابن أعثم الكوفي، مقتل الحسين، ص 241-242.
  - 3- (3) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 345؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 395؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 53؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 6، ص 55؛ ابن الأثير،

كان والده من أصحاب الإمام علي (عليه السلام)، وزعيم همدان في صفين، فتذكر الروايات التاريخية أنه كان صاحب راية همدان في صفين وهو الذي أجاب الإمام علياً (عليه السلام) عندما قال لهمدان: «والله أنتم درعى ورمحى وسيفى وجنتى، والله لو كانت الجنة فى يدى لأدخلتكم إياها يا معشر همدان، فقال سعيد بن قيس: والله يا سيدى يا أمير المؤمنين ما نصرنا إلا الله ورسوله، ولا اطعنا إلا الله ورسوله، وإن طاعتك مقرونة بطاعة الله ورسوله فارم بنا حيث شئت وأين ما أحببت، فإننا لك سامعون ولأمرى مطيعون»<sup>(1)</sup>، ثم تحولت زعامة همدان إلى عبد الرحمن بعد وفاة أبيه، ووفاءً لتلك القبيلة صاحبة التاريخ والمناقب مع الإمام علي (عليه السلام) جعل المختار سيدها وزعيمها على أهم ولاية من ولايات دولته آنذاك وهى الموصل التى كانت خاضعة لأبن الزبير، وواليتها من قبله محمد بن الأشعث ولمعرفة ابن الزبير بأهمية ولاية الموصل جعلها تابعة له مباشرة، فكان محمد بن الأشعث يكتب إلى ابن الزبير دون الرجوع إلى والى الكوفة<sup>(2)</sup>، وهى خطوة تنم عن أهمية ولاية الموصل لدى آل الزبير، فلما قدم عامل المختار عليها هرب عاملهم منها إلى تكريت وكتب إلى ابن الزبير يخبره بذلك فأنبهه وويخه على ترك ولايته خوفاً من عامل المختار دون قتال يذكر، وقد أشار ابن الزبير

ص: 286

1- (1) - المنقرى، وقعة صفين، ص 121.

2- (2) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 53.

في كتابه لأبن الأشعث إلى أهمية خراج وحصون ومزارع ولاية الموصل على الرغم من أن ابن الأشعث يبعث القليل منها إليه (1)، وشهدت ولاية عبد الرحمن للموصل بعض المناوشات فقد تقدم عبید الله بن زياد بجيوشه نحو الموصل، فكتب عبد الرحمن بن سعيد إلى المختار يخبره بأنه انحاز إلى تكريت وأن عبید الله بن زياد دخل الموصل وليس له طاقة في مواجهته، فكتب إليه المختار: «أما بعد فقد بلغني كتابك، وفهمت كل ما ذكرت فيه، فقد أصبت بانحيازك إلى تكريت، فلا تبرحن مكانك الذي أنت به، حتى يأتيك أمرى إن شاء الله، والسلام عليك». (2)

استدعى المختار يزيد بن أنس بن كلاب الأسدي وولاه الموصل (3) وكتب إلى عبد الرحمن بن سعيد: «أما بعد، فخل بين يزيد وبين البلاد إن شاء الله، والسلام عليك». (4) وانتخب يزيد ثلاثة آلاف فارس وتوجه إلى الموصل ف وقعت بينه وبين ابن زياد معركة كانت الغلبة فيها لجيش أهل الكوفة بقيادة يزيد بن أنس وذلك في ذي الحجة سنة ست وستين للهجرة (5)، وبعد

ص: 287

---

1- (1) - ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 395؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 53؛ ابن أعمش الكوفي، مقتل الحسين، ص 241-242.

2- (2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 56؛ النويري، نهاية الأرب، ج 21، ص 12.

3- (3) البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 396؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 57.

4- (4) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 57؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 107؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 652.

5- (5) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 58.

الانتصار الذى تحقق لجيش المختار توفى يزيد بن انس حتف انقه، وكان قد أوصى بقيادة الجيش لورقاء بن عازب الأسدى، الذى فضل الانسحاب ومكاتبه المختار فى الكوفة بعد أن علم بأن عبيد الله بن زياد قد قدم بجيش قوامه أكثر من ثمانين ألفاً من أهل الشام، فصوب رأيه المختار وأمره أن لا يبرح مكانه حتى يأتيه أمره(1)، بعد ذلك ولى المختار ولاية الموصل إبراهيم ابن الأشر وعقد له على سبعة آلاف رجل وأوصاه بأن يضم إليه جيش يزيد ابن انس(2)، وإذا لقي عدوه ناجزه، ولا يؤخر ذلك(3)، لكن إبراهيم ابن الأشر لم يستطع مواصلة مسيره إلى الموصل فقد وصله رسول المختار يأمره بالرجوع على وجه السرعة وهو فى الطريق، وذلك أن بعض أشراف الكوفة أرجفوا بالمختار ولم يصدقوا بأن يزيد بن انس مات حتف انقه، فحاول أعداء المختار استغلال تلك الظروف والقضاء عليه وكان على رأس هؤلاء قتلة الحسين (عليه السلام) أمثال شمير بن ذى الجوشن، وشبث بن ربعى، ومحمد بن الأشعث، وغيرهم، لكن رجوع ابن الأشر إلى الكوفة على وجه السرعة حال دون نجاح تلك المؤامرة وتم القضاء عليها وهو ما عرف بوقعة جبانة السبيع(4)، التى تجرد بعدها المختار للقصاص من قتلة الإمام الحسين (عليه

ص: 288

- 
- 1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 58؛ ابن أعثم الكوفى، كتاب الفتوح، ج 6، ص 258-259.
  - 2- (2) البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 397؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 59.
  - 3- (3) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 59.
  - 4- (4) والجبانة تعنى فى الأصل الصحراء، وأهل الكوفة يسمون المقابر جبانة، وبالكوفة محال تسمى بهذا



السلام(1)، بعد أن قضى المختار على تلك المؤامرة التي حيكت للقضاء عليه، أمر إبراهيم الأشر بالتوجه إلى مهمته التي كلفه بها قبل ذلك، فغادر الكوفة متوجهاً إلى الموصل لثمان بقين من ذى الحجة سنة ست وستين للهجرة(2)، واستطاع إبراهيم الأشر بعد وصوله الموصل أن يقتل عبيد الله بن زياد في معركة فاصلة مع جيش الشام قتل فيها كبار قادة جيشهم، وبعث البشارة والرؤوس إلى المختار وذلك في معركة الخازر سنة سبع وستين للهجرة(3)، بعد تلك المعركة الفاصلة وهزيمة جيش الشام أصبح إبراهيم والياً على الموصل

ص:289

---

1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 60.

2- (2) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 86؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 674؛ النويرى، نهاية الأرب، ج 21، ص 23.

3- (3) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 90-95؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 126-130؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 37، ص 459-462؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 678-683؛ النويرى، نهاية الأرب، ج 21، ص 23-24.

يبدو من خلال ما تقدم أن عبد الرحمن بن سعيد ويزيد بن أنس لم يكونا ولاية بالمعنى المعروف بل كانا أميري حرب يحافظان على هذه الولاية من هجمات الأمويين، ويديران شؤونها في الوقت نفسه، لكن الوالى الحقيقى لها كان إبراهيم، ويدل على ذلك أنه أستقر فيها وأخذ يبعث العمال إلى المدن التابعة لها، وهذه المدن وحسب الروايات هي كالتى:

أ. نصيبين(2) أستعمل عليها عبد الرحمن بن عبد الله - أخوه لأمه - (3).

ب. قرقيسيا أستعمل عليها زفر بن الحارث(4)، وقيل إنه أستعمل عليها إسماعيل بن زفر(5).

ت. حران(6) والرها(7)، وسيمساط 8 وناحتيتها أستعمل عليهما حاتم

ص:290

1- (1) - اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ج 2، ص 181.

2- (2) نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام، وفي قراها أكثر من أربعين ألف بستان، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ وبين الموصل وبينها ستة أيام. ينظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج 5، ص 288-289.

3- (3) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 95؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 129؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 681.

4- (4) - ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 681.

5- (5) الدينورى، الأخبار الطوال، ص 271.

6- (6) حران: وهى قصبة ديار مضر، بالقرب من الرها والرقعة، وهى على طريق الموصل والشام والروم، وقيل هى أول مدينة بنيت بعد الطوفان. ينظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج 2، ص 235-236.

7- (7) الرها: مدينة فى الجزيرة بين الموصل والشام. ينظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج 3،

ث. كفتوثا(3) ، وطور عبدين(4) ، أستعمل عليهما عمير بن الحباب السلمى(5).

ج. سنجار(6) ولي عليها السفاح بن كردوس(7).

ح. ميفارقين(8) أستعمل عليها عبد الله بن مسلم9.

ص:291

1- (1) - هو حاتم بن النعمان بن عمر الباهلي، شهد صفين مع معاوية، وهو سيد بني بأهلة في زمانه. ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 11، ص 379-381.

2- (2) البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 427؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص 271-272؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 681.

3- (3) كفتوثا: قرية كبيرة من أعمال الجزيرة الفراتية، تقع بين دارا ورأس عين. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 468.

4- (4) طور عبدين: بليدة من أعمال نصيبين في بطن الجبل المتصل بجبل الجودي. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 48.

5- (5) البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 427؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص 272؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 681.

6- (6) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام، وهي مدينة طيبة في وسطها نهر جارى، فيها الكثير من البساتين، بينها وبين نصيبين ثلاثة أيام. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص 262-263.

7- (7) الدينوري، الأخبار الطوال، ص 272

8- (8) - ميفارقين: أشهر مدينة بديار ربيعة، فتحها المسلمون بقيادة مالك الأشتر النخعي، أثناء خلافة

خ. آمد(1) وأستعمل عليها مسلم بن ربيعة العُقيلي(2).

### 3 - ولاية أذربيجان

تقع أذربيجان في شمال إيران الحالية في المنطقة القريبة من شمال العراق، وتعني بالفارسية بيت النار أو خازن النار، فهي موضع أعجمى معرب، يغلب على أراضيها الجبال، وفيها قلاع كثيرة، ومياه غزيرة، وفواكه جمّة، فتحها المسلمون أيام عمر بن الخطاب (13 هـ - 23 هـ -) وولاها الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان الذي صالح أهلها على ثمان مائة ألف درهم على أن لا يقتل منهم أحداً ولا يسيبه، ولا يهدم لهم بيت نار(3)، وكون أذربيجان تابعة إدارياً لولاية الكوفة بعث المختار محمد بن عمير بن عطار د بن حاجب بن

ص: 292

- 
- 1- (1) - آمد: وهي من أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدراً وأشهرها ذكراً، وهي بلد قديم حصين مبني بالحجارة السود، في وسطه عيون وآبار يتناول ماؤها باليد، فتحها المسلمون سنة عشرون للهجرة في خلافة عمر بن الخطاب بقيادة مالك الأشتر النخعي. ينظر: ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج 1، ص 259؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 56-57.
  - 2- (2) الدينوري، الأخبار الطوال، ص 272.
  - 3- (3) البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987 م، ص 455-456؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 128-129؛ ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص 68؛ العيساوي، النظم الإدارية والمالية، ص 79؛ الشرهاني، التغير في السياسة المالية، ص 288-289.

وزارة التميمي (1) والياً على أذربيجان (2) ، ومحمد هذا سيد أهل الكوفة، وصاحب ربيع تميم وهمدان، ومن أجواد مضر والإسلام (3) ، ويعد من الصحابة (4) ، ومن صحابة الإمام على (عليه السلام) وأحد أمرائه في صفين (5) ، وفي رواية أخرى ذكرها الدينوري (6) أن المختار بعث إلى ولاية أذربيجان محمد بن عثمان التميمي.

#### 4 - مدينة حلوان

وهي مدينة كبيرة، قريبة من الجبال، تكثر فيها الفواكه وخاصة التين، فيها الكثير من العيون الكبريتية التي ينتفع منها كدواء، فتحها المسلمون بعد جلولاء وخانقين حيث سار إليها سعد بن أبي وقاص، فدخلها المسلمون دون قتال، وأحتوى سعد على جميع ما كان للفرس بأرض حلوان (7) ، فلما

ص: 293

- 
- 1- (1) - ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 55، ص 38-43؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 6، ص 194-195.
  - 2- (2) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 345؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 53؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 6، ص 55؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 651؛ ابن نما الحلبي، ذوب النضار، ص 109-110؛ النويري، نهاية الأرب، ج 21، ص 11؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 31؛ الغروي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج 6، ص 363.
  - 3- (3) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 6، ص 194.
  - 4- (4) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 55، ص 40.
  - 5- (5) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 55، ص 38-43؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 6، ص 195.
  - 6- (6) الأخبار الطوال، ص 268.
  - 7- (7) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج 1، ص 215-217؛ ياقوت، معجم البلدان، ج 2، ص 291.

أصبحت تابعة لدولة المختار بعث عليها سعد بن حذيفة بن اليمان(1)، الذى كان والده من نجباء أصحاب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وصاحب سره(2)، أعلمه الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بما يقع من الفتن والملاحم على أمته(3)، وصفه الذهبي(4) فقال: «وضبط عنه الفتن الكائنة فى الأمة»، ولما بايع الناس الإمام (عليه السلام) وتوجه لقتال أهل الجمل فى البصرة كان لحذيفة موقف فى إستنفار الناس للقتال مع الإمام على (عليه السلام) فقد ذكر أبو مخنف: «لما بلغ حذيفة بن اليمان أن علياً قد قدم ذا قار، وأستنفر الناس، دعا أصحابه فوعظهم وذكرهم الله وزهدهم فى الدنيا، ورغبهم فى الآخرة، وقال لهم: الحقوا بأمر المؤمنين ووصى سيد المرسلين، فإن من الحق أن تنصروه، وهذا الحسن أبنة وعمّار قد قدما الكوفة يستنفران الناس، فانفروا، قال: فنفر أصحاب حذيفة، إلى أمير المؤمنين،

ص:294

- 
- 1- (1) - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 345؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 53؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 651؛ ابن نما الحلبي، ذوب النصار، ص 110؛ النويري، نهاية الأرب، ج 21، ص 11؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 31.
- 2- (2) ابن سعد، الطبقات، ج 4، ص 251-258؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 1، ص 505-508؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 2، ص 361-369؛ والكاشف فى معرفة من له رواية، ج 1، ص 315.
- 3- (3) المروزي، أبو عبد الله نعيم بن حماد (ت: 288 هـ - 900 م)، الفتن، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1993 م، ص 14؛ نصار، عمار عبودي، الملاحم فى الفكر العربى والإسلامى حتى نهاية العصر الأموى، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، 2006 م، ص 137-141.
- 4- (4) سير أعلام النبلاء، ج 2، ص 364.

ومكث حذيفة بعد ذلك خمس عشرة ليلة وتوفى رحمه الله تعالى».

أما سعد بن حذيفة فهو من الثقات ومن أصحاب أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، تولى قضاء المدائن، وروى الحديث عن أبيه (1)، ويُعد سعد من أوائل الذين تحمسوا للأخذ بثأر الإمام الحسين (عليه السلام) فقد كتب إليه سليمان بن صرد الخزاعي يدعوه للانضمام لحركتهم والاستعداد للمعركة مع الأمويين في وقت كان التوابون يدعون سراً ثقات الشيعة ومخلصيهم، فأجابه سعد بن حذيفة بن اليمان: «بسم الله الرحمن الرحيم إلى سليمان بن صرد، من سعد بن حذيفة ومن قبله من المؤمنين؛ سلام عليكم، أما بعد، فقد قرأنا كتابك، وفهمنا الذي دعوتنا إليه من الأمر الذي عليه رأى الملاء من إخوانك، فقد هديت لحظك، ويسرت لرشدك، ونحن جادون مجدون معدون مسرجون ملجمون، ننتظر الأمر ونستمع الداعي، فإذا جاء الصريخ أقبلنا ولن نخرج إن شاء الله، والسلام» (2).

ولما علم سعد بن حذيفة بخروج سليمان بن صرد من المدائن ومعه مئة وسبعون من أهلها، يجدون السير للحوق بهم، وأرسل ثلاثة من فرسانه

ص: 295

---

1- (1) - ابن سعد، الطبقات، ج 8، ص 335؛ الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد (327 هـ -- 938 م)، الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1952 م، ج 4، ص 81؛ ابن حبان، الثقات، ج 4، ص 293؛ الطوسي، رجال الطوسي، ج 2، ص 305؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 10، ص 178؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج 7، ص 221 الشاهرودي، مستدركات علم الرجال، ج 4، ص 27.

2- (2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 376.

وأوصاهم بأن يسبقوهم ويطووا المنازل ليشروهم بخروج أهل المدائن، وأهل البصرة بقيادة المثنى بن مخزومة العبدى فى أثرهم، فوصل رسل سعد بن حذيفة ومعركة عين الوردة (عام 65 هـ -) محتدمة فقاتلوا مع التوابين وأعلموهم بقدم أهل المدائن وأهل البصرة فى أثرهم لكن استشهد قادة التوابين وانسحاب من تبقى منهم باتجاه العراق فوت عليهم المشاركة فى معركة عين الوردة فالتقوا معهم فى الطريق فى قرية تسمى صندوداء<sup>(1)</sup>، فاستقبل سعد بن حذيفة والمثنى ابن مخزومة من تبقى من التوابين وعزوهم على شهدائهم وبقوا فى تلك القرية يوماً وليلة ثم وصلوا مسيرهم إلى العراق<sup>(2)</sup>، وبعد عودتهم اتصلوا بالمختار وبايعوه فكان سعد بن حذيفة أحد قادتهم، ومن أوائل الذين بايعوه على الثورة والأخذ بثأر الإمام الحسين (عليه السلام)، ويبدو أن المختار قد أوكل بعض المهام إلى سعد بن حذيفة إضافة إلى ولاية حلوان فقد جاء فى بعض الروايات أن سعداً كان معه ألفا فارس بحلوان فخصص له المختار ألف درهم فى كل شهر، وأمره بقتال الأكراد، وإقامة الطرق، وإصلاح السابلة، وكتب إلى عماله على الجبال أن يحملوا أموال كورهم إلى سعد بن حذيفة بن اليمان بحلوان<sup>(3)</sup>.

ص:296

- 
- 1- (1) - صندوداء: وهى قرية فى طريق الشام فيها قوم من كندة وأباد. ينظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج 3، ص 425.
  - 2- (2) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 16-20؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 615-617.
  - 3- (3) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 345؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 53؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 106؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 651؛ النويرى، نهاية



وجاء فى رواية أخرى أنه جعل ابن مالك البكرأوى والياً على ماسبذان(1)، و حلوان(2)، والظاهر أن حلوان ضمت بعد ولاية سعد عليها إلى ماسبذان لأن المختار ربما يستدعى بعض ولاته وثقاته لتكليفهم ببعض المهام الأخرى فى دولته أو الاستعانة بهم فى الحروب التى تميزت بها تلك الفترة، وذكر ابن أعثم الكوفى أن المختار بن أبى عبيد أمر لعبد الرحمن بن أبى عبيد أبو الكنود الذى قتل شمر بن ذى الجوشن بعشرة آلاف درهم وولاه أرض حلوان(3)، ويظهر أن هذا الشخص كرم من قبل المختار بولاية حلوان بعد قيامه بقتل شمر الذى يُعد من عتاة قتلة الإمام (عليه السلام).

## 5 - ولاية المدائن وأرض جوخى

تقع المدائن فى وسط العراق بالقرب من بغداد الحالية، وقد كانت عاصمة للدولة الساسانية، وفى عهد الإمام على (عليه السلام) أصبحت المدائن ولاية مستقلة نتيجة لأهميتها من الناحيتين الاقتصادية والسياسية، فضلاً عن إنها خط متقدم فى مواجهة هجمات الأمويون فى بلاد الشام آنذاك، وكان من بين ولايتها الأقوياء سعد بن مسعود الثقفى عم المختار الثقفى الذى

ص: 297

- 
- 1- (1) - ماسبذان: ناحية أجمع فيها الفرس بعد أن فتح المسلمون حلوان فأرسل إليهم سعد بن أبى وقاص جيشاً فأنتصر عليهم وملكها. ينظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج 5، ص 41.
  - 2- (2) الدينورى، الأخبار الطوال، ص 268.
  - 3- (3) ابن أعثم الكوفى، كتاب الفتوح، ج 6، ص 267.

استمر في ولايته طوال خلافة الإمامين علي والحسن (عليهم السلام)(1).

ومن المناطق التي انضوت تحت ولاية المدائن هي أرض جوخي، وهي من المدن الخراجية المهمة لدى الفرس قبل الإسلام، فهي كوره واسعة من سواد بغداد بالجانب الشرقي تقع على نهر جوخي(2)، ولما خضعت المدائن والمناطق التابعة لها لدولة المختار بعث المختار على المدائن وعلى أرض جوخي إسحاق بن مسعود(3)، بينما ذكر الدينوري(4) بأنه جعل زحر بن قيس على جوخي، وزحر هذا من أصحاب الإمام علي (عليه السلام) وله مواقف مشهودة يوم الجمل وصفين وكان مبعوثاً له للخوارج وغيرهم، وحين أستشهد الإمام علي (عليه السلام) كان قائداً لأربعمئة من أهل العراق بعثهم الإمام علي (عليه السلام) إلى المدائن رابطة، ولما أستشهد الإمام (عليه السلام) أمره الإمام الحسن (عليه السلام) بأخذ البيعة له من قبله(5)، لكن هناك بعض الروايات أشارت إلى أن زحر بن قيس هذا بعثه عبيد الله بن زياد

ص:298

- 
- 1- (1) - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 74-75؛ الشرحاني، التغير في السياسة المالية، ص 295.
  - 2- (2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 179؛ العيساوي، النظم الإدارية والمالية، ص 73؛ الشرحاني، التغير في السياسة المالية، ص 295-296.
  - 3- (3) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 345؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 53؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 651؛ النووي، نهاية الأرب، ج 21، ص 11؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 31.
  - 4- (4) الأخبار الطوال، ص 268.
  - 5- (5) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 9، ص 516-517؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 18، ص 443-446.

إلى يزيد بن معاوية برأس الإمام الحسين (عليه السلام)، وله كلام قبيح ينال من الإمام (عليه السلام) وأصحابه بحضرة يزيد بن معاوية(1).

وعقب ابن العديم(2) على رواية ابن عساكر فقال: «والذى يقع لى أن الذى قدم برأس الحسين على يزيد هو غير زحر بن قيس الجعفى، فإن الجعفى شهد صفين مع على رضى الله عنه، وقدمه على أربعمئة من أهل العراق، وبقي بعده مؤمراً، وأمره الحسن رضى الله عنه بأخذ البيعة له، وكان شريفاً فى قومه، فبيعد عندى أن يقاتل الحسين ويخرج برأسه ويحضر بين يدي يزيد، ويقول ما قال؛ قول متشف، وقد وافق الجعفى فى اسمه وأسم أبيه وفى كونه من الكوفة، فظن أبو القاسم الحافظ أنه الجعفى وليس به، والله اعلم»(3).

ومن خلال ما تقدم يمكن القول إن رواية الدينورى التى ذكرت أن المختار ولى زحر بن قيس أرض جوخى التابعة للمدائن غير دقيقة لأن المصادر الأخرى لم تشر إليها، ولا نرى أن المختار يقدم على ذلك، فمن غير المنطقى أنه يقوم بتولية شخص حمل رأس الحسين (عليه السلام) إلى يزيد بن معاوية

ص:299

- 
- 1- (1) - المفيد، الإرشاد، ص 233-234؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 18، ص 245؛ المجلسى، بحار الأنوار، ج 45، ص 125؛ الشاهرودى، مستدركات علم رجال الحديث، ص 421.
  - 2- (2) - هو عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد المعروف بابن العديم، أديب وكاتب وشاعر ومؤرخ وفقهه ومحدث ولد بحلب عام (586 هـ) وتوفى عام (660 هـ -). ينظر: حاجى خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت: 1067 هـ - 1656 م)، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربى، بيروت، د. ت، ج 1، ص 30؛ وج 2، ص 1090؛ كحاله، معجم المؤلفين، ج 7، ص 275-276.
  - 3- (3) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 18، ص 445، (هامش المحقق).

وقال ما قاله في مجلس يزيد، وكل من له علاقة بقتل الحسين (عليه السلام) أما قُتل أو هرب إلى البصرة أو اختفى عن الأنظار خوفاً من المختار وأنصاره، ويبدو أن اسم زحر بن قيس تداخل مع اسم آخر يحمل الاسم نفسه أو قريباً منه فوقع خلط بين الأسماء، وربما صحف هذا الاسم كغيره من الأسماء التي صحفت في النقل أو الكتابة.

وأما البهقباذات التي تقع إلى الجنوب الغربي من بغداد وهي تابعة إدارياً لولاية المدائن، وتتكون من ثلاث مناطق زراعية تسمى البهقباذ الأسفل والأعلى والأوسط، ولها العديد من النواحي الزراعية<sup>(1)</sup>، فأستعمل المختار قدامة بن أبي عيسى بن ربيعة النصرى حليف ثقيف على بهقباذ الأعلى، ومحمد بن قرظة بن كعب على بهقباذ الأوسط وهو ابن قرظة بن كعب الأنصاري الذي أستعمله الإمام علي (عليه السلام) على الكوفة في بداية خلافته<sup>(2)</sup>، وعندما ذكر بعض أهل الذمة للإمام علي (عليه السلام) أن نهراً في أرضهم قد عفا وادّفن كتب له كتاباً يوصيه بإصلاحه قائلاً: «فلعمري لأن يعمروا أحب إلينا من أن يخرجوا، وأن يعجزوا أو يقصروا في واجب من صلاح البلاد»<sup>(3)</sup>، وكتاب الإمام علي (عليه السلام) ينم عن بديهيات عدالته في جباية الخراج «لأنه كان يرى أن أموال الخراج، لا يمكن الحفاظ عليها بدون

ص: 300

---

1- (1) - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 516؛ العيساوي، النظم الإدارية والمالية، ص 73-74؛ الشرهاني، التغير في السياسة المالية، ص 298.

2- (2) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص 202.

3- (3) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 141.

العناية بالفلاح والأرض»(1)، وأستعمل المختار على بهقباذ الأسفل حبيب بن منقذ الثورى(2).

## 6 - ولاية أصبهان وقم وإعمالها

يطلق اسم أصبهان على إقليم كامل كما يطلق على مدينة عامرة مشهورة تقع في نواحي الجبل، وتعنى بالفارسية بلاد الفرسان، وهي صحيجة الهواء نفيسة الجو، ذات مساحة شاسعة، تتكون من ثمانين فرسخاً في مثلها، وفيها ستة عشر رستاقاً كل رستاق يتكون من ثلاثمائة وستين قرية، فتحها المسلمون صلحاً عامي ثلاثة وعشرين وأربعة وعشرين للهجرة(3).

أما قم فهي كلمة فارسية، وأسم لمدينة قريبة من أصبهان، وقيل إنها مدينة مستحدثة لا أثر للأعاجم فيها، تشتهر بعذوبة مياه آبارها وكثرة الأشجار والفواكه فيها، فتحها المسلمون في سنة (23 هـ -) بقيادة أبي موسى الأشعري(4)، وأسهب ياقوت الحموي(5) في ذكر تشييع أهلها، وأن سكانها كلهم شيعة إمامية لا يوجد غيرهم فيها، أما ولاية أصبهان تابعة إدارياً لولاية

ص:301

1- (1) - الشرهاني، التغير في السياسة المالية، ص 114.

2- (2) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 345؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 53؛ الغروي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج 6، ص 363.

3- (3) البلاذري، فتوح البلدان، ص 436-437؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 206-210.

4- (4) البلاذري، فتوح البلدان، ص 436؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 397-398.

5- (5) معجم البلدان، ج 4، ص 397-398.

## 7 - مدينة الرى ودستبي

تقع الرى إلى الغرب من مدينة همدان وشمال مدينة خراسان وهي تابعة إدارياً لمدينة الكوفة، فهي مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن، كثيرة الفواكه والخيرات، فتحها المسلمون أثناء خلافة عمر بن الخطاب وذلك بعد فتح نهاوند بشهرين فى سنة عشرين للهجرة وقيل فى سنة اثنتين وعشرين للهجرة(2)، بينما دستبي كورة كبيرة مقسومة بين الرى وهمدان، يسمى قسم منها دستبي الرى وتضم أكثر من تسعين قرية، وتتكون دستبي همدان من عدة قرى(3)، أستعمل المختار على الرى ودستبي يزيد بن أبى نجبة الفزارى(4)، وفى رواية ابن نما الحلبي أنه استعمل عليهما عمر بن السائب(5)، ويبدو أنّ المختار على الرغم من قصر فترة حكمه يعزل بعض الولاة أو يستدعيهم لمهام أخرى ويعين مكانهم آخرين، وربما هذا يفسر لنا ذكر بعض المؤرخين لأكثر من والي على بعض المدن.

ص:302

- 
- 1- (1) - الدينورى، الأخبار الطوال، ص 268.
  - 2- (2) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص 151؛ البلاذرى، فتوح البلدان، ص 443-445؛ البكرى، عبد الله بن عبد العزيز (ت: 487 هـ -- 1094 م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، 1983 م، ج 2، ص 690.
  - 3- (3) ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج 2، ص 454.
  - 4- (4) الدينورى، الأخبار الطوال، ص 268.
  - 5- (5) ذوب النصار، ص 110.

أما القضاة في عهد المختار فذكرت الروايات التاريخية أنه تصدى للقضاء في الأيام الأولى لدولته، وأقبل يجلس للناس غدوة وعشية، ثم إنّه قال: «والله إن لي فيما أزاول وأحاول لشغلاً عن القضاء بين الناس»<sup>(1)</sup>، وهذا يعني أنه قام بالقضاء عندما لم تكن لديه مسؤوليات كبيرة لكن عندما تعارضت أعمال إدارة الدولة وشكلت عليه عبئاً أثقل كاهله عن إدارتها وقيادة الحروب التي إتسمت بها تلك الفترة، فوصف ذلك ابن نما الحلبي<sup>(2)</sup> بالقول: «وكان - المختار - يحكم بين الخصوم حتى أشغلته أموره». فاعتزل مهمة القضاء وأسندها للقاضي شريح بن الحارث الكندي<sup>(3)</sup>.

ويتضح أن المختار كان على درجة كبيرة من العلم في القضاء فعلى الرغم من أن أعداءه تتبعوا كل شاردة وواردة للنيل منه واجتهدوا في خلق الأباطيل إلا أننا لم نجد من يطعن في فترة توليه القضاء في الكوفة، وشريح بن الحارث الكندي، يُعد من كبار التابعين، تولى القضاء في الكوفة في خلافة عمر وعثمان والإمام علي (عليه السلام)، وقيل إنَّ الإمام علي (عليه السلام) عزله ثم أعاده<sup>(4)</sup>، ويبدو أنه نفاه فيما بعد إلى بانقيا<sup>(5)</sup> يقضى بين اليهود لمدة

ص: 303

- 
- 1- (1) - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 346؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 53؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 651؛ النويري، نهاية الأرب، ج 21، ص 12.
  - 2- (2) ذوب النصار، ص 110.
  - 3- (3) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 346؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 53؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 651؛ النويري، نهاية الأرب، ج 21، ص 12.
  - 4- (4) بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص 200.
  - 5- (5) وهي من نواحي الكوفة، تنقل اليهود موتاهم إليها، ويسكنها بعض اليهود، وفتحت صلحاً وكتب

شهرين، لكن استشهاد الإمام (عليه السلام) حال دون تنفيذ نفي شريح لتلك القرية، فلما جاء المختار وعلم بذلك قال له: «فلا والله لا تقعد، حتى تخرج إلى بانقيا تقضى بين اليهود، فسيره إليها فقضى بين اليهود شهرين»<sup>(1)</sup>، ويظهر أن المختار حين علم بموقف أهل الكوفة الراض لتنصيبه، وحكم الإمام على (عليه السلام) عليه بالنفي، نفاه إلى بانقيا بعد أن استعمله مدة قصيرة على القضاء. ثم تولى شريح القضاء زمن الأمويين على الكوفة، وتوفي سنة ثمان وسبعين، وولى القضاء سبعاً وخمسين سنة<sup>(2)</sup>.

وهناك من المؤرخين من يرى غير ذلك في إسناد القضاء إلى شريح فيرى الخوارزمي<sup>(3)</sup> أن المختار كان يقضى بين الخصوم «فإذا أعاقه عائق أمر شريحاً أن يجلس فيقضى»، يتضح من هذه الرواية أن شريح القاضي كان يساعد المختار في القضاء في حالة خروج المختار من الكوفة للقتال أو في مهمة معينة، في حين ذكر وكيع<sup>(4)</sup> ذلك فقال: «إنّ شريحاً كان قاضياً زمن عبد الله بن مطيع فلما جاء المختار أقره»، ويبدو أن شريحاً لم يتسن له التصدي للقضاء في الكوفة في ظل دولة المختار إلا لفترة محدودة، فقد اعترض عليه أهل الكوفة، وطلبوا من المختار

ص: 304

- 
- 1- (1) - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج 2، ج 4، ص 298؛ الغروي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج 6، ص 365.
  - 2- (2) وكيع، أخبار القضاة، ص 471-472؛ وينظر: ابن سعد، الطبقات، ج 8، ص 252-265.
  - 3- (3) مقتل الحسين، ج 2، ص 218.
  - 4- (4) أخبار القضاة، ص 471.



أن يعزله وذكروا أربعة أسباب دعتههم إلى ذلك؛ أولها: أنه عثمانى، وثانيها: أنه شهد على حجر بن عدى، وثالثها: أنه لم يبلغ عن هانى بن عروة ما أرسله به، ورابعها: أن الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام) عزله عن القضاء. (1)

ويتبين من اعتراض أهل الكوفة على تولى شريح للقضاء التوجه العام للناس زمن دولة المختار فى ذلك الوقت، فقد تمحور جل اعتراضهم على شريح بموقفه من الإمام على (عليه السلام) خاصة ومن أنصار آل البيت بشكل عام. وما أن علم شريح بموقف أهل الكوفة منه فأستبق الأمور وتمارض وأعتزل القضاء لمعرفته المسبقة بان المختار سوف يقوم بعزله.

تولى القضاء بعد شريح عبد الله بن عتبة الهذلى (2)، ويكنى أبو عبد الرحمن (3) وهو ابن أخى الصحابى عبد الله بن مسعود (4)، ومن كبار التابعين فى المدينة (5)، كان ثقة ربيعاً كثير الحديث والفتيا، ويُعد من الفقهاء (6)،

ص: 305

1- (1) - وكيع، أخبار القضاة، ص 471؛ وينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 346؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 53؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 651؛ النويرى، نهاية الأرب، ج 21، ص 12؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 14-15؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 31-32؛ العاصمى، عبد الملك بن حسين (ت: 1111 هـ - 1699 م)، سمط النجوم العوالى فى أبناء الأوائى والتوالى، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988 م، ج 3، ص 232؛ الغروى، موسوعة التاريخ الإسلامى، ج 6، ص 365.

2- (2) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 346؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 53؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 651؛ النويرى، نهاية الأرب، ج 21، ص 12.

3- (3) ابن سعد، الطبقات، ج 7، ص 62.

4- (4) ابن حبان، الثقات، ج 5، ص 17-18.

5- (5) العجلى، أحمد بن عبد الله بن صالح (ت: 261 هـ - 872 م)، معرفة الثقات، مكتبة الدار،

استعمله عمر بن الخطاب على سوق المدينة(1) ثم سكن الكوفة(2) فكان يؤم الناس فيها(3) ، ويبدو أنه لم يستمر طويلاً في قضاء الكوفة سوى أياماً، ثم تمارض(4) ، فعزله المختار عن قضاء الكوفة، توفي عبد الله بن عتبة في خلافة عبد الملك بن مروان (65 هـ - 86 هـ) سنة أربع وسبعين للهجرة.(5)

ثم تولى القضاء للمختار في الكوفة عبد الله بن مالك الطائي(6) ، وهو أحد رجال التوايين عند بدء حركتهم للأخذ بثأر الإمام الحسين (عليه السلام)، فقد بعثه سليمان بن صرد الخزاعي إلى سعد بن حذيفة بن اليمان بكتاب دعاه فيه إلى مؤازرة التوايين ونصرتهم فأجابه سعد إلى ذلك، فرجع عبد الله بن مالك إلى سليمان بكتاب سعد وأهل المدائن يؤيدونهم ويبلغونهم بأنهم رهن إشارتهم متى أرادوا النهوض لأخذ الثأر(7).

ص:306

1- (1) - ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 2، ص 381.

2- (2) ابن سعد، الطبقات، ج 7، ص 62.

3- (3) ابن حبان، الثقات، ج 5، ص 17-18.

4- (4) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 21، ص 316.

5- (5) ابن حبان، الثقات، ج 5، ص 17-18.

6- (6) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 346؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 53؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 21، ص 316؛

ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 651؛ النويري، نهاية الأرب، ج 21، ص 12

7- (7) - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 255؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 376.

ويبدو أن عبد الله بن مالك الطائي كان من رجال الشيعة المتحمسين لأخذ الثأر، وموضع ثقة قادة التوابين، فقد كانت تلك الكتب التي بعثها التوابون حينها وهم يحيطون دعوتهم السرية الكاملة ويبتغون الفرصة المناسبة لإعلان ثورتهم، حيث إن السلطة الأموية كانت تتمتع بقوة ما زالت فيها تفرض سيطرتها على أغلب ولايات ومدن الدولة، والظاهر أن عبد الله استمر في منصب القضاء حتى نهاية دولة المختار فلم تشر المصادر التاريخية إلى أن المختار قد عزل عبد الله بن مالك الطائي عن القضاء وولى غيره.

يُعد القصاص من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) من أهم المواضيع التي تتعلق بسيرة المختار الثقفى، وذلك لأنه أعلن دولته بناءً على المفهوم المتقدم، ويبدو أن فكرة القصاص من الذين شاركوا في قتل الإمام الحسين (عليه السلام) قد راودت المختار منذ فترة مبكرة، والدليل على أنها مبكرة هو محاربة قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) له ومحاولتهم عدم بقائه في الساحة لذلك عملوا على سجنه وما شابه ذلك، وفي السجن وجد المختار ميثم التمار (1) مسجوناً قبله، وكان ميثم من أصحاب الإمام (عليه السلام)

ص: 308

---

1- (1) - هو ميثم بن يحيى التمار من أسرى فارس، كان عبداً لامرأة من بنى أسد اشتراه الإمام على (عليه السلام) منها وأعتقه، فقال له الإمام (عليه السلام) ما أسمك فقال: أسمى سالم فقال له: أخبرنى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أن اسمك ميثم فى بلاد العجم، فقال صدق الله ورسوله وصدقت يا أمير المؤمنين، فقال له الإمام (عليه السلام): فارجع إلى اسمك، سجنه عبيد الله بن زياد قبل مقدم الإمام الحسين (عليه السلام) مع كثير من أنصار آل محمد، وهو أول من الجم فى الإسلام، وكان مقتله قبل وصول الإمام الحسين (عليه السلام) بعشرة أيام. ينظر: المفيد، الإرشاد، ص 162-163؛ الطبرسى، أعلام الورى،

الذين يحملون عنه العلم(1)، حيث أطلعهُ على علم كثير وأسرار خفية(2)، وكان ميثم يحدث أهل الكوفة بذلك، فمما قاله لهم: «والله لتقتل هذه الأمة ابن نبيها في محرم لعشر يمضين منه وليتخذن أعداؤه ذلك اليوم بركة وأن ذلك لكائن قد سبق في علم الله تعالى ذكره، أعلم ذلك بعهدٍ عهده إليّ مولاى أمير المؤمنين»(3)، ويرى أحد الباحثين(4) أن الإمام علياً (عليه السلام) نَفَثَ إليه بالعديد من الروايات التي تحدثت عن الملاحم والفتن النازلة على أهل بيته والمسلمين عامة وما سيلاقونه من الجور والعنت.

وذكرت الروايات التاريخية أنّ ميثم أخبر المختار وهو فى السجن أنه سيخرج من السجن ويطأ بقدمه على رأس عبيد الله بن زياد، وأنه سيقتل

ص:309

- 
- 1- (1) - اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ج 2، ص 149.
  - 2- (2) ابن ابى الحديد، شرح نهج البلاغة، مج 1، ج 2، ص 423.
  - 3- (3) الصدوق، علل الشرائع، ج 1، ص 228؛ المجلسى، بحار النوار، ج 45، ص 202؛ البحرانى، علوم العوالم، ص 456؛ الطبسى، نجم الدين، صوم عاشوراء بين السنة النبوية، والبدعة الأموية، منشورات العهد، قم، 1422 هـ -، ص 126؛ الشاهرودى، على النمازى، مستدرک سفينة البحار، تحقيق: حسن على النمازى، مؤسسة النشر الإسلامى، قم، 1419 هـ -، ج 7، ص 237؛ الشاكرى، الأعلام من الصحابة والتابعين، ج 6، ص 103.
  - 4- (4) نصار، الملاحم فى الفكر العربى والإسلامى، ص 243-244.

قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) وسيشفى غليل محبى آل محمد(1)، وذكر بعض المؤرخين(2) أنّ المختار خرج من سجن ابن زياد فى طريقه للحجاز وهو يقول: والله لأقطعن أنامل ابن زياد ولأقتلن بالحسين بن على عدد من قتل بدم يحيى بن زكريا، ممنياً نفسه بأن يكون هو من قصده الإمام الحسين (عليه السلام) فى دعائه على أعدائه يوم عاشوراء «أما إته لا تلبثون بعدها إلا كرىث ما يُركب الفرس، حتى تدور بكم دور الرحي، عهد عهده إلهى أبى عن جدى (صلى الله عليه واله وسلم)... اللهم احبس عنهم فطر السماء، وابعث عليهم سنين كسنى يوسف، وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة، فلا يدع فيهم أحداً قتلةً بقتلة، وضربة بضربة، ينتقم لى ولأوليائى وأهل بيتى وأشياعى منهم...»(3).

ص:310

- 
- 1- (1) - المفيد، الإرشاد، ص 162-163؛ الطبرسى، أعلام الورى، ص 183؛ ابن نما الحللى، ذوب النضار، ص 69؛ ابن أبى الحديد، شرح نهج البلاغة، مج 1، ج 2، ص 424؛ ابن حجر العسقلانى، الإصابة فى تمييز الصحابة، ج 6، ص 250؛ المجلسى، بحار الأنوار، ج 45، ص 353؛ البراقى، تاريخ الكوفة، ص 307؛ البحرانى، علوم العوالم، ص 672؛ الشاهرودى، مستدرک سفينة البحار، ج 3، ص 241؛ ومستدرکات علم رجال الحديث، ج 7، ص 384؛ الشاكرى، الأعلام من الصحابة والتابعين، ج 6، ص 61-78.
- 2- (2) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 286-385؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 603؛ ابن نما الحللى، ذوب النضار، ص 69؛ المجلسى، بحار الأنوار، ج 45، ص 354؛ الأمين، محسن، أصدق الأخبار فى قصة أخذ الثأر، مطبعة العرفان، صيدا، 1331 هـ -، ص 33؛ البحرانى، العوالم، ص 673؛ التستري، قاموس الرجال، ج 10، ص 12؛ فلهاوزن، الخوارج والشيعة، ص 198-199؛ الحسنى، الانتفاضات الشيعية، ص 340.
- 3- (3) الخوارزمى، مقتل الحسين، ج 2، ص 7-8؛ ابن طاووس، اللهوف فى قتلى الطفوف، ص 63.

يتضح من كلام الإمام (عليه السلام) أنّ مَنْ يقوم بالقصاص من قتلته من ثقيف وأنه يقتلهم انتقاماً له ولأوليائه وأشيعاه، وهو ما يدحض قول البعض بأن المقصود بغلام ثقيف هو الحجاج الذي سُلط على أهل العراق لأن الأخير صبَّ جم غضبه على الموالين لآل محمد فضلاً عن أن الإمام (عليه السلام) أشار إلى قُصر فترة بقاء هؤلاء فقال: (لا تلبثون بعدها إلا كريت ما يُركب الفرس) وهو ما حصل لهم فلم يطل بهم المقام حتى قتلهم المختار شر قتلة.

وهناك شواهد كثيرة تدل على أن المختار كان يريد الأخذ بثأر الإمام الحسين (عليه السلام)، فقد صرح بهذا الأمر مرات عدة حتى قبل خروج التوابين إلى عين الورد، لذلك عندما عاد هؤلاء من المعركة وباعوه اشترط في بيعته أن يباعوه على الطلب بدماء أهل البيت(1).

وما قدمناه يجعلنا نتساءل لماذا تراث المختار في مسألة أخذ الثأر؟ وللإجابة على هذا التساؤل نحتاج أن نتعرف على طبيعة المجتمع الكوفي في تلك الحقبة فضلاً عن الظروف المحيطة بدولة المختار، فقد كان محاطاً بالأعداء

ص:311

---

1- (1) - ابو مخنف، مقتل الحسين، ص 343؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 394؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 52؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 105؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج 2، ص 217؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 650؛ النويري، نهاية الأرب، ج 21، ص 11؛ ابن كثير، البداية والنهاية؛ ج 12، ص 13؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 31؛ الخطيب، دولة المختار، ص 241، الغروي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج 6، ص 362؛ محمد، حركة المختار، ص 79.

من كل الجهات، فالأمويين أعداؤه الألداء يتربصون به من جهة الشام، وآل الزبير يجاورونه من جهة البصرة، وجهة ثالثة لا تقل خطراً عن هؤلاء وهم أشراف الكوفة وقتلة الحسين وشيعة آل أمية وآل الزبير الذين يهددون دولته من الداخل، فضلاً عن كون الدولة في بداية نشأتها؛ فحاول المختار أن يترئس قليلاً في القصاص من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) ويقرب الأشراف في انتظار الفرصة المناسبة، ولما رأى أن ذلك الأمر لم يرق لشيعة آل محمد وأنصاره لمح لهم أن المسألة مسألة وقت ليس إلا (1)، فطبيعة المجتمع الكوفي في تلك الحقبة كانت تحتم عليه التأنى بعض الوقت، فالأشراف الذين شاركوا في قتل الإمام الحسين (عليه السلام) من العناصر البارزة في المجتمع بل إن بعضهم كان زعيماً لقومه فحين خرج بعض أهل الكوفة على المختار قالوا نجتمع في منزل شيخنا يقصدون شيبث بن ربعي (2)، وهو أحد قادة الجيش الذي قاتل الإمام الحسين (عليه السلام)، وسبق أن تطرقنا إلى قول المهلب بن أبي صفرة - قائد جيش مصعب بن الزبير لقتال المختار يوم المذار وحروراء - إلى محمد بن الأشعث؛ «أمثلك يا محمد يأتي بريداً» (3)، فاستصغر على محمد هذا وهو من قتلة آل محمد أن يكون بريداً لمصعب.

ص: 312

- 
- 1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 52؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج 6، ص 257-263؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 14.
  - 2- (2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 60.
  - 3- (3) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 97؛ وينظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 131؛ الأردكاني، ثورة المختار، ص 503.



فضلاً عن أن المجتمع الكوفي آنذاك كان منقسماً بين مؤيد لثورة المختار ومعارض لها ومحايدين لا يميل لأحد الطرفين، وهذا التقسيم انعكس بدوره على أفراد القبيلة في موقفهم من ثورة المختار، ويمكننا أن نضرب عدة أمثلة على ذلك، فنجد المختار حذراً في مواضع كثيرة مراعيًا خصوصية مجتمع الكوفة، فلما أبلغه أحد الموالى أن شيبث بن ربعي يوم السبيع قتل أسيراً لأنه مولى وأطلق سراح الآخر كونه عربي، كان ردّ المختار حاسماً «أسكت فليس هذا بمكان الحديث»<sup>(1)</sup>، وكذلك تعمد المختار في المعركة ذاتها إرسال إبراهيم بن الأشتر إلى قبائل مضر ولم يبعثه إلى قومه من أهل اليمن فأستحسن ذلك أبو مخنف فقال: «فنظر المختار، وكان ذا رأي، فكره أن يسير إلى قومه فلا يبالغ في قتالهم، فقال: سر إلى مضر»<sup>(2)</sup>، وكانت العصبية القبلية لها أثر واسع في مجتمع الكوفة، ويدل على ذلك قول عبد الله بن قراد الخثعمي أحد قادة المختار في واقعة جبانة السبيع: «والله إنى لأحب أن يظهر المختار، ووالله إنى لكاره أن يهلك أشرف عشيرتى اليوم، والله لأن أموت أحب إلى من أن يحل بهم الهلاك على يدى، ولكن قفوا قليلاً»<sup>(3)</sup>، فانتظر عسى أن يقوم غيره بقتالهم، وعلى الرغم من أن موقف شباب مع المختار لكنهم قالوا لبعضهم البعض يوم السبيع لو جعلتم جدكم على ربيعة ومضر وليس على أبناء جلدتكم، ولم يغير

ص: 313

1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 47.

2- (2) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 360؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 62.

3- (3) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 362؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 63؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص

موقفهم هذا إلا بعد أن استشهد قائدهم بقول الله تعالى: (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) 1,2 ، وحين جرى بأسرى السبي أخذ أحد أصحاب المختار بإخلاء سبيل العرب منهم، فأثار ذلك حفيظة الموالى فتلافى المختار الموقف وأطلق من تبقى من الأسرى (1).

ولا نريد الإسهاب في هذا الأمر كي لا نخرج من صلب الموضوع فالشواهد كثيرة على تداخل المواقف وتناقضها في بعض الأحيان في المجتمع الكوفي، فأغلب الكوفيين كان هواهم مع أهل البيت ومتعاطفون بشكل كبير مع مظلوميتهم، وعانوا بسبب ذلك الولايات على مر العصور فكانت الكوفة مؤهلة لمساندة ثورة المختار وغيرها على الرغم من تلك المواقف المتناقضة، ولو لم تكن كذلك لما ترك الإمام علي (عليه السلام) كافة أمصار الدولة ومدينة رسول الله وحاضرة الدولة في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان فجعل الكوفة عاصمة لدولته المترامية الأطراف، وكان جل جيشه يوم الجمل وصفين والنهران من أهل الكوفة، فقد خاطبهم يوم الجمل قائلاً: «مرحباً بأهل الكوفة، بيوتات العرب ووجوهها، وأهل الفضل وفرسانها، وأشد العرب مودة لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ولأهل بيته» (2) وصالح الإمام الحسن (عليه السلام) معاوية بن أبي سفيان وزهد في الخلافة من أجل الحفاظ

ص:314

1- (3) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 65.

2- (4) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج 1، ج 2، ص 356.

على دماء شيعته في الكوفة خاصة وفي غيرها من البلدان عامة، ورفض الإمام الحسين (عليه السلام) التوجه للقيام بنهضته إلى غير الكوفة، وحارب سليمان ابن صرد الخزاعي جيش الشام بالتوابين ولم يكن معه غير أهل الكوفة، ونهض المختار بهم، وحين أعلن زيد بن علي ثورته توجه للكوفة ولم يكن خلافه مع الأمويين فيها ولم يكن هو من ساكنيها(1).

وجاءت الأمور أسرع مما أراده المختار وكأن هناك إرادة إلهية أرادت التعجيل بتنفيذ القصاص من أولئك القتلة، فقد بعث المختار جيشه لقتال عبيد الله بن زياد وأهل الشام الذين تقدمت جيوشهم إلى الموصل وهي تنوى التوجه إلى الكوفة، فاستغل أشرف الكوفة وقتلة الحسين والمرتبطنون بنبي أمية وآل الزبير الموقف وأعلنوا تمردهم بهدف القضاء نهائياً على تلك الدولة الفتية، ولا يحتاج الأمر للكثير من التدقيق والتمحيص في معرفة نوايا المتمردين وهدف جيش الشام، ويمكن أن نكتفي بمعرفة قائد جيش الشام وقادة المتمردين في الكوفة ففي جبهة الشام كان قائد الجيش عبيد الله بن زياد والى الكوفة السابق الذي ولغ بدماء آل محمد، وقادة التمرد في الكوفة شمر بن ذي الجوشن وشبث ابن ربعي ومحمد بن الأشعث وغيرهم ممن كانوا أشد الناس على الإمام الحسين وأهل بيته (عليهم السلام)، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا عمر بن سعد قائد

ص:315

---

1- (1) - للتفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 7، ص 109-117، 122-128؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص 438-422؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 13، ص 99؛ المقدم، عبد الرزاق الموسوي، زيد الشهيد ابن الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، المكتبة الحيدرية، قم، 1427 هـ -، ص 142-153.

جيش بن زياد يوم الطف فهو لم يشترك معهم والذي سنتطرق إلى موقفه فيما بعد، لكن المختار استطاع أن يقضى على ذلك التمرد وبوقت محدود، من خلال ما عرف عنه من حنكة سياسية وتجارب في الحروب ففي الوقت الذيفاوض المتمردين لكسب الوقت، أصدر أمره على وجه السرعة بعودة ابن الأشتر وجيشه للكوفة، فنفذ الأخير أمره وعاد للكوفة، وتغيرت موازين القوى على المتمردين وحلت بهم هزيمة منكرة قتل فيها من قتل وأسر الكثير منهم وهرب الآخرون وعلى الرغم من أن الكوفة كلها كانت مسرحاً للمعارك إلا أن تلك الواقعة سميت بجبانة السبيع لوقوع أشد المعارك فيها وأشرسها فكانت تلك الواقعة في ذى الحجة من سنة ست وستين للهجرة(1).

### تنفيذ القصاص بقتلة الإمام الحسين (عليه السلام)

ذكرت بعض المصادر التاريخية أن وقعة جبانة السبيع سنة ست وستين للهجرة(2) كانت السبب المباشر لبداية قيام المختار بتنفيذ القصاص من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) وذلك لقول المختار حين جىء له بخمسمائة من

ص:316

---

1- (1) - للتفاصيل ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 398-404؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 60-69؛ ابن أعمش الكوفي، كتاب الفتوح، ج 6، ص 262-264؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 6، ص 57-58؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 654-658؛ النويري، نهاية الأرب، ج 21، ص 12-16؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 17-19؛ محمد، حركة المختار، ص 87-90.

2- (2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 69؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 116؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 19.

أسرى تلك المعركة: «أعرضوهم على وانظروا كل من شهد منهم قتل الحسين فاعلموني به، فأخذوا لا يمرون عليه برجل قد شهد قتل الحسين إلا قيل له، هذا ممن شهد قتله، فيقدمه فيضرب عنقه، حتى قتل منهم قبل أن يخرج مائتين وثمانية وأربعين قتيلاً» (1)، ثم نادى منادى المختار «من أغلق بابه فهو آمن إلا رجلاً من شرك في دماء آل محمد (صلى الله عليه واله وسلم)» (2).

وذكر الطبري (3) في تاريخه بسنده عن أبي مخنف قول المختار بعد وقعة السبي: «ما من ديننا ترك قوم قتلوا الحسين يمشون أحياء في الدنيا آمنين! بس ناصر آل محمد أنا إذا في الدنيا، أنا إذا الكذاب كما سموني، فإني بالله أستعين عليهم، الحمد لله الذي جعلني سيفاً ضربهم به، ورمحاً طعنهم به، وطالب وترهم، والقائم بحقهم، أنه كان حقاً على الله أن يقتل من قتلهم، وأن يذل من جهل حقهم، فسموهم لي، ثم اتبعوهم حتى تقنوهم»، وفي رواية أخرى أنه قال «أطلبوا لي قتلة الحسين، فإنه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أظهر الأرض منهم، وأنتقى المصر منهم» (4)، وجاء في كتاب الفتوح (5) أن أصحاب المختار أخذوا يفتشون الدور بعد وقعة السبي ويخرجون «القوم إلى

ص: 317

- 
- 1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 65؛ ابن كثير البداية والنهاية، ج 12، ص 19.
  - 2- (2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 65؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 657-658.
  - 3- (3) تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 69؛ وينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 405؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 116-117.
  - 4- (4) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 69.
  - 5- (5) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج 6، ص 263.

المختار مكتفين، فكان المختار كلما قدم إليه رجل يسأل عنه، فإذا كان ممن قاتل الحسين بن علي رضي الله عنه وشهد عليه بذلك أمر به فضربت عنقه صبراً، وإن كان من قتلة الحسين أمر به فقطعت يده، ومنهم من يقطع يده ورجله، ومنهم من يأمر به فيكبل بالحديد ويلقى في السجن».

ويبدو من خلال الروايات المتقدمة أن وقعة جبانة السبيح كانت البداية الحقيقية لتثبيت أركان دولة المختار، فبعد مرور عدة أشهر على قيام ثورته حاول المختار من خلالها وكما أسلفنا تثبيت أركان دولته وإرسال ولاته إلى الأمصار والمدن فضلاً عن موقفه المتذبذب مع آل الزبير الذي حاول المختار فيه جاهداً محاباتهم وتجنب الاصطدام معهم مؤقتاً على أقل تقدير، فهو منذ وثوبه بالكوفة يوجس خيفة من أن يهاجمه أهل البصرة والشام في وقت واحد، فتظاهر بموادعة ابن الزبير(1).

لقد عرف المختار هذه المخاطر التي تواجهه في الكوفة أو خارجها، كذلك فقد كان أعداء المختار من أشرف الكوفة يعرفون أن المختار كان حذراً جداً في تعامله الخارجي أو الداخلي، لذلك عولوا على هذه الظروف في القضاء على المختار ودولته دون الحاجة للتمرد عليه لكن المتمردين أمثال شبث بن ربعي ومحمد بن الأشعث وشمر بن ذي الجوشن رفضوا ذلك وقرروا أن يهاجموه في ما عرف بوقعة جبانة السبيح التي سبقت الإشارة إليها(2).

ص:318

1- (1) - عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي، ج 2، ص 123.

2- (2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 61؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 658-659؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 33.

ويبدو أن المختار بعد تلك المعركة وجد نفسه من القوة ما يمكنه من القيام بالقصاص من هؤلاء القتلة، وأصبح المجتمع الكوفي أكثر تهيوءاً في ظل تلك الظروف للقيام بذلك، وانتصار المختار في تلك الوقعة عزز ثقة الكوفيين به وبقدراته العسكرية لاسيما حين عاد إبراهيم بهذه السرعة للكوفة وربما وصل الأمر ببعضهم أن يعتقد أن المختار هو من أوهم المتمردين بأنه بقى وحيداً في الكوفة من أجل أن يغريهم بالكشف عن نواياهم الحقيقية لكي يكون ذلك مسوغاً له لقتالهم وأن الأمر لا يعدو كونه فخاً نصبه المختار لقتلة الإمام الحسين (عليه السلام) فوقعوا فيه.

وأشارت المصادر التاريخية إلى قيام المختار بالقصاص من قتلة الإمام الحسين فمنهم من أسهب في تفصيله في حين أوجز البعض الآخر ذلك، لكن أغلب المؤرخين ركزوا على قيام المختار بقتل الأشخاص الذين لعبوا دوراً بارزاً في قتال الإمام (عليه السلام) أمثال عبيد الله بن زياد والى الكوفة السابق، وعمر بن سعد بن أبي وقاص قائد الجيش الذي قاتل الإمام الحسين (عليه السلام) وشمر بن ذى الجوشن الذي حز رأسه الشريف، وغيرهم من أمثال هؤلاء المجرمين، ويمكن أن نوجز قيام المختار بتلك الخطوة بالآتي:

كان أول إجراء أتخذه المختار في تنفيذ القصاص بقتلة الإمام الحسين (عليه السلام) هو حين جىء له بأسرى وقعة جبانة السبيع فقتل منهم كل من شهد منهم قتل الإمام الحسين (عليه السلام) فكانوا مائتين وثمانية وأربعين قتيلاً من خمسمائة أسير<sup>(1)</sup>، في حين أطلق سراح الباقين بعد أن اخذ الموائيق

ص:319

---

1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 65؛ ابن كثير البداية والنهاية، ج 12، ص 19؛

عليهم أن لا ينصروا عليه عدواً، ولا يبيغوه ولا أصحابه غائلة(1).

لكن هذا العدد الذى قتل من الأسرى لم يكن العدد الوحيد، فقد سبق وأن قتل فى تلك المعركة أكثر من سبع مائة وثمانين قتيلاً من قبائل اليمن وأصيب بضعة عشر من قبائل مضر(2)، ومن البديهي أن يكون اغلب هؤلاء القتلى ممن أشاركوا بدم الإمام الحسين (عليه السلام) فهم كانوا بإمرة وقيادة شمر بن ذى الجوشن وشبث بن ربعى ومحمد بن الأشعث وغيرهم من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام).

### قتل قادة الجيش الذى قاتل الإمام الحسين (عليه السلام)

يُعد شمر بن ذى الجوشن من أهم الشخصيات فى الجيش الذى أرسله عبيد الله بن زياد لقتال الإمام الحسين (عليه السلام)، لعب دوراً قبيحاً فى واقعة الطف وكان من أشد المحرضين على قتال الإمام (عليه السلام) وأهل بيته، فتذكر الروايات التاريخية أن شمراً كان من بين الذين هربوا بعد معركة جبانة السبيح فبعث المختار غلاماً له فى أثره لكنه أستطاع أن يقتله، ثم استقر فى قرية يقال لها الكلتانية(3) على شاطئ نهر وإلى جنب أحد التلول، ومنها

ص:320

- 
- 1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 65؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 657؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 33.
  - 2- (2) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 68-69؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 19.
  - 3- (3) وهى قرية بين السوس والصيمرة، ويظهر أنها فى الطريق بين الكوفة والبصرة، قتل فيها الشمر بن ذى الجوشن ينظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج 4، ص 476.



بعث بكتاب عنونه للأمير مصعب بن الزبير من شمر بن ذى الجوشن، بيد أحد علوج القرية، فوقع الكتاب في يد أصحاب كيسان أبي عمرة الذى كان بعثه المختار فى مسلحة بين الكوفة والبصرة، فلم يبعد مكان شمر عنهم سوى ثلاثة فراسخ، فساروا إليه ليلاً حتى ظفروا به وتمكنوا من قتله، فكان الذى قتله عبد الرحمن بن عبيد أبى الكنود(1).

وأورد الدينورى مقتل شمر بصيغة أخرى فذكر: أن المختار بعث أكثر من مائة فارس على الخيل العتاق بقيادة أحد الموالى إلا أنهم أخفقوا فى قتله(2)، لكن أحمر بن شميظ أحد قادة المختار أرسل إليه خمسين فارساً إلى مخبئه فى المذار بين واسط والبصرة فقتلوه هو ومن معه(3).

ويبدو أن رواية أبى مخنف أقرب للواقع من رواية الدينورى التى صورت الشمر بطلاً استطاع أن يتغلب على مئة فارس على الخيل العتاق، وكذلك جعلت منه ذا أنفة من أن يأتى البصرة فيشمتوا به، فضلاً عن أن روايات أبى مخنف فى هذا الشأن مستقاة فى أغلب الأحيان من أهل الكوفة التى هى مسرح تلك الأحداث.

ص: 321

---

1- (1) - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 366-368؛ البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 407؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 66-67؛ ابن أعمم الكوفى، كتاب الفتوح، ج 6، ص 265-267؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 658-659؛ النويرى، نهاية الأرب، ج 21، ص 14-15؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 20-21؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 33؛ ماجد، التاريخ السياسى، ج 2، ص 122.

2- (2) الأخبار الطوال، ص 276.

3- (3) الدينورى، الأخبار الطوال، ص 279.

وروى النويري(1) مقتل شمر بن ذى الجوشن قال: «والذى قتله عبد الرحمن بن أبي الكنود، وألقى جيفته للكلاب»، بينما قال ابن خلدون(2): «فقتله وألقى شلوه(3) للكلاب».

واستطاع المختار أن يقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص قائد جيش عبيد الله بن زياد الذى رمى أول سهم تجاه معسكر الحسين وقال: «أشهدوا لى عند الأمير عبيد الله بن زياد أنى أول من رمى بسهم إلى عسكر الحسين بن على»(4)، ومن الملاحظ أن عمر بن سعد لم يشترك فى وقعة جبانة السبيع مع متمردي الكوفة، وأنه أستطاع أن يحصل على أمان من المختار فى بداية نشوء دولته والذى أخذ الأمان له هو عبد الله بن جعده بن هبيرة(5) الذى وصفه أبو مخنف(6) بأنه «أكرم خلق الله على المختار لقربته بعلى».

ص:322

- 
- 1- (1) - نهاية الأرب، ج 21، ص 15.
  - 2- (2) تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 33.
  - 3- (3) الشلو: بقية الشى، والشلو من الحيوان جلده وجسده. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 2، ص 2082.
  - 4- (4) - ابن أعثم الكوفى، كتاب الفتوح، ج 5، ص 100-101؛ المفيد، الإرشاد، ص 225؛ ابن طاووس، اللهوف فى قتلى الطفوف، ص 63.
  - 5- (5) - هو عبد الله بن جعدة بن هبيرة المخزومى، أمه أم الحسن أخت الإمام على (عليه السلام)، فتح العديد من مدن خراسان، كان له مكانة خاصة عند المختار لقربته من الإمام على (عليه السلام) وهو من أخذ الأمان لعمر بن سعد. ينظر: الشاهرودى، مستدركات علم الرجال، ج 4، ص 499.
  - 6- (6) مقتل الحسين، ص 375؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 71؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 118؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 662.

وأورد بعض المؤرخين(1) نص الأمان الذى كتبه المختار وهو: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا أمان من المختار بن أبى عبيد، لعمر بن سعد بن أبى وقاص. إنك آمن بأمان الله على نفسك ومالك، وأهلك وأهل بيتك وولدك، لا تُؤاخذ بحدث كان منك قديماً، ما سمعت وأطعت ولزمت رحلك وأهلك ومصرک. فمن لقي عمر بن سعد من شرطة الله وشيعة آل محمد ومن غيرهم من الناس، فلا يعرض له إلا بخير. شهد السائب بن مالك، وأحمر بن شميطة، وعبد الله بن شداد، وعبد الله بن كامل، وجعل المختار على نفسه عهد الله وميثاقه ليفين لعمر بن سعد بما أعطاه من الأمان إلا أن يحدث حدثاً، وأشهد الله على نفسه وكفى بالله شهيداً».

لكن الأمور الواردة فى هذا النص فيها مبالغات كثيرة، ومن الملاحظ عليه أن تلك المبالغة فى صياغته لصالح عمر بن سعد وكأنه فى موقف من القوة فرضت أن تكون صياغة الكتاب بهذا الشكل، وربما تفسير ذلك أن المختار وكما أشرنا سابقاً حاول فى بداية تأسيس دولته وتثبيت أركانها مهادنة أشرف الكوفة وزعمائها حتى يتسنى الوقت الملائم له.

أما كيفية قتل عمر بن سعد فقد اختلف المؤرخون فيه فنقل بعضهم(2) عن أبى مخنف أن الذى «هيج المختار على قتل عمر بن سعد، أن يزيد بن

ص:323

- 
- 1- (1) - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 375؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 71-72؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 118-119؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 34.
  - 2- (2) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 72-73؛ الازدى، تاريخ الموصل، ج 1، ص 111؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 662-663؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 34.

شراحيل الأنصارى(1) أتى محمد ابن الحنفية فسلم عليه، فجرى الحديث، إلى أن تذاكروا المختار وخروجه وما يدعو إليه من الطلب بدماء أهل البيت، فقال محمد ابن الحنفية: على أهون رسله، يزعم أنه لنا شيعة وقتلة الحسين جلساؤه على الكراسى يحدثونه. قال: فوعاها الآخر منه، فلما قدم الكوفة أتاه فسلم عليه؛ فسأله المختار: هل لقيت المهدي؟ فقال له: نعم. فقال: ما قال لك وما ذاكرك؟ قال: فخبيره الخير. قال: فما لبث المختار عمر بن سعد وأبنة أن قتلتهما، ثم بعث برأسيهما إلى ابن الحنفية».

ويتبين مما تقدم أن المختار كان على اتصال مع محمد ابن الحنفية سواء بشكل مباشر أم غير مباشر، وأن المختار كان حريصاً على معرفة ما يجول بخاطر ابن الحنفية وعمما يرغب به، وربما هناك اتصالات بالطريقة نفسها مع الإمام زين العابدين (عليه السلام) لكن الوضع السياسي الموجود آنذاك لا يسمح بالتصريح بتلك الأمور لما يتبع ذلك من مخاطر في ظل دولة بني أمية وآل الزبير.

أما في كيفية قيام المختار بنقض الأمان الذي أعطاه لعمر بن سعد فقد ذكرت بعض المصادر التاريخية أن المختار أستخدم ذكاءه وحنكته السياسية في

ص:324

---

1- (1) - هو يزيد بن شراحيل الأنصارى أحد شهود الإمام على (عليه السلام) حين قدم الكوفة فنشد الناس من سمع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول: من كنت مولاه فعلى مولاه، فانتدب له بضعة عشر رجلاً منهم يزيد بن شراحيل الأنصارى فشهدوا بذلك. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج 2، ص 266؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج 2، ص 504؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج 7، ص 101.

ذلك، فذكر الطبري(1) في تاريخه بسنده عن أبي مخنف أن المختار قال وهو يحدث جلساءه يوماً: «لأقتلن غداً رجلاً عظيماً القدمين، غائر العينين، مُشرف الحاجبين، يسرّ مقتله المؤمنين والملائكة المقربين»، وكان المختار يعلم أن هناك من يوصل ذلك لعمر بن سعد، فكان الهيثم بن الأسود النخعي عند المختار فسمع هذه المقالة، وما أن عاد إلى بيته حتى بعث ابنه إلى عمر بن سعد يخبره بما سمع وأنه هو المعنى في تهديد المختار، وعلى أثر ذلك خرج عمر بن سعد من بيته إلى حمام له في الكوفة، وبعد ذلك أخبر أحد مواليه بذلك فأجابه المولى: «وأى حدث أعظم مما صنعت! أنك تركت رحلك وأهلك وأقبلت إلى ها هنا، ارجع إلى رحلك، ولا تجعلن للرجل عليك سيلاً، فرجع إلى منزله»(2)، وبعد أن تحرر المختار من ذلك الأمان بعث أبو عمرة إليه فقتله، وجاء برأسه في أسفل خبائه، حتى وضعه بين يدي المختار، وكان ابنه حفص عند المختار فقال له: «أتعرف هذا الرأس؟ فاسترجع وقال: نعم، ولا خير في العيش بعده، قال له المختار: صدقت، فإنك لا تعيش بعده. فأمر به فقتل»(3)، ثم قال المختار: «هذا بحسين، وهذا بعلي بن حسين، ولا سواء، والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملةً من أنامله»(4)، ويبدو أن

ص: 325

- 
- 1- (1) - تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 71؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 662.
  - 2- (2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 72.
  - 3- (3) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص 376؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 72؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 662-663.
  - 4- (4) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 72؛ الأزدي، تاريخ الموصل، ج 1، ص 111؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 120؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 53؛ ابن الأثير،

حفص بن عمر بن سعد من الذين شاركوا في قتال الإمام الحسين (عليه السلام) مع والده(1)، فضلاً عن أن بعض المصادر أشارت إلى وجود عقب له بالكوفة أخذ البعض الحديث عنه(2)، وعدّ ابن حجر العسقلاني(3) أبا بكر بن حفص بن عمر بن سعد من وسط التابعين، مما يدل على أنه لم يكن صغير السن في واقعة الطف، فمن الطبيعي أنه شارك والده في قتال الإمام (عليه السلام)، وأما قول المختار لو قتلت ثلاثة أرباع قريش....، يوضح تحامله عليها بسبب موقفها من آل محمد منذ وفاة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) حتى يومه فقد عاصر تلك المواقف وشهدها بنفسه وأن ما آل إليه مصير بيت النبوة كانت قريش سبباً مباشراً به وعاملاً مهماً في انتصار بني أمية وغضبهم لحق آل محمد.

وذكر بعض المؤرخين(4) رواية أخرى تختلف عما ذكر في مقتل عمر بن

ص:326

1- (1) - روى أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) التقى بعمر بن سعد في إحدى الليالي التي سبقت يوم عاشوراء بين المعسكرين فخرج كل منهما في عشرين فارساً، وأمر الإمام من معه أن يتأخر إلا الإمام العباس وعلي بن الحسين (عليهما السلام)، وفعل عمر بن سعد ذلك فلم يبق معه إلا أبنه حفص وغلّامه. ينظر: المقدم، مقتل الحسين، ص 211.

2- (2) الزيعلي، جمال الدين (ت: 762 هـ - 1360 م)، نصب الراية تخريج أحاديث الهداية، اعتنى به: أيمن صالح شعبان، دار الحديث، القاهرة، 1995 م، ج 6، ص 63-64؛ وينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 33، ص 7؛ المزى، تهذيب الكمال، ج 2، ص 15.

3- (3) الإصابة في تمييز الصحابة، ج 7، ص 43-44.

4- (4) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص 228-229؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 4، ص 383-384.

سعد جاء فيها: «أن المختار بن أبي عبيد كتب إلى عبد الله بن الزبير من الكوفة، وقال لرسوله: إذا جئت مكة فدفعت كتابي إلى عبد الله بن الزبير، فأنت المهدي محمد بن علي، وهو ابن الحنفية، فأقرأ عليه مني السلام، وقل له: يقول لك أخوك أبو إسحاق: إني أحبك، وأحب أهل بيتك، قال: فأتاه الرسول فقال له ذلك. قال: كذبت، وكذب أبو إسحاق معك، كيف يحبني ويحب أهل بيتي، وهو يجلس عمر بن سعد بن أبي وقاص علي وسائده وقد قتل الحسين بن علي أخى قال: فلما قدم عليه رسوله أخبره بما قال محمد بن علي. فقال المختار لأبي عمرو صاحب حرسه: استأجر لى نوائح يبكين الحسين علي باب عمر بن سعد بن أبي وقاص. قال: ففعل، فلما جئن يبكين الحسين، قال عمر لابنه حفص: يا بني أنت الأمير، فقل له: ما شأن النوائح يبكين الحسين علي بابي؟ قال: فأتاه فقال له ذلك، فقال له: إنه أهل أن يبكي عليه، فقال: أصلحك الله، انهن عن ذلك. قال: نعم. ثم دعا أبا عمرو، فقال: أذهب إلى عمر بن سعد فأنتى برأسه، قال: فأتاه، فقال: قم إلى أبا حفص، فقام إليه وهو ملتحف، فجلله بالسيف، ثم جاء برأسه إلى المختار، وحفص جالس عنده على الكرسي، فقال: هل تعرف هذا الرأس؟ قال: نعم، رحمة الله عليه، قال: أتحب أن ألحقك به؟ قال: وما خير الحياة بعده. قال: فضرب رأسه وقتله».

وهذه الرواية عليها الكثير من المآخذ منها مخاطبة المختار لمحمد ابن الحنفية بالمهدي تارة وأخرى يقول لك أخوك - حسب ما أوردها ابن قتيبة - في حين

لم نجد المختار فى أى من كتبه ومراسلاته يخاطب محمد ابن الحنفية بهذا الأسلوب، فضلاً عن كلمة أخوك كنى نفسه أبو إسحاق وهو بذلك جعل نفسه مساوياً له فى أقل تقدير، وجعلت رسول المختار فى الأصل متوجهاً إلى عبد الله بن الزبير ومن بعد ذلك يتوجه إلى محمد ابن الحنفية بينما حرص المختار دائماً على توثيق صلاته بمحمد ابن الحنفية لا بعدد الله بن الزبير، كذلك لا نجد هناك مبرراً لكلام المختار على لسان رسوله إنى أحبك، وأحب أهل بيتك، وزيادة على ذلك لا نجد مبرراً لقول محمد ابن الحنفية لرسول المختار كذبت وكذب أبو إسحاق معك، فإذا كان المختار كاذباً فما ذنب رسوله الذى لم يقيم سوى إبلاغ ما كلف به من قبل المختار، ورواية ابن قتيبة لم تتطرق إلى أمان المختار الذى أعطاه لعمر بن سعد والذى أشارت إليه أغلب المصادر التاريخية، لكن الرواية ذكرت أن المختار بعث بنساء يبكين على باب عمر بن سعد فربما يكون قد قام بذلك العمل أو شجع عليه بعد أن وصله عدم رضا محمد ابن الحنفية عن سكوت المختار على عمر بن سعد وابنه من أجل استفزاز عمر بن سعد لكى يخرق الأمان الذى أعطى له، وقد يكون تزامن ذلك مع ما ذكرناه من قول المختار سأقتل غداً رجلاً.... مما أدى إلى خروج عمر بن سعد من بيته وخرقه الأمان الذى أعطى له.

أما الدينورى (1) فإنه ذكر رواية ثالثة جاء فيها: «وبلغ المختار أن شبث ابن ربعى، وعمرو بن الحجاج، ومحمد بن الأشعث مع عمر بن سعد قد

ص: 328



أخذوا طريق البصرة في أناس معهم من أشرف أهل الكوفة، فأرسل في طلبهم رجلاً من خاصته يسمى "أبا القلوص الشبامي" في جريدة خيل، فلحقهم بناحية المذار، فواقعه، وقاتلوه ساعة، ثم انهزموا ووقع في يده عمر ابن سعد ونجا الباقر، فأتى به المختار، فقال: الحمد لله الذي أمكن منك، والله لأشفين قلوب آل محمد بسفك دمك، يا كيسان أضرب عنقه، فضرب عنقه، وأخذ رأسه فبعث به إلى المدينة، إلى محمد ابن الحنفية»

ويتبين من رواية الدينوري أن هروب من ذكرهم جاء بعد وقعة جبانة السبيع ولم تشر المصادر التاريخية إلى اشتراك عمر بن سعد في تلك الوقعة، وأغفلت الرواية أمان عمر بن سعد في حين ذكرته أغلب المصادر التاريخية، وفضلاً عن انفراد الدينوري بروايته هذه وعدم تطرقه إلى حفص بن عمر بن سعد الذي قتل مع أبيه، فيبدو أن الرواية تقتصر إلى الدقة وأن أدق الروايات في مقتل عمر بن سعد هي الرواية الأولى التي ذكرها أبو مخنف وغيره من المؤرخين.

وروى ابن طاووس<sup>(1)</sup> أن عمر بن سعد سلب درع الإمام الحسين (عليه السلام) المسمى البتراء فلما قُتل وهب المختار ذلك الدرع لأبي عمرة قاتل عمر بن سعد بن أبي وقاص.

ثم بعث برأسيهما إلى محمد ابن الحنفية ووجه أيضاً مع الرأسين ثلاثين ألف دينار وكتب إليه: «بسم الله الرحمن الرحيم. للمهدى محمد بن علي،

ص: 329

من المختار بن أبي عبيد سلام عليك يا أيها المهدي؛ فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد؛ فإن الله بعثني نقمة على أعدائكم، فهم بين قتيل وأسير وطريد وشريد، فالحمد لله الذي قتل قاتليكم ونصر مؤازريكم، وقد بعثت إليك برأس عمر بن سعد وابنه، وقد قتلنا من شرك في دم الحسين وأهل بيته، رحمة الله عليهم، كل من قدرنا عليه ولن يعجز الله من بقى؛ ولست بُمُنْجَم عنهم، حتى لا يبلغني أن على أديم الأرض منهم أرمياً. فاكتب إلى أيها المهدي برأيك أتبعه وأكون عليه والسلام عليك أيها المهدي ورحمة الله وبركاته» (1).

بين المختار في كتابه هذا كيف أن قتل عمر بن سعد وابنه جاء تنفيذاً لكلام محمد ابن الحنفية حين بلغه قوله إنَّ قتلة الحسين يجلسون عنده على الوسائد، وأظهر الكتاب وبشكل جلي سياسة المختار مع قتلة الحسين (عليه السلام) فوصفهم له بأنهم بين قتيل وأسير وطريد وشريد، وأنه لم يهدأ له بال ولا يغمض له جفن حتى يأتي على آخرهم.

وذكر ابن أعثم الكوفي (2) موقف محمد ابن الحنفية حين وصل رأس عمر بن سعد وابنه حفص فقال: «فلما وُضِعَ الرأسان بين يديه وقرأ الكتاب حول وجهه إلى القبلة وخر ساجداً، ثم رفع رأسه وبسط كفيه وقال: اللهم لا تنس هذا اليوم للمختار!، اللهم واجز به عن أهل بيت نبيك محمد (صلى

ص: 330

---

1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 73؛ ابن أعثم الكوفي، مقتل الحسين، ص 248؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 120.

2- (2) مقتل الحسين، ص 249.

الله عليه واله وسلم) خير الجزاء! فوالله ما على المختار بعد هذا من عتب! قال: ثم أخذ ذلك المال ففرق منه في مكة ما فرق، ووجهه بالباقي إلى المدينة ففرق في أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وغيرهم من أولاد المهاجرين والأنصار»

ومن أعمال المختار الجليلة في قضية الثأر هي قيامه بإرسال جيش عمرم بقيادة إبراهيم بن الأشتر لقتال جيش الشام الذي كان على رأسه عبيد الله بن زياد والأخير تنافس مع يزيد بن معاوية أبي سفيان على أيهما المسؤول الأول في قتل الإمام وأهل بيته (عليهم السلام)، ولخص إبراهيم الأشتر جرائم عبيد الله بن زياد عندما حث جيشه على قتال أهل الشام فقال: «يا أنصار الدين، وشيعة الحق، وشرطة الله؛ هذا عبيد الله ابن مرجانه قاتل الحسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله، حال بينه وبين بناته ونسائه وشيعته، وبين ماء الفرات، أن يشربوا منه، وهم ينظرون إليه، ومنعه أن يأتي ابن عمه فيصلحه (1)، ومنعه أن ينصرف إلى رحله وأهله، ومنعه الذهاب في الأرض العريضة حتى قتله وقتل أهل بيته! فوالله ما عمل فرعون بنجباء بنى

ص: 331

---

1- (1) - وقد نقل الطبري بسنده عن أبي مخنف زيف وبطلان هذا القول فذكر: ((عن عقبة بن سمعان - مولى الرباب - صحبت حسيناً فخرجت معه من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى العراق، ولم أفارقه حتى قُتل، وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا في الطريق بالعراق ولا في عسكرٍ إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها، ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس ويزعمون؛ من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية، ولا أن يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين، ولكنه قال: دعوني فلاذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس)). ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 279.

إسرائيل ما عمل ابن مرجانة بأهل بيت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) الذين أذهب الله عنه الرجس وطهرهم تطهيراً قد جاءكم الله به، وجاءه بكم، فوالله إنى لأرجوا أن لا يكون الله جمع بينكم فى هذا الموطن وبينه إلا ليشفى صدوركم بسفك دمه على أيديكم، فقد علم الله أنكم خرجتم غضباً لأهل بيت نبيكم». (1)

ولا- خلاف أن عبيد الله بن زياد يتحمل الوزر الأعظم فى قتل الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته، وجرت عدة محاولات لقتله بعد موت يزيد حيث أضطره أهل البصرة على أن يترك داره ويخرج متخفياً لبلاد الشام (2)، وحاول التوابون قتله فى معركة عين الوردية (سنة 65 هـ) - إلا أنهم لم يفلحوا فى ذلك، وأرسل المختار يزيد بن أنس فى جيش قوامه أكثر من ثلاثة آلاف فارس إلا أنه كذلك لم يوفق فى قتله. فاستدعى المختار إبراهيم بن الأشتر وكان على ثقة تامة بأنه سيقتل عبيد الله بن زياد فقد قال له حين بعثه إليه: «أيها الرجل، إنما هو أنا وأنت، فسر إليهم، فوالله لتقتلن الفاسق عبيد الله بن زياد، أو لتقتلن الحُصين بن نمير، وليهزم من الله بك ذلك الجيش، أخبرنى بذلك من قرأ الكتاب، وعرف الملاحم» (3)

وجهاز المختار إبراهيم بما يحتاجه، وانتخب له عشرين ألف رجل جلهم

ص: 332

1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 91-92.

2- (2) ينظر: الدينورى، الأخبار الطوال، ص 258-261؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 241-253.

3- (3) الدينورى، الأخبار الطوال، ص 268.

من أبناء فارس، وضم إليه جيش يزيد بن أنس (1)، وأخرج المختار معه من وجوه أصحابه وفرسانهم وذوى البصائر منهم، ممن شهد الحرب وجربها، وشيعه وأوصاه فقال له خذ عني ثلاثاً: خف الله في سر أمرك وعلايته، وعجل السير، وإذا لقيت عدوك فناجزهم ساعة تلقاهم، وإن لقيتهم نهراً فلا تنتظر بهم الليل حتى تحاكمهم إلى الله. ثم قال: هل حفظت ما أوصيتك به؟ قال: صحبتك الله انصرف (2)، ووصية المختار تلك زيادة على أنها تشير إلى حنكة المختار العسكرية توضح أن إبراهيم كان على قناعة بصحتها، وهو ما بينه قول إبراهيم لعمير بن الحباب قبيل الشروع في المعركة بما تشير على أقاتلهم أم أخذق على وأتلوم يومين أو ثلاثة؟، قال عمير بن الحباب: لا تفعل إنا لله! هل يريد القوم إلا هذه؟... قال إبراهيم: الآن علمت إنك لى مناصح؛ صدقت، الرأى ما رأيت. أما إن صاحبي بهذا أوصاني، وبهذا الرأى أمرنى. قال عمير: فلا تعدون رأيه، فإن الشيخ - يقصد المختار - قد ضرسته الحروب، وقاسى منها ما لم تُقاس، أصبح فناهض الرجل (3).

ووقعت معركة الخازر بين جيش الشام بقيادة عبيد الله بن زياد ومن معه من قادة الشام كالحصين بن نمير وشرحبيل بن ذى الكلاع وغيرهم من قادتهم وفرسانهم، وجيش المختار بقيادة إبراهيم بن الأستر، فدارت الدائرة على جيش الشام وقتل قادتهم شرقتلة وغرق من جيشهم أكثر مما قتل، وقال ابن

ص: 333

1- (1) - الدينورى، الأخبار الطوال، ص 268-269.

2- (2) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 87.

3- (3) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 90؛ الازدى، تاريخ الموصل، ج 1، ص 112.

الأشتر قتلت رجلاً وجدت منه رائحة المسك، شرقت يدها وغربت رجلاه، تحت راية منفردة على شاطئ نهر الخازر، فالتمسوه، فإذا هو عبيد الله بن زياد قتيلاً، وأرسل البشارة والرؤوس إلى المختار وهو بالمدائن ينتظر ذلك، وكانت معركة الخازر يوم العاشر من المحرم سنة سبع وستين للهجرة (1).

ولما وصل رأس عبيد الله بن زياد ومعه العديد من رؤوس عتاة قادة جيش الشام بعث بها المختار لبنى هاشم في المدينة المنورة فوصف ذلك ابن سعد (2) بالقول: «... لم يبق من بنى هاشم أحد إلا قام بخطبة في الثناء على المختار والدعاء له وجميل القول فيه».

وذكر اليعقوبي (3) خبر مصرع عبيد الله بن زياد عند آل محمد فقال: «ووجه - أي المختار - برأس عبيد الله بن زياد إلى علي بن الحسين إلى المدينة مع رجل من قومه، وقال له: قف بباب علي بن الحسين، فإذا رأيت أبوابه قد فتحت ودخل الناس، فذاك الوقت الذي يوضع في طعامه، فأدخل إليه، فجاء الرسول إلى باب علي بن الحسين، فلما فتحت أبوابه، ودخل الناس للطعام، نادى بأعلى صوته: يا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الملائكة، ومنزل الوحي! أنا رسول المختار بن أبي عبيد معي رأس عبيد الله بن زياد، فلم تبق في شيء من دور بنى هاشم امرأة إلا صرخت، ودخل الرسول،

ص: 334

---

1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 86-95؛ الأزدى، تاريخ الموصل، ج 1، ص 112-115؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج 1، ص 271.

2- (2) الطبقات، ج 7، ص 101.

3- (3) تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 181.

فأخرج الرأس، فلما رآه علي بن الحسين قال: أبعد الله إلى النار».، وفي رواية أخرى لليعقوبي(1): «وروى بعضهم أن علي بن الحسين لم يُر ضاحكاً يوماً قط، منذ قُتل أبوه، إلا في ذلك اليوم، وأنه كان له إبل تحمل الفاكهة من الشام، فلما أتى برأس عبيد الله بن زياد أمر بتلك الفاكهة، ففرقت في أهل المدينة، وأمتشطت نساء آل الرسول الله، وأختضبن، وما امتشطت امرأة ولا اختضبت منذ قتل الحسين بن علي».

يتضح مما تقدم مدى السعادة التي غمرت آل البيت بمقتل هؤلاء القتلة، أما قيام الإمام زين العابدين (عليه السلام) بتوزيع الفاكهة على أهل المدينة فمن المؤكد هو أمر دأب عليه آل البيت لاسيما الإمام زين العابدين (عليه السلام) لكن يبدو أن هذا الأمر كان علنياً في حين اعتاد الإمام (عليه السلام) على ذلك في السر.

وذكر ابن عبد ربه الأندلسي(2) مقتل عبيد الله بن زياد فقال: «ولما قُتل ابن زياد بعث المختار برأسه إلى علي بن الحسين بالمدينة. قال الرسول: - أي رسول المختار - قدمت به عليه انتصاف النهار وهو يتغدى قال: فلما رآه قال: سبحان الله! ما اغتر بالدنيا إلا من ليس لله في عنقه نعمة! لقد أدخل رأس أبي عبد الله علي ابن زياد وهو يتغدى»، وروت بعض المصادر أنه قال: «لما أتى برأس عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد قال: فخر ساجداً وقال:

ص:335

1- (1) - تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 181.

2- (2) العقد الفريد، ج 4، ص 383.

الحمد لله الذى أدرك لى ثأرى من أعدائى وجزى الله المختار خيراً»(1) ، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: «ما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت. ولا رثى فى دار هاشمى دخان خمس حجج حتى قتل عبيد الله بن زياد لعنه الله». (2)

ومن خلال ما تقدم يمكن القول إن هناك أكثر من إشارة تبين أن هناك صلة بين الإمام زين العابدين (عليه السلام) والمختار على الرغم من عدم التصريح علناً بسبب وضع الإمام وخوف الشيعة عليه من عيون الأمويين من جهة وآل الزبير من جهة أخرى، لكن أمام هذا الحدث العظيم بقتل ابن زياد وما يعنى للإمام (عليه السلام) وبنى هاشم نجد أن المختار يبعث برأس ابن زياد إلى الإمام السجاد (عليه السلام) دون غيره من بنى هاشم على اعتبار أنه ولى الدم.

وذكر البغدادي(3) أن المختار بعث إبراهيم بن الأشتر مع ستة آلاف إلى حرب عبيد الله بن زياد «فلما التقى الجيشان على باب الموصل انهزم جند

ص:336

---

1- (1) - الكشى، رجال الكشى، ص 98؛ الطوسى، اختيار معرفة الرجال، ج 1، ص 341؛ ابن نما الحلى، ذوب النضار، ص 144؛ الأمين، محسن، أصدق الأخبار، ص 91؛ وأعيان الشيعة، ج 1، ص 636؛ البحرانى، العوالم، ص 706؛ البروجردى، على الأصغر، طرائف المقال فى معرفة طبقات الرجال، تحقيق: مهدي الرجائى، مكتبة المرعشى، قم، 1410 هـ -، ص 589؛ مغنیه، محمد جواد، الشيعة فى الميزان، الطبعة الرابعة، دار المعارف، بيروت، 1979 م، ص 105.

2- (2) ( ابن نما الحلى، ذوب النضار، ص 144؛ المجلسى، بحار الأنوار، ج 45، ص 368؛ الأمين، أصدق الأخبار، ص 91؛ وأعيان الشيعة، ج 1، ص 587؛ البحرانى، العوالم، ص 707.

3- (3) الفرق بين الفرق، ص 53.



الشام، وقتل منهم سبعين ألفاً في المعركة، وقتل عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير وأنفذ إبراهيم بن الأشتر برؤوسهم إلى المختار».

وعندما ذكر أبو الفداء(1) مصرع عبيد الله بن زياد قال: «وبعث إبراهيم برأس ابن زياد، وبعده رؤوس معه إلى المختار، وانتقم الله للحسين بالمختار...».

وقال أحد المؤرخين المحدثين(2): «وكان من أثر انتصار المختار على ابن زياد أن ازداد تعلق الشيعة به وألنف حوله الكثير منهم»، ولما كان مقتل عبيد الله بن زياد في العاشر من المحرم سنة سبع وستين فهذا يعني أن الشيعة استمر ولاؤهم للمختار إلى نهاية دولته، وعدّ مؤرخ آخر(3) مقتل عبيد الله بن زياد انتصاراً لأتباع الإمام الحسين عليه السلام وأنّ الشيعة ثارت لنفسها من قتله، ونتيجة القيام بالقصاص من هؤلاء القتلة أصبح المختار سيد الكوفة دون منازع(4).

وبعث المختار معاذ بن هاني بن عدى الكندي وهو ابن أخ حجر بن عدى، وبعث معه أبا عمرة صاحب حرسه لخولي بن يزيد الأصبحي وهو

ص:337

---

1- (1) - مختصر تاريخ البشر، ج 1، ص 271.

2- (2) حسن، تاريخ الإسلام السياسي، ج 1، ص 328.

3- (3) - الهاشمي، عبد المنعم، موسوعة تاريخ العرب العصر الأموي، دار الهلال، بيروت، 2006 م، ص 25.

4- (4) - العشي، يوسف، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءً من فتنة عثمان، دار الفكر، دمشق، 1998 م، ص 197.

صاحب رأس الحسين، وكان اختبأ في بيته فأشارت امرأته - العيوف بنت مالك بن نهار بن عقرب، من حضرموت وكانت تعاديه منذ أن جاءها برأس الحسين - إلى مكانه، فألقى القبض عليه، فقتله، وحرقه بالنار لأهانته الرأس الشريف(1). وموقف هذه المرأة التي دلت على زوجها يشير إلى المواقف المشرفة للنساء في النهضة الحسينية وما بعدها.

كذلك استطاع المختار أن يقتل حرملة بن كاهل الأسدي المتهم بقتل رضيع الحسين (عليه السلام)، وقتل عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب في حجر عمه الحسين (عليه السلام)(2)، ولعب دوراً بارزاً في قتال الإمام الحسين وآل بيته (عليهم السلام) يوم الطف.

وروى بعض المؤرخين(3) أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) سأل المنهال(4) ما فعل حرملة بن كاهل فقال: «تركته حياً بالكوفة، قال: فرجع

ص:338

- 
- 1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 71؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 118؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 661؛ النويري، نهاية الأرب، ج 21، ص 17؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 34.
  - 2- (2) الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص 93-94؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص 74، 77-78.
  - 3- (3) الطوسي، الأمالي، ص 179؛ وينظر: ابن نما الحلبي، ذوب النضار، ص 121-122؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج 3، ص 276؛ الأربلي، كشف الغمة، ج 2، ص 324؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج 46، ص 52؛ الأمين، أصدق الأخبار، ص 70؛ الشاهرودي، مستدرک سفينة البحار، ج 2، ص 275.
  - 4- (4) هو المنهال بن عمرو الأسدي، من أصحاب الأئمة الحسين وعلی بن الحسين والباقر عليهم السلام، حدث عن الإمام السجاد عليه السلام. ينظر: الطوسي، رجال الطوسي، ص 105؛

يديه جميعاً، فقال: اللهم أذقه حر الحديد، اللهم أذقه حر الحديد، اللهم أذقه حر النار. قال المنهال: فقدمت الكوفة، وقد ظهر المختار بن أبي عبيد، وكان لى صديقاً، قال: فكنت فى منزلى أياماً حتى انقطع الناس عنى، وركبت إليه فلقيته خارجاً من داره، فقال: يا منهال، لم تأتينا فى ولايتنا هذه، ولم تهنتنا بها، ولم تشركنا فيها فأعلمته أنى كنت بمكة، وأتى قد جئتك الآن، وسأيرته ونحن نتحدث حتى أتى الكناس، فوقف وقوفاً كأنه ينتظر شيئاً، وقد كان أخبر بمكان حرملة بن كاهلة، فوجه فى طلبه، فلم نلبث أن جاء قوم يركضون وقوم يشتدون حتى قالوا أيها الأمير، البشارة، قد أخذ حرملة بن كاهلة، فما لبث أن جىء به، فلما نظر إليه المختار قال لحرملة: الحمد لله الذى أمكننى منك، ثم قال: الجزار، الجزار، فأتى بجزار، فقال له: اقطع يديه فقطعتا، ثم قال له: اقطع رجله فقطعتا، ثم قال: النار النار. فأتى بنار وقصب فألقى عليه واشتعلت فيه النار. فقلت سبحان الله! فقال لى: يا منهال، إن التسييح لحسن، فقيم سبحت فقلت: أيها الأمير، دخلت فى سفرتى هذه منصرفى من مكة على على بن الحسين عليه السلام فقال لى: يا منهال، ما فعل حرملة بن كاهلة الأسمى؟ فقلت تركته حياً بالكوفة، فرجع يديه جميعاً فقال: اللهم أذقه حر الحديد، اللهم أذقه حر النار. فقال لى المختار: أسمعت على بن الحسين (عليه السلام) يقول هذا؟ فقلت: والله لقد سمعته قال: فنزل عن

دابته وصلّى ركعتين فأطال السجود، ثم قام فركب... فحاذيت داري، فقلت أيها الأمير، إن رأيت أن تشرفني وتكرمني وتنزل عندي وتحرم بطعامي. فقال: يا منهال، تعلمني أن علي بن الحسين دعا بأربع دعوات فأجابته الله على يدي ثم تأمرني أن آكل؟ هذا يوم صوم شكراً لله عز وجل على ما فعلته بتوفيقه».

وتعد جريمة حرمة بن كاهل يوم الطف بقتل رضيع الحسين (عليه السلام) من أفضع الجرائم التي ارتكبت وأخذت مأخذها من آل محمد في ذلك اليوم وما بعده. فعَدَّ المختار استجابة دعاء الأمام السجاد (عليه السلام) على يديه من النعم التي استوجبت صيامه شكراً لله عليها.

وأرسل المختار عبد الله بن كامل صاحب شرطته إلى حكيم بن الطفيل الطائي، وكان رمى الحسين (عليه السلام) بسهم وأصاب سلب الأمام العباس (عليه السلام) فأحضره للقصر، فهرع أهله إلى عدى بن حاتم الطائي وكان شفع المختار له في بعض قومه يوم جبانة السبيح لم يكونوا نطقوا بشيء من أمر الحسين ولا أهل بيته؛ فخاف أصحاب المختار أن يشفع له فيه فقتلوه رمياً بالسهم حتى صار كالقنفذ، فلما دخل على المختار أجلسه إلى جنبه وكلمه في ذلك، فقال المختار له: أو شفاعة في قتلة الحسين يا أبا طريف؟ فقال له: إنه مكذوب عليه، فقال: إذا ندعه لك، فدخل ابن كامل على المختار فقال له: غلبتني والله الشيعة فقتلته(1)..

ص:340

---

1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 74؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 663؛ النويري، نهاية الأرب، ج 21، ص 17؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 34.

وروى أبو مخنف أن هناك مشادة حدثت بين عدى بن حاتم الطائي وعبد الله بن كامل على أثر قول ابن كامل غلبتني والله الشيعة، فقال له عدى: كذبت «ولكن ظننت أن من هو خير منك سيسفَعني فيه، فبادرتني فقتلته، ولم يكن خطر يدفعك مما صنعت»<sup>(1)</sup>.

ويبدو أن عدى بن حاتم الطائي صاحب المواقف المشهودة مع الإمام على (عليه السلام) قد اضطر - إن صححت الرواية - إلى التدخل لسببين: الأول؛ هو اعتقاده بصدق مقولة حكيم بن الطفيل بأنه مكذوب عليه، والسبب الثاني: هو كونه زعيم بنى طى فهرع أهل حكيم بن الطفيل له فاضطروه إلى ذلك. أما كون المختار شفَعه في ذلك لمكانته من الإمام على (عليه السلام) وآل بيت النبوة وربما يعود السبب إلى أن المختار كان يعلم أنه سيتمكن منه في وقت آخر، ويبدو أن الأمور سارت لصالح المختار فقد ذكر أبو مخنف أنه سره مقتله وأن عدى بن حاتم الطائي قام راضياً عن المختار ساخطاً على ابن كامل<sup>(2)</sup>، وبلا ريب أن الله وفق المختار في قيامه بالقبض عليه وقتله وعدم سخط عدى بن حاتم الطائي وخروجه راضياً عنه، ولا يستبعد أن هناك إتفاقاً بين المختار وأتباعه على قتل من يُشفَع به قبل وصوله لمرحلة الشفاعة لعظم جرم هؤلاء القتلة.

ص: 341

- 
- 1- (1) - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 378-379؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 74؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 663.
- 2- (2) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 378-379؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 74؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 663.

واستطاع المختار أن يقتل قيس بن الأشعث الكندي وكان يسمى قيس قطيفة لأنه سلب قطيفة الحسين (عليه السلام) بعد مقتله (1)، كذلك فإنه كان زعيماً لكندة التي حملت ثلاثة عشر رأساً من رؤوس أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) (2)، فروى أنه أنف من الهروب إلى البصرة فاستجار بعبد الله بن كامل صاحب شرطة الكوفة فأبلغ الأخير المختار بذلك، فسكت المختار ملياً ثم قال لابن كامل أرني خاتمك، فوضعه المختار في أصبعه وشغل ابن كامل في الكلام، ثم دعا أبا عمرة كيسان وناولته الخاتم وقال له سرّاً أنطلق إلى زوجة ابن كامل وقل لها هذا الخاتم علامة زوجك في الدخول عليه لأحدثه بأمرٍ ينجيه من المختار، فدخل عليه وضرب عنقه وجاء به للمختار فوضع الرأس بين يديه، فقال المختار هذا بقטיפه الحسين (3).

وأشارت المصادر التاريخية إلى العديد من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) الذين قام المختار بقتلهم ومن بين هؤلاء أنه دُل على ثلاثة من هؤلاء القتلة وهم عبد الله بن أسيد الجهنى ومالك بن النُسير البدى وحمل بن مالك المحاربى فأحضرهم من القادسية فقال لهم: «يا أعداء الله، وأعداء كتابه، وأعداء رسول الله وآل رسوله، أين الحسين بن علي؟ أدوا إلى الحسين! قتلتم ابن من أمرتم بالصلاة عليه في الصلاة؟ فقالوا: رحمك الله بعثنا ونحن كارهون، فأمنن علينا واستبقنا، قال المختار: فهلا مننتم على الحسين ابن

ص: 342

---

1- (1) - الدينورى، الأخبار الطوال، ص 276؛ ابن طاووس، اللهوف فى قتلى الطفوف، ص 83.

2- (2) اللهوف فى قتلى الطفوف، ص 92.

3- (3) الدينورى، الأخبار الطوال، ص 276؛ الخطيب، دولة المختار، ص 344-345.

بنت نبيكم واستبقيتموه وسقيتموه؟ ثم قال للبدى: أنت صاحب برنسه؟ فقال له عبد الله بن كامل: نعم، هو هو؛ فقال المختار: اقطعوا يدي هذا ورجليه، ودعوه فليضطرب حتى يموت، ففعل ذلك به وترك، فلم يزل ينزف الدم حتى مات، وأمر بالآخرين فقدا، فقتل عبد الله بن كامل عبد الله الجهني، وقتل سعر بن أبي سعر حمل بن مالك المحاربي<sup>(1)</sup>، ويظهر مما تقدم أن المختار قتل البدى قتلة تختلف عن صاحبيه ففضلاً عن مشاركته فى قتال الإمام الحسين (عليه السلام) فقد وجهت تهمة أخرى له وهو سلب برنس الإمام (عليه السلام) بعد استشهاده.

أما العشرة<sup>(2)</sup> الذين نديهم عمر بن سعد فداسوا الجسد الشريف بحوافر خيولهم حتى رضوا صدره وظهره، ووقفوا بباب ابن زياد فقال أسيد بن مالك وهو أحدهم:

نحن رضنا الصدر بعد الظهر بكل يعبوب شديد الأسر

فقال ابن زياد: من أنتم؟ قالوا: نحن الذين وطأنا بخيولنا ظهر الحسين حتى طحنا حناجر صدره<sup>(3)</sup>.

ص: 343

---

1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 69؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 117؛ النويرى، نهاية الأرب، ج 21، ص 16؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 33.

2- (2) - وهم إسحاق بن حوية، وأخنس بن مرثد، وحكيم بن الطفيل السنيسى، وعمر بن صبيح الصيداوى، ورجاء بن منقذ العبدى، وسالم بن خثيمة الجعفى، وواحد بن ناعم، وصالح بن وهب الجعفى، وهانى بن شيبث الحضرمى، وأسيد بن مالك. ينظر: ابن طاووس، اللهوف فى قتلى الطفوف، ص 86.

3- (3) - ابن طاووس، اللهوف فى قتلى الطفوف، ص 86-87.

قتل المختار هؤلاء قتلة تختلف عن غيرهم لفضاعة الجرم الذى ارتكبه بحق الإمام (عليه السلام) فشد أيديهم وأرجلهم بالحديد وأوطأ الخيل ظهورهم حتى هلكوا(1).

وبعث المختار رجالاً كانوا معه يُقال لهم الدبابة إلى دارٍ فيها عبد الرحمن ابن أبي خشكاره، وعبد الرحمن بن قيس الخولاني وزياد بن مالك الضبعي وعمران بن خالد العثري؛ فجىء بهم فقال لهم: يا قتلة الصالحين، يا قتلة سيد شباب أهل الجنة، ألا ترون الله قد أقاد منكم اليوم؟ لقد جاءكم الورس(2) بيوم نحس، وكانوا أصابوا من الورس الذى كان مع الحسين، أخرجوهم إلى السوق، فضربوا رقابهم(3).

ومن بين الذين قتلهم المختار هو عثمان بن خالد بن أسير الدهماني من جهينه وأبو أسماء بشر بن سوط القابضى وكانا أشتركا فى قتل عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب، فقتلها عبد الله بن كامل وأخبر المختار بذلك فأمره بالرجوع إلى جثثهما وحرقها، ويبدو أن عثمان بن خالد من فرسان همدان، رثاه أعشى همدان فقال:

ص:344

---

1- (1) - ابن طاووس، اللهوف فى قتلى الطفوف، ص 86-87.

2- (2) الورس: هو نبات من الفصيلة القرنية ينبت فى بلاد العرب والحبشة والهند، وثمرتها قرن مغطى عند نضجه بغدد حمراء، كما يوجد عليه زغب قليل؛ يستعمل لتلوين الملابس الحريرية لاحتوائه على مادة حمراء. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ص 4262؛ هامش النويرى، نهاية الأرب، ج 21، ص 16.

3- (3) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 70؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 117؛ النويرى، نهاية الأرب، ج 21، ص 16؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 33-34.



يا عين أبكى فتى الفتیان عثماناً لا یبعدن الفتى من آل دهمانا

وأذكر فتى ماجداً حلواً شمائله ما مثله فارس فى آل همدانا(1)

وأبیات أعشى همدان هذه تدل على قبح عقیدته وسوء فعله فهو أظن فى رثاء قتلة آل بیت النبوة وأعلن عداوته للمختار وأنصاره ووقف بجنب أعدائهم من الأمويين والزبيريين.

واستطاع المختار قتل زيد بن رقاد الجنبي، وهو قاتل عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبى طالب، فقاتلهم بسيفه فقال ابن كامل لا تطعنوه برمح، ولا تضربوه بسيف، ولكن ارموه بالنبل والحجارة ففعلوا ذلك به، حتى سقط، وأحرقوه حياً، وبعث إلى عمرو بن صبيح الصدائى، وكان يقول طعنت فيهم وجرحت وما قتلت، فأحضر إلى المختار، فأمر به فطعن بالرمح حتى مات(2).

### هدم دور بعض القتلة ورؤية المؤرخين فى القصص

عهد المختار لكيسان أبى عمرة صاحب حرسه الخاص فى الكوفة مهمة القبض على بعض قتلة الإمام الحسين (عليه السلام)، وكان معه ألف رجل من الفعلة بالمعاول يقومون بهدم دور من خرج لقتال الإمام الحسين (عليه السلام)(3).

ص: 345

- 
- 1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 70-71؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 118.
  - 2- (2) النويرى، نهاية الأرب، ج 21، ص 17.
  - 3- (3) الدينورى، الأخبار الطوال، ص 268.

ووصف الدينورى (1) ذلك فقال: «وكان أبو عمرة بذلك عارفاً، فجعل يدور بالكوفة على دورهم، فيهدم الدار فى لحظة، فمن خرج إليه منهم قتله، حتى هدم دوراً كثيرة، وقتل أناساً كثيراً، وجعل يطلب ويستقصى، فمن ظفر به قتله، وجعل ماله وعطاءه لرجل من أبناء العجم الذين كانوا معه».

يتضح مما تقدم أن هناك دوراً مميّزاً لصاحب حرس المختار فى الأخذ بثأر الإمام الحسين فوصفه الدينورى بأنه كان عارفاً بهؤلاء القتلة وبكيفية هدم دورهم وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يقم بذلك اعتباطياً وإنما يستقصى عن ذلك، لكن تلك الرواية لا تخلوا من تحامل بعض المؤرخين على أن العجم والفرس هم من تحالفوا مع المختار للقضاء على العرب.

وذكر بعض المؤرخين (2) أن المختار أرسل فى طلب سنان بن أنس الذى كان يدعى قتل الحسين (عليه السلام)، فهرب إلى البصرة، فهدم داره، وطلب رجلاً من قبيلة خثعم اسمه عبد الله بن عروة الخثعمى فهرب إلى البصرة ولحق بمصعب، فهدم داره، وهرب عبد الله بن عقبة الغنوى فهدم المختار داره، وأرسل إلى محمد بن الأشعث وهو فى قرية له فى القادسية، فهرب كذلك إلى مصعب بن الزبير، فهدم داره وبني بلبنها وطينها دار حجر ابن عدى الكندى وكان زياد ابن سمية قد هدمها.

ص: 346

- 
- 1- (1) - الأخبار الطوال، ص 268.
  - 2- (2) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 379-381؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 74، 75، 96؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 664؛ النويرى، نهاية الأرب، ج 21، ص 17-18؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 34.

وذكر الطبرى(1) فى تاريخه أنه خرج بعد وقعة جبانة السبيع عمرو بن الحجاج الزبيدى، وكان ممن شهد قتل الحسين، فركب راحلته وذهب عليها، «ولا يدري أرض بنخسته أم سماء حصبته»

وروى البغدادى(2) أن المختار قال: «أما ورب السماء لتنزلن نار من السماء، فلتحرقن دار أسماء، فأنهى هذا القول إلى أسماء بن خارجة فقال: قد سجع بى أبو إسحاق وأنه سيحرق دارى، وهرب من داره، وبعث المختار إلى داره من أحرقها بالليل...»..

ولما كان من الصعب على بعض المغرضين من المؤرخين الذين تحكمت بهم أهواؤهم ومذاهبهم وابتعدوا عن الموضوعية والحيادية؛ الدفاع عن أولئك القتلة بشكل علنى اضطر هؤلاء إلى اتهام المختار بعدم صدق نواياه وحين لم يجدوا هواده فى تتبعه لقتلة الحسين (عليه السلام) عولوا على الإسراف فى القتل والمبالغة فيه عسى أن يحقق لهم ما أخفقوا فى تحقيقه، لكن ذلك لا يعنى أنه لا يوجد من أنصف المختار فى قيامه بهذا العمل الذى لم يُوفق للقيام به إلا من كان ذا حظ عظيم، فالبلادى(3) يرى فى قيام المختار بتنفيذ القصاص سبباً رئيساً ودافعاً حقيقياً فى تعظيم أهل الكوفة وازدياد محبتهم وطاعتهم له. وهذا رأى يعنى أن المجتمع الكوفى استمر فى تأييده للمختار طيلة مدة حكمه.

ص: 347

1- (1) - تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 65.

2- (2) الفرق بين الفرق، ص 55.

3- (3) - جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 454.

وذكر اليعقوبي (1) قيام المختار بالقصاص من قتلة الحسين (عليه السلام) فقال: «وتتبع المختار قتلة الحسين، فقتل منهم خلقاً عظيماً، حتى لم يبق منهم كثير أحد، وقتل عمر بن سعد وغيره وحرق بالنار، وعذب بأصناف العذاب».

ووصف الأزدي (2) أخذ الثأر من قبل المختار فقال: «وما زال يتبع القوم ويقتلهم بفتون القتل، فإذا لم يجد الرجل هدم داره»

وقال ابن عبد ربه (3): «ثم إنَّ المختار لما قتل ابن مرجانة، وعمر بن سعد، جعل يتبع قتلة الحسين بن علي ومن خذله، فقتلهم أجمعين، وأمر الحسينية وهم الشيعة أن يطوفوا في أزقة المدينة بالليل ويقولوا يا لثارات الحسين!..»

في حين وصف ابن حزم (4) قيام المختار بأخذ الثأر فقال: «ومن جيد ما وقع منه - أنه تتبع الذين شاركوا في أمر ابن الزهراء الحسين، فقتل منهم ما أقدره الله عليه، وفعل أفعالاً يُعفى فيها على هذه الحسنه، وقتل بالكوفة ممن توهم منه ما يوجب مباينة ما هو عليه، فهذا كان الغالب عليه»، وقول ابن حزم المتقدم الذكر في المختار غاية في الأهمية كونه من المتشددين في آرائهم

ص: 348

---

1- (1) - تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 181.

2- (2) تاريخ الموصل، ج 1، ص 111.

3- (3) العقد الفريد، ج 4، ص 384.

4- (4) رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 1983 م، ج 2، ص 141.

الدينية وقوله وفعل أفاعيل يعنى فيها على هذه الحسنه فهى إن دلت على شىء فهى تدل على أنه يرى أن المختار له الحق فيما فعل فى قتله الإمام الحسين (عليه السلام) من أنواع القتل ولم يكن مسرفاً فى ذلك.

ويرى ابن الأثير (1) أن سبب محبة المسلمين للمختار هو قصاصه من قتله الأمام الحسين (عليه السلام) فقال: «فلذلك أحبه كثير من المسلمين، وأبلى فى ذلك البلاء بلاءً حسناً».

ولما لم يجد الذهبى (2) مبرراً للنيل من المختار فى قيامه بالقصاص من قتله الحسين (عليه السلام) قال: «وأقتص الله من الظلمة بالفجرة، ثم سلط على المختار مصعباً، ثم سلط على مصعب عبد الملك...»، وقرن الذهبى القصاص بالظلمة بقوله: بالفجرة للنيل من المختار لأنه لا يستطيع الدفاع عن قتله الحسين (عليه السلام).

وذكر ابن حجر الهيتمى (3) قيام المختار بقتل قتلة الحسين فقال: «وقد انتقم الله من ابن زياد هذا،... وفاعل ذلك به هو المختار بن أبى عبيد، تبعه طائفة من الشيعة...، فملكوا الكوفة وقتلوا الستة آلاف الذين قاتلوا الحسين أقيح القتلات وقتل رئيسهم عمر بن سعد، وخص شمر قاتل الحسين على قول؛ بمزيد من نكال وأوطوا الخيل صدره وظهره، لأنه فعل ذلك بالحسين،

ص: 349

1- (1) - أسد الغابة، ج 5، ص 117.

2- (2) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج 5، ص 62.

3- (3) الصواعق المحرقة، ص 245.

وشكر الناس للمختار ذلك...»، ويتضح من قوله هذا أنّ هؤلاء القتلة عوقبوا بما يستحقونه لما فعلوا بالإمام وأهل بيته (عليهم السلام)، وأن ذلك حاز رضا الناس واستحسانهم فشكروا ذلك للمختار.

وروى الحاكم النيسابوري (1) في مستدركه الحديث القدسي بسنده عن عبد الله بن العباس أنه قال: «أوحى الله إلى نبيكم صلى الله عليه وآله إنى قتلت بيحيى بن زكريا سبعين الفاً وأنى قاتل بابن ابنتك سبعين الفاً وسبعين الفاً» وعقب ابن الوردي (2) على ذلك بقوله: «قلت: فى الحديث عن النبى (صلى الله عليه واله وسلم): إنّ الله قتل بيحيى بن زكريا سبعين الفا ووعدنى أن يقتل بابنى هذا - يعنى الحسين عليه السلام - سبعين الفا، وكان كما قال،

ص:350

---

1- (1) - أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ الحاكم (ت: 405 هـ - 1014 م)، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: يوسف عبد الرحمن، دار المعرفة، بيروت، د. ت، ج 2، ص 290-291؛ وينظر: ابن حبان، أحمد بن أبي حاتم (ت: 354 هـ -- 965 م)، كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الباز للطباعة، مكة المكرمة، د. ت، ج 2، ص 215؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ج 14، ص 225؛ ابن الجوزى، الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، 1966 م، ج 1، ص 408؛ ابن نما الحلبي، ذوب النضار، ص 19؛ المزى، تهذيب الكمال، ج 6، ص 430؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربى، بيروت، د. ت، ج 1، ص 77؛ وسير أعلام النبلاء، ج 4، ص 342-343؛ ابن الوردي، عمر بن مظفر (ت: 749 هـ -- 1348 م)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996 م، ج 1، ص 167؛ الزرندي، جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن (ت: 750 هـ - 1349 م)، نظم درر السمطين فى فضائل المصطفى والمرضى والبتول والسبطين، مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة، د. م، 1985 م، ص 216؛ المجلسى، بحار الأنوار، ج 45، ص 314.

2- (2) تاريخ ابن الوردي، ج 1، ص 167.

والله أعلم»، وهنا يرى ابن الوردي أن هذا العدد من القتلى لا يوجد فيه مبالغة وأنه كما قال الله تعالى في الحديث القدسي.

وحين عدَّ ابن الجوزي الحديث القدسي الآنف الذكر من الأحاديث الموضوعية (1) على النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) عقب ابن حجر الهيتمي (2) على ذلك فقال: «وأخرج الحاكم من طرق متعددة أنه (صلى الله عليه واله وسلم) قال: قال جبريل، قال الله تعالى: إني قتلت بدم يحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وأنى قاتل بدم الحسين بن علي سبعين ألفاً، فقال: ولم يصب ابن الجوزي في ذكره لهذا الحديث في الموضوعات وقتل هذه العدة بسببه لا يستلزم أنها كعدد عدة المقاتلين له، فإن فتنته أفضت إلى تعصبات ومقاتلات تقى بذلك»، وهو بذلك يرى أن هذا العدد لم يكن بالضرورة قتلهم المختار وإنما عدَّ معهم من قُتل بعد ذلك في الفتن والثورات التي حصلت بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام).

وذكر بعض المؤرخين (3) قول الأمام الباقر (عليه السلام) بحق المختار

ص: 351

1- (1) - ينظر: ابن الجوزي، الموضوعات، ج 1، ص 408.

2- (2) - ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص 247.

3- (3) - الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ج 1، ص 340؛ ابن نما الحلبي، ذوب النضار، ص 62؛ ابن داوود الحلبي، الحسن بن علي (ت: 707 هـ -- 1306 م)، رجال بن داوود، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف، 1972 م، ص 277؛ الحلبي، أبو منصور الحسن بن يوسف (ت: 726 هـ - 1325 م)، خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، تحقيق: محمد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، د. م، 1417 هـ -، ص 276؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج 45، ص 343؛ الأردبيلي، جامع الرواة، ج 2، ص 220؛ البحراني، علوم العوالم، ص 652؛ البروجردي،

أنه قال: «لا تسبوا المختار، فإنه قتل قتلتنا، وطلب بثأرنا، وزوج أراملنا، وقسم فينا المال على العسرة».

ووصف أحد الباحثين (1) قيام المختار بالقصاص من القتلة بالقول: «أخذ المختار يتعقب بلا هوادة من خرج لقتال الحسين وشرك في دمه واحداً واحداً، فكان يحرقهم ويقطع أيديهم وأرجلهم ويطعنهم بالرماح، ويتبعه الفعلة بالمعاول لهدم دورهم، حتى بلغ من عذب منهم عشرون ألفاً».

ويبدو مما تقدم أن العديد من المؤرخين يرون أن المختار تعامل مع قتلة الحسين (عليه السلام) حسب الجرم الذي ارتكبه بحق الإمام وآل بيته (عليهم السلام) وشكر المسلمون ذلك للمختار لمكانة الإمام الحسين (عليه السلام) في قلوبهم، فضلاً عن مظلومية آل محمد (عليهم السلام) التي أفجعت قلوبهم، ومعرفتهم بدور هؤلاء القتلة وتأليب الناس على الإمام الحسين وآل بيته (عليهم السلام) ومدى ارتباط هؤلاء بنبي أمية الذين يتحملون الوزر الأعظم في قتل ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وما وقع عليهم يوم الطف.

ص: 352



## المبحث الثالث: موقف الأشراف والموالى والقبائل من دولة المختار

كون المجتمع الكوفي من مجموعة من الطبقات منها الأشراف(1) والعامّة والموالى(2) ، لكن المصادر التاريخية أسهبت في دور الأشراف والموالى في دولة المختار قبل نشوئها وحتى زوالها والقضاء عليها، ففي حين يُعد الشرف: صفة لمن تميزوا بسلوك يقدره المجتمع ويرفع مكانتهم فيه فهو قائم على السلوك الاجتماعي، وأساس الشرف سمات خلقية يقدرها الناس ويولونها احتراماً،

ص:353

- 
- 1- (1) - الشرف في اللغة علو المكان وإطلاله على ما حوله من دونه، والشرف مصدر الشريف، ويعنى الشرف كذلك الحسب بالآباء، والأشراف جمع شريف. ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص 186؛ ابن منظور، لسان العرب، ج 2، 2016-2017.
- 2- (2) وردت كلمة مولى في بعض المعاجم اللغوية بعدة معانى من خلال مادة ولي، والولى والمولى بمعنى واحد في لغة العرب، وتعنى الصديق والنصير والتابع والمتبوع والمحب وابن العم، والصهر والجار والحليف والشريك، وجمع مولى موالٍ، والموالاة ضد المعاداة، وكلمة مولى تدل على معنيين متضادين معاً، فهي تطلق على المالك والعبد، والمُعْتَق والمُعْتَق، والمنْعَم والمنْعَم عليه. ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص 394-395؛ ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ص 4358-4363؛ الفيروزآبادى، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: 817 هـ - 1414 م)، القاموس المحيط، مراجعة وإشراف محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، 2011 م، ص 1450.

وقد تكون سمة فردية وليست وراثية(1).

تطلق تسمية المولى بوجه عام على كل من دخل الإسلام من غير العرب وألحق بالقبائل العربية(2)، بل قسّم أحد المؤرخين المحدثين أبناء القبيلة فجعلهم طبقتين: الصرحاء وهم أبناء القبيلة الذين ينتمون إلى جدٍ واحد في النسب، والموالى والتي تشمل الأحرار من الحلفاء والمحاربين والعتقاء وطبقة الأرقاء بعد ارتباطها بالقبيلة ارتباطاً مؤقتاً يدوم مادامت صلة الولاء قائمة(3).

وذهبت العديد من المصادر التاريخية إلى أن موقف الموالى كان سبباً في وقوف الكثير من الأشراف بالضد من ثورة المختار ودولته، ولذلك فإن دور الأشراف والموالى مرتبطان فيما بينهما على الرغم من تناقض موقفهما، لكن هذا الأمر لا يمكن الأخذ به بهذه العمومية فإن هناك سبباً آخر جعل الأشراف يقفون هذا الموقف السلبي من تلك الثورة لأن الكثير منهم كان على علاقة مباشرة بمقتل الإمام الحسين (عليه السلام) ووقفوا جنباً إلى جنب مع الأمويين في قتاله، فقبل خروج التوابين لقتال أهل الشام قال عبد الله بن سعد ابن نفيل أحد قادتهم لسليمان بن صرد الخزاعي: «... إنما خرجنا نطلب بدم

ص:354

---

1- (1) - العلى، الكوفة وأهلها في صدر الإسلام، ص 440.

2- (2) فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة العربية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريده، الطبعة الثانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1968 م، ص 470-471.

3- (3) على، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الثانية، جامعة بغداد، بغداد، 1993 م، ج 4، ص 356-360.

الحسين، وقتلة الحسين كلهم بالكوفة منهم عمر بن سعد بن أبي وقاص ورؤوس الأرباع وأشرف القبائل فأنى نذهب ههنا وندع الأقتال والأوتار»<sup>(1)</sup>، وهذه الرواية تشير بوضوح إلى دور أشرف الكوفة فى قتال الإمام الحسين (عليه السلام).

ويبدو أن المختار وأصحابه كانوا يتوجسون خيفة من موقف الأشرف المعادى لثورتهم فكان ذلك سبباً فى توجيههم لضم إبراهيم بن مالك الأشتر لصفوف الثورة، فقد ذكر الطبرى<sup>(2)</sup> فى تاريخه بسنده عن أبى مخنف قول أصحاب المختار له: «إنَّ أشرف الكوفة مجتمعون على قتالك مع ابن مطيع؛ فإن جامعنا على أمرنا إبراهيم بن الأشتر، رجونا بإذن الله القوة على عدونا وأن لا يضرنا خلاف من خالفنا».

وفى رواية أخرى ذكرها البلاذرى<sup>(3)</sup> يستشف منها عدد الأشرف الذين وقفوا ضد المختار: «ومكث ابن مطيع - فى قصر الإمارة بالكوفة - ثلاثاً يرزق أصحابه الدقيق، ومعه أشرف الناس إلا عمرو بن حريث، فإنه دخل

ص:355

- 
- 1- (1) - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 285-286، الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 6-7؛ وينظر: البلاذرى، جمل من أنساب الأشرف، ج 6، ص 369؛ ابن أعمش الكوفى، كتاب الفتوح، ج 6، ص 213-214؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 609.
  - 2- (2) - تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 40؛ وينظر: البلاذرى، جمل من أنساب الأشرف، ج 6، ص 385؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 640؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 8-9.
  - 3- (3) جمل من أنساب الأشرف، ج 6، ص 393؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 50؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 649.

القصر معه، ثم كره الحصار فخرج من الكوفة»، ثم استطرد البلاذري (1) في ذكر موقف الأشراف من ابن مطيع وكيف أنه استشارهم في طلب الأمان من المختار وشكرهم على طاعتهم له ولابن الزبير.

ويظهر مما تقدم أن الكثير من أشراف الكوفة موالون لآل الزبير فقاتلوا مع ابن مطيع وهم من أشاروا عليه بطلب الأمان بعد أن وجدوا أن كفة المختار هي الراجحة في تحقيق النصر.

لكن الطبري (2) ذكر بسنده عن أبي مخنف رواية أوفى وأكثر تفصيلاً عن موقف الأشراف عند وثوب المختار بالكوفة، فروى قول ابن مطيع لهم قبيل خروجه من قصر الكوفة وتسليم الأمر للمختار: «أما بعد، فقد علمت الذين صنعوا هذا منكم من هم؛ وقد علمت إنما هم أراذلكم وسفهاؤكم وطغامكم وأخساؤكم، ماعدا الرجل أو الرجلين، وأن أشرافكم وأهل الفضل منكم لم يزالوا سامعين مطيعين مناصحين، وأنا مبلغ ذلك صاحبي - يعنى عبد الله بن الزبير - ومعلمه طاعتكم وجهادكم عدوه، حتى كان الله الغالب على أمره، وقد كان من أمركم ما أشرت به عليّ ما قد علمتم - أي طلب الأمان من المختار لنفسه ولأصحابه - وقد رأيت أن أخرج الساعة. فقال له شبت: جزاك الله من أمير خيراً! فقد والله عفت عن أموالنا، وأكرمت أشرافنا، ونصحت لصاحبك، وقضيت الذي عليك، والله ما كنا لنفارقك أبداً إلا

ص: 356

---

1- (1) - جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 394.

2- (2) تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 51؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج 6، ص 238؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 649.

ونحن منك في إذن».

ومن الملاحظ على هذه الرواية أن ابن مطيع كان في غاية الرضا عن أشرف الكوفة على الرغم من الهزيمة التي حلت به وضياع ولاية الكوفة منه وخرجه من ابن الزبير حتى وصل به الأمر أن يغير رأيه في الذهاب للحجاز والتوجه إلى البصرة حياءً منه، وكذلك أشار ابن مطيع بكل وضوح لمن كان مع المختار منهم فهم لا يتعدون الرجل والرجلين من عليّة القوم وأشرفهم أما الآخرون فهم سفهاء القوم وأرذلهم وهي إشارة واضحة للموالى وعامة الناس، ويتضح كذلك من الرواية نفسها طاعة الأشرف لابن مطيع من قول شيب بن ربيع إنّ أشرف الكوفة لا يمكن لهم مفارقة ابن مطيع إلا بإذنه.

وسبق وأن أشرنا إلى تداخل موقف الأشرف والموالى من ثورة المختار بسبب الوضع الاجتماعي لكل منهما واتخاذ الأشرف من تلك الحجة سبباً ظاهرياً على الأقل في حين أن واقع الأمر يشير إلى عدة أسباب أهمها اشتراك أشرف الكوفة في قتل الإمام الحسين (عليه السلام) وقبل التطرق إلى تلك المواقف، لا بد لنا أن نعرّج قليلاً على الموالى ووضعهم الذي كانوا يعانون منه في ظل دولة بني أمية.

شكل الموالى إحدى مكونات المجتمع الكوفي منذ تمصيرها فقد كانوا جنباً إلى جنب مع قبائلهم وأسيادهم، فكان مع كل قبيلة من العرب عدد كبير منهم فإذا خرجت تلك القبيلة للحرب خرجوا معها وحاربوا في سبيل

ص: 357

نصرتها(1)، وأزداد عدد الموالى بعد فتح العراق، ثم تضاعف عددهم فى عصر الأمويين(2)، حتى وصل عددهم فى الكوفة إلى أكثر من نصف سكانها(3)، أما عن أصولهم وأماكن تواجدهم فى العراق فىرى فلهاوزن(4) أنه: «كان فى البصرة والكوفة عدد كبير من المسلمين الجدد أو الموالى، وكانوا أول أمرهم أسرى حرب قد أطلقوا وكان معظمهم من أصل فارسى»، فى حين أرجع بروكلمان(5) أصول الموالى فى العراق إلى الآراميين والفرس الذين اعتنقوا الإسلام.

وبذلك شكل الموالى جزءاً رئيساً من التركيبة السكانية لمدينة الكوفة وباقى مدن العراق، وكان لبعضهم دورٌ مهمٌ ومؤثرٌ فى الأحداث لاسيما الثورات التى قامت ضد الحكم الأموى، ومن هؤلاء المجموعة التى أطلق عليها حمراء الديلم، الذين كان عددهم أربعة آلاف شخص يعملون فى خدمة القائد الفارسى رستم فشهد هؤلاء معه القادسية ولما قُتل أسلموا وشهدوا مع

ص:358

- 
- 1- (1) - زيدان، جرجى، تاريخ التمدن الإسلامى، تحقيق: حسين مؤنس، دار الهلال، القاهرة، د. ت، ج 4، ص 98.
  - 2- (2) زيدان، التمدن الإسلامى، ج 4، ص 98.
  - 3- (3) - فلهاوزن، الخوارج والشيعة، ص 211؛ أمين، أحمد، فجر الإسلام، الطبعة العاشرة، دار الكتاب العربى، بيروت، 1969 م، ص 92.
  - 4- (4) تاريخ الدولة العربية، ص 269؛ وينظر عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسى للدولة العربية، ج 2، ص 117.
  - 5- (5) كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكى، دار العلم للملايين، بيروت، 1968 م، ص 132.

المسلمين فتح المدائن وجلولاء، ثم سكنوا الكوفة مع المسلمين(1)، وتسمية حمراء الديلم لا تدل على المكان الذي جاؤوا منه ولا الحرفة التي امتهنتها(2) بل تدل على لون بشرتهم(3)، فالعرب عندما تقول جئت من الحمراء كقولهم جئت من جهينة أو غيرها من القبائل لأنهم يسمون العجم الحمراء(4).

وأشار البلاذري إلى أصولهم فذكر روايتين: الأولى، أنهم مقاتلون أساورة(5) من فارس يدفعون خطر الديلم عن بلادهم، فلما فتح المسلمون قزوين أسلموا على أن يكونوا مع من شاؤوا فنزلوا الكوفة(6). والأخرى، أنهم من الديلم استنجد بهم أهل قزوين، فوعدوهم بمساعدتهم ولم ينصروهم، فلما أنتصر المسلمون أسلموا ونزلوا الكوفة، فسموا حمراء الديلم(7).

ويستبعد أحد المؤرخين المحدثين(8) أنهم أسلموا بُعيد القادسية وأنهم

ص:359

1- (1) - البلاذري، فتوح البلدان، ص 394-395؛ العلي، الكوفة وأهلها، ص 404.

2- (2) - العلي، الكوفة وأهلها في صدر الإسلام، ص 407.

3- (3) - علي جواد، المفصل، ج 4، ص 309.

4- (4) - البلاذري، فتوح البلاذري، ص 394.

5- (5) - الأساورة: مفرداها: الإسواژ وهو قائد الفرس، وقيل الجيد الرمي بالسهم، الجيد الثبات على ظهر الفرس؛ وهم قوم من العجم نزلوا البصرة كانوا على مقدمة يزدجرد فلما ظهر الإسلام على الفرس في زمن عمر بن الخطاب دخلوا فيه على شروط، وفرض لهم العطاء، فنزلوا البصرة وحالفوا بني تميم. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 317؛ ابن منظور، لسان العرب، ج 2، ص 1937.

6- (6) - البلاذري، فتوح البلدان، ص 394؛ العلي، الكوفة وأهلها في صدر الإسلام، ص 406.

7- (7) - البلاذري، فتوح البلدان، ص 449.

8- (8) - العلي، الكوفة وأهلها، ص 405-409.

أشتركوا فى فتوح المدائن وجلولاء ويستدل بقوة دولة الفرس آنذاك وإن انهزمت فى القادسية فإن ملك فارس لم ينهار إلا بعد معركة نهاوند فىرى أنهم أسلموا بعد فتح قزوين، أما عن أصولهم فىقول: «ولعلمهم كانوا فى الأصل من الديلم ثم انضموا إلى الإسلام وأسكنوا فى الكوفة»(1).

وعلى الرغم من الاختلاف فى أصول الحمراء لكن نستطيع القول إنهم من الأساورة ويؤيد هذا قول إبراهيم بن الأشرع عندما سئل عن جيشه يوم الخازر قال: «هم أولاد الأساورة من فارس، والمرابذة(2)»(3)، كما أن هذه الرواية تعضد رواية البلاذرى التى ذكر فيها أن أصل حمراء الديلم هم من الأساورة.

أما موقف الموالى من ثورة المختار ومن قيام دولته فقد أوردت المصادر التاريخية معلومات مهمة عنه، فقد كانوا مؤيدين للثورة وذلك لمجموعة من الأسباب منها أنهم كانوا يشعرون بالاضطهاد والتمييز الطبقي فى المجتمع، فتعرضوا لأنواع متعددة من الظلم، ولم ينصفهم سوى تولى الإمام على (عليه السلام) خلافة المسلمين، وذلك بعد أن بثوا شكواهم له من الظلم

ص:360

---

1- (1) - العلى، الكوفة وأهلها، ص 405-409.

2- (2) المرابذة: من الفرس معرب، ومفردها مرزبان، وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك، ويطلق على صاحب الثغر، لأن المرز فى لغة فارس الثغر، وبان القيم. ينظر: المسعودى، التنبيه والأشراف، دار صعب، بيروت، د. ت، ص 90؛ الجوهري، الصحاح، ج 1، ص 135؛ ابن منظور، لسان العرب، ج 2، ص 1497.

3- (3) الدينورى، الأخبار الطوال، ص 270.



الذي تعرضوا له لاسيما في زمن الخليفة عمر بن الخطاب (13 هـ - 23 هـ) الذي شدد على التمييز بين العرب والموالي من غير العرب (1) ، فكان جواب الإمام علي (عليه السلام) لهم: «يا معشر الموالي، إن هؤلاء صيروكم بمنزلة اليهود والنصارى، يتزوجون إليكم ولا يزوجونكم، ولا يعطونكم مثل ما يأخذون فاتَّجروا بآرك الله فيكم» (2) ، وهذا دفعهم إلى تأييد المختار الذي عُرف عنه ولاؤه لآل البيت والطلب بثأرهم، فكانوا يأملون بنجاح الثورة من أجل تأسيس دولة تشبه دولة الإمام علي (عليه السلام)، ويؤيد ما ذهبوا إليه من أن الإمام علياً (عليه السلام) كان يحب الموالي ويسعى إلى رفع المعاناة عنهم أنه كان يخصص نصيبه المالي من الأنفال لافتداء الأسرى الفرس وكثيراً ما أفتع الخليفة الثاني بمشورته بتخفيف عبء الرعية في فارس (3).

فما أن تقلد الإمام علي (عليه السلام) الخلافة حتى اتبع سياسة مغايرة تماماً لمن كان قبله، «... وأعطى الناس بالسوية لم يفضل أحداً على احد،

ص: 361

1- (1) - الشرهاني، التغير في السياسة المالية، ص 102.

2- (2) الكليني، أصول الكافي، ج 5، ص 318-319؛ وينظر: الثقفى، الغارات، ج 2، ص 823؛ الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت: 1104 هـ -- 1762 م)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: محمد الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 14، ص 46؛ البحراني، الشيخ هاشم (ت: 1107 هـ - 1695 م)، حلية الأبرار، تحقيق: غلام رضا، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، 1414 هـ -، ج 1، ص 377؛ السبحاني، أضواء على الشيعة الأمامية، ص 326؛ الشرهاني، التغير في السياسة المالية، ص 102؛ جعفریان رسول، الشيعة في إيران، ترجمة: علي هاشم الأسدي، الطبعة الثانية، المؤسسة الرضوية المقدسة، مشهد، 1430 هـ -، ص 69.

3- (3) المرتضى، حياة الإمام الرضا، ص 173؛ جعفریان، الشيعة في إيران، ص 70.

وأعطى الموالى كما أعطى الصليبية، وقيل له فى ذلك، فقال: قرأت ما بين الدفتين، فلم أجد لولد إسماعيل على ولد إسحاق فضل هذا، وأخذ عوداً من الأرض، فوضعه بين إصبعيه» (1)، وحين جاءت امرأتان أحدهما من العرب والأخرى من الموالى فساوى بينهما فى العطاء، فقالت له الأولى كيف ساويت بيننا وهذه من العجم، فقال لها: «إنى والله لا أجد لبنى إسماعيل فى هذا الفىء فضلاً على بنى إسحاق» (2)

وكان رده حاسماً وقاسياً على الأشعث بن قيس حين قال له: «غلبتنا هذه الحمراء على قربك يعنى العجم فركض المنبر برجله حتى قال صعصعة بن صوحان (3): مالنا وللأشعث! ليقولن أمير المؤمنين عليه السلام فى العرب قولاً لا يزال يذكر، فقال عليه السلام: من يعذرني من هؤلاء الضياطرة (4)! يتمرغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمار، ويهجر قوماً للذكر، أفتأمروننى أن أطردهم! ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين! أما والذى

ص: 362

---

1- (1) - اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ج 2، ص 127، الشرهانى، التغير فى السياسة المالية، ص 103.

2- (2) - ابن أبى الحديد، شرح نهج البلاغة، مج 1، ج 2، ص 365.

3- (3) - هو صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث بن الهجرس بن عبد القيس من ربيعة، يكنى أبا طلحة، من كبار صحابة الإمام على (عليه السلام)، كان شريفاً، خطيباً، مطاعاً، أميراً، مفوهاً، شهد حرب الجمل مع الإمام على (عليه السلام)، وحمل راية قومه بعد استشهاد أخويه زيد وسيحان فى تلك المعركة. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج 8، ص 340-341؛ الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 528-529.

4- (4) - الضياطرة: مفردها ضيطر الرجل الضنخم الذى لا غناء عنده ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 3، ص 2312.

فلق الحبة، وبرأ النسمة، ليضربنكم على الدين عَوْداً كما ضربتموهم عليه بدءاً»(1)، ورفض قبول هداياهم رَأْفَةً بهم وقال لهم: نحن أغنى منكم وأحق بأن نفيض عليكم، وأوصى عماله بحسن معاملتهم(2).

وكان الموالى أوفياء للإمام على (عليه السلام) منذ الأيام الأولى لخلافته فقد رفضوا تسليم بيت المال في البصرة لأصحاب الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله حين قدموا البصرة، حتى يقدم الإمام على (عليه السلام) عليهم، فدفَعوا حياتهم ثمناً لذلك إذ عدى عليهم الزبير وطلحة ومن تابعهم وقتلوهم، وكانوا موكلين بحماية بيت المال أكثر من أربعين رجلاً كلهم من الموالى(3)، وعن مشاركة الموالى في صفين يقول أحد المؤرخين المحدثين(4): «ويبدو أن الموالى المقاتلة أخلصوا في الالتفاف حول على بن أبي طالب - عليه السلام - وفي عدم معارضتهم له»، وهذا لأنهم كانوا يرفلون بالخير والمساواة والعدالة في ظل دولة الإمام على (عليه السلام) فأخلصوا في ولائهم له والتفوا حوله.

ولما استولى معاوية بن أبي سفيان على الحكم بالسيف والمال ساءت أحوال الشيعة بشكل عام والموالى بشكل خاص، إذ لم يكن حالهم بأفضل

ص: 363

---

1- (1) - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج 10، ج 20، ص 419.

2- (2) - اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ج 2، ص 130، 141.

3- (3) البلاذرى، فتوح البلدان، ص 523-533؛ وينظر ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص 74؛ المفيد، الجمل والنصرة لسيد العتره فى حرب البصرة، تحقيق: على شيرى، الطبعة الثانية، كتب الإعلام الإسلامى، قم، 1416 هـ -، ص 281؛ حسين، الفتنة الكبرى، ج 2، ص 36-37.

4- (4) العلى، الكوفة وأهلها فى صدر الإسلام، ص 419.

حالٍ من الشيعة الذين سلط عليهم معاوية زياد بن أبيه «وكان أشد الناس بلية أهل الكوفة لكثرة من بها من الشيعة،... فقتلهم تحت كل كوكب وحجر ومدبر وأجلاهم وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل منهم وصلبهم على جذوع النخل...» (1) وقال يزيد بن أنس - أحد قادة المختار - يحث أصحابه على قتال ابن مطيع: «يا معشر الشيعة، قد كنتم تُقتلون وتُقطع أيديكم وأرجلكم، وتسمل عيونكم، وترفعون على جذوع النخل في حب أهل بيت نبيكم؛ وأنتم مقيمون في بيوتكم، وطاعة عدوكم، فما ظنكم بهؤلاء القوم إن ظهروا عليكم اليوم، إذاً والله لا يدعون منكم عيناً تطرف، وليقتلنكم صبراً، ولترون منهم في أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموت خير منه...» (2)، كذلك فإن كتاب معاوية (41 هـ -- 60 هـ -) إلى زياد بن أبيه في كيفية التعامل مع الموالى يبين الظلم والتمييز الذي تعرضوا إليه أن «انظر إلى الموالى ومن أسلم من الأعاجم فخذهم بسنة عمر بن الخطاب فإن في ذلك خزيهم وذلهم، أن تنكح العرب فيهم ولا ينكحوهم، وأن ترثهم العرب ولا يرثوهم، وأن تقصر بهم في عطائهم وأرزاقهم، وأن يقدموا في المغازى يصلحون الطريق ويقطعون الشجر، ولا يؤم أحد منهم العرب في صلاة، ولا يتقدم أحد منهم في الصف الأول إذا حضرت العرب إلا أن يتموا الصف، ولا تول أحداً منهم

ص:364

1- (1) - سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس، ص 236.

2- (2) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 48؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 646؛ وفى رواية ابن أعثم جعل هذا القول للسانب بن مالك الأشعري أحد قادة المختار ينظر: ابن أعثم، كتاب الفتوح، ج 6، ص 237.

ثغراً من ثغور المسلمين، ولا مصراً من أمصارهم، ولا يلي أحد منهم قضاء المسلمين ولا أحكامهم فإن هذه سنة عمر فيهم وسيرته،... ولعمري يا أخي، لو أن عمر سن دية المولى نصف دية العربي لكان أقرب إلى التقوى، ولو وجدت السبيل إلى ذلك ورجوت أن تقبله العامة لفعلت! ولكنى قريب عهد بحرب فأتخوف فرقة الناس واختلافهم على...» (1)

كما وصل الأمر بمعاوية أنه أراد قتل الموالى فاستشار في ذلك الأحنف ابن قيس فقال: «إني رأيت هذه الحمراء قد كثرت.... فقد رأيت أن أقتل شطراً وأدع شطراً لإقامة السوق وعمارة الطريق» (2)، ولم ينقذهم من ذلك سوى أن معاوية أخذ بمشورة الأحنف بن قيس الذى لم يوافقته على رأيه وعظم عليه قتل الموالى (3).

وأشار أحد الباحثين (4) فى خضم دفاعه عن سياسة الأمويين تجاه الموالى - إلى ما يتعرض له محبو آل البيت وشيعتهم دون أن يقصد ذلك - فيرى أن هناك مبالغة فى وصف التمايز والاضطهاد الذى تعرض له الموالى زمن الأمويين ومن بين الأدلة التى يستدل بها على ذلك أن الأمويين اضطهدوا الموالى والعرب على حد سواء، وهو لم يتعد عن الصواب كثيراً لأن الأمويين

ص: 365

---

1- (1) - سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس، ص 192-193؛ ينظر: الثقفى، الغارات، ج 2، ص 824؛ الشهرانى، التغير فى السياسة المالية، ص 104.

2- (2) ابن عبد ربه الأندلسى، العقد الفريد، ج 3، ص 400؛ أمين، فجر الإسلام، ص 90.

3- (3) ابن عبد ربه الأندلسى، العقد الفريد، ج 3، ص 400؛ أمين، فجر الإسلام، ص 90.

4- (4) فوزى، فاروق عمر، حركة المختار الثقفى، مجلة آفاق، بغداد، العدد 1، 1977 م، ص 80.

ظلموا عامة المسلمين، لكن الضرر الأكبر لحكمهم وقع على محبي آل البيت من العرب والموالي إلا أن هذا الباحث حاول من خلال آرائه المتقدمة أن يدافع عن الأمويين ويبرر سياستهم في ظلم الموالي وغيرهم من طبقات المجتمع والتي أعترف الأمويون أنفسهم بها فمن أجل أن يحصل الحجاج بن يوسف الثقفي على الأموال فرض الجزية على من أسلم من الموالي وهي مخالفة صريحة لتعاليم الإسلام السمحاء، فلما جاء عمر بن عبد العزيز «99 هـ -- 101 هـ» رفض ذلك وقال إن الله بعث محمداً (صلى الله عليه واله وسلم) داعياً ولم يبعثه جانياً(1).

ويبدو أن مصير الموالي والشيعة في دولة بنى أمية متشابه إلى حد كبير بل إن أسباب عداء الأمويين لهم لحبهم لآل البيت وموالاتهم للإمام علي (عليه السلام)، فضلاً عن أنهم ليسوا من العرب، وهو ما يفسر أن هناك تقارباً بين الموالي والشيعة، وعلل المستشرق الهولندي فان فولتن نقمة الخرسانيين وغيرهم من الإيرانيين على الأمويين بسبب حكمهم الجائر ونيرهم الذي لا يحتمل، وتوقفاً إلى عدالة أهل البيت (عليهم السلام) التي عاشوا في ظلها رداً من الزمن(2).

لم يكن انضمام الموالي والعبيد للمختار وليد الصدفة، فقد تنبه المختار إلى قضية الموالي والعبيد في وقت مبكر كما ورد في بعض المصادر، فذكر

ص:366

---

1- (1) - ابن سعد، الطبقات، ج 7، ص 273؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 5، ص 147.

2- (2) - السيطرة العربية، ص 94.

«ركب المختار يوماً مع المغيرة بن شعبة، فمّر بالسوق فقال المغيرة: أما والله لأعرف كلمة لو دعا بها أريب لأستمال بها أقواماً فصاروا له أنصاراً، ثم لاسيما العجم الذين يقبلون ما يلقي إليهم، قال المختار: وما هي يا عم؟ قال يدعوهم إلى نصره آل محمد والطلب بدمائهم، فكانت في نفس المختار حتى دعا»، أما الثانية ذكر فيها قول المختار: «من جاءنا من عبد فهو حُرٌّ، فبلغ ذلك ابن الزبير فقال: قد كان يقول إنى لأعرف كلمة لو قلتها كثر تبعى، وهي هذه ليكثرنَّ تبعه»(2).

ومن المسلم به أن المغيرة من دهاة العرب، وقد لا يخونه حدسه في أغلب الأحيان، لكن أغلب نصائحه طغى عليها طابع الغش والخداع ولا يهدف من ورائها إلا تحقيق مآربه الشخصية وحبه المتفانى للسلطة، وربما كان صادقاً في مقولته هذه، للقرابة التي بينه وبين المختار، وإن اختلفا في التوجه والولاء؛ فالمغيرة أنهى حياته في خدمة السلطة الأموية، والمختار أفاها في الولاء لآل محمد، لكن يؤخذ على رواية البلاذرى الأولى قول المغيرة الطلب بدماء آل محمد إن كان المقصود منها دماء الامام الحسين وأهل بيته (عليهم السلام) فلا يمكن الأخذ بذلك فالمغيرة بن شعبة توفى سنة إحدى وخمسين للهجرة(3)، أى

ص: 367

- 
- 1- (1) - جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 387؛ المقدم، تنزيه المختار، ص 7؛ فوزى، حركة المختار الثقفى، ص 80.
  - 2- (2) البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 448.
  - 3- (3) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 170؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 414.

قبل استشهاد الإمام الحسين بعشر سنين على الأقل.

لكن المختار لم يغب عنه ما يعانیه الموالى والعبید من الظلم والحرمان فالكثير منهم كان يسكن الكوفة والمختار ليس بعيداً عن ذلك، والموالى الذين أسلموا إبان فتح العراق تعرضوا للكثير من الظلم والحرمان منذ ذلك الوقت؛ إذا ما استثنينا خلافة الإمامين على والحسن (عليهما السلام). وكان الموالى والعبید وغيرهم من طبقات المجتمع التى تمنى نفسها بعودة تلك العدالة وحسن المعاملة فى ظل سلطة تسير على نهج وخطى الإمام على (عليه السلام).

ويبدو أن معالم دولة المختار توحى منذ بدايتها أنها سوف تسير على ذلك النهج وتلك العدالة فقبل وثوب المختار بالكوفة، خطب ابن مطيع فى الكوفة لما وليها لابن الزبير، فقام إليه السائب بن مالك الأشعري من رؤوس أصحاب المختار فقال له: «أما أمر ابن الزبير إياك أن لا تحمل فضل فيئنا<sup>(1)</sup> عنا إلا برضانا فإننا نشهدك أنا لا نرضى أن تحمل فضل فيئنا عنا؛ وأن لا يقسم إلا فينا؛ وأن لا يسار فينا إلا بسيرة على بن أبى طالب التى سار بها فى بلادنا هذه حتى هلك رحمة الله عليه، ولا حاجة لنا فى سيرة عثمان فى فيئنا؛ فإنها إنما كانت أثره وهوى، ولا فى سيرة عمر بن الخطاب فى فيئنا.... فقال يزيد بن أنس - وهو من قادة المختار كذلك - : صدق السائب بن مالك

ص:368

---

1- (1) - الفىء: هى الأموال التى حصل عليها المسلمون دون قتال. ينظر: الماوردى، أبو الحسن على بن محمد (ت: 450 هـ -- 1058 م)، الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978 م، ص 199؛ الشرهانى، التغيير فى السياسة المالية، ص 157.



وبَرَّ، رأينا مثل رأيه، وقولنا مثل قوله»(1)

ويعزز ما ذكرناه ما جاء في كتاب الفرق بين الفرق من أن المختار وعد عبيد أهل الكوفة بأنه يعطيهم أموال أسيادهم(2)، ولا يخفى في هذه الرواية تحامل البغدادي على المختار فهذا الأمر لا يعدو كونه أن الموالى وغيرهم من طبقات المجتمع تعرضت للكثير من الظلم والحيث الذي وقع عليهم فحاول المختار القيام بإصلاح أوضاعهم وإرجاع الأمور إلى ما كانت عليه زمن الإمام على (عليه السلام) وهو ما أشار إليه السائب في رده على خطبة ابن مطيع.

كما ذكر أحد الباحثين(3) أن المختار فضلاً عن أنه نادى بأخذ الثأر من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) «وعد الأعاجم بالمساواة في العطاء مع العرب».

ومن خلال ما تقدم يمكن القول إن المختار صرح بأهداف ثورته ورؤيته المستقبلية في التعامل مع الموالى قبل انتصاره وإنشاء دولته، لذلك نجد الموالى شاركوا في ثورة المختار منذ بدايتها يمتنون أنفسهم بعودة عدالة الإمام على (عليه السلام) للتخلص مما يعانونه، فذكر الدينوري(4): «... أن المختار بن

ص:369

---

1- (1) - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 37؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 638-639؛ النويري، نهاية الأرب، ج 21، ص 6-7.

2- (2) الفرق بين الفرق، ص 56.

3- (3) الراوى، تاريخ الدولة العربية، ج 2، ص 159.

4- (4) الأخبار الطوال، ص 264.

أبى عبيد الثقفى جعل يختلف إلى شىعة بنى هاشم، ويختلفون إليه، فيدعوهم إلى الخروج معه والطلب بدم الحسين؛ فاستجاب له بشر كثير، وكان أكثر من استجاب له همدان، وقوم من أبناء العجم الذين كانوا بالكوفة، ففرض لهم معاوية وكانوا يسمون الحمراء وكان منهم بالكوفة زهاء عشرين ألف رجل»، ويبدو أن هؤلاء الحمراء وغيرهم كانوا يترددون عليه، فلما سئل المختار عن هذه الجماعات التى تغدو وتروح إليه، قال: «مريض يعاد». (1)

ويرى بروكلمان (2) أنّ اجتذاب المختار للموالى إلى جانبه كان موقفاً وذلك لأن العرب ينظرون إليهم كمواطنين من الدرجة الثانية، ولذلك نرى الموالى يقاتلون مع المختار والتزموا جانبه، كما ذكر الطبرى (3) بسنده عن أبى مخنف أن شيبث بن ربعى نادى أصحابه قائلاً: «يا حماة السوء! بس فرسان الحقائق أنتم! أمن عبيدكم تهريون؟...»، فى إشارة واضحة إلى عدد الموالى والعبيد الذين يقاتلون إلى جنب المختار والذى يظهر أنّهم يشكلون أغلبية الجيش، وأورد الطبرى (4) رواية أخرى تتحدث عن قول ابن مطيع لأشراف الكوفة وهى لا تختلف كثيراً عن الرواية السابقة إلا من حيث الألفاظ فقال: «أيها الناس، إن من أعجب العجب عجزكم عن عصابة منكم قليل عددها،

ص: 370

- 
- 1- (1) - الدينورى، الأخبار الطوال، ص 264.
  - 2- (2) تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 132-133.
  - 3- (3) تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 47.
  - 4- (4) تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 47؛ وينظر: ابن أعثم الكوفى، كتاب الفتوح، ج 6، ص 237-238؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 648.

حيث دينها، ضالة مضلة، أخرجوا إليهم فامنعوا منهم حريمكم وقاتلوهم عن مصركم، وامنعوا منهم فينكم، وإلا والله ليشارككم في فينكم من لا حق له فيه؛ والله لقد بلغني أن فيهم خمسمائة رجل من محرريكم عليهم أمير منهم، وإنما ذهب عزكم وسلطانكم وتغير دينكم حين يكثرون. ثم نزل».

يتضح من قول ابن مطيع مدى تحامل السلطة الزبيرية في الكوفة على الموالي، وتناغمها مع أشرف الكوفة الذين ينظرون للموالي على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية، لا يمتنون سوى الحرف اليدوية والمهنة التجارية<sup>(1)</sup>، وكذلك يظهر من كلام ابن مطيع أن هؤلاء سيشاركون العرب في الفء، ويحذرهم من ذلك، على الرغم من أن المختار لم يثب بالكوفة بعد ولم يعط فيناً، لكن يظهر أن منهجه ومعالم دولته اتضحت حين أشرط أصحابه على ابن مطيع منذ اليوم الأول لولايته على الكوفة أن يسير فيهم بسيرة على بن أي طالب (عليه السلام)<sup>(2)</sup>، لكن هذه الرواية تشير إلى عدد الموالي فتجعلهم خمسمائة رجل. ويبدو أن العدد الذي أشار إليه ابن مطيع هم الذين تحت إمرة أحد الموالي وهو كيسان أبو عمرة، دون الإشارة لغيرهم، في

ص:371

- 
- 1- (1) - ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 3، ص 399-401؛ أمين، فجر الإسلام، ص 90؛ بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 132-133؛ زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج 4، ص 98؛ فلهاوزن، الخوارج والشيعة، ص 211.
  - 2- (2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 37؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 638-639؛ خريسات، محمد عبد القادر، الدولة الأموية من النهوض إلى السقوط، دار اليازوري، أربد، 2011 م، ص 195.

حين هناك العديد منهم قاتلوا فى المعركة نفسها تحت قادة آخرين(1)، والظاهر أن ابن مطيع يسير على نهج آل الزبير فى تعامله مع الموالى والعبيد ولم يكن ذلك يمثل رأيه الشخصى فحسب؛ فروى عن مصعب بن الزبير قوله عندما أعطى الأمان لأصحاب المختار فى القصر: «أقتلوا الموالى وأعفوا عمن كان صليبة مع المختار..»(2)، فاعترض بعض أصحابه فقالوا: «ما هذا بحكم الإسلام، فقتل الجميع»(3).

وعندما طرد المختار ابن مطيع وسيطر على الكوفة وأسس حكومته جعل كيسان أبا عمرة وهو أحد الموالى على حرسه الخاص(4)، ومنحه بعض الصلاحيات الاستثنائية(5)، كما أن المختار سعى لضمان حقوقهم الاجتماعية فعمل على مساواتهم مع الآخرين سواء فى العطاء أو المكانة الاجتماعية، أى أنه ألغى الطبقة التى كانت سائدة قبله(6)، لكن سياسته التى تتصف بالحنكة ومعرفته بأمر الحرب، أوجبت عليه أن يترث قليلاً فى إثارة غضب الأشراف لحين استقرار دولته، فأثارت تلك السياسة مخاوف وحفيظة

ص: 372

1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 47.

2- (2) البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 443.

3- (3) البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 443.

4- (4) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 345؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 53؛ ابن الجوزى، المنتظم، ج 6، ص 55؛ النويرى، نهاية الأرب، ج 21، ص 11؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 31.

5- (5) الدينورى، الأخبار الطوال، ص 268.

6- (6) البيهوائى، سيرة الأئمة الإثنى عشر، ص 203.

الموالى، ولما أخبره كيسان بتلك المخاوف قال المختار له: «قل لهم لا يشقن ذلك عليكم، فانتم منى وأنا منكم. ثم سكت طويلاً، ثم قرأ (إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ) 1... فقال - الموالى - بعضهم لبعض أبشروا، كأنكم والله به قد قتلهم»(1).

ولابد من الوقوف أمام كلمات المختار هذه فهي تشير إلى العديد من الأمور: منها؛ قوله "أنتم منى وأنا منكم" فهو يعنى أن المختار ساوى بينه وبين الموالى وهذا الأمر لا يروق للعرب بشكل عام والأشراف بشكل خاص، وسبق وأن أشرنا إلى العديد من الشواهد أعترض فيها العرب والأشراف على سياسة الإمام على (عليه السلام) لأنه قسم بالسوية وأرجع الأمور إلى نصابها الصحيح، ومن يعترض على سياسة الإمام على (عليه السلام) من الطبيعي أن يناهض المختار على ذلك إذا ما علمنا أن الفترة التي أعقبت استشهاد الإمام على (عليه السلام) وقيام دولة المختار، كرس فيها الأمويون العصبية العربية وغذوها من أجل البقاء على نفوذهم وحكمهم.

والأمر الآخر هو أن المختار أوضح من خلال كلامه مع أبي عمرة وقراءته للآية (إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ) 3 شبه أشراف الكوفة بالمجرمين الذين قصدهم الله تعالى في الآية الكريمة الذين اكتسبوا الآثام

ص:373

---

1- (2) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 52؛ ابن أعثم الكوفى، كتاب الفتوح، ج 6، ص 257-263؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 14.

واقترفوا السيئات لتكذيبهم وإعراضهم(1)، وقول أبي عمرة "أبشروا" يوضح إخلاص هؤلاء الموالى فى الانتقام من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام)، فضلاً عن مدى الظلم الذى كانوا يعانونه من الأشراف.

ولما جهز المختار جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل للتوجه إلى الموصل لقتال عبيد الله بن زياد، كان على رأس ذلك الجيش يزيد بن أنس، فلما التقى الجمعان بالقرب من الموصل نادى أحد قادة عبيد الله بن زياد أصحابه يحثهم على القتال فقال: «يا أهل الشام، إنكم إنما تقاتلون العبيد الأباق وقوماً قد تركوا الإسلام وخرجوا منه، ليست لهم بَقِيَّةٌ ولا ينطقون بالعربية»(2)، وهذه الرواية تبين دور الموالى المهم فى جيش المختار، فى الوقت نفسه الذى حاول فيه ذلك القائد أن يثير العنصرية لدى قواته فيقول لهم إنهم لا ينطقون بالعربية.

وعلى الرغم من انتصار جيش يزيد بن أنس إلا أن وفاته أدت إلى انسحاب خليفته على الجيش ورقاء بن عازب الأسدى بعد أن علم بقدم أهل الشام بأكثر من ثمانين ألف مقاتل إلى الموصل، فبعث المختار إبراهيم بن الأشتر على رأس جيش كبير لقتالهم، ولم يبق فى الكوفة إلا القليل من المقاتلين مع المختار، فحاول أعداء المختار استغلال تلك الظروف وأشاعوا

ص:374

- 
- 1- (1) - الطبرى، جامع البيان، ج 21، ص 134؛ القرطبي، محمد بن أحمد الأنصارى (ت: 671 هـ - 1272 م)، الجامع لأحكام القرآن (المعروف بتفسير القرطبي)، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربى، بيروت، 1405 هـ -، ج 14، ص 108.
- 2- (2) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 353؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 58.

بين الناس أن جيش يزيد بن أنس هُزم وأنَّ يزيد لم يمت وإنما قتل على أيدي أهل الشام، فخرج الأشراف من أتباع بني أمية في الكوفة وحاصروا المختار في القصر، لكن المختار استطاع أن يبعث إلى إبراهيم ويأمره بالرجوع إلى الكوفة على الفور، فاستطاع المختار القضاء على تلك المؤامرة بعد وصول ابن الأشر للكوفة(1).

كذلك فإن بعض المصادر التاريخية عزت أسباب نقض الأشراف المواليين لبني أمية وآل الزبير بيعة المختار وتمردهم عليه فكان أهمها موقفه من الموالي: «لما مات يزيد بن أنس التقى أشراف الناس بالكوفة فأرجفوا بالمختار وقالوا: قتل يزيد بن أنس ولم يصدقوا أنه مات، وأخذوا يقولون: والله لقد تأمر علينا هذا الرجل بغير رضا منا، ولقد أدنى مواليينا، فحملهم على الدواب، وأعطاهم المال، وأطعمهم فيتنا، ولقد عصتنا عبيدنا»(2)، وحين ذكر ابن خلدون(3) نقض متمردي الكوفة لبيعتهم للمختار قال: «وشكوا - أشراف الكوفة - من سيرة المختار وإيثاره الموالي عليهم»، فكان أعظم شيء أحدثه المختار على الأشراف هو أن جعل للموالي نصيباً من الفىء كبقية المسلمين(4).

إن رواية أبي مخنف المتقدمة تبين تأثير الطبقة في مجتمع الكوفة، فهؤلاء

ص:375

---

1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 60.

2- (2) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 60؛ ابن أعثم الكوفى، كتاب الفتوح، ج 6، ص 260؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 109.

3- (3) تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 32.

4- (4) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 60؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 110.

كانوا معترضين على مساواتهم بالموالى ووصل بهم الأمر إلى أنهم كانوا لا يسمحون للموالى بالركوب على الدواب ويرى فلهاوزن(1): «وجرت العادة ألا يحملوا سيوفاً، بل كان سلاحهم هراوات خشبية»، لذلك كان حجم المعارضة التى واجهها المختار كبيراً وذلك لأنه أعطى الموالى الأموال والسلاح وسأواهم بغيرهم فأشارت الروايات التاريخية إلى أن المختار وزع أصحابه الذين حاصروا القصر حين أخرج ابن مطيع منه وكانوا ثلاثة آلاف وثمان مائة رجل خمس مائة درهم خمسمائة درهم، وأعطى من جاء بعد ذلك وهم ستة آلاف مائتين مائتين(2)، ومن المسلم به أن جل هؤلاء من الموالى الذين لا يحق لهم ذلك، فكان ذلك أثقل شىء فعله المختار على أشرف الكوفة، وهكذا برز المختار كمصلح اجتماعى يصبو لتحسين الوضع السيئ للطبقات المسحوقة من الموالى والعييد.

ويبدو أن هناك عصياناً آخر جاء من طبقة أخرى من المجتمع وهى طبقة العبيد الذين هم تحت إمرة أسيادهم ومملوكون لهم، وهؤلاء نظروا إلى المختار نظرة المنقذ والمحرر لهم من هذه العبودية التى تجثم على صدورهم، وأنهم التحقوا بالمختار دون أخذ موافقة أسيادهم فطالب أشرف الكوفة المختار بأن يردهم عليهم لكنه رفض ذلك(3).

ص:376

- 
- 1- (1) - الخوارج والشيعة، ص 212-213.
  - 2- (2) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 52؛ ابن الجوزى، المنتظم، ج 6، ص 55؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 650؛ النويرى، نهاية الارب، ج 21، ص 11.
  - 3- (3) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 60؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 654.



وفى المعركة التى استولى فيها المختار على الكوفة قرأ شبت بن ربيعى فى صلاته سورة الزلزلة والعاديات قبل بدء تلك المعركة فقالوا له أصحابه: «لو كنت قرأت سورتين هما أطول من هاتين شيئاً! فقال شبت: ترون الديلم قد نزلت بساحتكم، وأنتم تقولون: لو قرأت سورة البقرة وآل عمران»<sup>(1)</sup> وهنا يشير شبت بن ربيعى لدور الموالى فى جيش المختار بقوله ترون الديلم.

وأورد الدينورى روايتين أشارت لحجم الموالى فى جيش ابن الأشتر المتوجه لقتال أهل الشام فذكر فى الأولى: «فانتخب له المختار عشرين ألف رجل، وكان جلهم أبناء الفرس الذين كانوا بالكوفة ويسمون الحمراء»<sup>(2)</sup> بينما ذكر فى الرواية الثانية قول عمير بن الحباب<sup>(3)</sup> لإبراهيم الأشتر: «لقد اشتد غمى مذ دخلت عسكرى، وذلك أتى لم أسمع كلاماً عربياً حتى انتهيت إليك، وإنما معك هؤلاء الأعاجم، وقد جاءك صناديد أهل الشام وأبطالهم، وهم زهاء أربعين ألف رجل، فكيف تلقاهم بمن معك؟ فقال إبراهيم: والله

ص: 377

---

1- (1) - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 333-334؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 46؛ وفى رواية ابن أعثم الكوفى: أترون الترك والديلم قد نزلوا بساحتكم!. ينظر: ابن أعثم الكوفى، كتاب الفتوح، ج 6، ص 236.

2- (2) الدينورى، الأخبار الطوال، ص 269.

3- (3) اتفق عمير بن الحباب وهو زعيم القيسية فى جيش عبيد الله بن زياد مع إبراهيم ابن الأشتر أن ينهزم فى المعركة وكان على ميسرة أهل الشام، وذلك بغضاً لعبد الملك بن مروان ولما تعرضت له القيسية فى مرج راهط، فلما وقعت المعركة صاح عمير فى قيس بالثارات مرج راهط، فنكسوا أعلامهم وانهزموا، فانكسر أهل الشام، وقيل غير ذلك. ينظر: الدينورى، الأخبار الطوال، ص 269-270؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 90، 93.

لو لم أجد إلا- النمل لقاتلتهم بها، فكيف وما قوم أشد بصيرة في قتال أهل الشام من هؤلاء الناس الذين تراهم معي؟ وإنما هم أولاد الأساورة من أهل فارس، والمرازية، وأنا ضاربُ الخيلَ بالخيل، والرجالَ بالرجال، والنصر من عند الله».(1)

وروايتا الدينوري لا تخلوان من مبالغة فالأولى جعلت من الموالى أغلب الجيش الذى يبلغ عدده أكثر من عشرين ألفاً، والرواية الثانية جعلت من معسكر ابن الأشتر كله يتكلم بغير العربية وهو لا يمكن الأخذ به فبقاء الموالى لمدة طويلة فى الكوفة كذلك اعتناقهم الإسلام جعلهم يتعلمون العربية ويتكلمونها زيادة على أن الكثير منهم ولد فى الكوفة، فضلاً عن تمجيدها بأبطال وفرسان الشام لكن إحداهما أشارت إلى أصول الموالى فجعلتهم من أولاد الأساورة والمرازية والتي سبق وأن تطرقنا إلى ذلك عند الحديث عن أصولهم.

كذلك الملاحظ على جيش المختار الذى أرسل إلى المدينة المنورة أن نسبة الموالى فيه مرتفعة فقد ذكر المؤرخون(2) أن جيش شرحبيل بن ورس

ص:378

---

1- (1) - الدينوري، الأخبار الطوال، ص 270.

2- (2) البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 419-420؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 80؛ الازدى، تاريخ الموصل، ج 1، ص 112؛ مسكويه، نهاية الأرب، ج 2، ص 121؛ ابن الجوزى، المنتظم، ج 6، ص 59؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 667؛ النويرى، نهاية الأرب، ج 21، ص 20؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 32-33؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 35-36؛ الحسنى، الانتفاضات الشيعية، ص 360-351؛ الخطيب، دولة المختار، ص 393.

الذى أرسله للمدينة المنورة للدفاع عنها - سبق وأن أشرنا لذلك - كان قوامه ثلاثة آلاف ليس فيهم من العرب سوى سبعمائة مقاتل، وهو يعنى أن أكثر من ثلثي الجيش كان من الموالي.

ويمكن القول أن تقريب المختار للموالي لعب دوراً رئيساً فى رأى بعض المؤرخين بتحريض مصعب بن الزبير على الهجوم على المختار والقضاء على دولته، فذكر الدينورى(1) أن أهل الكوفة لما تتبع المختار قتلة الحسين تسللوا منها هارين إلى البصرة حتى بلغ عددهم عشرة آلاف رجل فدخلوا على مصعب فتكلم محمد بن الأشعث فقال من بين ما قال: «... وحمل أى - المختار - أبناء العجم على رقابنا، وأباحهم أموالنا؟، سر إليه، إنا جميعاً معك، وكذلك من خلفنا بالكوفة من العرب، وهم أعوانك»، كذلك روى الطبرى(2) بسنده عن هشام بن محمد «لما قدم شَبَّث بن ربيعى على مصعب بن الزبير البصرة،..... وهو ينادى يا غوثاه يا غوثاه!... فأدخل عليه، وجاءه أشرف الناس من أهل الكوفة، فدخلوا عليه فأخبروه بما اجتمعوا له، وبما أصيبوا به، ووثب عبيدهم ومواليهم عليهم، وشكوا إليه، وسألوه النصر لهم والمسير إلى المختار معهم».

ولما بعث مصعب بن الزبير محمد بن الأشعث إلى المهلب بن أبى صفره

ص:379

---

1- (1) - الأخبار الطوال، ص 278.

2- (2) تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 96؛ وينظر: ابن الجوزى، المنتظم، ج 6، ص 64؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 683؛ النويرى، نهاية الأرب، ج 21، ص 25-26؛ الأردكاني، ثورة المختار، ص 502.

يأمره بعقد هدنة مع الخوارج والرجوع إلى البصرة للمسير إلى قتال المختار، استغرب المهلب ذلك ورأى فيه منقصةً على ابن الأشعث فقال له: «ملك يا محمد يأتي بريداً أما وجد المصعب بريداً غيرك قال محمد: إني والله ما أنا بريد أحد، غير أن نساءنا وأبناءنا وحرماننا غلبنا عليهم عبداننا وموالينا»<sup>(1)</sup>، وسبق وأن أشرنا إلى مشورة أحد الأشراف على قائد المختار في معركة المذار بنزول الموالى عن خيولهم، تلك المشورة التي وصفها أبو مخنف<sup>(2)</sup> بالقول: «وإنما كان هذا منه غشاً للموالى والعييد».

وعدَّ أحد الباحثين<sup>(3)</sup> أسباب نجاح المختار في إقامة دولته إلى المبادئ التي أعلنها فعملت على كسب ود الموالى عن طريق إغداق الأموال عليهم ووعدهم بأنه يساوى بينهم وبين أسيادهم، في الوقت ذاته عد باحث آخر<sup>(4)</sup> تقريب المختار للموالى وإعطاءهم الفىء وانحراف أشراف الكوفة عنه من أسباب سقوط دولته.

وأكد الدينورى<sup>(5)</sup> سبب تمرد هؤلاء الأشراف من أتباع الأمويين وآل

ص: 380

---

1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 97؛ وينظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 131؛ الأردكاني، ثورة المختار، ص 503.

2- (2) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 98؛ وينظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 132.

3- (3) - المشهدانى، عدنان شعبان، آل الزبير ودورهم السياسى والإدارى والاجتماعى فى عصر صدر الإسلام والدولة الأموية، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، 2006 م، ص 230.

4- (4) - خريسات، الدولة الأموية، ص 198.

5- (5) الأخبار الطوال، ص 274.

الزبير على المختار هو تقريبه لأبناء العجم فقال: «وقرب - أى المختار - أبناء العجم، وفرض لهم ولأولادهم الأعطيات، وقرب مجالسهم، وباعد العرب وأقصابهم، وحرّمهم، فغضبوا من ذلك، واجتمع أشرفهم فدخلوا عليه، فعاتبوه، فقال: لا يبعد الله غيركم، أكرمتكم فشمختم بأنافكم، ووليتكم فكسرتم الخراج، وهؤلاء العجم أطوع لى منكم، وأوفى وأسرع إلى ما أريد... فاجتمعت القبائل على محاربتة... وأرسل المختار إلى همدان وكانوا خاصته واجتمع إليه أبناء العجم. فقال لهم: ألا ترون ما يصنع هؤلاء؟ قالوا: بلى، قال: فإنهم لم يفعلوا ذلك إلا لتقدمي إياكم، فكونوا أحراراً كراماً، فحرضهم بذلك، وأخرجهم إلى ظهر الكوفة، فأحصاهم، فبلغوا أربعين ألف رجل»..

ويبدو أن رواية الدينورى بالغت فى عدد الموالى ولم تجعل معهم سوى همدان من العرب فى حين نقل الطبرى (1) عن أبى مخنف قول عبد الرحمن بن مخنف أحد أشرف الكوفة لأهل الكوفة حين دعوه لنصرتهم: «إنكم إن أبيتم إلا- أن تخرجوا لم أخذلكم، وإن انتم أطعتمونى لم تخرجوا، فقالوا: لم؟ قال: لأنى أخاف أن تتفرقوا وتختلفوا وتتخاذلوا، ومع الرجل والله شجاعاً وكم وفرسانكم من أنفسكم؛ أليس معه فلان وفلان؟ ثم معه عبيدكم ومواليكم وكلمة هؤلاء واحدة؟ وعبيدكم ومواليكم أشد حنقاً عليكم من عدوكم، فهو مقاتلكم بشجاعة العرب، وعداوة العجم»..

ص: 381

---

1- (1) - تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 60؛ وينظر مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 111؛ النويرى، نهاية الأرب، ج 21، ص 13.

ويتضح من هذه الرواية أن هناك الكثير من شجعان العرب وفرسانهم مع المختار، وهم على درجة من الشهرة لأهل الكوفة فأخذ يعدد أسماء عدد منهم، وهو ما يتناقض مع رواية الدينوري في أن جيش المختار كان أغلبيته من الموالي، لكن هذا لا ينفي أن الموالي كانوا يشكلون نسبة كبيرة من جيش المختار، ويرى أحد المؤرخين المحدثين(1): أن الدينوري أجاب في كتابه الأخبار الطوال على «حاجة ثقافية معينة في عصره هي تقديم تاريخ متصل ذي صبغة إسلامية لتاريخ فارس والعراق قبل الإسلام وبعده».

وهناك شواهد كثيرة على مشاركة العديد من الشخصيات المهمة في الكوفة في ثورة المختار، فمن بين هؤلاء أبو الطفيل عامر بن وائلة الكناني، أدرك حياة النبي وروى عنه، ونزل الكوفة فصحب الإمام علياً (عليه السلام)(2) وشهد مشاهدته كلها، وكان أحد قادته في صفين(3) ويُعد من خيار أصحابه(4)، وخلص أتباعه(5)، ومن حملة علمه(6)، وصفه معاوية بن أبي

ص:382

- 
- 1- (1) - مصطفى، شاکر، التاريخ العربی والمؤرخون، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، 1979 م، ص 249.
  - 2- (2) ابن عساکر، تاریخ دمشق، ج 26، ص 113-134؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 467-470.
  - 3- (3) المنقري، وقعة صفين، ص 114، 134-137؛ ابن قتيبة، المعارف، ص 241؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 468
  - 4- (4) - قيس، كتاب قيس بن سليم، ص 11.
  - 5- (5) - المنقري، وقعة صفين، ص 183.
  - 6- (6) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 149.

سفيان بأنه فارس صفيين وشاعرها(1)، فلما قام المختار بثورته كان أبو الطفيل أحد قاداته في محاربة قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) وحامل رايته(2)، وكونه متشيعاً وموالياً للإمام علي (عليه السلام) وأهل بيته وأنصاره، فضلاً عن وقوفه مع المختار، ولم تشفع له صحبته ووثاقته بالحديث من الطعن به فقد نقل ابن سعد(3) عن بعض الرواة أن أبا الطفيل كان فيمن طلب النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ليلة الغار، لكن ولادة أبي الطفيل يوم معركة أحد جعلت ابن سعد يحكم ببطلان تلك الرواية، وعدّه ابن قتيبة(4) من غلاة الشيعة وأنه يؤمن بالرجعة حتى استغرب ابن العماد الحنبلي(5) ذلك فقال: «والعجب أن ابن قتيبة عدّه من غالية الشيعة وممن يؤمن بالرجعة»، ويرى الخطيب التبريزي(6) أن قول أبي الطفيل بفضل الإمام علي (عليه السلام) ولكونه متشيعاً «ضعفه ابن حزم الظاهري لذلك، وهذا خطأ فاحش من ابن حزم»، ويتضح من هذا

ص: 383

- 1- (1) - البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت: 1093 هـ - 1738 م)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997 م، ج 4، ص 42.
- 2- (2) ابن قتيبة، المعارف، ص 241؛ الشافعي، أبي إسحاق الشيرازي (ت: 476 هـ - 1084 م)، طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، 1970 م، ص 53؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 469؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 672.
- 3- (3) الطبقات، ج 6، ص 551؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ح 26، ص 124.
- 4- (4) المعارف، ص 241.
- 5- (5) شذرات الذهب، ج 1، ص 403.
- 6- (6) محمد بن عبد الله الخطيب (ت: 741 هـ - 1310 م)، الإكمال في أسماء الرجال، تحقيق: أبي أسد الله بن الحافظ محمد عبد الله، مؤسسة أهل البيت، قم، ص 119.

الرأى مدى تجنى ابن حزم على الآخرين واتهامه لهم لا لشيء إلا كونهم من الموالين لآل محمد، وجزم ابن كثير (1) في سبب تلك النقمة على أبي الطفيل فقال: «صحابي، وهو آخر من رأى النبي (صلى الله عليه واله وسلم)... وكان من أنصار علي بن أبي طالب، شهد معه حروبه كلها، لكن نقم بعضهم عليه كونه كان مع المختار بن أبي عبيد، ويقال: إنه كان صاحب رأيته».

ومن بين الذين وقفوا مع المختار شريك بن جريز الثعلبي من صحابة الإمام علي (عليه السلام)، قاتل معه في صفين فأصيب في عينه، ولما أستشهد الإمام علي (عليه السلام) لحق ببيت المقدس وأقام هناك، فلما علم بما حل بالإمام الحسين (عليه السلام)، أقسم بالله أن يقتل ابن زياد، وعند قيام المختار بثورته التحق شريك به فأرسله المختار مع جيش ابن الأشتر يوم الخازر، فحمل علي الحصين بن نمير السكوني وهو يظنه ابن زياد فاعتنق كل منهما صاحبه فنادى شريك أقتلوني وابن الزانية، فكان هو من قتل الحصين ابن نمير في تلك المعركة فبعثوا برأسه للكوفة (2).

وقاتل مع المختار عبد الرحمن بن مَلّ بن عمرو كان يكنى بأبي عثمان النهدي، أسلم على عهد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) إلا أنه لم يره ولقى عدداً من الصحابة، ثم نزل الكوفة (3)، وكان أحد الثقات (4)، ولما

ص: 384

1- (1) - البداية والنهاية، ج 12، ص 671-672.

2- (2) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 37، ص 459-460.

3- (3) ابن سعد، الطبقات، ج 9، ص 96-98؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 11، ص 459-463؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج 5، ص 84.

4- (4) العجلي، معرفة الثقات، ج 2، ص 416؛ ابن حبان، الثقات، ج 5، ص 75.



استشهد الإمام الحسين فيها أقسم أنه لا يسكن بلداً قتل فيها ابن بنت النبي (صلى الله عليه واله وسلم) (1)، فلما أعلن المختار ثورته كان أبو عثمان من أوائل الذين بايعوه، ثم كان أحد أعضاء الوفد الذي ذهب للقاء إبراهيم بن الأشتر من أجل إقناعه للانضمام لثورة المختار (2)، ولعب دوراً مهماً في مساندة المختار وسيطرته على الكوفة حين طرد ابن مطيع منها، وهو من نادى يا لثارات الحسين، ألا إن أمير آل محمد قد خرج، فكان ذلك سبباً في خروج أنصار المختار يتدافعون يا لثارات الحسين حتى أقبلوا إليه (3) ولما وصل المختار إلى الكوفة بعد مفارقتة ابن الزبير كان أول من بايعه عبدة بن عمرو السلماني (4)، فبشره المختار بالنصر وقال له: «إنك يا أبا عمرو على رأي حسن، لن يدع الله لك معه مأثماً إلا غفره ولا ذنباً إلا ستره» (5)، أسلم في عهد رسول الله لكنه لم يره، وهو من أصحاب الإمام على عليه السلام فشهد بعض حروبه وكان أشجع الناس وأشعرهم وأشدهم

ص: 385

- 
- 1- (1) - ابن سعد، الطبقات، ج 9، ص 96-98؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 11، ص 459-463؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج 5، ص 84.
  - 2- (2) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج 6، ص 227.
  - 3- (3) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 45؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 644-645؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 5، ص 51؛ البراقى، تاريخ الكوفة، ص 320.
  - 4- (4) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 390؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 604-605.
  - 5- (5) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 390؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 604-605؛ الأمين، أصدق الأخبار، ص 35.

تشيعةً وحباً للإمام علي (عليه السلام) (1)، هجا محمد بن الأشعث لقتاله مسلم بن عقيل فقال:

«وقتل وافد آل أحمد غيلة وسلبت أسيفاً له ودروعاً» (2)

كما قاتل مع المختار عبد الله بن عمرو النهدي وهو من أشرف الكوفة، كان قد شهد صفين مع الإمام علي (عليه السلام)، وأستمر في وقوفه معه حتى قاتل في حربه مع مصعب بن الزبير، فقال يومها لأصحابه: «ويحكم أروني الموضع الذي فيه محمد بن الأشعث فإنه ممن قاتل الحسين بن علي وشارك في دمه... فقال: اللهم إني على ما كنت عليه بصفين، اللهم إني أبرأ ممن قتل أهل بيت نبيك محمد أو شارك في دمانهم» (3)، ثم حمل على أصحاب مصعب وتمكن من قتل محمد بن الأشعث، ثم قُتل بعد ذلك (4).

ومن أصحاب المختار عبيد الله وعبد الرحمن أبناء الصحابي الجليل حجر

ص: 386

- 
- 1- (1) - ابن سعد، الطبقات، ج 8، ص 213-216؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 390؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 604-605؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 40-44؛ الأمين، أصدق الأخبار، ص 35.
  - 2- (2) البلاذري، أنساب الأشراف، ص 86.
  - 3- (3) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج 6، ص 288.
  - 4- (4) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 101؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج 6، ص 288؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 686؛ الأمين، حسن، مستدركات أعيان الشيعة، الطبعة الثانية، دار التعارف، بيروت، 1997 م، ج 2، ص 163؛ الشاهرودي، مستدركات علم رجال الحديث، ج 5، ص 65.

ابن عدى الكندى قتلهم مصعب بن الزبير صبراً لوقوفهم مع المختار حتى مقتله (1)، وكان من قادة المختار كذلك معاذ بن هانى بن عدى الكندى (2)، ابن أخ حجر بن عدى، ووقف معاذ بن عدى مع محمد ابن الحنفية فى صراعه ضد ابن الزبير بعد مقتل المختار (3)، وقُتل مع المختار كذلك عمران بن حذيفة بن اليمان (4)، فى حين كان أخوه سعد بن حذيفة أحد ولاة المختار وقادته، وغير هؤلاء العديد من الشخصيات والتي تطرقنا للبعض منها فى موضعها (5).

ص: 387

1- (1) - ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج 12، ص 210؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 693؛ ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج 1، ص 233.

2- (2) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 71.

3- (3) العاملى، الدر النظيم، ص 435-436؛ الأحمدي، على الميناجى، مواقف الشيعة، مؤسسة النشر الإسلامى، قم، 1416 هـ -، ج 2، ص 283.

4- (4) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 693؛ ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج 1، ص 233.

5- (5) ومن بين هؤلاء: إبراهيم بن الأشر، وعبد الرحمن بن شريح الشبامى، ويزيد بن أنس الأسدى، وعبد الله بن كامل الشاكرى، وعبد الله بن الحارث أخو مالك الأشر، والسائب بن مالك الأشعرى، وعبد الله بن جعدة بن هبيرة المخزومى، وعبد الله بن شداد الأسدى، أحمر بن شميطة الأحمسى، ومالك بن عمرو النهدى، وزائدة بن قدامة الثقفى، وسعر بن أبى سعر الحنفى، وقدامة بن مالك الجشمى، وسعيد بن منقذ الثورى، وورقاء بن عازب الأسدى، والمثنى بن مخرمة العبدى، والطفيل بن عامر بن وائلة، وشرحبيل بن ورس الهمدانى، وأبو عبد الله الجدلى، ورؤساء الأرباع فى الكوفة فكان قيس بن طهفة النهدى على ربع أهل المدينة، وعبد الله بن حية الأسدى على ربع مذحج وأسد، وبعث الأسود بن جراد الكندى على ربع كندة وربيعة، وحبیب بن منقذ الثورى من همدان على ربع تميم وهمدان، للمزيد من التفاصيل. ينظر: الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 35-100؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 637-691؛ العلى، الكوفة وأهلها، ص 223-402.

أما القبائل العربية التي كانت تسكن الكوفة فكان لها مواقف متباينة، فمثلاً كانت قبيلة همدان وهي من أكبر قبائل الكوفة منقسمة في ولائها بين المختار وبين أعدائه، فذكر الطبري(1) بسنده عن أبي مخنف قول عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس الهمداني: «ويحكم! مَنْ هؤلاء الذين أتونا من ورائنا؟ قيل له شِ بام - إحدى بطون همدان -؛ فقال: يا عجباً يقاتلني بقومي مَنْ لا قوم له!».، وهناك روايات تشير إلى حجم هذه القبيلة، فبعد أن قتل مصعب بن الزبير دخل عبد الملك بن مروان الكوفة فاستعرضنا أمامه القبائل في النخيلة فذكر الطبري(2) في تاريخه: «ثم جاءت مذحج وهمدان فقال عبد الملك -: ما أرى لأحد مع هؤلاء بالكوفة شيئاً»، مما يدل على العدد الكبير لإفراد هاتين القبيلتين في الكوفة، وعلى الرغم من أن المختار حاول في بداية ثورته كسب عبد الرحمن بن سعيد بن قيس لجانبه بجعله والياً على الموصل أهم ولايات دولة المختار(3)، الذي كان والده من قادة الإمام على (عليه السلام) في صفين(4)، وربما من أجل قبيلته صاحبة المواقف المعروفة مع الإمام على (عليه السلام)، فضلاً عن موقف همدان الإيجابي بشكل عام من

ص:388

- 
- 1- (1) - تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 68.
  - 2- (2) تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 145؛ العلي، الكوفة وأهلها في صدر الإسلام، ص 247.
  - 3- (3) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 345؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 395؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 53؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 6، ص 55؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 651؛ النويري، نهاية الأرب، ج 21، ص 11؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 31.
  - 4- (4) - المنقري، وقعة صفين، ص 121.

وأورد الدينوري(1) نصاً آخر يستشف منه حجم مشاركة العرب في السيطرة على الكوفة ودورهم في استسلام ابن مطيع فقال: «وبادر ابن مطيع إلى القصر، فتحصن فيه في طائفة من أصحابه، وأقبلت همدان حتى تسلقوا القصر بالحبال... فلما رأى ابن مطيع ضعفه عن القوم سأل الأمان على نفسه ومن معه من أصحابه، فأجابه المختار إلى ذلك، فأمنه».

وأشارت بعض المصادر التاريخية إلى مشاركة بعض القبائل الأخرى من غير همدان مع المختار فذكر البلاذري(2): «وتوافى إلى المختار من كل قبيل المائة والمائتان»، وذكر الطبري(3) أنه التحق من خثعم أحد بطون مذحج منى مقاتل قبل وثوب المختار بالكوفة، فكان هؤلاء الخثعميون من ضمن ثلاثة آلاف وثمان مائة وثب المختار بهم بالكوفة وحاصر ابن مطيع في قصر الأمارة.

ويظهر أن بعض القبائل العربية حافظت على ولائها للمختار طيلة مدة دولته ففي معركة المذار بين مصعب بن الزبير والمختار التي سبقت سقوط الدولة ومقتل المختار بمدة محدودة نجد أن أصحاب المختار ينادون يا معشر بجيلة وخثعم، الصبر الصبر! فناداهم المهلب الفرار الفرار! اليوم أنجى لكم(4)، ويتضح أن

ص:389

---

1- (1) - الأخبار الطوال، ص 267.

2- (2) جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 391.

3- (3) تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 46.

4- (4) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 98؛ الأردكاني، ثورة المختار، ص 511.

بجيلة يوم المذار كان أثر القتل فيها وذلك من قول أعشى همدان(1):

ألا هل أتاك والأنباء تُنمى بما لاقت بِجيلةً بالمذار

أتيح لهم بها ضرب طَلْحُفٌ وطعن صائب وجه النهار

كان سحابة صعقت عليهم فعمتهم هنالك بالدمار(2)

وكذلك يظهر مشاركة قبيلة شبام ونهد وخارف فحين هجا الأعشى أصحاب المختار قال:

وأن ليس كالتابوت(3) فينا وإن سعت شبام حوله ونهد وخارف(4)

وكذلك هناك أكثر من إشارة إلى مشاركة قبيلة شاكر في القتال مع المختار ففي رواية للطبري بسنده عن أبي مخنف عند حديثه عن الكرسي المقدس فقال: «فخرجت شبام وشاكر ورؤوس أصحاب المختار وقد عصبوه بالحريز والديباج»(5)، وذكر ذلك أحد الشعراء فقال:

ص:390

---

1- (1) - هو أبو المصباح عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث الهمداني، شاعر مفوه شهير من أهل الكوفة، كان متعبداً فاضلاً، ثم عبث بالشعر، مدح النعمان بن بشير الأنصاري فاعتنى به، وأعطاه أربعين ألف دينار، خرج مع القراء في ثورة ابن الأشعث. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 185.

2- (2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 99؛ الأردكاني، ثورة المختار، ص 512.

3- (3) يشير إلى تهمة الكرسي المقدس. ينظر من خلال البحث، ص 275-281.

4- (4) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 88؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 676؛ النويري، نهاية الأرب، ج 21، ص 31.

5- (5) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 88.

تنزوا شبام حول أعواده وتحمل الوحي له شاكر(1)

ويظهر من خلال ما تقدم أن الموالى على الرغم من مشاركتهم الفعالة فى القتال إلا أنهم لم يكونوا وحدهم فى الميدان وإنما كان إلى جانبهم الكثير من العرب.

ومن الجدير بالذكر أن أغلب تلك القبائل لها موقف مشرف مع الإمام على (عليه السلام) فى قتالها يوم صفين فروى أن الإمام علياً (عليه السلام) قال يوم صفين:

ولما رأيت الخيل تفرع بالقنا فوارسها حمر العيون دوامى

وتعرض نقعاً فى الهوام كأنه ضباة دجن ملبس بقتام

ونادى بن هند ذا الكلاع وحميراً وكندة مع لحم وحي جذام

قبيلة همدان الذين هم هم إذا ناب أمر جنتى وسهامى

دعوت فلبانى من القوم عصبة فوارس من همدان غير لثام

فوارس من همدان ليسوا بعزل غداة الوغى من شاكر وشبام

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

جزى الله همدان الجنان فإنهم سمام العدى فى كل يوم حمام(2)

ص:391

---

1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 88؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 676؛ النويرى، نهاية الأرب، ج 21، ص 31.

2- (2) بن مزاحم، وقعة صفين، ص 120؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 45، ص 487؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ج 2، ص 355؛ ابن أبى الحديد، شرح نهج البلاغة، مج 3، ج 5، ص 149؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج 7، ص 243؛ النقدى، جعفر، الأنوار العلوية والأسرار

وهو أمر لم يغيب عن معاوية فهو عارف بموقف تلك القبائل فقال:

لا عيش إلا فلق قحف الهام من أرحب وشاكر وشبام

قوم هم أعداء أهل الشام كم من كريم بطل همام

كم من قتيل وجريح دامى كذلك حرب السادة الكرام(1)

ومن خلال ما تقدم يتضح جلياً دور الموالى فى نشوء دولة المختار ومحاربة أعدائها، فى الوقت نفسه كانوا السبب غير المباشر فى القضاء على تلك الدولة وذلك لعداء العرب وتعصبهم عليهم.

أما بقية طبقات المجتمع الكوفى فقد كان موقفها متبايناً من ثورة المختار، فمن الذين وقفوا مع المختار فى قيام دولته القراء فحين ذكر البلخى(2) العلاقة بين ابن الزبير والمختار قال: «خرج المختار بن أبى عبيد فى جماعة من القراء، منهم أبو إسحاق الثقفى(3)، وجابر الجعفى(4)، وواقع ابن المطيع فطرده

ص:392

- 
- 1- (1) - ابن أعثم الكوفى، كتاب الفتوح، ج 3، ص 44؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ج 2، ص 354؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج 7، ص 244؛ النقدى، الأنوار العلوية، ص 229.
  - 2- (2) البدء والتاريخ، ج 1، ص 247.
  - 3- (3) لم نعثر له على ترجمة، وأقترن اسم أبو إسحاق الثقفى بصاحب كتاب الغارات المتوفى 283 هـ - وقطعاً أنه لم يكن المقصود، الباحث.
  - 4- (4) هو جابر بن يزيد بن الحارث بن عبد غيوث الجعفى، تابعى من فقهاء الشيعة ومن أكبر علمائهم، ورعاً، صدوقاً، ثقةً، أخذ عنه العلم، من أصحاب الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام)، توفى عام 128 هـ - . ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج 8، ص 464؛ الذهبى، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج 8، ص 59-60؛ والكاشف فى معرفة من له رواية فى



وحسب رواية الشعبي أنه أجاب إبراهيم بن الأشتر حين سأله عن أصحاب المختار (1) الذين شهدوا على محمد ابن الحنفية لما دعى لمساندة المختار ومؤازرته فقال: «هم سادة القراء ومشیخة المصر وفرسان العرب» (2).

وحين ذكر احد الباحثين معركة المذار بين المختار ومصعب بن الزبير قال: «وقد قتل منهم - أى أصحاب المختار - جماعة من الأمراء وخلق من القراء وطائفة كثيرة من الشيعة» (3).

ص: 393

- 
- 1- (1) - روى الشعبي أنه كان هو ووالده برفقة الوفد الذى ذهب مع المختار وأصحابه لتسليم كتاب محمد ابن الحنفية لإبراهيم بن الأشتر يدعوه فيه للانضمام للمختار ومؤازرته فى الأخذ بثأر الحسين (عليه السلام)، فذكر الشعبي أن إبراهيم طلب من المختار أن يشهدوا أصحابه على صحة الكتاب فشهدوا على ذلك وهم يزيد بن أنس، وأحمر بن شميطة، وعبد الله بن كامل الشاكري، وورقاء بنت عازب الأسدي، والسائب بن مالك، ومالك بن عمرو النهدي، ولم يشهد الشعبي وأبوه على ذلك، ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 325؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 386؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص 246-266؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 42؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 641؛ الخطيب، دولة المختار، ص 200-203.
  - 2- (2) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص 325؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص 246-266؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 42؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج 3، ص 641؛ الخطيب، دولة المختار، ص 200-203.
  - 3- (3) الأطرقي، الاتجاهات السياسية، ص 194.

ولا يستبعد أن القراء وقفوا بجانب المختار منذ بداية نشوء دولته، فقد لعب القراء دوراً بارزاً يوم صفين مع الإمام علي (عليه السلام) (1)، وظهر دورهم بشكل واضح وكبير مع ابن الأشعث (2) في ثورته ضد الأمويين حتى سميت ثورته آنذاك بثورة القراء على الرغم من أن هناك الكثير من نقاط الاختلاف بين ابن الأشعث والقراء لكن الذي جمعهم مع ابن الأشعث هو ظلم الأمويين وعمالهم يقول أحد المؤرخين المحدثين (3): «ونحن لا نعرف سبباً لفتنة ابن الأشعث سوى الحقد على الحجاج لظلمه أهل العراق أبناء

ص:394

1- (1) - ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص 123.

2- (2) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، أمير سجستان، خرج على الحجاج بن يوسف الثقفي ودعا لخلع عبد الملك بن مروان في سنة اثنتين وثمانين للهجرة، ووقعت بينه وبين الحجاج أكثر من ثمانين وقعة، كان آخرها وقعة دير الجماجم، قاتل معه أهل العراق للتخلص من ظلم الحجاج والأمويين، وقتل معه الكثير من القراء، قتله الحجاج عام أربعة وثمانون للهجرة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 183-184؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 18، ص 134-135؛ ابن العماد، شهاب الدين عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت: 1089 هـ - 1186 م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، 1986 م، ج 1، ص 345.

3- (3) عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، ج 2، ص 157؛ لمزيد من التفاصيل عن ثورة ابن الأشعث وموقف القراء منها. ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص 238-258؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 194-195؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 263-274؛ بيضون، من دولة عبد الملك إلى دولة عمر بن عبد العزيز، ص 270-286؛ الراوي، الدولة الاموية، ص 175-178.

وهناك من يشير إلى أن فئة من النصارى وقفت مع المختار فى ثورته، فذكر أحد المؤرخين المحدثين أن من أسباب قوة المختار أنه «انضمت إليه عناصر مسيحية من سكان العراق، الذين عُرفوا بالعباد»<sup>(1)</sup>، وهؤلاء ربما دخلوا الإسلام ولم يبقوا على نصرانيتهم لكن بقيت تسميتهم بالعباد حتى بعد إسلامهم.

وذكر بعض المؤرخين العباد فقالوا: إنهم قوم من قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية، ويعزى سبب هجرتهم من قبائلهم نحو الحيرة؛ لأنهم اختلفوا مع قومهم أو بسبب وضعهم الاقتصادى فنزلوها وبنوا مساكنهم فيها<sup>(2)</sup> فى حين ذكرهم ابن عبد ربه الأندلسى<sup>(3)</sup> فجعلهم من قبيلة لخم.

أما سبب تسميتهم بالعباد فذكر البعض أنهم أنفوا أن يتسموا بالعبيد فقالوا نحن العباد، والنسب عبادى كأنصارى<sup>(4)</sup>، وقيل إنهم سموا بذلك بسبب أن وفداً منهم وفد على كسرى وكانت جميع أسماء ذلك الوفد تبدأ بعبد فسموا العباد أو أتتهم سموا لزهدهم وكونهم يعبدون الله، أو بسبب اتخاذهم شعار يا آل عباد عند الحرب فسموا بذلك، وقيل غير ذلك<sup>(5)</sup>، ويرى جواد

ص: 395

- 
- 1- (1) - عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسى للدولة العربية، ج 2، ص 117.
  - 2- (2) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 2، ص 28؛ ابن منظور، لسان العرب، ج 3، ص 2477؛ العلى، محاضرات فى تاريخ العرب، ج 1، ص 74.
  - 3- (3) العقد الفريد، ج 3، ص 390.
  - 4- (4) ابن منظور، لسان العرب، ج 3، ص 2477.
  - 5- (5) غنيمية، يوسف رزق الله، الحيرة المدينة والمملكة العربية، مطبعة دنكور الحديثة، بغداد، 1936 م،

على: «أنهم جماعة من قبائل شتى جمعت بينها وحدة الدين، ووحدة الموطن، لذلك لم يطلق إلا على النصارى العرب من أهل الحيرة، أما غيرهم من نصارى العرب فلم يشملهم اسم العباديين»<sup>(1)</sup>.

ويمكن أن يستنتج أن المجتمع الكوفي بأغلب مكوناته شارك في ثورة المختار وهذه المشاركة أثارت حفيظة بعض أشراف الكوفة من أتباع الأمويين الذين فقدوا نفوذهم وامتيازاتهم نتيجة سياسة المختار التي أولت الطبقات المسحوقة في المجتمع دوراً لم يعتد الأشراف عليه ومن يرون أنفسهم أنهم عليه القوم، فضلاً عن قيام المختار بالقصاص من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) ولعب هؤلاء أنفسهم دوراً كبيراً في قتاله ومساعدة أعدائه بالقضاء على ثورته؛ فعقدوا العزم وحاربوا المختار ودولته واستخدموا نفوذهم في كسب ولاء آل الزبير وتحريضهم على قتاله فنجحوا في القضاء على تلك الدولة وقتل المختار.

ص:396

---

1- (1) - على، المفصل، ج 3، ص 170.





### إشارة

تُعد تهمة ادعاء النبوة من بين أخطر التهم التي وجهت للمختار كونها تخرجه من دين المسلمين وملتهم، فضلاً عن أنها تحقق لمن روج لها ما عجز عن تحقيقه بأساليب وطرق متنوعة في النيل من شخصية المختار وضربه في الصميم من خلال عقيدته وذلك لعدم تقبل المجتمع الإسلامي على مر التاريخ قيام شخص ما بادعاء النبوة لإيمانهم المطلق بأنه لا نبوة بعد نبوة محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، وأنه خاتم النبيين والمرسلين فهي من مسلمات عقيدة الإسلام، ولذلك تم الترويج لهذا الأمر بشكل ملفت للنظر وقد وردت تلك التهمة بصيغ وأشكال متعددة تارة متشابهة وأخرى متباينة عند المؤرخين منها:

### أولاً: كتاب المختار إلى الأحنف بن قيس

أسهبت المصادر التاريخية في تناولها كتاب المختار الثقفى الذى وجهه للأحنف بن قيس والذى زعم البعض أنه ادعاء من المختار بالنبوة بل هناك من جزم بذلك، فذكر المؤرخون روايتين في هذا الشأن:

جاء في الأولى: «كتب المختار إلى الأحنف وهو على مضر: أما بعد فويل أم ربيعه ومضر. من أمر سوء قد حضر وأن الأحنف قد أورد قومه سقر. وأنى لا أملك القدر، وما خط في الزبر ولعمري لئن قاتلتهموني وكذبتهموني لقد كذب من كان قبلي وما أنا بخيرهم»(1).

الثانية: أشار إليها المؤرخون(2) عندما تحدثوا عن الحوار الذي دار بين الشعبي(3) والأحنف بن قيس، فذكروا الرواية بسندهم عن الشعبي الذي قال: «جلست يوماً إلى الأحنف، فقال رجل من جلسائه يا كوفي استتقذناكم من عبيدكم، يعنى يوم قتل المختار، قلت قد عفونا عنكم يوم الجمل فلم تشكروا... فقال يا كوفي أتم أصحاب أنبياء، يعنى المختار، قال فأجبتة بجواب كرهه الأحنف وقلت تكذبون علينا فى أشياء، فقام فجاء بصحيفة صفراء فقال اقرأ أنفا فإذا فيها من المختار بن أبى عبيد إلى الأحنف ومن قبله

ص:400

1- (1) - البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 417.

2- (2) البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 418؛ الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 77-78؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 34، ص 482؛ الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 539؛ ابن كثير، ج 12، ص 30-31.

3- (3) هو عامر بن شراحيل بن عبد الشعبي وهو من حمير وعداده فى همدان وكان مولده لسنتين مضت من خلافة عثمان، وقيل ولد يوم جلولاء وكانت فى سنة سبع عشرة للهجرة، عمل كاتباً لعبد الله بن يزيد الخطمى عامل الكوفة من قبل آل الزبير قبل وثوب المختار بالكوفة بمدة يسيرة، وكان مزاحماً، توفى سنة خمس ومائة وعمره سبع وسبعون سنة، ويقال توفى سنة أربع ومائة. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج 8، ص 365-374؛ ابن قتيبة، المعارف، ص 449-451؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 14، ص 143-151؛ ابن الجوزى، صفوة الصفوة، ج 2، ص 43-44؛ الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 294-319.



سلم أنتم، أما بعد فويل لربيعة ومضر. وأنّ الأحنف مورد قومه سقر. حين لا يستطيع لهم الصدر. وأتّى لا أملك لكم إلا ما خط في الزبر، وبلغنى أنكم تكذبونى وقد كذبت الأنبياء مثلى ولست بخير من كثير فقال الأحنف: يا شعبي أكوفى هذا أم بصرى».

أسهبت المصادر التاريخية فى ذكر هاتين الروايتين فجاءت الأولى دون سند، فى حين جاء سند الرواية الثانية عن الشعبى الذى قال فيه ابن عبد البر (1) عند ترجمته للمختار «إلا- أنه كان بينه وبين الشعبى ما يوجب أن لا يقبل قول بعضهم فى بعض..»، وكذلك قال فيه ابن الأثير (2) أثناء ترجمته للمختار «وأخباره غير حسنه - أى المختار -، رواها عنه الشعبى وغيره، إلا أنه كان بينهما ما يوجب أن لا يسمع كلام احدهما فى الآخر»، ويظهر من قول ابن عبد البر وابن الأثير هذا أن هناك تحاملاً من الشعبى على المختار جعل بعض المؤرخين لا يقبلون بما يقوله تجاه المختار.

وقد ذكر ابن سعد (3) قول الشعبى: «لو كانت الشيعة من الطير كانوا رخماً ولو كانوا من الدواب كانوا حميراً»، وكذلك نقل عنه ابن عبد ربه الأندلسى (4) «أحذرك الأهواء المضلة، شرها الرافضة، فإنها يهود هذه الأمة، يبغضون الإسلام كما يبغض اليهود النصرانية»، بل وكانت الشيعة تتهمه

ص: 401

---

1- (1) - الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، (تحقيق: على البجاوى)، ج 4، ص 1465.

2- (2) أسد الغابة فى معرفة الصحابة، ج 5، ص 117.

3- (3) الطبقات، ج 8، ص 367.

4- (4) العقد الفريد، ج 2، ص 417.

ببغض الإمام على (عليه السلام) (1).

وعُرف الشعبي بتقلبه في الولاء فعمل كاتباً لعمال آل الزبير في الكوفة (2)، وكان مع المختار أثناء دعوة إبراهيم بن الأشتر للانضمام للثورة، ثم خرج بعد ذلك من الكوفة فلم يشهد من تلك المشاهد شيئاً (3)، فأقام في المدينة (4)، والمدائن (5) خوفاً من المختار (6)، وكان من المقربين للأمويين، وذكر ابن قتيبة (7) قولاً للحجاج يستفتيه: «يا شعبي ما عندك في هذه الفريضة؛ أم، وأخت وجد..»، وعمل قاضياً لهم في الكوفة (8) وفيه قول الشاعر (9) لما رأى عدم عدالته في الحكم:

فتن الشعبي لما رفع الطرف إليها

فتنته بدلالٍ وبخطى حاجبيها

ص: 402

1- (1) - المجلسي، بحار الأنوار، ج 45، 384-385؛ الخطيب، دولة المختار، ص 540.

2- (2) ابن قتيبة، المعارف، ص 450.

3- (3) الدينوري، الأخبار الطوال، ص 266

4- (4) - ابن سعد، الطبقات، ج 8، ص 367.

5- (5) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 14، ص 143.

6- (6) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 297.

7- (7) الإمامة والسياسة، ص 252.

8- (8) ابن سعد، الطبقات، ج 7، ص 335.

9- (9) الشاعر: هو الهذيل الأشجعي هو هذيل بن عبد الله بن سالم، أحد شعراء الكوفة ومجانها، هجا قضاة الكوفة عبد الملك بن عمير، والشعبي، وهو القائل للشعبي أيام قضائه، فتن الشعبي لما. ينظر المرزباني، محمد بن عمران بن موسى (ت: 384 هـ - 994 م)، معجم الشعراء، تحقيق: فاروق سليم، دار صادر، بيروت، 2005 م، ص 529-530.

فقضى جوراً على الخص - - م ولم يقض عليها(1)

وهو كذلك من المعجبين بعبد الملك بن مروان حيث يقول: «ما جالست أحداً إلا وجدت لى عليه الفضل إلا عبد الملك بن مروان فإنه ما ذكرته حديثاً إلا وزادنى فيه»(2)، وبعثه سفيراً إلى ملك الروم(3)، وروى الذهبي(4) أن الحجاج جعله عربياً على قومه وكان عنده بأحسن منزلة، فعده المحقق الحلي(5) «غاية فى الضعف لما كان عليه من متابعة بنى أمية ومبايعتهم حتى أنه يُعد من شيعتهم»، فضلاً عن أنه كان يستهزئ بالموالى(6).

ويبدو مما تقدم أن الشعبى له موقف سلبى ليس من المختار فحسب بل ومن الشيعة بشكل عام، كذلك طعن الشعبى بالموالى؛ ربما لدورهم الإيجابى فى ثوره المختار، وموقفه من الشيعة متطرف جداً، فوصفه الشيعة بالرافضة وأنهم يهود هذه الأمة فهذا المصطلح هو غالباً ما يقصد به الشيعة أو محبى آل البيت،

ص:403

- 
- 1- (1) - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 1، ص 158-159؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 25، ص 405؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 313-314.
  - 2- (2) السيوطى، تاريخ، الخلفاء، ص 212؛ عبد الحميد، صائب، ابن تيمية حياته - عقائده موقفه من الشيعة وأهل البيت، مؤسسة دائرة المعارف، قم، 1426 هـ -، ص 243-245.
  - 3- (3) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 14، ص 147؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 3، ص 13.
  - 4- (4) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 304.
  - 5- (5) - جعفر بن الحسين (ت: 622 هـ - 1225 م)، المعتبر فى شرح المختصر، مؤسسة سيد الشهداء، قم، 1364 هـ -، ج 2، ص 166.
  - 6- (6) - ابن سعد، الطبقات، ج 8، ص 370.

فمن المعروف أنه لم يسلم من تهمة الرفض حتى الإمام الشافعي فقال(1):

يا راكباً قف بالمحصب من منى وأهتف بساكن خيفها والناهضِ

سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى فيضاً كملتطم الفرات الفائضِ

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

والشعبي أصبح في الفترة التي تلت مقتل المختار مقرباً من الأمويين وقاضياً وسفيراً لهم ومن الطبيعي أن لا تقبل رواياته بخصوص خصوم الأمويين.

بينما جاء في سند الرواية الثانية زيادةً على الشعبي مجالد، قال ابن سعد(2): «مجالد بن سعيد الهمداني... وكان ضعيفاً... قال يحيى بن سعيد القطان(3): ما كنت أشاء أن يقول لي مجالد من حديث من رأى الشعبي عن مسروق إلا فعل»، وروى الترمذي(4): «وقد ضعف مجالداً أهل العلم وهو

ص:404

1- (1) - ابن عبد البر، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ص 90؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 9، ص 20؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 10، ص 58؛ العاملی، زين الدين بن أبي محمد علي بن يونس (ت: 877 هـ - 1472 م)، الصراط المستقيم إلى مستحقى التقديم، تحقيق: محمد باقر البهبودي، دار إحياء الآثار الجعفرية، د. م، 1384 هـ -، ج 1، ص 19؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج 23، ص 434؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج 1، ص 21؛ الوائلي، أحمد، هوية التشيع، الطبعة الثالثة، مؤسسة السبطين، قم، 1432 هـ -، ص 55.

2- (2) الطبقات، ج 8، ص 468.

3- (3) يحيى بن سعيد القطان: ويكنى أبو سعيد، وكان ثقة مأموناً رفيعاً حجة، توفي بالبصرة سنة ثمان وتسعين ومائة. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج 9، ص 294.

4- (4) محمد بن عيسى بن سورة (ت: 279 هـ -- 892 م)، سنن الترمذي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، بيروت، 1983 م، ج 2، ص 80.

كثير الغلط»، وكذلك ضعفه بن حزم(1) والبيهقي(2). وقال عبد الله بن قدامه(3): «وأما الخبر فلا يصح يرويه مجالد وهو ضعيف، قال أحمد (أى أحمد ابن حنبل) مجالد يصير القصة واحدة كم من أعجوبة لمجالد»، وكذلك أضاف الذهبي(4) فى ترجمته لمجالد بن سعيد «ويدرج فى عداد صغار التابعين وفى حديثه لين... قال البخارى كان يحيى بن سعيد يضعفه. وقال ابن معين لا يحتج به... وقال الدار قطنى ضعيف»، وذكره الهيثمى(5) فقال: «... وفيه مجالد بن سعيد وقد اختلط وضعفه جماعة»، وفى موضع آخر «وقد ضعفه الجمهور»(6)، بينما أسهب بن حجر العسقلانى(7) فى ترجمته لمجالد فقال: «... كان أحمد بن حنبل لا يراه شيئاً... وقال النسائى ليس بالقوى، وقال الدار قطنى... ومجالد لا يعتبر به... وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به...»..

ويستشف من وجود الشعبى راوياً لكتاب المختار وسبباً فى قيام الأحنف ابن قيس بالكشف عن مضمونه؛ كأن حوار المفاخرة الذى جرى بين الشعبى

ص: 405

1- (1) - المحلى، دار الفكر، بيروت، د. ت، ج 3، ص 62.

2- (2) أحمد بن الحسين بن على (ت: 458 هـ - 1065 م)، السنن الكبرى، دار الفكر، بيروت، د. ت، ج 9، ص 50.

3- (3) عبد الله بن أحمد بن محمد (ت: 620 هـ -- 1222 م)، المغنى، دار الكتاب العربى، بيروت، د. ت، ج 11، ص 11.

4- (4) سير أعلام النبلاء، ج 6، ص 284-287.

5- (5) نور الدين على بن أبى بكر (ت: 807 هـ -- 1405)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988 م، ج 1، ص 109.

6- (6) مجمع الزوائد، ج 5، ص 133.

7- (7) تهذيب التهذيب، ج 4، ص 24-25.

وأحد البصريين ليس له هدف إلا إصااق تلك التهمة بالمختار، ويرى أحد الباحثين(1) أنّ الشعبي من أشهر خصوم الشيعة فلا يستبعد منه أن يبهت رجلاً سل سيفاً مرهفاً على خصوم الإمام على (عليه السلام) وأوقع فيهم وقيةً ليس لها في التاريخ نظير.

ولو سلمنا بصحة السند وقلنا لم يتلاعب الشعبي ومجالد في هذه الصحيفة - إن وجدت - فلا يمكننا أن نأخذها على إطلاقها وذلك لعدة أسباب منها أنها كانت مختلفة الألفاظ وهذا واضح من خلال المقارنة بين الروايتين والاختلاف بين ألفاظ الروايتين يقلب المعنى ويعزز رأى الذين اتهموا المختار بادعاء النبوة، وقد يكون هذا الأمر مفتعلاً من قبل الراوى أو من نقل عنه، ومن الأمثلة على التحريف فى الروايتين أنّ الرواية الأولى لم يرد فيها ذكر للأنبياء أو الرسل بينما ورد هذا الأمر فى الرواية الثانية.

ويظهر مما تقدم ذكره أن تلك الروايات لا يمكن الركون إليها بهذه السهولة بعد ما تبين ما يحيط بهما من شكوك سنداً ومضموناً، ولا يستبعد أن أيدى الرواة قد تلاعبت زيادة أو نقصاناً فى نص تلك الصحيفة - إن وجدت - رغبة فى تشويه شخصية المختار التى لعبت دوراً مهماً فى التاريخ، ولها الكثير من الأعداء والخصوم.

وجاءت رواية ابن قتيبه(2) مقتضبة جداً ذكر فيها «أن المختار بن أبى عبيد

ص:406

---

1- (1) - عبد الحميد، صائب، تاريخ الإسلام الثقافى والسياسى، الطبعة الثانية، دائرة المعارف الإسلامية، قم، 2005 م، ص 694.

2- (2) تأويل مختلف الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ص 70.

أدعى النبوة لنفسه»، لكنه ذكر روايته دون إسناد أو تفصيل وهي لا يمكن الأخذ بها، وتطابقت معها رواية ابن حزم (1) عندما تحدث عن أبي عبيد الثقفي قال: «وابنه المختار بن أبي عبيد الذي ادعى النبوة بالكوفة»، في حين يرى ابن حزم (2) في موضع آخر غير ذلك فقال: «ومن جيد ما وقع منه أي المختار - أنه تتبع الذين شاركوا في أمر ابن الزهراء الحسين، فقتل منهم ما أقره الله عليه، وفعل أفعالاً يُعفى فيها على هذه الحسنه، وقتل بالكوفة ممن توهم منه ما يوجب مباينة ما هو عليه، فهذا كان الغالب عليه».

ويظهر التناقض واضحاً في كلام ابن حزم ففي الوقت الذي اتهمه بادعاء النبوة، ثم ذكر أنه يعفى على ما فعله بسبب حسنته في قصاصه من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام)، فالظاهر أن ابن حزم غير جازم بصحة تلك التهمة التي ألصقت للمختار لما عُرف عن ابن حزم تشدده وتعصبه في آرائه الدينية، وعقب أحد المؤرخين المحدثين (3) على ذلك فقال: «فلو كان من بين تلك الأفاعيل ادعاء النبوة ونزول جبريل عليه،... لما عفى عنه - ابن حزم - بهذه الحسنه ولا بغيرها، لأنها لا تبقى مع تلك الفظائع حسنة!».

ووردت رواية ابن عساکر (4) بسنده عن مجالد عن الشعبي أكثر تفصيلاً واختلفت من حيث المضمون ببعض العبارات عما جاء في روايات البلاذري

ص: 407

1- (1) - جمهرة أنساب العرب، ص 628.

2- (2) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج 2، ص 141.

3- (3) عبد الحميد، تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي، ص 694.

4- (4) تاريخ مدينة دمشق، ج 34، ص 482.

والطبرى منها قول الشعبى فى نهاية المحاوره مع البصريين «فقمتم وما أحيير جواباً»<sup>(1)</sup> وقوله كذلك «تؤذون رسلى»<sup>(2)</sup>، ورواية ابن عساكر هذه تعزز ما ذهبنا إليه فى التلاعب بالفاظ تلك الصحيفة المزعومة، وإن صحت فتشير بشكل واضح لعتب المختار على الأحنف بن قيس بسبب موقفه من دعوة المثنى بن مخزومه العبدى لأهل البصرة لبيعة المختار.

بينما اعتمد الذهبى<sup>(3)</sup> بشكل مختصر على رواية الطبرى فروى «قال مجالد عن الشعبى قال: أفرأنى الأحنف كتاب المختار إليه يزعم أنه نبي» ولم يكن كتاب المختار الذى رواه الطبرى عن مجالد عن الشعبى بهذه الصراحة، والذى سبق وأن تكلمنا عن سنده، ولا يستغرب من الذهبى أن ينقلها وكأنها من المسلمات، فهو يصف المختار بأنه «ضال مضل... وهو شر من الحجاج أو مثله»<sup>(4)</sup>، مما يوضح مدى تحامله وعدم موضوعيته فى وصفه له، وهو يجعله شراً من الحجاج أو مثله؛ الذى عدّه السيوطى<sup>(5)</sup> من مساوى عبد الملك بن مروان (65 هـ - 86 هـ): «لو لم يكن من مساوى عبد الملك إلا الحجاج وتوليته إياه على المسلمين وعلى الصحابة يهينهم ويذلهم، قتلاً، وضرباً وشتماً، وحبساً وقد قتل من الصحابة وأكابر التابعين ما لا

ص: 408

- 
- 1- (1) - تاريخ مدينة دمشق، ج 34، ص 483.
  - 2- (2) تاريخ مدينة دمشق، ج 34، ص 483.
  - 3- (3) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج 5، ص 227.
  - 4- (4) الذهبى، ميزان الاعتدال فى نقد الرجال تحقيق: على محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995 م، ج 6، ص 385.
  - 5- (5) تاريخ الخلفاء، ص 215.



يحصى فضلاً عن غيرهم، وختم في عنق أنس وغيره من الصحابة ختماً، يريد بذلك ذلهم، فلا رحمه الله ولا عفا عنه»، فأى مقارنةٍ ظالمةٍ قارن بها الذهبي بين المختار والحجاج.

أما ابن خلدون(1) عندما ذكر أبا عبيد، فقال وابنه المختار «الذى ادعى النبوة بالكوفة»، وهي متطابقة مع رواية ابن حزم، ولم يكتف بأن جعل النبوة من المسلمات بل نسب إليه الاعتقاد بالوهية الأئمة فعندما تكلم عن طوائف الشيعة قال: «ومنهم طوائف يسمون الغلاة تجاوزوا حد العقل والإيمان في القول بالوهية هؤلاء الأئمة... وسخط محمد ابن الحنفية على المختار بن أبي عبيد لما بلغه مثل ذلك عنه فصرح بلعنته والبراء منه»(2)، ويوضح هذا الاتهام للمختار مدى تحامل ابن خلدون وسعيه في تشويه شخصية المختار إلى أبعد الحدود حيث انفرد بذكر هذه التهمة.

وذكر ابن حجر العسقلاني(3) تهمة النبوة فقال: «وقد شهد عليه بدعوى النبوة»؛ ولم يقف عند ذلك أبى حجر العسقلاني فقال: «وقد زاد ابن الأثير في ترجمته - أى المختار - على ما ذكره ابن عبد البر قليلاً من ذلك قوله: كان بين المختار والشعبي ما يوجب أن لا يسمع كلام أحدهما فى الآخر، أدرج ابن الأثير هذا القدر من كلام ابن عبد البر وليس هو فيه، ولا

ص: 409

1- (1) - تاريخ ابن خلدون، ج 2، ص 370.

2- (2) تاريخ ابن خلدون، ج 1، ص 428.

3- (3) الإصابة فى تمييز الصحابة، ج 6، ص 276.

هو بصحيح...» (1)، بينما ذكر ابن عبد البر (2) في ترجمته للمختار «... إلا أنه كان بينه وبين الشعبي ما يوجب أن لا يقبل بعضهم في بعض...».

ورأى ابن حجر العسقلاني المتقدم يفتقر للموضوعية والأمانة العلمية، ففي الوقت الذي طعن بالأمانة العلمية لابن الأثير جزم بعدم صحة القول في الشعبي فيقول ولا هو بصحيح، وبذلك حاول بكل الوسائل النيل من المختار وإثبات وثاقة الشعبي حتى وصل به الأمر إلى اتهام الآخرين بالخيانة العلمية.

وأعتمد ابن كثير (3) على رواية الطبري عن مجالد عن الشعبي ونقلها كما أوردها الطبري، وقال كذلك: «هاك اقرأ - أي الشعبي - فقرأته فإذا فيه من المختار إليه يذكر أنه نبي» (4)، وابن كثير له مواقف عدائية متطرفة من المختار لأنه كان عدواً للأمويين والزبيريين وأخذ ثأر أهل البيت وقتل قتلهم فقال عنه: «ولكن ما أدرى هل كان يدعى النبوة أم لا،... ولا أشك أنه كان ضالاً مضلاً أراح الله المسلمين منه.» (5)، وليس غريباً قول ابن كثير هذا فهو من المعجبين بابن تيمية ومذهبه حتى وصف بأنه فُتن بحبه وأوصى أن يدفن في تربته (6).

ص: 410

---

1- (1) - الإصابة في تمييز الصحابة، ج 6، ص 276.

2- (2) - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (تحقيق: علي البجاوي)، ج 4، ص 1465؛ وينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج 5، ص 117.

3- (3) البداية والنهاية، ج 9، ص 30-31.

4- (4) البداية والنهاية، ج 9، ص 253.

5- (5) البداية والنهاية، ج 2، ص 71.

6- (6) - عبد الحميد، علم التاريخ ومناهج المؤرخين، دار الغدير، بيروت، 2001 م، ص 225-226.

أما السيوطي(1) فقد جاءت روايته بالشكل الآتي: «وفي أيام ابن الزبير كان خروج المختار... الذى ادعى النبوة... فجهز ابن الزبير لقتاله، إلى أن ظفر به فى سنة سبع وستين، وقتله، لعنه الله» فلم يقف عند نقل روايته دون سند أو تمحيص حتى ختمها بلعنه، وهذا يوضح كيف تؤثر الأهواء والاتجاهات فى كتابات الكثير من المؤرخين.

ويبدو أن تهمة النبوة استندت فى بعض الأحيان على كتاب المختار إلى الأحنف بن قيس وهذا الكتاب - أن صح وجوده - جاء بعد أن أخفق المثنى ابن مخرمة العبدى فى دعوة أهل البصرة إلى بيعة المختار(2)، وكان للأحنف يومها موقفٌ سلبيٌّ حتى قال له عمر بن عبد الرحمن «إنى لأعجب ممن يزعم أنك حليم»(3)، وعلى أثر ذلك قال الأحنف: «ما غبنت رأبى إلا يومى هذا»..(4)؛ فعندما وصل المثنى إلى الكوفة بعد إخفاق مهمته أوضح للمختار مواقف زعماء البصرة(5).

وقد أورد البلاذرى والطبرى كتاب المختار إلى الأحنف بعد الحديث عن مهمة المثنى مباشرة، ووردت كلمات الكتاب تؤكد ذلك فقد جاء فى الكتاب «تكذبونى» «قاتلتمونى» «تؤذون رسلى» يشير المختار بذلك إلى تكذيبهم

ص:411

---

1- (1) - تاريخ الخلفاء، ص 210.

2- (2) ينظر: من خلال البحث، ص 116-117.

3- (3) البلاذرى، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 417.

4- (4) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 77.

5- (5) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 77.

وقتلهم المثنى بن مخزومة أثناء دعوته لهم لبيعة المختار، وزيادة على ذلك شجعتهم مواقف الأحنف السابقة من الإمام علي (عليه السلام)، فلم يشترك مع أهل البصرة في الجمل، وكان معه في صفين، واعترض على تحكيم أبي موسى الأشعري قائلاً: «فابعثني مكانه آخذ لك بالوثيقة وأضعك من هذا الأمر بحيث أنت»<sup>(1)</sup>

ويظهر من خلال ذلك أن المختار كان يأمل أن يكون الأحنف بن قيس إلى جانبه وليس إلى جانب آل الزبير، لاسيما أن البصرة كانت في وقتها إحدى ولاياتهم، وربما لو ساند الأحنف بن قيس المختار في دعوته لكان وضع البصرة مختلفاً، وتكون دولته في الكوفة أكثر أماناً، وأن لا يضطر للقتال على جبهتين آل الزبير من جهة البصرة والأمويين من جهة الشام فالمختار كان يعرف أمور الحرب جيداً، وهذا ما بينه قول عمير بن الحباب<sup>(2)</sup> لإبراهيم عندما استشاره بقتال عبيد الله بن زياد: «فلا تعدون رأيه، فإن الشيخ قد ضرسته الحرب، وقاسى منها ما لم تقاس». <sup>(3)</sup>

كما أننا يمكن أن نضيف إلى ما تقدم أن آل الزبير والأمويين كانوا

ص: 412

---

1- (1) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 3، ص 105.

2- (2) هو عمير بن الحباب بن جعدة السلمى رأس القيسية في العراق، وأحد الأبطال الدهاة، كان ممن قاتل عبيد الله بن زياد مع إبراهيم بن الأشتر بالخازر، ثم أتى قرقيسيا خارجاً على عبد الملك بن مروان، وتغلب على نصيبين، واجتمعت عليه كلمة قيس كلها. ينظر: الزر كلى، الأعلام، ج 5، ص 88.

3- (3) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 90.

يستطيعون الافتراء والكذب على المختار دون أن يتحرجوا من ذلك والشواهد التاريخية تؤيد ذلك، فمثلاً بعث مصعب بن الزبير إلى عمرة بنت النعمان بن بشير وهي امرأة المختار، فقال لها: ما تقولين في المختار؟ فقالت: رحمه الله، كان عبداً من عباد الله الصالحين، فأودعها السجن، وكتب إلى أخيه عبد الله بن الزبير «أنها تزعم أنه نبي»، فكتب إليه أن اقتلها(1)، وقال أحد بنى مروان للزهري(2) - الذي كان عاملاً لبنى أمية فتركهم ولزم على بن الحسين (عليه السلام) - يا زهري ما فعل نبيك؟ يعنى على بن الحسين (عليه السلام)(3)، ويبدو أن هناك تحولاً حصل في حياة الزهري في أواخر حياته بسبب رسالة الإمام السجاد (عليه السلام) له والتي وعظه فيها بترك ما هو فيه من موالاة ومحابة الأمويين وأعاونهم(4).

والمستغرب هنا أن المؤرخين لم يلتفتوا إلى أن قضية ادعاء النبوة لا يمكن أن تسجّم مع حكم المختار للكوفة، فقد عُرف عن هذه المدينة أنّها مدينة

ص: 413

---

1- (1) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 443؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 109؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 141-142؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 6، ص 38.

2- (2) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت 124 هـ -) من مؤرخي المدينة ومن أوائل الذين كتبوا في المغازي، وهو صاحب شرطة بنى أمية، وقد أمعن في خدمة بنى أمية، حتى كتب إليه الإمام على بن الحسين (عليه السلام) رسالة وعظه فيها. ينظر: الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ص 274-277.

3- (3) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج 3، ص 298؛ النويري، حسين، مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988 م، ج 18، ص 222.

4- (4) ينظر: الحراني، تحف العقول، ص 173-175.

فكر وآراء ومن الصعب السيطرة عليها لاسيما إذا كان الشخص كذاباً أو مدعياً، والأمر المؤكد أنّ الكتاب الذي أرسل إلى الأحنف حدث فيه تلاعب كبير في ألفاظه وتأويله هدفه النيل من شخصية المختار الذي وقف بوجه الأمويين والزييريين على حدٍ سواء.

### ثانياً: تهمة نزول الوحي جبريل عليه

أسند أعداء المختار تهمة النبوة إليه فزعموا أنّه ادعى نزول الوحي عليه أو جلوس جبريل لجانبه، وتبعاً لذلك أسهبت بعض المصادر التاريخية في ذلك، فوردت روايتان عن أحمد بن حنبل وأربع روايات عن البلاذري بهذا الشأن:

الرواية الأولى: ذكرها أحمد بن حنبل: (1) بسنده «حدثنا يونس بن محمد، قال حدثنا عبد الله بن ميسرة أبو ليلى... قال رفاعة البجلي دخلت على المختار بن أبي عبيد قصره فسمعتة يقول: ما قام جبريل إلا من عندي قبل، قال فهممت أن أضرب عنقه، فذكرت حديثاً حدثنياه سليمان بن صرد، عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) أن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) يقول: إذا أمنك الرجل على دمه، فلا تقتله قال وكان قد أمنني على دمه فكرهت دمه».

الرواية الثانية: جاء بها أحمد بن حنبل (2) بسنده عن «السدي عن رفاعة

ص:414

---

1- (1) - أحمد بن حنبل (ت: 241 هـ - 855 م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2008 م، ج 45، ص 184.

2- (2) - مسند أحمد بن حنبل، ج 36، ص 278.

الفتياني، قال دخلت على المختار فألقى لى وسادة، وقال لولا أن أخی جبريل قام عن هذه لألقيتها لك. قال فأردت أن أضرب عنقه، فذكرت حديثاً حدثنيه أخی عمرو بن الحمق(1) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أيما مؤمن آمن مؤمناً على دمه فقتله، فأنا من القاتل برىء».

اما الرواية الأولى للبلاذرى:(2) أوردها بسنده عن «إسماعيل السدى عن رفاعة قال: دخلت على المختار وإذا وسادتان ملقأتان فقال يا فلان انت فلاناً، لرجل دخل، بوسادة، فقلت وما هاتان الوسادتان؟ فقال: قام عن أحدهما جبريل وعن الأخرى ميكائيل، فوالله إن منعى من أن أضربه بالسيف إلا حديث حدثني به عمرو بن الحمق قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يقول: من أئتمنه رجل على دمه فقتله فأنا منه برىء ولو كان المقتول كافراً».

ص:415

1- (1) - هو عمرو بن الحمق بن الكاهن بن حبيب بن عمرو بن القين بن رزاح بن عمرو بن سعد بن كعب بن عمرو، من خزاعة. صحب النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ونزل الكوفة وشهد مع الإمام على (عليه السلام) مشاهده، قال يوم صفين للإمام على (عليه السلام): يا أمير المؤمنين والله ما أحببتك وبايعتک على قرابة بينى وبينک، ولا أرادة مال تؤتینه، ولا التماس سلطان يرفع به ذکرى، ولكنى أحببتک بخصال خمس: لقدمک، وسابقتک، وقرابتک، وشجاعتک، وعلمک... فقال الإمام على (عليه السلام) له: اللهم نور قلبه بالتقى، واهده إلى صراطک المستقیم، يا عمرو وددت لى فى جندى ألف رجل مثلك. قتله عبد الرحمن بن أم الحكم بالجزيرة، وأول رأس حمل فى الإسلام رأس عمرو بن الحمق. ينظر المنقرى، وقعة صفين، ص 91؛ ابن سعد، الطبقات، ج 8، ص 147.

2- (2) جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 400.

وفى روايته الثانية قال البلاذري(1): «حدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب عن أبيه عن عدة حدثوه... وغلظ أمر المختار بالكوفة، فجعل يخبرهم أن جبريل يأتيه وتتبع قتلة الحسين فقتلهم، وكان ممن قتل عمر بن سعد بن أبي وقاص، وهو الذي لقي الحسين فقتله، فأزاد أهل الكوفة أعظماً له وحباً وطاعة؛ فخرج النعمان بن صهبان الراسبي(2) من البصرة، وكان يرى رأى الشيعة، حتى قدم الكوفة فدخل على المختار ذات يوم، فقال له المختار: هنا مجلس جبريل قام عنه أنفاً، فخرج النعمان وأصحابه فقاتلوه فقتلوا أجمعين».

الرواية الثالثة: أوردها البلاذري(3) بسنده عن «سعيد بن وهب قال: قيل لابن الزبير إن المختار يوحى إليه قال صدق ثم قرأ: (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ)4».

الرواية الرابعة: ذكرها البلاذري(4) بشأن الوحي فقال: «حدثني مصعب بن عبد الله الزبيري عن أبيه قال: قال هشام بن عروة: قيل لابن عباس إن المختار يزعم أنه يوحى إليه، فقال: صدق إثمهما وحيان وحي الله إلى محمد (صلى الله عليه واله وسلم)؛ ووحى الشياطين، وقرأ (وَإِنَّ

ص:416

1- (1) - جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 454.

2- (2) هو النعمان بن صهبان الراسبي من جرم كان من ضمن الجيش الذي بعثه الإمام على (عليه السلام) لمحاربة الخارجي الخريت بن راشد، فاختلف معه بضربتين فقتل الخريت بن راشد. ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص 496؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 86.

3- (3) جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 446.

4- (5) جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 446.



وتلك الروايات لا يمكن الركون إليها قبل مناقشتها سنداً ومضموناً فقد جاء في سند الرواية الأولى لأحمد بن حنبل عبد الله بن ميسرة أبو ليلي وهذا الراوي ضعفه ابن معين (1)، والنسائي (2)، والعقيلي (3)، والمزى (4)، والهيثمي (5)، وابن حجر العسقلاني (6)، وقال عنه ابن حبان (7) «لا يحتج به»، وذكر البيهقي (8) أنه «متروك»، وأورد الذهبي (9) أقوال العلماء فيه فمنهم من ضعفه أو تركه أو قال عنه ليس بشيء، ورواية أحمد بن حنبل هذه هي رواية البلاذري الأولى مع اختلاف في بعض الألفاظ، لكن ورد في سندها السدي:

ص: 417

- 1- (2) يحيى بن معين بن عون (ت: 233 هـ -- 847 م)، تاريخ ابن معين، تحقيق: عبد الله أحمد حسن، دار القلم، بيروت، د. ت، ج 1 ص 194.
- 2- (3) أبو عبد الرحمن أحمد بن شبيب (ت: 303 هـ -- 915 م)، الضعفاء والمتروكين، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت، 1986 م، ص 303.
- 3- (4) محمد بن عمرو بن موسى (ت: 322 هـ - 933 م)، الضعفاء الكبير (ضعفاء العقيلي)، تحقيق: عبد المعطى أمين قلجعي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988 م، ج 2، ص 308.
- 4- (5) تهذيب الكمال، ج 16، ص 197-198.
- 5- (6) مجمع الزوائد، ج 8، ص 280.
- 6- (7) تقريب التهذيب، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995 م، ج 1، ص 539-540.
- 7- (8) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، ج 2، ص 32.
- 8- (9) السنن الكبرى، ج 1، ص 12.
- 9- (10) ميزان الاعتدال، ج 4، ص 210؛ وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج 11، ص 228-229.

وهو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي (1) وهذا الراوي ضعفه العقيلي (2) ، والرازي (3) ، وكذلك ذكر: ابن عدي (4) ، والمزي (5) ، وابن حجر (6) ؛ جماعة من علماء الحديث فمنهم من ضعفه أو تركه أو قال لا يحتج به، وهذا الراوي أورده أحمد بن حنبل في روايته الثانية بشأن الوحي.

أما مضمون روايتي أحمد بن حنبل ورواية البلاذري الأولى فعلى الرغم من أنها جاءت عن طريق رفاعه بن شداد، فقد اختلفت فيما بينها في أمور مهمة منها جعلت أصل الحديث النبوي مرة إلى عمرو بن الحمق، ومرة إلى سليمان بن صرد، وكذلك ذكر جبريل مرة وذكر جبريل وميكائيل في مرة أخرى، بل والأكثر من ذلك الرواية التي ذكرها البلاذري وأحمد بن حنبل وهي عن طريق السدي نفسه جعلت من نهاية حديث الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) من المختار رجلاً مؤمناً حسب رواية أحمد بن حنبل الثانية ورجلاً كافراً لدى البلاذري!، ويتضح من خلال سند ومضمون تلك الروايات أن هناك تناقضاً واضحاً يدل على أن هناك إرادة لتشويه صورة المختار بهدف النيل منه.

ص: 418

1- (1) - ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 1، ص 158.

2- (2) الضعفاء الكبير (ضعفاء العقيلي)، ج 1، ص 87-88.

3- (3) الجرح والتعديل، ج 2، ص 184-185.

4- (4) عبد الله (ت: 365 هـ -- 975 م)، الكامل، تحقيق: يحيى مختار غزوي، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت، 1988 م، ج 1، ص 276-277.

5- (5) تهذيب الكمال، ج 3، ص 135-137.

6- (6) تهذيب التهذيب، ج 1، ص 199.

أما رواية البلاذري الثانية فقد وردت دون إكمال سندها، وهي لا يمكن الأخذ بها بهذا الشكل؛ وزيادة على ضعف سند تلك الرواية فإن ما ذكره البلاذري في سبب خروج النعمان بن صهبان على المختار يتناقض مع ما ذكره المؤرخ نفسه في مقتله في مواضع أخرى حيث قال: «وقال الهيثم بن عدى: كان المختار يقول: العجب كل العجب. بين جمادى ورجب؛ وكان يقول أحياء وأموات... فقاتله النعمان بن صهبان يوم جبانة السبيح فقتل»..(1)، وكذلك ذكر البلاذري(2): «قالوا وقتل المختارية يوم جبانة السبيح النعمان بن صهبان... فسمع من المختار كلاماً أنكره فقاتله مع أهل جبانة السبيح حتى قتل»..

وسبق وأن أشرنا إلى سبب قتال المتمردين من أهل الكوفة يوم جبانة السبيح ومطالبهم التي أعلنوها وكان جليها يتمحور حول موقف المختار من الموالي وفي واقعها وحقيقتها خوف قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) من قيام المختار بالتفرغ لهم بعد أن يثبت أركان دولته وهو ما حصل فعلاً ولم يذكر المتمردون الوحي والنبوة.

المأخذ الآخر على رواية البلاذري الثانية جعلت مقدم النعمان بسبب قيام المختار بقتل قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) ومنهم عمر بن سعد وهؤلاء قتلوا بعد وقعة السبيح، حيث تفرغ المختار لقتلة الإمام الحسين (عليه

ص: 419

---

1- (1) - جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 400.

2- (2) - جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 401.

السلام)؛ فإذا كانت رواية البلاذري الثانية صحيحة فكيف ذكر البلاذري وغيره(1) أن النعمان قتل يوم وقعة جبانة السبيع. وهذا يدل على أن هناك تناقضاً واضحاً في رواية البلاذري من حيث السند والمضمون.

ويعتمد البلاذري في سند روايته الثالثة والرابعة على آل الزبير أعداء المختار وآل البيت على حد سواء، وقد قيل لأبن الزبير لم تركت الصلاة على النبي (صلى الله عليه واله وسلم) فقال: «إنَّ له أهل سوء يشربون لذكوره، ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به»(2)، وقال يوماً لأبن عباس «إني لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة»(3)، وقال له كذلك بعد مقتل المختار «يا بن عباس أنه قد قتل الله المختار الكذاب الذي كنتم تمدون أعينكم إلى نصرته لكم»(4)

زيادة على ذلك فقد ذكر البلاذري كلاماً يتناقض مع ما ورد في روايته بشأن الوحي قاله عبد الله بن العباس بحق المختار «... قد قتل قتلنا، وطلب بدمائنا، وشفى غليل صدورنا»(5) علاوة على قوله حين ذكر المختار «فقال: صلى عليه الكرام الكاتبون»(6). وكان المختار يرسل الأموال إلى عبد الله بن

ص:420

- 
- 1- (1) - جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 401؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 64-65؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 657
  - 2- (2) - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 182.
  - 3- (3) المسعودي، مروج الذهب، ج 3، ص 96.
  - 4- (4) أبن أعثم، الفتوح، ج 6، ص 323.
  - 5- (5) البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 445.
  - 6- (6) البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 446.

العباس فيقبلها(1) ، وكان قتل المختار سبباً في قيام ابن الزبير بإخراج عبد الله ابن العباس من مكة إلى الطائف(2). ولم يكن تأييد ابن عباس لثورة المختار كونها ثورة ضد ابن الزبير فحسب وإنما يرى أنها ثورة هادفة في الدرجة الأولى للأخذ بثأر الإمام الحسين وآل بيته (عليهم السلام)(3).

ويبدو مما تقدم أن روايتي البلاذري بشأن الوحي لا يمكن الركون إليها؛ فالعلاقة بين المختار وابن عباس كانت إيجابية إلى درجة كبيرة حسب الروايات التاريخية.

وقال ابن قتيبة(4): «وكان يزعم أن جبريل يأتيه...». فجاءت روايته دون إسناد أو تفصيل؛ وكذلك ذكرها البلخي(5): «ويزعم أن جبريل وميكائيل يأتيانه...».

بينما اعتبرها المسعودي(6) إحدى وسائل المختار لكسب المؤيدين له فقال: «ومنهم من يدفعه عن هذا فيخاطبه بأن الملك يأتيه بالوحي ويخبره بالغيب...»، ويظهر من رأى المسعودي هذا أن المختار كرجل حرب وسياسة استخدم كل الوسائل لكسب المؤيدين له، ويبدو أن هذا الرأى مبالغ

ص: 421

1- (1) - ابن الأثير، أسد الغابة، ج 5، ص 117.

2- (2) الدينوري، الأخبار الطوال، ص 282.

3- (3) الحكيم، محمد تقى، عبد الله بن العباس شخصيته وآثاره، دار الهادي، بيروت، 2001 م، ج 1، ص 497.

4- (4) المعارف، ص 401.

5- (5) البدء والتاريخ، ج 1، ص 248.

6- (6) مروج الذهب، ج 3، ص 90.

فيه فمهما بلغت حنكة المختار السياسية والعسكرية لا تصل الأمور به إلى كسب المؤيدين بادعاء أمور تضر بعقيدته ودينه، فضلاً عن أن المجتمع الإسلامي لاسيما في الكوفة لا يتقبل تلك الادعاءات بهذه السهولة بل تأتي بنتائج عكسية على المختار.

وأورد الزمخشري (1) رواية عن شيبث بن ربعي قال: «قال لي المختار بن أبي عبيد: هل لك أن أريك جبرائيل؟ فأدخلني بيتاً في جوف بيت، فإذا أنا بشيخ على سرير قد سقط حاجباه على عينيه، فوثب عليه، فجعلت أنف لحيته، فصاح دقني دقني. والدقن بالنبطية اللحية»، وهذه الرواية أوردها الزمخشري دون إسناد عن شيبث بن ربعي وهو من قادة ابن زياد يوم الطف، ومن أعداء المختار الذين قاتلوه، وهو ممن سار إلى مصعب بن الزبير ليحثه على قتال المختار ويستغيث به (2)، وهي بذلك لا يمكن الأخذ بها لضعفها سنداً ومضموناً.

واعتمد ابن الجوزي (3) والذهبي (4) في روايتهم عن الوحي وجبريل على رواية أحمد بن حنبل الثانية والتي أوردها بسنده عن السدي ورفاعة، والتي ذكرناها من حيث السند والمضمون.

ص: 422

- 
- 1- (1) - أبو القاسم محمود بن عمر (ت: 538 هـ - 1143 م)، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1992 م، ج 1، ص 314-315.
  - 2- (2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 96.
  - 3- (3) المنتظم، ج 5، ص 67-68.
  - 4- (4) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج 5، ص 226؛ سير أعلام النبلاء، ج 2، ص 294.

فى حىن جءاء رواءة ابن شاكرا الكتبه (1) مءءلفة نوعاً ما فقد ذكر ذلك قائلاً: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون فى ثقيف كذاب ومببر، وكان الكذاب المءءار كذب على الله تعالى وأءعى أن الوءى يأتبه من الله تعالى»، وهذا المؤرخ أورد حءبثا للرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ءون إسناد، ولم يكتف بذلك فأول الحءبث وأضاف أن ذلك سبباً لتسمفة المءءار بالكذاب. وعلى غرار ذلك جءاء رواءة ابن تغرى برءى (2) حبث قال: «ثم افءرى على الله أنه يأتبه جبرفل بالوءى، فلهذا قفل عنه: المءءار الكذاب».

وأسهب ابن كءبر فى حءبئه عن نزول الوءى وجبرفل على المءءار ذاكراً فى ذلك العءفء من الرواءاء:

الرواءة الأولى: ذكر ابن كءبر (3) «وقء ءواءر ءبر المءءار بن أبى عبفء... وقد قفل لابن عمر، وكان زوج أءء المءءار صففة: إن المءءار فزعم أن الوءى يأتبه. فقال صءق، قال الله تعالى (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ) 4».

وهذه الرواءة أورءها ابن كءبر ءون إسناد، ومن المسءغرب أن هذه الرواءة أورءها البلاءرى (4) ونسب هذا القول إلى عبء الله بن العباس، وفى

ص: 423

---

1- (1) - فواء الوفاءاء، ج 4، ص 123.

2- (2) النجوم الزاهرة، ج 1، ص 229-230.

3- (3) البءاءة والنهافة، ج 9، ص 252.

4- (5) جممل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 446.

رواية أخرى مشابهة لهذا القول عند البلاذري (1) أيضا نسب فيها هذا الكلام إلى عبد الله بن الزبير، وزيادة على ذلك نسب القيرواني (2) هذا القول إلى الأحنف بن قيس فقال: «وقيل للأحنف بن قيس: إن المختار يزعم أنه يوحى إليه! فقال: صدق، وتلا: (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ) 3»، وهذا القول اختلف في نسبه مرة لعبد الله بن الزبير ومرة لعبد الله بن العباس وثالثة للأحنف بن قيس مما يدل على أنه قول لا أساس له من الصحة ومن ذلك يتبين مدى التلاعب في متن ومضمون تلك الرواية.

الرواية الثانية: جاء ابن كثير (3) بها فقال: «قال الإمام أحمد... ثنا السدي عن رفاعة... دخلت على المختار فألقى لى وسادة وقال: لولا أن أخى جبريل قام عن هذه لألقيتها لك...»، وهذه هي رواية أحمد بن حنبل الثانية التي ناقشنا سندها ومضمونها.

الرواية الثالثة: قال ابن كثير (4) «روى الطبراني، من طريق أنيسة بنت زيد بن أرقم (5)، أن أباه دخل على المختار بن أبي عبيد فقال له: يا أبا عامر

ص: 424

1- (1) - جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 446.

2- (2) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري (ت: 453 هـ - 1060 م)، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، دار الجيل، بيروت، د. ت، ج 1، ص 399.

3- (4) البداية والنهاية، ج 12، ص 68.

4- (5) البداية والنهاية، ج 12، ص 69-70.

5- (6) هو زيد بن أرقم بن قيس بن النعمان، من الخزرج، كنيته أبو عامر، وقيل أبو أنيسة، غزا مع



لو سبقت رأيت جبريل وميكائيل. فقال له زيد: حقرت وتعست، أنت أهون على الله من ذلك، كذاب مفتر على الله ورسوله».

ورد في سند هذه الرواية ثابت بن زيد بن ثابت بن زيد بن أرقم الأنصاري (1) ضعفه العقيلي (2)، والهيشمي (3)، وقال عنه ابن حبان (4) «يروى المناكير عن المشاهير... كان الغالب على حديثه الوهم»، قال الذهبي (5) «له مناكير»، وذكر ابن حجر العسقلاني (6) قول ابن حبان فيه والعقيلي، وهذه الرواية ضعيفة السند ولا يمكن الأخذ بها، ومن خلال مفردات الرواية يظهر الوهن على تلك الرواية فمن غير المعقول أن يتكلم زيد بهذا الكلام أمام شخصية مثل المختار لها نفوذ واسع وبيده السلطة والحكم.

الرواية الرابعة: ذكر ابن كثير رواية بسنده عن عبد الملك بن عمير، عن

ص: 425

- 
- 1- (1) - البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت: 256 هـ - 869 م)، التاريخ الكبير، المكتبة الإسلامية، ديار بكر، د. ت، ج 2، ص 163؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج 5، ص 212.
  - 2- (2) - ضعفاء العقيلي، ج 1، ص 174.
  - 3- (3) - مجمع الزوائد، ج 7، ص 333.
  - 4- (4) - المجروحين، ج 1، ص 206.
  - 5- (5) - ميزان الاعتدال، ج 2، ص 84.
  - 6- (6) - لسان الميزان، ج 2، ص 77.

رفاعة بن شداد فقال: «كنت أبطن شىء بالمختار الكذاب. قال فدخلت عليه ذات يوم فقال: دخلت وقام جبريل قبل من هذا الكرسي. قال فأهويت إلى قائم السيف - يعنى لأضربه - حتى ذكرت حديثاً حدثنيه عمرو بن الحمق الخزاعي، أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قال: إذا أمن الرجل الرجل على دمه ثم قتله، رفع له لواء الغدر يوم القيامة، فكففت عنه»<sup>(1)</sup>، ورد في سند هذه الرواية عن عبد الملك بن عمير وهو من لخم<sup>(2)</sup> قال عنه أحمد بن حنبل ضعيف جداً<sup>(3)</sup>، ومضطرب الحديث<sup>(4)</sup>، وقيل عنه مشهور بالتدليس<sup>(5)</sup>، وكذلك قيل عنه تغيير حفظه قبل موته<sup>(6)</sup>، وهو متهم بقتل رسول الإمام الحسين (عليه السلام) إلى أهل الكوفة أخ الإمام الحسين (عليه السلام) من الرضاة عبد الله بن يقطر<sup>(7)</sup> فلما أعيب عليه ذلك قال: إنّما

ص:426

- 
- 1- (1) - البداية والنهاية، ج 9، ص 252-253
  - 2- (2) - ابن قتيبة، المعارف، ص 473
  - 3- (3) - المزي، تهذيب الكمال، ج 18، ص 373؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 2، ص 620
  - 4- (4) - الرازي، الجرح والتعديل، ج 5، ص 361؛ المفيد، الإفصاح، دار المفيد، بيروت، 1993 م، ص 220؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 12، ص 620
  - 5- (5) - سبط بن العجمي، إبراهيم بن محمد بن خليل (ت: 841 هـ - 1437 م)، التبيين لأسماء المدلسين، تحقيق: يحيى شقيق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986 م، ص 39-40؛ ابن حجر العسقلاني، طبقات المدلسين، تحقيق: عاصم بن عبد الله القزويني، مكتبة المنار، د.ت، ص 41.
  - 6- (6) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 2، ص 620
  - 7- (7) - وهو أخو الإمام الحسين (عليه السلام) بالرضاة، أرسله الإمام إلى سفيره في الكوفة مسلم بن عقيل (عليه السلام) فقبض عليه الحصين بن نمير قبل دخوله الكوفة، ولم يخبر ابن زياد بحاله،

أردت أن أريحه(1) وفي رواية أنه قتل قيس بن مصهر الصيدأوى(2) ، وكان قاضياً زمن الأمويين في الكوفة(3) ، وكان يقبل الرشا في القضاء، ويحكم بالجور والعدوان، ومتجاهراً بالفجور، ويطعن في الإمام على (عليه السلام)(4) ، وعلى أثر ذلك هجاه هذيل الأشجعي(5).

إذن رواية ابن كثير هذه مرفوضة من حيث سندها، وكذلك اختلاف متنها مع ما ورد في الروايات السابقة التي ذكرناها، والتي أسندت القول إلى عمرو بن الحمق ولكن بصيغة أخرى مختلفة تماماً عن حديث الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) كما أوردها البلاذري(6) وأحمد بن حنبل(7) وهي بذلك

ص:427

- 
- 1- (1) - الطبري، التاريخ، ج 5، ص 269؛ ابن الأثير، الكامل، ج 3، ص 496.
  - 2- (2) المفيد، الإرشاد، ص 210.
  - 3- (3) ابن قتيبة، المعارف، ص 473؛ المفيد، الإفصاح، ص 220؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 3، ص 164-165.
  - 4- (4) المفيد، الإفصاح، ص 220.
  - 5- (5) المرزباني، معجم الشعراء، ص 529؛ المفيد، الإفصاح، ص 220.
  - 6- (6) جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 400.
  - 7- (7) مسند احمد، ج 36، ص 378.

لا يمكن الركون إليها وقبولها لضعفها سنداً ومضموناً، ولا يخفى رأى ابن كثير فى المختار الذى يكاد يخلو من كل موضوعية وحيادية فهو يتعرض للمختار بكل ما أمكنه من النيل منه؛ فهو على سبيل المثال يتكلم عن صفية أخت المختار فيقول: «قلت... وهى أخت المختار بن أبى عبيد، أمير العراق فيما بعد، وكانت امرأة صالحة، وكان أخوها فاجراً، وكافراً أيضاً»، فهو ينسب إليه الفجور والكفر وكأنه أمر مسلم به لا يحتاج إلى أى دليل أو برهان، ولذلك نجده قد استفاض بكل ما يمكن أن يشكل إدانة أو طعنًا بشخصية المختار.

ويظهر من خلال روايات المؤرخين المتقدمة الذكر التى تناولت نزول الوحي أو جلوس جبريل مع المختار، أنها وردت دون إسناد يذكر أو ضعيفة الإسناد أو أن روايتها من أشد أعداء المختار، وكذلك مضطربة المضمون فى الرواية الواحدة أو مع غيرها من الروايات الأخرى، بل يصل التناقض إلى المؤرخ نفسه يروى رواية ينقض بها ما ينسب إلى المختار فقد نقل المسعودى (1) قول زوجتى المختار لما دعيتا إلى البراءة من المختار فقالتا: «كيف نتبرأ من رجل يقول ربي الله؟ كان صائم نهاره قائم ليله، وقد بذل دمه لله ولرسوله فى طلب قتلة ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وأهله وشيعته».

ويرى ابن نما الحلى (2) أن هناك لبساً فى قضية الوحي وجلوس جبريل مع

ص: 428

---

1- (1) - مروج الذهب، ج 3، ص 117.

2- (2) ذوب النصارى فى شرح الثار، ص 92

المختار فقد ذكر «قال المرزباني في كتاب الشعراء: كان للمختار غلام يقال له جبرائيل. وكان يقول قال لي جبريل، وقلت لجبريل، فيوهم الأعراب وأهل البوادي بأنه جبرائيل (عليه السلام)، فاستحوذ عليهم بذلك حتى انتظمت له الأمور، وقام بإعزاز الدين ونصره، وكسر الباطل وقصره»، وقد يكون هذا الأمر معتاداً عند أهل الكوفة ومن المختار ولكن المؤرخين حرفوا التسمية من أجل التشنيع على المختار، وهذه هي الأخرى رواية ضعيفة لا يمكن الركون إليها، فقد أثبتت الدراسة والمصادر أن المختار كان رجل دولة يحمل عقيدة راسخة قدم الكثير في سبيلها فمن غير الممكن التدليس على الناس وإن كانوا أعراباً وأهل بوادي بهذه الطريقة، وهل يمكن للمختار أو لغيره أن يدعى ما نُسبَ له أن يبقى في الكوفة حاكماً مطاعاً يقاتل أهل الشام وينتصر عليهم انتصاراً مظفراً، ويبعث الجيوش إلى آل الزبير في مقرهم ويخرج محمد ابن الحنفية من سجنه، فضلاً عن تأسيسه لدولة تكاد تفرض سيطرتها على الشرق الإسلامي كله.

### ثالثاً: تهمة قتال الملائكة مع المختار

#### 1. هجاء سراقه بن مرداس البار في للمختار

(1)

استند بعض المؤرخين في نسبة قتال الملائكة مع المختار على الشعر الذي

ص:429

---

1- (1) - هو سراقه بن مرداس الأزدي البارقى شاعر من شعراء العراق هجا المختار بن أبي عبيد وهرب إلى دمشق أيام عبد الملك ثم عاد إلى العراق مع بشر بن مروان وكانت بينه وبين جرير مهاجاة. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 15، ص 83-84.

قاله سراقه بن مرداس البارقي بهجوفيه المختار وذلك بعد أن جىء به أسيراً فى وقعة جبانة السبيع (سنة 66 هـ - (1) ، فأسهبت بعض المصادر التاريخية فى ذلك منها:

روى البلاذرى (2) ذلك ثم ذكر أنّ «سراقه بن مرداس البارقي صنع أشعاراً فجعل يقول:

امنن على اليوم يا خير معد وخير من لى وحيا وسجد

فأمر به فحبس ليلة ثم خلاه فقال شعراً ذكر فيه أنه رأى الملائكة تقاتل مع المختار على خيل بلق، فأمره المختار أن يصعد المنبر فيعلم الناس ما رأى ففعل، ثم هرب إلى مصعب بن الزبير وهو بالبصرة وقال:

ألا ابليغ أبا إسحاق أنى رأيت البلق دهما مصمات

كفرت بوحيكم وجعلت نذراً على قتالكم حتى الممات

أرى عينى ما لم تبصره كلانا عالم بالترهات»

وقريباً من ذلك جاءت رواية الدينورى (3) فقال: «ثم إنَّ المختار دعا بالأسرى الذين أسرهم من أهل الكوفة فى الوقعة التى كانت بينه وبين أهل الكوفة، فجعل يضرب أعناقهم حتى انتهى إلى سراقه البارقي.... ثم قال

ص: 430

---

1- (1) - الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 69؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص 116؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 19.

2- (2) جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 401.

3- (3) الدينورى، الأخبار الطوال، ص 277.

للمختار: أيها الأمير، لو أنكم أنتم الذين قاتلتمونا لم تطمعوا فينا. فقال المختار: فمن قاتلكم؟ قال له سراقه: قاتلنا قوم بيض الوجوه على خيل شهب. قال له المختار: تلك الملائكة، ويملك أما إذ رايتهم فقد وهبتك لهم، ثم خلى سبيله، فلحق بالبصرة وأنشأ يقول:

ألا أبلغ أبا إسحاق إني أيت الشهب كمتاً مصممتات

في حين أورد الطبري بهذا الشأن روايتين:

الرواية الأولى: ذكرها بسنده عن أبي مخنف «ولما خرج المختار من جبانة السبيع وأقبل إلى القصر، أخذ سراقه... يناديه بأعلى صوته: أمنن على اليوم يا خير معد... فبعث به المختار إلى السجن فحبسه ليلة، ثم أرسل إليه من الغد فأخرجه، فدعا سراقه فأقبل إلى المختار وهو يقول:

ألا أبلغ أبا إسحاق إنا نزونا نزوة كانت علينا

خرجنا لانرى الضعفاء شيئاً وكان خروجنا بطرا وحيننا

... فلما انتهى إلى المختار قال له: أصلحك الله أيها الأمير! سراقه بن مرداس يحلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد رأى الملائكة تقاتل على الخيول البلق بين السماء والأرض؛ فقال له المختار: فاصعد المنبر فاعلم ذلك المسلمين، فصعد فاخبرهم بذلك ثم نزل. فخلا به المختار فقال: إني قد علمت أنك لم تر الملائكة، وإنما أردت ما قد عرفت أن لا أقتلك فاذهب عني حيث أحببت، لا تفسد على أصحابي» (1).

ص: 431

الرواية الثانية: ذكر الطبري (1) بسند غير مكتمل قال: «حدثني أبو السائب سلم بن جنادة قال: حدثنا محمد بن براد، من ولد أبي موسى الأشعري، عن شيخ قال: لما أسر سراقفة البارقي قال: وأنتم أسرتموني؟ ما أسرني إلا قوم على دواب بلق، عليهم ثياب بيض. قال: قال المختار: أولئك الملائكة، فأطلقه فقال:

ألا أبلغ أبا إسحاق أني رأيت البلق دهما مصممتات

أرى عيني ما لم ترأياه كاللنا عالم بالترهات»

وجاءت رواية ابن أعثم الكوفي (2) مختلفة نوع ما قال: «وكان آخر من قدم عليه رجل من القوم بهي جميل فقال له المختار: من أنت؟ فقال: أيها الأمير! أنا سراقفة بن مرداس البارقي، ولست ممن قاتل الحسين بن علي ولا مشارك في دمه، فاسمع كلامي ولا تعجل! فقال له المختار: فقل ما تشاء فأني سامع منك، فأنشأ يقول:

ألا أبلغ أبا إسحاق أنا نزونا نزوة كانت علينا

... قال: فقال له المختار: إنني قد سمعت شعرك وأنت ممن قاتلني ولا بد من قتلك أو تخليدك السجن؛ قال فقال سراقفة: ولم ذلك فوالله وإلا فعليه كذا وكذا إن لم أر الملائكة بالأمس تقاتل معك، فلما وضعت الحرب أوزارها رأيت الملائكة تطير بين السماء والأرض، فقال له المختار: وأنا أحلف أنك ما

ص: 432

1- (1) - تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 68.

2- (2) ابن أعثم، كتاب الفتوح، ج 6، ص 264-265؛ ومقتل الحسين، ص 271-272.



رأيت شيئاً مما رأيت من أمر الملائكة، وقد حلفت بالله كاذباً، وقد حقنت لك دمك فاخرج عن الكوفة والحق بأى بلد شئت! قال فقال سراقه: صدقت والله أصلح الله الأمير ما رأيت شيئاً وما كنت فى يمين حلفت بها ساعة قط أشد اجتهاداً ولا مبالغة فى الكذب من تلك اليمين، ولكنى خفت سيفك. قال: ثم خرج... ثم أنشأ يقول:

ألا أبلغ أبا إسحاق أنى رأيت البلق دهما مصممتات

لكن ابن عبد ربه الأندلسى (1) جاء برواية تختلف فى تسلسل أحداثها عما ذكرناه فذكرت أن المختار عفا يوم جبانة السبيع عن سراقه لمجرد أنه قال لما أتى به مع الأسرى:

أمنن على اليوم يا خير معد وخير من لبي وصلوى وسجد

ثم خرج على المختار مرة أخرى فأتى به أسيراً وأراد قتله المختار فقال: لا والله لا تفعل إن شاء الله؛ قال ولم؟ قال: لأن أبى أخبرنى أنك تفتح الشام حتى تهدم مدينة دمشق حجراً حجراً وأنا معك ثم أنشده الأبيات إلا أبلغ أبا إسحاق أنا حملنا حملة كانت علينا... فخلى سبيله، ثم خرج مرة ثالثة فقال: أنا لما التقينا رأينا قوماً عليهم ثياب بيض، وتحتهم خيل بلق، تطير بين السماء والأرض، فقال المختار: خلو سبيله ليخبر الناس، ثم دعا لقتاله.

وأورد مسكوية (2) روايته بشكل مختصر فذكر: «فاما سراقه بن مرداس

ص: 433

1- (1) - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 2، ص 143-144.

2- (2) تجارب الأمم، ج 2، ص 116.

البارقي، فإنه حلف واجتهد في اليمين أنه رأى الملائكة معهم تقاتل على خيول بلق، وقال لهم: أنتم أسرتموني؟ ما أسرني إلا قوماً على دواب لهم بلق، عليهم ثياب بيض. فقال المختار: أولئك الملائكة، اصعد المنبر، فاعلم الناس. فصعد واجتهد في اليمين وأخبرهم بذلك. ثم نزل فخلاً به المختار وقال: إني علمت أنك لم تر الملائكة، وإنما أردت ما قد عرفت: إلا أقتلك، فاذهب عني حيث أحببت، لا تفسد على أصحابي. فخلى عنه، وذهب حتى لحق بمصعب بن الزبير، وقال:

إلا ابليغ أبا إسحاق إني رأيت الخيل دهما مصممتات

أرى عيني مالم تراياه كالنا عالم بالترهات»

بينما ذكر ابن عساكر (1) رواية تختلف كثيراً عما ذكرناه من قول وأشعار سراقه فقال بسنده عن «أبان بن عثمان البجلي الكوفي، قال: كان سراقه البارقي شاعراً ظريفاً تحبه الملوك، فكان قاتل المختار فأخذه أسيراً فأمر بقتله فقال: والله لا تقتلني حتى تنقض دمشق حجراً حجراً، فقال المختار لأبي عمرة: من يخرج أسرارنا؟ ثم قال: من أسرك؟ قال قوم على خيل بلق، عليهم ثياب بيض لا أراهم في عسكرك. قال: فأقبل المختار على أصحابه فقال إن عدوكم يرى من هذا ما لا ترون. قال: إني قاتلك قال: والله يا أمين آل محمد، إنك تعلم أن هذا ليس باليوم الذي تقتلني فيه، قال ففي أي يوم أقتلك؟ قال يوم تضع كرسيك على باب مدينة دمشق، فتدعوي يومئذ

ص: 434

1- (1) - تاريخ دمشق، ج 20، ص 156-157.

فتضرب عنقي، فقال المختار لأصحابه يا شرطة الله من يذيع حديثي؟ ثم خلى عنه فقال سراقه: وكان المختار يكنى أبا إسحاق: إلا أبلغ أبا إسحاق أنني رأيت البلق دهما مصمتات»..

هذه الرواية تطابقت معها رواية الصفدي(1) أثناء ترجمته إلى سراقه البارقي وكذلك أشار ابن عبد ربه الأندلسي في روايته التي ذكرناها إلى دمشق وأن المختار سوف يهدمها حجراً حجراً.

وذكر ابن الجوزي(2) رواية الطبري الأولى بشكل مختصر، بينما ذكرها ابن الأثير(3) والنويري(4) وابن كثير(5) بالتفصيل كما أوردها الطبري بسنده عن أبي مخنف عن يونس بن أبي إسحاق.

ومن خلال ما تقدم يلاحظ على تلك الروايات العديد من نقاط الخلاف فيما بينها، ففي حين ذكر البلاذري أن المختار قتل من الأسرى من اشترك بدم الإمام الحسين (عليه السلام)، وأن سراقه هو من قال إنني رأيت الملائكة تقاتل مع المختار، صورت رواية الدينوري المختار قاتلاً يضرب أعناق الأسرى حتى انتهى إلى سراقه، ونسبت القول برؤية الملائكة للمختار وليس لسراقه البارقي.

ص:435

---

1- (1) - الوافي بالوفيات، ج 15، ص 83.

2- (2) المنتظم، ج 5، ص 57.

3- (3) الكامل في التاريخ، ج 3، ص 659-660.

4- (4) نهاية الأرب، ج 21، ص 15-16.

5- (5) البداية والنهاية، ج 12، ص 21-23.

ورواية الطبري الثانية وإن لم تذكر قضية الأسرى، إلا أنها اتفقت من حيث المضمون مع رواية الدينوري حيث إنها جعلت المختار هو من قال «أولئك الملائكة» في حين نسب القول نفسه في روايته الثانية لسراقة البارقي، واختلفت رواية ابن أعثم الكوفي مع الروايات الأخرى بأن المختار أخبر سرقة أمام الآخرين أنه لم ير الملائكة ولم يطلب منه أن يصعد المنبر ليخبر الناس بذلك؛ بل طلب منه أن يلحق بأى بلد شاء، ورواية ابن أعثم هذه جاءت مقبولة وملائمة للواقع فسراقة لم يشترك في قتال الإمام الحسين (عليه السلام) فعفا عنه المختار، ولأن المختار علم بأن سرقة اختلق تلك القصة أمره بعدم البقاء في الكوفة، فلو كان في قول سرقة مصلحة للمختار وأصحابه لما أمره بالخروج عن الكوفة.

وأكد مسكويه في روايته على الأيمان التي اجتهد فيها سرقة بأنه رأى الملائكة، أما ما جاء في رواية ابن عبد ربه التي ذكرناها من قيام المختار بالعفو عن سرقة ثلاث مرات، فقد انفرد بها ابن عبد ربه ولم تتطرق لها المصادر التاريخية الأخرى، فضلاً عن أنها وردت مرسله دون إسناد لها فلا يمكن الأخذ بها على هذا النحو.

ويظهر من خلال تلك الروايات التي ذكرها المؤرخون أن الأمر لا يعدو كونها أكذوبة أراد من خلالها سرقة بن مرداس أن لا يعاقبه المختار؛ واعترف سرقة بتلك الأكذوبة أمام المختار كما ذكرها ابن أعثم الكوفي (1) في روايته،

ص: 436

وذكرها الطبري(1) بسنده عن أبي مخنف: «حدثني الحجاج بن علي البارقي، عن سراقه بن مرداس، قال: ما كنت في أيمن حلفت بها قط أشد اجتهاداً ومبالغة في الكذب من في أيمنى هذه التي حلفت لهم بها، إنى قد رأيت الملائكة معهم تقاتل...»..

والظاهر أن شروط المختار في العفو عن الأسرى هو عدم اشتراكهم في القتال ضد الإمام الحسين (عليه السلام)(2) وهذا يفند رواية الدينوري(3) التي يقول فيها «فجعل يضرب أعناق الأسرى حتى انتهى إلى سراقه البارقي».

وأما المختار فكان سخياً وكريماً مع سراقه لا لشيء سوى علمه بأنه ليس من الذين اشتروا بالقتال ضد الإمام الحسين (عليه السلام) وهو ما فعله مع جميع الأسرى في هذه الواقعة؛ وقبلها فعل ذلك مع والى الكوفة عبد الله بن مطيع وأصحابه الذين كانوا معه محاصرين في القصر(4)، فلا يستغرب منه عفو عن الأسرى ومن ضمنهم سراقه الذى كان شاعراً وظيفياً فلذلك أخذت أقواله وأشعاره حيزاً كبيراً، واستغلت للتشهير بالمختار وتشويه صورته، يضاف إلى ذلك أن سراقه البارقي قام بهجاء المختار لدى وصوله إلى مصعب بن الزبير، وبعد ذلك أصبح من المقربين للأمويين وهؤلاء جميعاً هم

ص:437

- 
- 1- (1) - تاريخ الطبري، ج 6، ص 68.
  - 2- (2) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 401؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 65، ابن أعثم، الفتوح، ج 6، ص 26.
  - 3- (3) - الأخبار الطوال، ص 277.
  - 4- (4) البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 394.

أعداء المختار وقد مدح بشر بن مروان والى العراق فقال:

دعا الرحمن بشر فاستجابا لدعوته فأسقانا السحابا

وكان دعاء بشر صوب غيث يعاش به ويحيى ما صابا

أغر بوجهه نسقى ونحیی ونستجلی بغيرته الضبابا(1)

## 2. قتال الملائكة مع المختار على هيئة الحمام

ألصقت هذه التهمة بالمختار عندما أرسل إبراهيم بن مالك الأشتر لقتال عبيد الله بن زياد حيث التقى إبراهيم مع جيش الشام فى معركة فاصلة أدت إلى هزيمة منكرة لجيش الشام قتل على أثرها عبيد الله بن زياد، والحصين ابن نمير السكونى، وشرحبيل بن ذى الكلاع الحميرى(2)، ويبدو أن هذا الأمر لم يرق للبعض لذلك ألصقوا بالمختار رواية غريبة وتصرفاً لا يصدر منه، أن المختار أوهم الناس بأن الملائكة تقاتل معه فعمل على تهيئة بعض الحمام الأبيض وطلب من خاصته أن يطلقوه أثناء المعركة، فذكر المبرد(3) «ودفع - أى المختار - إلى قوم من خاصته حماماً بيضاً ضخماً، وقال إن رأيتم الأمر لنا فدعوها، وأن رأيتم الأمر علينا فأرسلوها، وقال للناس: أن استمتم فبنصر الله، وإن حصتم حيصة فإنى أجد فى محكم الكتاب، وفى اليقين والصواب، أن

ص:438

1- (1) - ابن أبى الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد (281 هـ - 884 م)، مكارم الأخلاق، تحقيق: مجدى السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة، د. ت، ص 143.

2- (2) اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ج 2، ص 181.

3- (3) الكامل فى اللغة والأدب، ج 3، ص 189-190.

الله مؤيدكم بملائكة غضاب، تأتي في صور الحمام دوين السحاب.... فلما التقوا كانت على أصحاب إبراهيم في أول النهار، فأرسل أصحاب المختار الطير، فتصايح الناس: الملائكة! فتراجعوا»

وكذلك جاءت رواية الشهرستاني(1) «فمن مخاريقه - أي المختار - والملائكة من فوقكم ينزلون مدداً لكم، وحديث الحمامات البيض التي ظهرت في الهواء، وقد أخبرهم قبل ذلك بأن الملائكة تنزل على صورة الحمامات البيض...».

بينما قال الكتبي(2) «واتخذ حماماً أبيضاً طيرها في الهواء وقال لأصحابه: إن الملائكة تنزل عليكم في صورة حمامات بيض..».

أما الابشيهي(3) «وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي من دهاة ثقيف، وثقيف دهاة العرب قيل: إنه وجه إبراهيم بن الأشتر إلى حرب عبيد الله بن زياد ثم دعا برجل من خواصه فدفع إليه حمامة بيضاء وقال له: إن رأيت الأمر عليكم فأرسلها. ثم قال للناس إنى لأجد في محكم الكتاب وفي اليقين والصواب إن الله ممدكم بملائكة غضاب صعاب تأتي في صور الحمام تحت السحاب. فلما كادت الدائرة تكون على أصحابه عمد ذلك الرجل إلى الحمامة فأرسلها فتصايح الناس الملائكة الملائكة!! وحملوا فانتصروا وقتلوا ابن زياد».

ص:439

---

1- (1) - الملل والنحل، ص 144.

2- (2) فوات الوفيات، ج 4، ص 12؛ وينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 25، ص 210.

3- (3) المستطرف في كل فن مستظرف، ج 1، ص 462-463.

لقد جاء المبرد بروايته عن الحمام وعدها من عجائب المختار (1) واعتبرها الشهرستاني (2) من المخاريق المموهة، وأدرجها الكتبي (3) ضمن محارمه التي تبرأ محمد بن الحنفية بسببها من المختار، وأوردها الابشيهي (4) في باب الحيل والخداع المتوصل بها إلى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر، ويذكر فلهاوزن (5) «فانتصر الشيعة على عدوهم الذي كان يبلغ عشرة أضعافهم بفضل مهارة قائدهم وبفضل شجاعتهم هم، ولم تطلق حمامات بيض..»، وهو بهذا لا يرى لها أى أثر في المعركة.

إن هذه الروايات ضعيفة وغريبة في الوقت نفسه فلم ترد إلا في بعض المصادر المتأخرة، ولم تذكر أغلب المصادر التاريخية مثل البلاذري (6)، واليعقوبي (7)، والطبري (8)، وابن أعثم (9)، وابن الأثير (10)، تلك الحمامات على الرغم من أنهم ذكروا ما كان بين المختار وحره مع عبيد الله بن زياد لاسيما أن أغلب هؤلاء المؤرخين ذكروا تلك المعركة بالتفصيل

ص:440

- 
- 1- (1) - الكامل في اللغة والأدب، ج 3، ص 189.
  - 2- (2) الملل والنحل، ص 145.
  - 3- (3) فوات الوفيات، ج 4، ص 123.
  - 4- (4) المستطرف في كل فن مستظرف، ج 1، ص 462.
  - 5- (5) الخوارج والشيعة، ص 223-224.
  - 6- (6) جمل من أنساب الأشراف، ج 6 ص 423-427.
  - 7- (7) تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 180-181.
  - 8- (8) تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 86، 95.
  - 9- (9) كتاب الفتوح، ج 6، ص 267، 282.
  - 10- (10) - الكامل في التاريخ، ج 3، ص 674، 682.



وهذه الروايات المتقدمة وردت دون إسناد يذكر فهي لا تعدو كونها واحدة من التهم التي حرص واضعوها على النيل من شخصية المختار بشتى الوسائل، وكذلك هي محاولة للتقليل من قوة وبسالة الجيش الذي قاتل عبيد الله بن زياد وجيش الشام وانتصر عليه انتصاراً مشرفاً، وليس غريباً على أعدائه فعل ذلك فهؤلاء وأشباههم هم من وضعوا العديد من الأحاديث ونسبوا للرسول الكريم صلى الله عليه واله وسلم في فضل معاوية بن ابي سفيان وغيره، وفي الوقت ذاته نصبوا العدا للامام على (عليه السلام) وشيعتهم ومحبيهم (1).

ص: 441

---

1- (1) - الحسنی، الانتفاضات الشيعية، ص 335.

## المبحث الثاني: تهم الكذب التي وجهت للمختار

### أولاً: تهمة الكذب التي وجهت إليه من أعدائه مباشرة

ألصق بعض المؤرخين القدامى تهمة الكذب بالمختار وذلك اعتماداً على بعض الأقوال التي صدرت من آل الزبير والجنود الأمويين وأعداء المختار من أهل الكوفة فذكر البلاذري (1) قول عبد الله بن الزبير لما بلغه قول المختار أنا مبير الجبارين فقال... «قاتله الله كذاباً متهكماً...»، وروى الطبري (2) بسنده عن أبي مخنف قول ابن الزبير «لقد انبعث كذاباً متكهناً...»، بينما ذكر ابن أعثم الكوفي (3) أنه قال: «قاتله الله من متكهن كذاب!..» إن أقوال ابن الزبير التي ذكرتها المصادر المتقدمة جاءت بعد أن خرج المختار من سجن ابن زياد لاتهامه بنصرة مسلم بن عقيل (عليه السلام) فهو لم يسيء لآل الزبير ولكنهم

ص: 442

---

1- (1) - جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 378.

2- (2) تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 387.

3- (3) - كتاب الفتوح، ج 6، ص 147؛ ومقتل الحسين، ص 185.

يعلمون بولائه ومواقفه من نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) وحبه لآل محمد، الذى كان ابن الزبير يكتنم بغضه لهم أكثر من أربعين سنة(1).

وذكر البلاذرى(2) بعد مقتل المختار قول عبد الله بن الزبير لابن عباس لما رأى منه توجعاً لقتل المختار «أتتوجع لابن أبى عبيد وتكره أن تسميه كذاباً»، وكذلك نقل قول عروة ابن الزبير «إن ربك قتل المختار الكذاب وهذا رأسه قد جىء به..»(3)، ونقل البلاذرى(4)، والطبرى(5) أن بعض رسل وعيون إبراهيم بن مالك الأشتر سمعوا قول أحد جنود أهل الشام «يا شيعة أبى تراب، يا شيعة المختار الكذاب»، كما ذكر ابن أعثم الكوفى(6) ذلك الأمر فقال: «وتقدم رجل من عتاة أهل الشام يقال له عوف بن ضبعان(7) ونادى:

ص:443

1- (1) - المسعودى، مروج الذهب، ج 3، ص 96.

2- (2) - جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 445.

3- (3) - جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 445.

4- (4) - جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 425.

5- (5) - تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 91.

6- (6) - كتاب الفتوح، ج 6، ص 279.

7- (7) عوف بن ضبعان: أحد جنود عبيد الله بن زياد يوم الخازر، من عتاة أهل الشام ومردتهم وهو الذى نادى: من منكم يدل بشجاعته وشدته فليبرز إلى لو كان صادقاً، وجعل يجول فى الميدان وهو يقول: أنا ابن ضبعان الكريم المفضلانى أنا الليث الكمى الهذلى من عصابة بيرون من دين عليكذاك كانوا فى الزمان الأوفى وإليه الأحوص بن شداد الهمدانى فقال للشامى ما اسمك؟ فقال له منازل الأبطال؛ فقال له الأحوص وأنا مقرب الآجال، ثم حمل عليه فقتله. ينظر: ابن أعثم الكوفى، كتاب الفتوح، ج 6، ص 279؛ ابن نما الحللى، ذوب النصار، ص 133.

ألا يا شيعة أبى تراب! ألا يا شيعة المختار الكذاب، ألا يا شيعة ابن الأشتر المرتاب...»، وجاءت رواية ابن نما(1) باختلاف بسيط «ووقف العسكران، والتقى الجمعان، فخرج ابن ضبعان الكلبى ونادى: يا شيعة المختار الكذاب»..

وأورد ابن أعثم الكوفى(2) قول الذين نقضوا بيعة المختار وقتلوه يوم جبانة السبيع فقال: «فجعل بعضهم يقول لبعض: والله لقد تأمر علينا هذا الكذاب بغير رضا منا،...»، كما أورد الطبرى(3) قولاً للشمر بن ذى الجوشن عند هروبه من الكوفة: «أو كل هذا فرقاً من الكذاب؟...»، وكذلك ذكر ابن أعثم الكوفى(4) أثناء حديثه عن وقعة جبانة السبيع فقال: «وإذا برجل أسود قد أتى به حتى وقف بين يديه... فقال له المختار إني سمعت كلامك بالأمس وتحريضك، وأنت تنادى وتقول: أيها الناس قاتلوا الكذاب! أخبرني ما علمك بأنني كذاب؟ نعم أنا الكذاب، نعم أنا الكذاب، نعم أنا الكذاب كما زعمت إن لم أذيقك حر الحديد. قال: فأمر به، فضربت عنقه صبراً».

إن هذه الاتهامات التي أوردناها أعلاه جاءت عن طريق أناس لهم موقفٌ سلبيٌّ من المختار وتوجهاته المعادية للأمويين والزبيريين على حد سواء، وكذلك عن أعداءه داخل دولته ممن تأكدوا أنه لا بقاء لهم في الكوفة والمناطق

ص: 444

---

1- (1) - ذوب النصار، ص 133.

2- (2) كتاب الفتوح، ج 6، ص 260.

3- (3) تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 66.

4- (4) كتاب الفتوح، ج 6، ص 263-264.

التي يمتد نفوذ المختار إليها، وأغلبهم ممن شارك في قتل الإمام الحسين (عليه السلام)، فلم ير هؤلاء غير اتهام المختار بأى تهمة صغيرة كانت أم كبيرة، عسى أن تنقذهم من المصير المحتوم بقاء المختار حياً يعنى أنه سوف يتتبع أثرهم واحداً بعد الآخر ويقتلهم.

خلاصة القول مما تقدم إن الأمويين والزيبريين لا يتوانون عن تليق التهم الباطلة لخصومهم من أجل تشويه صورتهم، فتهمة الكذب التي ألصقت بالمختار قد اتهم بها من هو أفضل من المختار والذي لا توجد مقارنة بينه وبين المختار؛ فهذا عبيد الله بن زياد وهو من أهم ولاية الأمويين يقول لقيس بن مسهر الصيدأوى رسول الحسين بن علي (عليه السلام) إلى أهل الكوفة «اصعد فسب الكذاب الحسين بن علي، فصعد قيس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فأجيبوه ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه واستغفر لعلي بن أبي طالب...»<sup>(1)</sup>، وقال ابن زياد بعد مقتل الإمام الحسين (عليه السلام): «الحمد لله الذي قتل الكذاب ابن الكذاب الحسين وشيعته، فوثب عبد الله بن عفيف الأزدي<sup>(2)</sup> لما سمع مقالة بن زياد فقال له: يا بن

ص:445

---

1- (1) - المفيد، الإرشاد، ص 210.

2- (2) عبد الله بن عفيف الأزدي من أصحاب الإمام علي (عليه السلام)، وكان من خيار الشيعة وزهادها ذهب عينه اليسرى يوم الجمل، وفي صفين ضرب على رأسه ضربة وأخرى على حاجبه، فذهبت عينه الأخرى، وكان لا يفارق المسجد الأعظم، ولما سمع كلام ابن زياد وثب قائماً ثم قال: يا ابن مرجانة أتقتلون أولاد النبيين وتكلمون بهذا الكلام

مرجانة، إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه»(1)

وروى ابن سعد(2) والبلاذري(3) وابن عساكر(4) والذهبي(5) كيف أن الحجاج بن يوسف الثقفي - والى العراقيين من قبل الأمويين - أمر عبد الرحمن بن أبي ليلى(6) قال له: العن الكذابين علياً وعبد الله بن الزبير

ص:446

- 
- 1- (1) - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 3، ص 413؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 310؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج 5، ص 124؛ المفيد، الإرشاد، ص 233؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص 105؛ ابن نما الحلبي، مثير الأحزان، المطبعة الحيدرية، النجف، 1950 م، ص 72.
  - 2- (2) الطبقات الكبرى، ج 8، ص 232-233.
  - 3- (3) - جمل من أنساب الأشراف، ج 2، ص 405.
  - 4- (4) تاريخ دمشق، ج 36، ص 98.
  - 5- (5) تاريخ الإسلام، ج 6، ص 129.
  - 6- (6) أبو عيسى عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار بن بلال بن بليل بن احيحة بن الجلاح الأنصاري، الكوفي الفقيه، كان من أكابر تابعي الكوفة، روى عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وعثمان بن عفان، وأبي أيوب الأنصاري، وعبد الله بن مسعود، وسهل بن حنيف، وغيرهم، وقال: إنّه أدرك مائة وعشرين من الأنصار من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، وأراد الحجاج بن يوسف أن يستعمله على القضاء فقيل له: إن كنت تريد أن تبعث على بن أبي طالب على القضاء فافعل. ويقال إنّ الحجاج استعمله على القضاء ثم عزله،

والمختار، فيقول ابن أبي ليلى لعن الله الكذابين، ثم يقول على بن أبي طالب وعبد الله بن الزبير والمختار بن أبي عبيد، قال الأعمش (1):  
فعلت أنه حين ابتدأهم ورفعهم أنه لم يلعنهم. وهذا دليل على سياسة أعداء المختار في إصاق التهم الباطلة ليس في أثناء حياته فحسب بل حتى بعد وفاته وبالأخص بعد أن أحكموا سيطرتهم على دولة الإسلام؛ فإذا كانوا لا يتورعون عن اتهام الإمام على والإمام الحسين (عليهما السلام) بتلك التهم فمن الطبيعي أن يكون اتهامهم للمختار أسهل بكثير من فعلتهم تلك، ثم تتلقفها وتتلاعب بها كتابات الرواة والمؤرخين حسب الأهواء والظروف التي تحيط بهم وتؤثر فيهم وفي كتاباتهم.

ص: 447

---

1- (1) - هو سليمان بن مهران، ويكنى أبا محمد الأسدي مولى بني كاهل، وكان الأعمش صاحب قرآن وفرائض وعلم بالحديث، ويقال إن الزهري كان إذا ذكر أهل العراق ضعف علمهم، فجيء له ببعض علم الأعمش؛ فلما قرأه قال: والله إن هذا العلم، ما كنت أرى أحداً يعلم هذا، ولد يوم استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) يوم العاشر من المحرم سنة ستين للهجرة، وتوفى مئة وثمان وأربعين، وهو ابن ثمان وثمانين سنة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 8، ص 461-462.

## ثانياً: الحوار الذي جرى بين أسماء بنت أبي بكر والحجاج بن يوسف

اعتمد أغلب المؤرخين القدامى في توجيه تهمة الكذب إلى المختار بن أبي عبيد على حوار دار بين أسماء بنت أبي بكر (1) والحجاج بن يوسف الثقفي، عندما انتصر على عبد الله بن الزبير ثم قتله وصلبه وطالبت بإنزال جثته لكي تقوم بدفنه. وقد ذكر ابن سعد ثلاث روايات في هذا الشأن:

الرواية الأولى: جاءت هذه الرواية عند ترجمته لأسماء بنت أبي بكر فقال: «حدثنا إسحاق الأزرق عن عوف الأعرابي عن أبي الصديق الناجي أن الحجاج دخل على أسماء بنت أبي بكر فقال لها: إن ابنتك أُلحد في هذا البيت وأن الله أذاقه من العذاب الأليم وفعل به وفعل. فقالت له: كذبت، كان براً بالوالدين صواماً قواماً ولكن والله لقد أخبرنا رسول الله أنه يخرج من ثقيف كذابان، الآخر منهما شر من الأول وهو مبير» (2)

الرواية الثانية: جاءت عندما ترجم لعبد الله بن الزبير: «أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني نافع بن ثابت، عن عبيد مولى أسماء قال: لما قتل عبد الله، خرجت إليه أمه حتى وقفت عليه، وهي على دابة، فأقبل الحجاج في

ص: 448

---

1- (1) - وهي أسماء بنت أبي بكر بن أبي قحافة، أسلمت قديماً بمكة وبايعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، وهي ذات النطاقين، تزوجها الزبير بن العوام فولدت له عبد الله والمنذر وعاصماً والمهاجر وخديجة الكبرى وأم الحسن وعائشة، وعندما فرض عمر بن الخطاب الأعطيات في خلافته ففرض لأسماء بنت أبي بكر ألف درهم، وماتت أسماء بنت أبي بكر بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير بليال، وكان قتله في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 10، ص 237-242.

2- (2) ابن سعد، الطبقات، ج 10، ص 241-242.



أصحابه، فسأل عنها، فأخبر بها، فأقبل حتى وقف عليها، فقال كيف رأيت؟ نصر الله الحق وأظهره... قالت: كذبت، كان أول مولود فى الإسلام بالمدينة... أشهد على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، لسمعته يقول: سيخرج من ثقيف كذابان الآخر منهما شر من الأول وهو مبير وهو أنت»(1).

الرواية الثالثة: جاء ابن سعد(2) بها أثناء ترجمته لعبد الله بن الزبير فقال: «إنَّ الحجاج لما قتل عبد الله بن الزبير صلبه على عقبة المدينة... ثم بعث إلى أمه أسماء بنت أبى بكر وقد ذهب بصرها، أن تأتيه فأبت أن تأتيه، فأرسل إليها لتأتيني أو لابعثن إليك من يسحبك بقرونك حتى يأتيني بك، فأرسلت إنى والله لا آتيك حتى تبعث إلى من يسحبني بقروني فيأيتني بك... ثم خرج يتوذف(3) يعنى مشية له حتى أتاها فدخل عليها، قال: فقال: كيف رأيتني صنعت بعدو الله؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك... أما إنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يقول: إنَّه سيخرج من ثقيف رجلان؛ كذاب ومبير فأما الكذاب، فقد رأيناه ابن أبى عبيد، وأما المبير فأنت ذاك. قال فوثب فانصرف عنها ولم يراجعها».

لقد جاءت الرواية الأولى والثانية لابن سعد ولم يرد فيهما أى ذكر

ص: 449

1- (1) - الطبقات، ج 6، ص 509-510.

2- (2) ابن سعد، الطبقات، ج 6، ص 513-514.

3- (3) - وتعنى التبخر، فإذا مر يقارب الخطو ويحرك منكبیه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ص 4256.

للمختار. بينما ذكرت الرواية الثالثة قولاً نسبته ابن سعد إلى أسماء بنت أبي بكر أنّها قالت: «فأما الكذاب فقد رأيناه ابن أبي عبيد»، ووردت هذه الرواية في صحيح مسلم باختلاف بسيط في بعض المفردات إلا أنّها لم تذكر المختار أو ابن أبي عبيد بينما الرواية بسنده عن «الأسود بن شيبان عن أبي نوفل رأيت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة... أما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا إن في ثقيف كذاباً ومبيراً فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا- أخالك إلا إياه قال فقام عنها ولم يراجعها»<sup>(1)</sup>، وكذلك ذكر الطبراني<sup>(2)</sup> رواية بهذا الشأن جاءت باختلاف بسيط مع رواية ابن سعد الثالثة إلا أنّها لم تذكر المختار أو ابن أبي عبيد أيضاً بسنده كذلك عن «الأسود بن شيبان حدثني أبو نوفل بن أبي عقرب قال صلب الحجاج بن يوسف عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة... وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن في ثقيف مبيراً وكذاباً فأما الكذاب فقد عرفناه وأما المبير فأنت ذاك قال فخرج»، وبهذا اختلفت رواية ابن سعد مع روايته الأولى والثانية؛ ومن المستغرب أن تختلف مع روايتي صحيح مسلم والطبراني على الرغم من أنّ الراوي نفسه الأسود بن شيبان عن أبي نوفل بن أبي عقرب. وهذا الاختلاف في الرواية يعنى أنّ الكلام الذي نسب لأسماء في رواية ابن سعد الثالثة ليس دقيقاً، وقد يكون

ص:450

---

1- (1) - مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: 261 هـ - 874 م)، صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، د. ت، ج 7، ص 190-191.

2- (2) أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت: 260 هـ - 873 م)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدى عبد المجيد، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ج 24، ص 102-103.

أضيف أما من قبل الرواة أو من المؤرخ نفسه.

وأورد البلاذرى (1) رواية لا يختلف مضمونها عن رواية ابن سعد الثالثة إلا ببعض الكلمات التي لا تغير منها شيئاً، لكن تلك الرواية لم تذكر المختار فقال: «قال عوانة وغيره: لما قتل الحجاج ابن الزبير وصلبه بعث إلى أمه أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين لتأتيه، فأبت أن تفعل فبعث إليها لتقبلن أو لأبعث إليك من يجرك بقرونك، فقالت لرسوله: قل لابن أبي رغال: لست أفعل أو تبعث إلى من يجرنى بقروني، فلبس سبته وجعل يتوذف في مشيه... قالت... أما إنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، يقول: يكون في ثقيف كذاب ومبير فأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المبير فأنت هو.»..

أما اليعقوبى (2) فقد ذكر هذا الأمر فقال: عندما ذكر قتل ابن الزبير في سنة ثلاث وسبعين للهجرة، قال: «ثم جاءت أمه أسماء بنت أبي بكر، وهي عجوز عمياء، حتى وقفت على الحجاج، فقالت: أما آن لهذا الراكب أن ينزل بعد؟ أما إنى سمعت رسول الله يقول إن في ثقيف مبيراً وكذاباً فأما المبير فأنت، وأما الكذاب فالمختار بن أبي عبيد، فقال: من هذه؟ فقيل: أم ابن الزبير فأمر به، فأنزل»، وهنا ينسب اليعقوبى القول إلى أسماء بنت أبي بكر.

كذلك جاءت رواية ابن عبد ربه (3) فقال: «فخرجت أسماء إلى الحجاج، فقالت له أتأذن لى أن أدفنه، فقد قضيت أربك منه؟ قال: لا. ثم قال

ص: 451

1- (1) - جمل من أنساب الأشراف، ج 7، ص 130.

2- (2) تاريخ اليعقوبى، ج 2، ص 187.

3- (3) العقد الفريد، ج 4، ص 394.

لها: ما ظنك برجل قتل عبد الله بن الزبير؟ قالت: حسيبه الله. فلما منعها أن تدفنه قالت: أما أتى سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، يقول: يخرج من ثقيف رجلان؛ الكذاب والمبير فأما الكذاب فالمختار، وأما المبير فأنت، فقال الحجاج: اللهم مبير لا كذاب»، وابن عبد ربه هنا ينسب القول إلى أسماء بأنها شخصت من هو الكذاب ويضيف أن الحجاج فضل أن يكون مبيراً لا كذاباً، ويبدو من هذه الرواية أن الحوار الذي جرى بين أسماء والحجاج كأنه نقاش طبيعي في مسألة عامة لا يتعلق بقتل ابنها وهذا لا يتلاءم مع الواقع.

وذكر ابن أعمش الكوفي (1) رواية تختلف عما ذكرناه «قال أهل العلم: فكان مقتل عبد الله بن الزبير... سنة ثلاث وسبعين... وأقبلت إليه أمه في اليوم الثالث حتى وقفت قبالة ثم بكت وقالت اللهم! إني راضية عنه فارض عنه، ثم أقبلت حتى دخلت على الحجاج فوقف على عليه ثم قالت يا حجاج! أما أن لهذا الراكب أن ينزل؟ فقال الحجاج: أما روحه فإلى مالك، وأما جثمانه ففي طريق البلاء. فقالت كذبت يا حجاج! إن الله تبارك وتعالى في ذلك أعدل من أن يجمع على ابني سيف القاسطين وثأر الظالمين، وقد قال النبي (صلى الله عليه واله وسلم): يكون في أمتي رجلان: أفاك ومبير، فأما الأفاك فصاحبك عبد الملك بن مروان، وأما المبير فأنت يا حجاج! فقال صدقتي يا أسماء أنا مبير المنافقين؛ فقالت: عملك شاهد عليك! ثم ولت وهي باكية،

ص:452

فرق لها الحجاج وأمر بابن الزبير فنزل عن خشبته وحمل إليها فأمرت به فصب عليه الماء وحنط وكفن وصلى عليه ودفن»، وهذه الرواية التي اعتمد فيها ابن أعثم على الإسناد الجمعي يبدو أنها قريبة للواقع فقد جعلت من عبد الملك أفاكاً لأنه أصدر أوامره للحجاج قائده المفضل ومطلق اليد، كذلك شملت الحجاج الذي ارتكب الجرائم بحق عبد الله بن الزبير في الكعبة، إلا أن هذه الرواية ذكرت إن الحجاج قد رق لبكاء أسماء لذلك أمر بإنزال جثة ابن الزبير، وهذا أمر مستبعد لأنها كانت امرأة صلبة وقوية ويؤيد هذا إنها خلال المعركة التي دارت بين الأمويين وابنها أشارت عليه بالاستمرار في القتال، كما أن الروايات ذكرت أنها أنفت من الذهاب للحجاج والتنازل له من أجل إنزال ابنها ودفنه، كذلك فإن الحجاج كان من النوع الذي يتلذذ بالقتل والتعذيب ولا تأخذه رافة لأي سبب كان إلا تنفيذ أوامر الأمويين. والذي يهمنا من الرواية هي أنها لم تذكر أو تشير إلى المختار بأي شكل من الأشكال.

وروى المسعودي (1) رواية قريبة من رواية اليعقوبي فقال: «وكلمت أسماء أمه الحجاج في دفنه، فأبى عليها، فقالت للحجاج: أشهد إني لسمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، يقول: يخرج من ثقيف كذاب ومبير، فأما الكذاب فهو المختار، وأما المبير فما أظنك إلا هو»، وهنا ينسب المسعودي هذا القول إلى أسماء بنت أبي بكر، بينما ينقل ابن عبد البر (2) روايته بشكل آخر

ص: 453

---

1- (1) - مروج الذهب، ج 3، ص 134.

2- (2) الاستيعاب، (تحقيق على الجاوي)، ج 3، ص 909.

عندما يذكر قتل ابن الزبير وصلبه «فجاءت أمه امرأة عجوز طويلة مكفوفة البصر تقاد، فقالت للحجاج: أما أن لهذا الراكب أن ينزل؟ فقال لها الحجاج: المنافق؟ فقالت والله ما كان منافقاً ولكنّه كان صواماً براً، قال: انصرفي فإنك عجوز قد خرفت، قالت لا والله ما خرفت ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير أما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فأنت المبير. قال أبو عمر الكذاب فيما يقولون المختار بن أبي عبيد الثقفي».

وضح ابن عبد البر أن المقصود بالكذاب في كلام أسماء فيما يقولون هو المختار بن أبي عبيد الثقفي، وهو لا يعدو كونه رأياً نسبته ابن عبد البر إلى أناس مجهولين فهو لم يذكر من هؤلاء الذين أولوا وفسروا الذي قصده أسماء بالكذاب ولم تقل هي ذلك. لكن السمعاني (1) يرى أن أسماء هي من أولت الحديث النبوي فذكر عندما تحدث عن قبيلة ثقيف فقال: «وروى أن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) قال: يخرج من ثقيف كذاب ومبير، وأولت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضی الله عنهما أن الكذاب مختار بن أبي عبيد الثقفي والمبير حجاج بن يوسف هكذا قالت أسماء في وجه الحجاج لما قتل ابنها عبد الله بن الزبير رضی الله عنهما»، وذكر ابن عساكر أكثر من رواية في هذا الشأن:

الرواية الأولى: ذكر فيها رأيه صراحة فقال: بسنده عن «أبي المحياة، عن

ص: 454

أمه، قالت: لما قتل الحجاج بن يوسف عبد الله بن الزبير، دخل الحجاج على أسماء بنت أبي بكر وقال لها يا أمه أن أمير المؤمنين أوصاني بك فهل لك من حاجة فقالت ليست لك بأى ولكنى أم المصلوب على رأس الثنية وما لى من حاجة ولكن انتظر حتى أحدثك ما سمعت من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، أنى سمعته يقول يخرج فى ثقيف كذاب ومبير فأما الكذاب فقد رأيناه - تعنى المختار - وأما المبير فأنت فقال لها الحجاج مبير المنافقين». (1)، وهذه الرواية نقلها ابن كثير بسند البيهقى عن عبد الله بن الزبير الحميدى، ثنا سفيان بن عيينة، عن أبى المحياة، عن أبيه ولم تذكر فيه أسماء بنت أبى بكر المختار (2)، ويتضح من الرواية أن ابن عساكر ايضاً أول قول أسماء فقال: فأما الكذاب فقد رأيناه تعنى به المختار فى رأى ابن عساكر.

الرواية الثانية: ذكر فيها ابن عساكر ايضاً كلام أسماء للحجاج فقال: «اخبرنا أبو على المقرئ... قال دخلت مكة بعدما قتل ابن الزبير بثلاثة أيام وهو حينئذ مصلوب قال فجاءت أمه عجوز طويلة مكفوفة البصر فقالت للحجاج أما أن لهذا الراكب أن ينزل فقال الحجاج المنافق فقالت والله ما كان منافقاً إن كان لصواماً قواماً برأ. فقال انصرفى يا عجوز فإنك قد خرفت قالت لا والله ما خرفت منذ سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير فأما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فأنت» (3).

ص: 455

1- (1) - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 69، ص 22

2- (2) - ابن كثير، البداية والنهاية، ج 9، ص 251

3- (3) - تاريخ دمشق ج 69، ص 23.

وهذه الرواية لم يُذكر فيها اسم المختار، ولم ينسب ابن عساكر قولها إن الذى عنته بالكذاب هو المختار.

الرواية الثالثة: ذكر ابن عساكر(1) روايته هذه بسنده عن «أبى المحياة، عن أبيه، قال: دخلت مكة بعدما قتل ابن الزبير بثلاثة أيام، وهو مصلوب، فجاءته أمه، عجوز طويلة مكفوفة البصر، فقالت للحجاج: أما آن لهذا الراكب أن ينزل، قال: فقال الحجاج: المنافق قالت: لا والله ما كان منافقاً إن كان لصواماً براً، قال: انصرفى فإنك عجوز قد خرفت، قالت: لا والله ما خرفت منذ سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، يقول: يخرج من ثقيف كذاب ومبير فأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المبير، فأنت المبير، قال: فقلت لأبى المحياة(2) أما الكذاب فقد رأيناه، أليس يعنى المختار قال لا أراه إلا إياه».

والملاحظ على رواية ابن عساكر هذه أن الذى أول الحديث هذه المرة أحد الرواة وليس أسماء بنت أبى بكر أو ابن عساكر الذى اكتفى بالاعتماد على جواب هذا الراوى.

الرواية الرابعة: ذكرها ابن عساكر(3) بسنده عن الواقدي فقال: «وثنا

ص:456

---

1- (1) - تاريخ دمشق، ج 28، ص 242-243.

2- (2) أبو المحياة: هو يحيى بن يعلى بن حرملة بن الجليلد بن عمار بن أرطاة مات بالكوفة سنة ثمانين ومائة فى خلافة هارون وهو ابن ست وتسعين سنة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 8، ص 506.

3- (3) تاريخ دمشق، ج 28، ص 228.



محمد بن عمر، حدثني نافع بن ثابت، عن مولى أسماء قال: لما قتل عبد الله بن الزبير خرجت إليه أمه حتى وقفت عليه.... قالت... أشهد على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، لسمعته يقول: سيخرج من ثقيف كذابان، الآخر منهما شر من الأول، وهو مبير، وهو أنت».

وهذه هي رواية ابن سعد الثانية التي ذكرناها التي لم يتطرق فيها أحد إلى أن المقصود بالكذاب هو المختار.

الرواية الخامسة: جاء بها ابن عساكر(1) مبتورة السند عن العوام بن حوشب «قال: حدثني من سمع أسماء بنت... تقول للحجاج حين دخل عليها يعزيها بابنها ابن الزبير فقالت... فأما الكذاب فابن أبي عبيدة يعني المختار، وأما المبير فأنت».

وهي ضعيفة من ناحية السند زيادة على اضطراب متنها؛ فقد ذكرت أن الحجاج ذهب ليعزيها في حين ذكرت أغلب الروايات التاريخية أنه بعث عليها فلم تلبى طلبه فذهب هو لها، وحدث ما حدث بينهما.

واعتمد ابن الجوزي(2) على رواية ابن سعد الثالثة التي ذكرناها في موضعها والتي نسبت الكذاب إلى قول أسماء بنت أبي بكر فقد روى أن أسماء قالت للحجاج «أما إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، يقول سيخرج من ثقيف رجلاً: كذاب ومبير فأما الكذاب فقد رأيناه ابن أبي عبيد

ص: 457

---

1- (1) - تاريخ دمشق، ج 12، ص 1220.

2- (2) المنتظم، ج 6، ص 138-139.

وأما المبير فأنت ذلك».

وروى ابن الأثير (1) قول أسماء بنت أبي بكر للحجاج «أما أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، حدثنا إن في ثقيف كذاباً ومبيراً، فأما الكذاب فقد رأيناه تعنى: المختار وأما المبير: فأنت هو، وهذا حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه»، وهنا يوضح ابن الأثير رأيه في أن الذى قصده أسماء بقولها إن الكذاب رأيناه هو المختار وكذلك جزم بصحة الحديث النبوى الشريف وذلك لان مسلم أخرجه فى صحيحه، وقد ذكرنا كيف ورد الحديث فى صحيح مسلم وهو لم يذكر أن المقصود بالكذاب المختار أو غيره. وكذلك ذكر الحديث ابن الأثير فى موضع آخر وقال تعنى بالكذاب المختار بن أبي عبيد (2).

وجاء ابن أبي الحديد بروايتين فى هذا الشأن:

الرواية الأولى: جاء بها عند حديثه عن ثقيف فقال: «وفى الخبر المشهور المرفوع وقد ذكر ثقيفاً - أى النبى محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، بسنت القبيلة، يخرج منها كذاب ومبير فكان كما قال (صلى الله عليه واله وسلم) الكذاب المختار، والمبير الحجاج» (3).

الرواية الثانية: أوردها ابن أبي الحديد (4) على رواية ابن عبد البر التى

ص: 458

1- (1) - الكامل فى التاريخ، ج 4، ص 48.

2- (2) ابن الأثير، أسد الغابة، ج 3، ص 245.

3- (3) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج 4، ج 8، ص 420.

4- (4) شرح نهج البلاغة، مج 10، ج 20، ص 305.

ذكرناها والذي ذكر بها رأيه في حينها؛ وقد ذكر ابن أبي الحديد ذلك قائلاً: «قال أبو عمر: قال يعلى بن منبه... وأنى سمعت من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يقول: يخرج من ثقيف كذاب ومبير أما الكذاب فقد رأيناه - تعنى المختار - وأما المبير فأنت»، وعلى الرغم من أن ابن عبد البر ذكر الكذاب فيما يقولون المختار، إلا أن ابن أبي الحديد أول قولها وجعله من ضمن الرواية، ومن المستغرب أن ابن أبي الحديد لم يتروفي الحديث ويعرف مغزاه (1)، ويظهر أن ابن أبي الحديد قد اعتمد على رأى من سبقه فى تأويل حديث الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، فأخذه وكأنه من المسلمات لديه.

أما الذهبى فأورد ثلاث روايات بهذا الشأن:

الرواية الأولى: (2) هى رواية ابن عساكر الأولى التى تطرقنا لها فى موضعها.

الرواية الثانية: (3) هى رواية ابن عساكر الثانية التى لم يذكر فيها المختار.

الرواية الثالثة: (4) جاء بها بسنده عن «إسحاق الأزرق، عن عوف الأعرابي... أن الحجاج دخل على أسماء فقال: إن ابنتك أهدى فى هذا

ص: 459

---

1- (1) - المقدم، تنزيه المختار، ص 26.

2- (2) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج 2، ص 294؛ الذهبى، تاريخ الإسلام، ج 5، ص 358.

3- (3) - الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج 2، ص 294؛ الذهبى، تاريخ الإسلام، ج 5، ص 358.

4- (4) الذهبى، تاريخ الإسلام، ج 5، ص 357-358.

البيت... قالت... أخبرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أنه سيخرج من ثقيف كذاب ومبير الآخر منهما شر من الأول، وهو مبير»  
وهي رواية ابن سعد الأولى والتي لم يذكر فيها اسم المختر وحسب قول الذهبي (1) أن سندها قوى، لكنه رغم ذلك قال الذهبي (2) رأيه  
صراحة في حديث أسماء أثناء ترجمته للمختر «وقد قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يكون في ثقيف كذاب ومبير، فكان الكذاب  
هذا»..

وأسهب ابن كثير في ذكر الروايات التي تناولت كلام أسماء بنت أبي بكر مع الحجاج بن يوسف الثقفي بعد مقتل ابنها عبد الله بن الزبير؛  
فذكر روايتين نقلهما عن البيهقي:

الرواية الأولى: ذكر فيها قول أسماء «فأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المبير فلا أخالك إلا إياه».. (3).

الرواية الثانية: جاء بها ابن كثير (4) بسند البيهقي عن أبي المحياة عن أبيه أن أسماء قالت «فأما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فأنت، فقال  
الحجاج: مبير المناقين».

الرواية الثالثة: نقلها ابن كثير (5) عن أحمد بن حنبل بأن أسماء قالت

ص: 460

1- (1) - تاريخ الإسلام، ج 5، ص 358.

2- (2) - سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 539.

3- (3) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 9، ص 25.

4- (4) البداية والنهاية، ج 9، ص 251-252.

5- (5) البداية والنهاية، ج 12، ص 70.

للحجاج عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) «انه سيخرج من ثقيف كذابان؛ الآخر منهما شر من الأول، وهو مبير» ذكر ذلك أثناء ترجمته للمختار ابن أبي عبيد، وكرر هذا الحديث مرة أخرى عند ترجمته للحجاج بن يوسف الثقفي (1).

الرواية الرابعة: أوردها كما وردت بسند مسلم عن الأسود بن شيبان (2) وهي رواية صحيح مسلم التي ذكرناها، وهذه الروايات التي ذكرها ابن كثير أشارت إلى وجود كذاب من ثقيف لكنها لم يرد فيها اسم المختار.

الرواية الخامسة: جاء بها ابن كثير (3) بسند مبتور وهي الرواية الخامسة التي أوردها ابن عساكر وبنفس السند والتمن وقد أشرنا إلى ضعفها سنداً ومضموناً.

وقد أشار ابن كثير في العديد من الموارد إلى أن المقصود بالكذاب في حديث الرسول الذي روته أسماء أنه المختار فذكر بعد أن ذكر قول الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) أن في ثقيف كذاباً ومبيراً فقال: «وذكر العلماء أن الكذاب هو المختار بن أبي عبيد» (4)، وكذلك قال رأياً أكثر صراحة وجزماً مما ذكرناه فقال: «وقد تقدم الحديث أن في ثقيف كذاباً ومبيراً. وقد ذكرنا شأن المختار ابن أبي عبيد، وهو الكذاب المذكور في هذا

ص: 461

---

1- (1) - ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 514.

2- (2) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 70-71.

3- (3) البداية والنهاية، ج 12، ص 514-515.

4- (4) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 71.

الحديث،..» (1)، وكرر ذلك مرة أخرى فقال: «وتقدم الحديث في ذكر الكذاب والمببر من ثقيف، فالكذاب هو المختار ابن أبي عبيد الذى ظهر بالكوفة أيام عبد الله بن الزبير» (2)، ولا يستغرب من أن كثير تطرفه فى آرائه ضد المختار فقد وصل به الأمر إذا ذكر المختار يتبعه بكلمة الكذاب وكأنها جزء من نسبه.

وجاء ابن حجر العسقلانى (3) بروايته الأولى أثناء ترجمته لأسماء بنت أبى بكر متطابقة مع رواية ابن عساكر الثالثة بسنده عن أبى المحياة، عن أبيه، وفيها قول لأسماء للحجاج: «فأما الكذاب فقد رأيناه..»، وهذه الرواية لم تتطرق إلى المختار. وذكر ابن حجر رواية ثانية أثناء ترجمته للمختار بن أبى عبيد فقال: «وأقوى ما ورد فى ذمه ما أخرجه مسلم فى صحيحه، عن أسماء بنت أبى بكر: أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قال: يكون فى ثقيف كذاب ومببر، فشهدت أسماء أن الكذاب هو المختار المذكور» (4)، ووردت الرواية فى صحيح مسلم ولم تذكر أسماء فيها اسم المختار حيث جاء فيها: «فأما الكذاب فقد رأيناه وأما المببر فلا أخالك إلا إياه» (5) وفى قول ابن حجر العسقلانى أن أسماء شهدت فى صحيح مسلم بأن الكذاب هو المختار قال السيد

ص: 462

- 
- 1- (1) - ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 538.
  - 2- (2) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 19، ص 19.
  - 3- (3) الإصابة فى تمييز الصحابة، ج 8، ص 14.
  - 4- (4) ابن حجر، الإصابة فى تمييز الصحابة، ج 6، ص 276.
  - 5- (5) مسلم، صحيح مسلم، ج 7، ص 190-191.

المقorm (1): «ولكن بعد أن راجعت صحيح مسلم وقرأت الحديث إلى أخره عرفت خيانتة فى النقل وتصرفه فى الأحاديث كما يقتضيه هواه، وانكشف لى كيف يذهب البغض والعداء بالأكابر إلى حيث اختلاق الباطل والبهتان فيشوهون تلك الكتب العالية الشأن بالخرافات والأضاليل».

ويظهر من خلال الروايات المتقدمة الذكر التى تناولت حديث الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، أن فى ثقيف كذاباً ومبيراً، هو أن الحديث لم يذكر من هو الكذاب، واختلفت الروايات لدى المؤرخين فمنهم من ذهب إلى أن أسماء بنت أبى بكر هى من أولت الحديث كما ذكر السمعانى، ومنهم من أوله هو وجزم بأن الذى قصده أسماء بالكذاب هو المختار، مثل ابن عساكر فى روايته الأولى، وابن الأثير، وابن أبى الحديد، والذهبى، وابن كثير، وابن حجر العسقلانى، والسؤال الذى يطرح نفسه كيف أن هؤلاء عرفوا أن أسماء تعنى بتلك العبارة المبهمة أنها تعنى المختار، ومنهم من نسب ذلك القول إلى أن الراوى أوله كما ورد فى رواية ابن عساكر الثانية، ومن المؤرخين من ذكر الحديث وجعل فى ثقيف أفاكاً ومبيراً وهو ما أورده ابن أعثم الكوفى، وعلى الرغم من أن الطبرى ذكر مقتل ابن الزبير ودور أمه فى تشجيعه للقتال، وذكر قيام الحجاج بإرسال رأس ابن الزبير إلى عبد الملك بن مروان، إلا أن الطبرى لم يشر إلى مقابلة أسماء مع الحجاج بعد مقتل ابنها. (2)

ص: 463

1- (1) - تنزيه المختار، ص 26-27.

2- (2) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 163-167.

ويبدو أن تفسير أسماء بنت أبي بكر لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) أما هو مجرد فهم خاص بها للحديث، أو هي نسبة كاذبة نسبت إليها من قبل أعداء المختار والذين من مصلحتهم تشويه صورة المختار(1)، وقال صفاء الخطيب(2): وسواء صدر التأويل من أسماء أو نسب كذباً إليها، فهو كلام خارج عن الموضوعية، في حين تساءل باحث آخر(3) لماذا لم يكن المقصود بالكذاب في الحديث المغيرة بن شعبة أو المغيرة بن الاخنس(4).

ويظهر أن أعداء المختار الذين أستمروا نفوذهم بعد قتله سواء كانوا من الأمويين أم الزبيريين أرادوا أن يستغلوا ويوظفوا أى رأى أو حديث من أجل النيل من المختار؛ ووجدوا الفرصة سانحة لهم فى التحامل على المختار لأن سلطته ونفوذه قد زال وما عليهم سوى تشويه صورته أمام المسلمين، وبالأخص إذا استطاعوا إسناد هذا التشويه إلى حديث نبوى أو قول لأحد الصحابة.

ص:464

1- (1) - محمد، حركة المختار، ص 113.

2- (2) - دولة المختار، ص 482.

3- (3) الاردكاني الرضوى، ثورة المختار، ص 100.

4- (4) هو المغيرة بن الاخنس بن شريق الثقفى، وأمه خالدة بنت أبى العاص بن أمية بن عبد شمس، حليف بنى زهرة قال له الإمام على (عليه السلام. يابن اللعين الأبر والشجرة التى لا اصل لها ولا فرع، فو الله ما اعز الله امرأة أنت ناصره، وكان رجلاً وقاحاً، خرج على أهل مصر يوم حصار الثوار لعثمان فظنوا انه عثمان فقتلوه. ينظر ابن سعد، الطبقات، ج 6، ص 77؛ ابن أبى الحديد، شرح نهج البلاغة، مج 5، ج 8، ص 420-421.



**(1) حديث نسب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)**

ذكر ابن كثير (1) رواية بسند البيهقي: «عن عبد الله بن الزبير قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً، منهم، مسيلمة، والعنسي، والمختار، وشرق قبائل العرب بنو أمية، وبنو حنيفة وثقيف» ورد في سند هذا الحديث محمد بن الحسن الأسدي ذكره العقيلي (2) في الضعفاء وقال لا يتابع على حديثه وقال عنه ابن حبان (3) «كان فاحش الخطأ ممن يرفع المراسيل ويقلب الأسانيد، ليس ممن يحتج به...»، وقال عنه ابن عدى (4) بعد أن ذكر الحديث «وهذا لا أعلم رواه عن شريك إلا محمد بن الحسن هذا»، وسئل يحيى بن معين (5) عنه فقال: «ليس بشيء» (6)،

ص: 465

1- (1) - البداية والنهاية، ج 9، ص 250-251.

2- (2) ضعفاء العقيلي، ج 4، ص 50.

3- (3) - المجروحين، ج 2، ص 277.

4- (4) الكامل، ج 6، ص 174.

5- (5) هو يحيى بن معين بن عرن بن زياد بن بسطام ويكنى أبا زكريا البغدادي الحافظ، أمام أهل الحديث في زمانه والمشار إليه بين أقرانه، وقيل لا نعلم من لدن آدم كتب من الحديث مكتب يحيى بن معين، ولد سنة ثمان وخمسين ومائة في خلافة أبي جعفر المنصور، وتوفي وهو متوجه إلى الحج، سنة ثلاث وثلاثين ومائتين للهجرة ودفن في البقيع. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج 9، ص 358؛ المزى، تهذيب الكمال، ج 31، ص 543-568.

6- (6) العقيلي، الضعفاء، ج 4، ص 50؛ الرازي، الجرح والتعديل، ج 7، ص 225؛ ابن حبان، المجروحين، ج 2، ص 277؛ ابن عدى، الكامل، ج 6، ص 173؛ الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد (ت: 474 هـ - 1080 م)، التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح، تحقيق: أحمد البزاز، وزارة الأوقاف، مراكش، د. ت، ج 2، ص 681.

وأورد الذهبي الحديث فقال: «هذا منكر جداً»<sup>(1)</sup>، وذكر ابن حجر<sup>(2)</sup> قول ابن معين أدركته وليس بشيء وقول العقيلي لا يتابع على حديثه.

ويظهر من خلال سند الحديث الذي ذكره ابن كثير أنه حديث منكر وسنده ضعيف، أراد به واضعوه النيل من المختار بوضع حديث نبوي يذكر به صراحة اسم المختار لكي يكون أكثر تأثيراً في تشويه صورة المختار عند المسلمين، ووضع الأحاديث غير الصحيحة والتي نسبت إلى الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، ليس بالأمر الغريب والتي أشارت إليها كتب الحديث وتوقفت أمام كل حديث من أجل إثبات صحة نسبه إلى الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) من عدمها.

## **(2) تهمة الكذب للمختار التي نسبت إلى قول الأئمة المعصومين (عليهم السلام)**

أورد الكشي بشأن تهمة الكذب روايتين وجهت للمختار نسبت إلى الأئمة المعصومين (عليهم السلام):

الأولى: ذكر الكشي<sup>(3)</sup> بسنده «عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: كان المختار يكذب على علي بن الحسين (عليه السلام)».

الثانية: أوردتها الكشي<sup>(4)</sup> بسنده «عن أبي جعفر (عليه السلام) قال:

ص: 466

---

1- (1) - الذهبي، ميزان الاعتدال، ج 3، ص 38.

2- (2) تهذيب التهذيب، ج 3، ص 541.

3- (3) رجال الكشي، ص 97.

4- (4) رجال الكشي، ص 98.

كتب المختار بن أبي عبيدة إلى علي بن الحسين (عليه السلام) وبعث إليه بهدايا من العراق، فلما وقفوا على باب علي بن الحسين دخل الأذن يستأذن لهم فخرج إليهم رسوله فقال: أميطوا عن بابي فإني لا أقبل هدايا الكاذبين، ولا أقرأ كتبهم، فمحو العنوان وكتبوا المهدي إليه محمد بن علي، فقال أبو جعفر: والله لقد كتب إليه بكتاب ما أعطاه فيه شيئاً إنَّما كتب إليه يابن خير من طشى ومشى، فقال أبو بصير لأبي جعفر (عليه السلام): أما ومشى فانا اعرفه فأى شىء الطشى؟ فقال أبو جعفر الحياة»، وأورد الطوسى رواية تنسب الكذب للمختار فقال: بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) «كان المختار يكذب على علي بن الحسين (عليهما السلام)»<sup>(1)</sup>، وأورد رواية أخرى بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) «كتب المختار بن أبي عبيد إلى علي بن الحسين (عليهما السلام)... فقال أميطوا عن بابي فإني لا أقبل هدايا الكاذبين»<sup>(2)</sup>، وروايتا الطوسى تشبه روايتي الكشى المتقدمة الذكر. كما أورد الطوسى<sup>(3)</sup> رواية ثالثة بسنده عن أبي عبد الله (عليه السلام): «إنَّ أهل بيت صادقون، لا نخلوا من كذاب يكذب علينا... وكان أبو عبد الله الحسين بن علي (عليه السلام) قد ابتلى بالمختار...».

وقد فند ابن داود الحلبي<sup>(4)</sup> تلك الروايات فقال: «وما روى فيه مما ينافى

ص: 467

---

1- (1) - الطوسى، اختيار معرفة الرجال، ج 1، ص 340.

2- (2) اختيار معرفة الرجال، ج 1، ص 341.

3- (3) اختيار معرفة الرجال، ج 2، ص 593.

4- (4) رجال بن داود، ص 277-278.

ذلك قال الكشي نسبته إلى وضع العامة أشبهه، فمنه أن الصادق (عليه السلام) قال: كان المختار يكذب على علي بن الحسين. ومنه أن علي بن الحسين (عليه السلام) ردّ هداياه وقال لا أقبل هدايا الكذابين... وأما رد الهدية فقد روى الكشي عن محمد بن مسعود يرفعه إلى عمر بن علي أن المختار أرسل إلى زين العابدين بعشرة آلاف فقبلها وبنى بها دار عقيل بن أبي طالب ودارهم التي هدمت، ثم بعد ذلك بعث إليه بأربعين ألفاً فردها وهذا الإنفاذ يستلزم الاعتقاد وأما رد الثانية فلعله لعله عارضة اقتضت ذلك.... وأما تعليل رده إياها بقوله (لا يقبل هدايا الكذابين) فبعيد، إذ هذه العلة موجودة في الأولى وحاشا الإمام عليه السلام من هذا القول بعد قبول الأولى»..

وقد ذكر ابن داود(1) قبل تفنيده لتلك الروايات قول الباقر (عليه السلام) «لا تسبوا المختار فإنه قتل قتلنا وطلب بئارنا وزوج أراملنا وقسم فينا المال على العسرة».

وكذلك ذكر «وأما علي بن الحسين (عليه السلام) فروى عنه أنه لما أرسل المختار برأس عبيد الله بن زياد خر ساجداً وجزى المختار خيراً»(2).

ويرى ابن نما الحلبي أن بعض العلماء لم يوقفوا في موقفهم من المختار، ويتدبروا أقوال الأئمة فيه بفطنة وذكاء(3).

ص: 468

---

1- (1) - رجال ابن داود، ص 277.

2- (2) - رجال ابن داود، ص 277.

3- (3) ذوب النضار، ص 145-146.

وقال حسن صاحب المعالم (1) بعد أن ذكر الروايات التي تمدح المختار والروايات التي نسبت تهمة الكذب له من الأئمة المعصومين فيقول: «إذا عرفت هذا فإنَّ الرجحان في جانب الشكر والمدحة ولو لم تكن تهمة فكيف ومثله موضع أن يتهم فيه الرواة ويستغش فيما يقول عنه المحدثون لفنون تحتاج إلى نظر»، وناقش السيد الخوئي (2) (قدس سره) روايتي الكشي قال:

«وهذه الروايات ضعيفة الإسناد جداً، على أن الثانية منهما فيها تهافت وتناقض، ولو صحت فهي لا تزيد على الروايات الذامة الواردة في حق زرارة (3)، ومحمد بن مسلم (4)، وبريد (5) وأضرابهم».

ص: 469

- 
- 1- (1) - صاحب المعالم، حسن بن زين الدين (ت: 1011 هـ -- 1602 م)، التحرير الطاوسي، تحقيق: فاضل الجواهري، مكتبة المرعشي، قم، 1411 هـ -، ص 558-560.
  - 2- (2) معجم رجال الحديث، ج 19، ص 105.
  - 3- (3) هو زرارة بن أعين بن سنبس مولى لبنى عبد الله بن عمرو، وزرارة لقب، واسمه عبد ربه، توفي سنة خمسين ومائة للهجرة، وكان قارئاً فقيهاً متكلماً شاعراً أديباً، ومعرفة بالكلام والتشيع. ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص 276؛ النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن العباس (ت: 450 هـ - 1057 م)، رجال النجاشي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 2010 م، ص 172؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 15، ص 338.
  - 4- (4) هو محمد بن مسلم بن رباح أبو جعفر الطحان مولى ثقيف، وجه الشيعة بالكوفة فقيه ورع من أصحاب الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام)، وروى عنهما وكان من أوثق الناس، له كتاب يسمى الأربع مائة مسألة في أبواب الحلال والحرام توفي سنة خمسين ومائة. ينظر: النجاشي، رجال النجاشي، ص 309-310.
  - 5- (5) هو بريد بن معاوية أبو القاسم العجلي، عربي، روى عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام)، وهو من وجوه الشيعة، ومن فقهاءهم، له حظوة عند الأئمة، له كتاب يروى عنه، توفي سنة مائة وخمسين للهجرة. ينظر: النجاشي، رجال النجاشي، ص 110.

وقال السيد الخوئي (1) عن الرواية الثالثة للشيخ الطوسي والتي قال بصحة سندها «.... لكن هذه الرواية لعل فيها تحريفاً، فإن المختار بن أبي عبيدة كان في الكوفة والحسين بن علي (عليه السلام) كان بالمدينة، ولم ينقل ولا يخبر ضعيف كذب من المختار بالنسبة إلى الحسين (عليه السلام)، وغير بعيد أن المختار الذي كان يكذب على الحسين (عليه السلام) أن يكون رجلاً آخر غير المختار بن أبي عبيدة»، ولما كان الأئمة (عليهم السلام) يذمون شيعة لهم تقية فمن الطبيعي أن يذموا المختار الذي نال الإمارة باسمهم وفعل بأعدائهم ما فعل تقية من أعدائهم لاسيما الإمام السجاد (عليه السلام) لعلمه بدولة بني مروان (2)، فلو كان الإمام ناقماً على المختار مكذباً لدعوته لما دعا له بالخير حين بعث له برؤوس قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) (3).

بينما يرى السيد البروجردى (4) بعد أن ذكر أقوال الأئمة بحقه ومنها قول الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) وجزى الله المختار خيراً، فيقول «فلا يعبأ بما ورد من الروايات الدامة»..

وقال السيد علي الميلاني (5) - بعد أن ناقش آراء ابن تيمية في منهاج

ص: 470

- 
- 1- (1) - معجم رجال الحديث، ج 19، ص 105
  - 2- (2) - التستري، قاموس الرجال، ج 10، ص 14
  - 3- (3) - المقدم، تنزيه المختار، ص 24
  - 4- (4) - البروجردى، طرائف المقال، ج 2، ص 598
  - 5- (5) - الميلاني، على الحسيني، دراسات في منهاج السنة لمعرفة ابن تيمية، مطبعة ياران، 1419 هـ -، ص 427-428؛ وينظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ج 2، ص 68-69.

السنة واتهامه للشيعة بأنهم قصدوا بالملك إفساد دين الإسلام ومعاداة النبي... وأول هؤلاء بل خيارهم هو: المختار بن أبي عبيد الكذاب فإنه كان أمير الشيعة - فقال: «إنّ جميع ما ذكره عن بنى هاشم، وعبد الله بن العباس،...، والمختار... كله سباب وأكاذيب واقتراءات لا أساس لشيء منها من الصحة.»..

يتضح من أقوال علماء الشيعة ومؤرخيهم في الأحاديث المنسوبة إلى الأئمة المعصومين بشأن اتهام المختار بالكذب أما مطعونة في سندها، أو فيها لبس أو تحريف، أو كانت تقية أو خشية، أو عدم التوفيق. ويبدو أنّ أرجح الآراء في ذلك رأى السيد الخوئي (قدس سره الشريف) الذي فند تلك الاتهامات التي نسبت للمختار بشكل جلي وواضح.

ولعل من المناسب القول أيضاً أنه لا توجد مبررات تحمل الأئمة (عليهم السلام) على تكذيب المختار أو ما شابه ذلك، إذ كما تبين المصادر التاريخية أن هناك تقاطعاً بين أحد الأئمة المعصومين (عليهم السلام) والمختار، فضلاً عن ذلك لم تبين المصادر التاريخية تجاوز المختار الحدود في علاقته مع الأئمة (عليهم السلام) بل كل النصوص تؤكد أنه كان مؤمناً بحقيقة تتمثل بإنصاف أهل البيت (عليهم السلام) والانتصاف من قتلهم وظالمهم.

## المبحث الثالث: الكرسي المقدس

شكلت قضية الكرسي المقدس إحدى ذرائع أعداء المختار ومناوئيه الذين ما فتئوا أن يوجهوا له التهمة تلو الأخرى فتارة تهمة النبوة وأخرى تهمة الكذب ولم تكن قضية الكرسي هي الأخيرة في سبيل تلك التهم، وقد تناولت كتابات المؤرخين ذلك بشكل واضح فعدها البعض منهم من المآخذ السلبية التي وجهت له، ويمكن أن نحصر كتابات المؤرخين في نشوء قضية الكرسي بأربع روايات رئيسة ذكرتها المصادر التاريخية ثم سار عليه المؤرخون ممن عاصروهم أو من جاء بعدهم.

الرواية الأولى: نقلها البلاذري والطبري بسندهما عن أبي مخنف (1) «قالوا: وقال المختار لآل جعدة بن هبيرة، وأم جعدة أم هاني بنت أبي طالب: اتنوني بكرسى على بن أبي طالب فقالوا: لا والله ماله عندنا كرسى، قال: لا تكونوا حمقى وائتوني به، فظن القوم عند ذلك لا يأتونه بكرسى

ص: 472

---

1- (1) - جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 413؛ تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 88.



فيقولون هذا كرسى على إلابله منهم، فباءوه بكرسى فقالوا: هذا هو، فخرجت شبام وشاكر ورؤوس أصحاب المختار وقد عصبوه بخرق الحرير والديباج، فكان أول من سدن الكرسى حين جىء به موسى بن أبى موسى الأشعري، وأمه ابنة الفضل بن العباس بن عبد المطلب، ثم دفعه إلى حوشب اليرسمى، يرسم بن حمير وهم فى همدان فكان خازنه وصاحبه حتى هلك المختار، وكان أصحاب المختار يعكفون عليه ويقولون هو بمنزله تابوت موسى فى السكينة، ويستسقون به ويستنصرون، ويقدمونه أمامهم إذا أرادوا أمراً».

الرواية الثانية: جاء بها الطبرى(1) بسنده «عبد الله بن المبارك عن إسحاق بن يحيى بن طلحة قال: حدثنى معبد بن خالد عن جعدة بن هبيرة قال: أعدمت مرة من الورق فأنى لكذلك، إذ خرجت يوماً، فإذا زيات، جار لى له كرسى وقد ركبته وسخ شديد فخطر على بالى أن لو قلت للمختار فى هذا. فرجعت فأرسلت إلى الزيات: أرسل إلى بالكرسى، فأرسل إلى به، فأتيت المختار فقلت: إنى كنت أكتمك شيئاً، لم أستحل ذلك، فقد بدا لى أن أذكره لك قال وما هو؟ قلت كرسى كان جعدة بن هبيرة يجلس عليه، كأنه يرى أن فيه أثره من علم. قال سبحان الله فأخرت هذا إلى اليوم ابعث إليه ابعث إليه. قال: وقد غسل وخرج عود نضار وقد تشرب الزيت فخرج يبض، فجىء به وقد غشى، فأمر لى باثنى عشر ألفاً، ثم دعا: الصلاة جامعة،

ص:473

فحدثني معبد بن خالد الجدلي قال: انطلق بي وياسماعيل بن طلحة بن عبيد الله وشبث بن ربعي، والناس يجرون إلى المسجد، فقال المختار: إنّه لم يكن في الأمم الخالية أمر إلا وهو كائن في هذه الأمة مثله؛ وإنّه كان في بني إسرائيل التابوت فيه بقية مما ترك آل موسى وال هارون، وإن هذا فينا مثل التابوت، اكشفوا عنه. فكشفوا عنه أثوابه، وقامت السبئية فرفعوا أيديهم وكبروا ثلاثا، فقام شبث بن ربعي وقال: يا معشر مضر، لا تكفروا! فنحوه فذبه وصدوه وأخرجوه. قال إسحاق: فوالله إنى لأرجو أنّها لشبث».

الرواية الثالثة: جاء بها البلاذري (1) فقال: «حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده قال: قيل لابن عمر إنّ المختار يعمد إلى كرسى على، فيحمله على بغل أشهب ويحف به الدياج ويطيّف به أصحابه يستسقون به ويستنصرون فقال: فأين جنادة الأزدي عنه لا يعقر به بعضهم؟ قال وهم جندب بن زهير وجندب بن كعب من بني ضبيان وجندب بن عبد الله وهو جندب الخير».

الرواية الرابعة: جاءت عند الطبري (2) بسنده عن أبي مخنف فقال: «قال: أبو مخنف حدثنا موسى بن عامر أبي الأشعر الجهني: إنّ الكرسى لما بلغ ابن الزبير أمره قال: أين جنادة الأزدي عنه».

اختلفت رواية أبي مخنف التي نقلها كل من البلاذري والطبري مع الرواية

ص: 474

---

1- (1) - جمل من أنساب الأشراف، ج 6، ص 414.

2- (2) تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 88.

الثانية التى نقلها الطبرى وتكمن أهمية ذلك الاختلاف فى القول إنّ هذا التابوت فىنا هو بمنزلة تابوت موسى ففى حين نسب أبو مخنف هذا القول لأصحاب المختار نسبته الرواية الثانية إلى المختار نفسه، وهذا الأمر فى غاية الأهمية فقد ذكر الطبرى (1) بسنده عن أبى مخنف: «حدثنا موسى بن عامر، أنّه إنما كان يصنع ذلك لهم عبد الله بن نوف، ويقول المختار أمرنى به، ويتبرأ المختار منه»، ويستشف من هذا النص التاريخى أن هناك من أصحاب المختار من يقوم ببعض الأمور دون علم المختار وينسبها له، زيادة على ذلك فإن الرواية الثانية وضعت شبت بن ربيعى أحد قادة عبيد الله بن زياد يوم الطف فى موضع الناصح والموجه لقبائل مضر فحذرهم من الوقوع فى الكفر حتى استجابوا له وتركوا الكرسى، وأثار موقف شبت هذا إعجاب الراوى إسحاق بن يحيى بن طلحة فقال: «فو الله إنى لأرجو أنّها لشبت»، وهذا الراوى ضعفه كل من يحيى بن معين (2) والعقيلى (3) وابن حبان (4) وابن حجر العسقلانى (5)، إضافة إلى ذلك تركه أحمد بن حنبل (6)، والنسائى (7)،

ص: 475

- 
- 1- (1) - تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 89.
  - 2- (2) تاريخ ابن معين، ج 1، ص 127.
  - 3- (3) ضعفاء العقيلى، ج 1، ص 104.
  - 4- (4) ابن حبان، كتاب الثقات، ج 6، ص 45؛ والمجروحين، ج 1، ص 133.
  - 5- (5) تقريب التهذيب، ج 1، ص 86.
  - 6- (6) أحمد بن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، تحقيق: وصى الله محمد عباس، دار التأخى، الرياض، 1988 م، ج 2، ص 438.
  - 7- (7) الضعفاء والمتروكين، ص 153.

والهيشمي (1) ، والتمتقي الهندي (2). بينما قال البخاري (3): «يتكلمون في حفظه»، ووصفه الترمذي (4) والعجلي (5) ليس بالقوى. وذكر الذهبي (6) والصفدي (7) من ضعفه أو تركه أو من كان لا يراه شيئاً.

ويبدو من خلال ما تقدم أن هناك مبالغة وتفخيماً لأمر لا يعدو كونه - إن صح وجوده - كرسياً عده المختار وأصحابه من ذخائر أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) للتبرك به، وإن حدثت مبالغة في تعظيمه فقد تكون من قبل أصحاب المختار وهو لا يعلم بذلك كما أشرنا في ذلك عند رواية الطبري التي أسلفنا ذكرها.

واختلفت الرواية الثالثة والرابعة من حيث المتن فنسبت الرواية الثالثة القول إلى عبد الله بن الزبير في حين نسب القول نفسه في الرواية الرابعة إلى عبد الله بن عمر، مما يدل على أن هناك تلاعباً في تلك الرواية لاسيما إذا

ص: 476

- 
- 1- (1) - مجمع الزوائد، ج 4، ص 199.
  - 2- (2) علاء الدين علي بن حسام الدين (ت: 975 هـ - 1576 م)، كنز العمال في سنن القوال والأفعال، صححه ووضع حواشيه: بكرى حياني، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1989 م، ج 12، ص 508.
  - 3- (3) الضعفاء الصغير، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت، 1986 م، ص 21.
  - 4- (4) سنن الترمذي، ج 4، ص 141.
  - 5- (5) العجلي، معرفة الثقات، ج 1، ص 221.
  - 6- (6) ينظر: ميزان الاعتدال، ج 1، ص 360؛ الذهبي، تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق، تحقيق: مصطفى عبد الحى، دار الوطن، الرياض، 2000 م، ج 1، ص 337.
  - 7- (7) ينظر: الوافي بالوفيات، ج 8، ص 278.

علمنا أن هناك فرقاً كبيراً بين هاتين الشخصيتين، فلا يُستغرب قول عبد الله ابن الزبير في المختار، فهو يكن له عداءً واضحاً.

واعتمدت كتابات المؤرخين الذين كتبوا بعد عصر الطبرى والبلاذرى فى أغلبها على تلك الروايات، وهناك من اعتمد على رواية ذكرها المُبرّد (1) دون إسناد فى قضية الكرسي، جاء فيها: «وقد كان عند المختار كرسي قديم العهد فغشاه بالديباج، وقال هذا الكرسي من ذخائر أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه، فضعوه فى بركاء الحرب، وقاتلوا عليه فإن محله فيكم محل السكينة فى بنى إسرائيل. ويُقال إنه اشترى ذلك الكرسي من نجار بدرهمين».

ومن السهولة هنا أن يلاحظ مدى التناقض فى الروايات التاريخية فى قضية الكرسي ففضلاً عما ذكرناه تناقضت روايات بعض المؤرخين فى سعر ذلك الكرسي ففى حين ذكرت الرواية الثانية التى نقلها الطبرى بأن المختار دفع اثني عشر ألفاً لصاحب الكرسي، جعل المبرد سعره درهمين.

وجمع مسكويه (2) بين تلك الروايات بإيجاز كلام الطبرى ورواياته فى قضية الكرسي حتى ذكر: «فكانوا يرون أن المختار يتكلم عنه بوحى» (3). وتوقف دون أن يكمل رواية الطبرى (4) التى ذكر فيها: «أنه إنما كان يصنع ذلك له عبد الله بن نوف، ويقول المختار أمرنى ويتبرأ المختار منه».

ص: 477

---

1- (1) - الكامل فى اللغة، ج 3، ص 190.

2- (2) تجارب الأمم، ج 2، ص 125-126.

3- (3) تجارب الأمم، ج 2، ص 126.

4- (4) تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 89.

وجعل الشهرستاني(1) قضية الكرسي من المخاريق المموهة للمختار والتي أدت بمحمد ابن الحنفية أن يتبرأ من المختار. وروايته هذه تتطابق مع رواية المبرد الذي لم يذكر أن محمد ابن الحنفية تبرأ من المختار، ولم يذكر التابوت الذي ذكره الشهرستاني وأغفل سعر الكرسي الذي ذكره المبرد.

ويبدو أن رواية الشهرستاني لا يمكن لها الصمود أمام العلاقة بين محمد ابن الحنفية والمختار ذكر ابن أعثم الكوفي(2): «ونظر عبد الله بن الزبير إلى المختار وغلبته على البلاد فعلم أنه إنما يفعل ذلك بظهر محمد ابن الحنفية، فأرسل إليه أن هلم فبايع فإنّ الناس قد بايعوا» فرفض ذلك، فغضب ابن الزبير وحبس ابن الحنفية في حجرة زمزم(3)، عند ذلك أرسل ابن الحنفية كتاباً إلى المختار كتب فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد ابن الحنفية ومن قبله من آل رسول الله إلى المختار بن أبي عبيد ومن قبله من المسلمين، أما بعد فإنّ عبد الله بن الزبير أخذنا فحبسنا في حجرة زمزم وحلف بالله الذي لا اله إلا هو لنبايعنه، أو ليضرمنا علينا بالنار، فيا غوثاه»(4)، فأخرج إليه المختار أربعة آلاف عليهم أبو عبد الله الجدلي(5)، فما شعر ابن الزبير إلا والرايات تخفق على رأسه(6)، وهرب

ص: 478

- 
- 1- (1) - الملل والنحل، ص 145-146.
  - 2- (2) مقتل الحسين، ص 249.
  - 3- (3) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 182.
  - 4- (4) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 182.
  - 5- (5) البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج 3، ص 487.
  - 6- (6) المسعودي، مروج الذهب، ج 3، ص 90.

ابن الزبير(1) ، فلاذ بأستار الكعبة وقال: أنا عائد الله(2) وروى البلاذري(3) «ولم يزل ابن الحنفية بالشعب عزيزاً منيعاً حتى قتل المختار وظهر مصعب بن الزبير على الكوفة، وأشدت أمر عبد الله بن الزبير وتضعضع أمر أصحاب بن الحنفية وانقطعت عنهم موادهم واشتدت حاجتهم»، حيث كان المختار يرسل لهم الأموال(4).

ويظهر مما تقدم أنه لا وجود لموقف سلبي لمحمد ابن الحنفية من المختار، فكيف يصل الأمر إلى البراءة منه، ويستشف مما تقدم أن هذا الأمر هدفه النيل من شخصية المختار التي دأب على تشويشها الكثير من المؤرخين.

وذكر ابن الجوزي(5) ، وابن الأثير(6) ، قضية الكرسي اعتماداً على روايتي الطبري الأولى والثانية، وذكرها أبو الفداء(7) ، بشكل مختصر جداً في حين ذكرها النووي(8) بنحو أوسع، واختصر ذلك الذهبي(9). وكذلك ذكر الكتبي(10) الكرسي أثناء ترجمة المختار بن أبي عبيد الثقفي، معتمداً على رواية

ص:479

- 
- 1- (1) - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج 10، ج 20، ص 332.
  - 2- (2) المسعودي، مروج الذهب، ج 3، ص 92.
  - 3- (3) جمل من أنساب الأشراف، ج 3، ص 478.
  - 4- (4) ابن الأثير، أسد الغابة، ج 5، ص 117.
  - 5- (5) المنتظم، ج 6، ص 61.
  - 6- (6) الكامل في التاريخ، ج 3، ص 675-676.
  - 7- (7) المختصر في أخبار البشر، ج 1، ص 271.
  - 8- (8) نهاية الأرب، ج 21، ص 23.
  - 9- (9) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج 5، ص 51-52.
  - 10- (10) فوات الوفيات، ج 4، ص 123-124.

الشهرستاني(1) ، جاعلاً الكرسي من محارم المختار التي كانت سبباً في تبرئ محمد ابن الحنفية منه، والكتبي واضح في تحامله على المختار حيث وصفه بأنه خارجي ثم زييري ثم رافضي(2).

ونقل ابن كثير(3) قضية الكرسي فذكر: قال بن جرير(4) ثم ينقل روايته، وقد ذكر رأيه صراحة بعد أن أنهى كلامه عن الكرسي جاء فيه: «قلت: وهذا وأمثاله مما يدل على قلة عقل المختار وأتباعه، وضعفه وقلة علمه وكثرة جهله، ورداءة فهمه، وترووجه الباطل على أتباعه، وتشبيهه الباطل بالحق ليضل به الطغام، ويجمع عليه جهال العوام»(5)، ويتضح من خلال قوله هذا مدى تحامله وعدم موضوعية رأيه وحياديته بسبب ميوله المذهبية.

وعلى الرغم من كل ما ذكر حول قضية الكرسي هذه، لم يتطرق لها الدينوري(6) على الرغم من أنه فصل في أخبار المختار، وكذلك اليعقوبي(7) وإن كان يتناول الحوادث باختصار، لكن ابن أعثم الكوفي(8) الذي أسهب في

ص:480

---

1- (1) - الملل والنحل، ص 145-136.

2- (2) الكتبي، فوات الوفيات، ج 4، ص 123.

3- (3) البداية والنهاية، ج 12، ص 37-40.

4- (4) البداية والنهاية، ج 12، ص 37.

5- (5) البداية والنهاية، ج 12، ص 40.

6- (6) الأخبار الطوال، ص 264-283.

7- (7) تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 181-185.

8- (8) كتاب الفتوح، ج 5، ص 33، 224.



أمر المختار وسيرته لم نجد عنده أى ذكر لهذا الكرسي.

ويظهر من خلال ما ذكر حول قضية الكرسي أن هناك شكوكاً حول وجوده حسب سند تلك الروايات ومضمونها، ولا يستبعد أن يكون هدفها هو النيل من شخصية المختار لدوره الواضح في الوقوف ضد توجهات آل الزبير والأمويين، وإضافة إلى ذلك جعلت إحدى الروايات التي ذكرناها من قضية الكرسي منقبة لشيث بن ربيعي أحد قادة ابن زياد البارزين في قتاله ضد الإمام الحسين (عليه السلام)، وهذا ما يؤيد تلك الشكوك فقد لعب هذا الشخص دوراً كبيراً في قتال المختار.

يقول الشيخ باقر شريف القرشي (1): «ومن الاتهامات الباطلة التي أُلصقت بالمختار أن له كرسيًا... وقد اشترى المختار هذا الكرسي... واجتمع عليه الشيعة يتبركون به، وهذا الكرسي هو الذي كان يجلس عليه وصى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وباب مدينة علمه، وقد لامس جسده الشريف، واشتراه المختار بهذا الثمن الغالي للتبرك به، وأى مؤاخذه عليه».

ويرى المستشرق الألماني فلها وزن (2) «ويقال إن المختار قد أظهر الكرسي على أنه كرسي على بن أبي طالب ولكن ثمة روايات أخرى تقول بعكس ذلك تقول هذه الروايات إنه ليس هو الذي ابتدع هذه البدعة، بل أقصى ما يقال هو إنه وافق عليها. أما ابن نوف فقد تبرأ المختار منه. وهذه

ص: 481

---

1- (1) - المختار الثقفي، ص 38-39.

2- (2) الخوارج والشيعة، ص 342-343.

وعقب أحد الباحثين<sup>(1)</sup> على قضية الكرسي قائلاً: «وصفوة القول فإن في هذا الحديث - إن صح - أسلوباً رائعاً وفناً ممتازاً من أفانين الحروب الذي قوى فيه عسكره وخذل فيه جبهة عدوه، على أننا لا نمنع إكباره له واقعاً وقد رأينا أن من عادة المسلمين في تلكم العصور إكبار وإعظام كلما يتعلق بالأولياء والصالحين ومن تتبع آثارهم وجد الكثير من هذا النوع».

وإذا سلمنا بوجود هذا الكرسي على الرغم من تلك الشكوك فلا يعدو كونه ذخيرة من ذخائر الإمام علي (عليه السلام) أستخدمها المختار وأصحابه للتبرك بها، واليوم الناس تتبرك بكرسي المنبر الذي يُخطب عليه لصالح الإمام (عليه السلام) فكيف بتصور أنه كرسي الإمام علي (عليه السلام) نفسه، وقد يكون بعض أصحاب المختار يبالغون فيه دون علمه، وما المانع إذا استخدم المختار وسيله من الوسائل إذا لم تتعارض مع الشارع المقدس في تقوية معنويات أنصاره لسد الفارق الكبير فيما بين قواته وقوات آل الزبير والأمويين.

ص: 482

الحمد لله تعالى على تمام نعماته والصلاة والسلام على خاتم انبيائه الرسول محمد وعلى آله وصحبه المنتجبين وسلم، فى ختام هذه الدراسة الموسومة «شخصية المختار بن أبى عبيد الثقفى عند المؤرخين القدامى» نذكر أهم النتائج التى توصلنا إليها من خلال ذلك وهى كالآتى:

1 - أثبتت الدراسة أن المختار ينتمى إلى أسرة تميزت بولائها المبكر للعلويين، وهو أمر اختلفت به عن غيرها من الأسر الثقفية التى عرفت بولائها لقريش عامة والأمويين خاصة، وأن البعض اجتهدوا فى عدائهم لآل البيت وشيعتهم ومحبيهم فاتخذ ذلك العداء صوراً وأشكالاً عديدة هدفها النيل منهم والطعن فيهم، فنال المختار الكثير من العداء والطعن.

2 - بعض المؤرخين القدامى نصبوا العداء لآل البيت وشيعتهم ومحبيهم وسار فى ركبهم آخرون متناغمون مع النفوذ السياسى أو الاقتصادى أو الاجتماعى زيادة على الميول المذهبية الضيقة، وكون أعداء المختار أصبحت

بأيديهم زمام الأمور فاجتهدوا في تليق التهم والمثالب له مثله كمثل غيره من خصومهم، ومن يجرأ على تشويه قدسية الإمام على (عليه السلام) من الهين عليه النيل والطعن بغيره.

3 - المختار لم يكن عثمانى الهوى أو خارجى المذهب ولم يكن كيسانياً أو زيدياً وإنما كان على المذهب الإمامى، وأن المختار - كقائد عسكري محنك وله باع طويل في السياسة - أراد الاستفادة من تأييد ودعم البيت العلوى العلنى المتمثل بمحمد ابن الحنفية، ومن أجل الحفاظ على سلامة الإمام على بن الحسين (عليه السلام) نتيجة الوضع السياسى الذى يحيط به، والتقية التى يتبعها الإمام (عليه السلام) فى سياسته فى مثل تلك الثورات والمواقف، جعل المختار يرتبط بمحمد ابن الحنفية.

4 - ظهر من خلال الدراسة أنّ المختار لم يكن له تأثير سلبى على ثورة التوابين وأنّ هدفه لم يكن يختلف عنها، إلا أنه اختلف معهم فى آلية التنفيذ بسبب قراءته المستقبلية للمعركة التى قرر التوابون خوضها والتى رأى فيها أن كفة النصر تميل لصالح أعدائهم، وأنّ المختار استطاع أن يؤسس دولة مترامية الأطراف شكّلت خطراً كبيراً على الأمويين والزبيريين فى وقت واحد.

5 - تبين من خلال الدراسة أنّ المختار اضطرته الظروف السياسية والعسكرية والدينية للوقوف مع عبد الله بن الزبير فى حصار مكة الأول، للدفاع عن بيت الله الحرام من جهة وقتال الأمويين العدو المشترك بينهما من جهة أخرى إلى أن سمحت له تلك الظروف بإعلان ثورته.

6 - تبين من خلال الدراسة أن المختار تتبّع قتلة الحسين (عليه السلام) وتنفيذ القصاص بهم دون هوادة تذكر، فبر بقسمه وأثبت بذلك صدق نيته وما تعهد به منذ أن استشهد الإمام الحسين (عليه السلام)، وكان ذلك بتوفيق من الله تعالى في نيل تلك المهمة، ثم أراد إرجاع الأمور إلى نصابها الصحيح فقام ببرنامج الإصلاح أسوة بما قام به الإمام علي (عليه السلام) في تقسيم العطاء بالسوية، ولذلك نظرت إليه الطبقات المسحوقة من الموالي والعبيد كمصلح اجتماعي ومنقذ لها، وقد وقف الكثير من أبناء أصحاب الإمام علي (عليه السلام) وشيعته ومحبيه ومن بقي من التوابين والموالي معه فضلاً عن بعض القبائل التي لها تاريخ مشرف في الوقوف مع الإمام علي (عليه السلام) في حروبه ودولته، في حين وقف بالضد منه جميع الأشراف الذين شاركوا في قتال الإمام الحسين (عليه السلام)، والموالين لآل أمية وآل الزبير.

7 - تبين من خلال الدراسة أنّ التهم التي أُلصقت بالمختار لم تكن سوى افتراءات أعدائه عليه؛ بسبب مواقفه المؤيدة لآل البيت وتنفيذ القصاص بأعدائهم، وكان المختار يتمتع بالقوة والشجاعة والإيمان فهو لم يستسلم ولم يساوم بل بقي يقاتل حتى اللحظة الأخيرة من حياته في سبيل المبادئ التي أعلنها وطبقها ومات لأجلها.

## المحتويات

الإهداء 5

مقدمة اللجنة العلمية 6

المختار الثقفي... رجل الأسطورة في نصرة الحق 6

المقدمة 8

الفصل الأول

المبحث الأول: ولادته ونشأته 19

أولاً: نسبه وقبيلته 19

ثانياً: نشأته 29

المبحث الثاني: عقيدته وولائه 56

أولاً: المختار والولاء العثماني 60

ثانياً: المختار ومذهب الخوارج 71

ثالثاً: المختار وولائه للزبيريين 82

رابعاً: المختار والكيسانية 85

خامساً: المختار بين الزيدية والرافضة 105

ص: 486

المبحث الأول: الموقف من نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) 113

أولاً: موقف المختار فى عهد الإمام على (عليه السلام) 113

ثانياً: موقف المختار فى عهد الإمام الحسن (عليه السلام) 119

ثالثاً: موقف المختار من الشهادة ضد حجر بن عدى 135

رابعاً: موقف المختار أثناء نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) 150

خامساً: موقف أهل الكوفة من الإمام الحسين (عليه السلام) 156

المبحث الثانى: موقف المختار من حركة التوابين 173

المرحلة الأولى: موقف المختار من حركة التوابين أثناء شخصهم إلى بلاد الشام 180

المرحلة الثانية: موقف المختار من التوابين بعد عودتهم من المعركة 193

المبحث الثالث: موقف المختار من حركة عبد الله بن الزبير 204

أولاً: بداية حركة ابن الزبير 204

ثانياً: قتال المختار مع عبد الله بن الزبير 209

ثالثاً: سيطرة المختار على الكوفة 214

رابعاً: أوجه الخلاف العلنى بين المختار وابن الزبير بعد سيطرته على الكوفة 225

1 - قيام المختار بطرد والى ابن الزبير على الكوفة 225

2 - إرسال المثنى بن مخزومة العبدى إلى البصرة 230

3 - القتال بين جيش المختار وجيش ابن الزبير فى المدينة 234

4 - موقف المختار من ابن الزبير عند حبسه محمد ابن الحنفية 238

خامساً: رؤية المؤرخين لدولة المختار ونهايته على يد آل الزبير 248

1 - موقف إبراهيم بن الأشر من المختار 248

2 - هزيمة جيش المختار بسبب سوء إدارة ابن شميظ في معركة المذار 254

3 - دور قتلة الأمام الحسين (عليه السلام) وأعاونهم من أهل الكوفة 256

4 - المرض الذى كان يعانى منه المختار أثناء قتال آل الزبير 259

ص:487



## الفصل الثالث

المبحث الأول: نشوء الدولة ونظامها الإدارى 269

أولاً: نشوء الدولة 269

بيعة المختار 276

ثانياً: النظام الإدارى للدولة 283

1 - أرمينية وهمدان 283

2 - ولاية الموصل 285

3 - ولاية أذربيجان 292

4 - مدينة حلوان 293

5 - ولاية المدائن وأرض جوخى 297

6 - ولاية أصبهان وقم وإعمالها 301

7 - مدينة الرى ودستبى 302

المبحث الثانى: القصاص من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) وإحقاق الحق 308

تنفيذ القصاص بقتلة الإمام الحسين (عليه السلام) 316

قتل قادة الجيش الذى قاتل الإمام الحسين (عليه السلام) 320

هدم دور بعض القتلة ورؤية المؤرخين فى القصاص 345

المبحث الثالث: موقف الأشراف والموالى والقبائل من دولة المختار 353

## الفصل الرابع

المبحث الأول: تهمة ادعاء النبوة 399

أولاً: كتاب المختار إلى الأحنف بن قيس 399

ثانياً: تهمة نزول الوحى جبريل عليه 414

ثالثاً: تهمة قتال الملائكة مع المختار 429

1. هجاء سراقفة بن مرداس البارقي للمختار 429

2. قتال الملائكة مع المختار على هيئة الحمام 438

ص: 488

المبحث الثاني: تهم الكذب التي وجهت للمختار 442

أولاً: تهمة الكذب التي وجهت إليه من أعدائه مباشرة 442

ثانياً: الحوار الذي جرى بين أسماء بنت أبي بكر والحجاج بن يوسف 448

ثالثاً: تهمة الكذب التي وجهت للمختار بطرق مختلفة 465

(1) حديث نسب إلى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) 465

(2) تهمة الكذب للمختار التي نسبت إلى قول الأئمة المعصومين (عليهم السلام) 466

المبحث الثالث: الكرسي المقدس 472

الخاتمة 483

المحتويات 486

ص: 489

## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم  
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟  
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟  
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
اصبهان  
الغمامية

WWW

للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

[www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com)

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩